

كِتَابُ الْمَسِيحِيَّةِ

تأليف
أبي عثمان عمرو بن محمد الجاحظ

تحقيق وشرح

عبد السلام هارون

الجزء الثالث

دار

إحياء التراث العربي

بِتَحْقِيقِ وَتَرْجُومِ
عبدالله بن محمد هادي

مكتبة (البحر) مطبوع
أبي عثمان عثمان بن بحر الجاحظ

٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الأول

البحر

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الثالث

دار
أحياء التراث العربي
بيروت


المجمع العلمي العربي - الامامي
منشورات محمد زايد
ص.ب. ٧٨٢٢ - بيروت - لبنان

كتاب
السيوطي

تأليف

أبي عثمان عمرو بن محمد الجاحظ

المجلد الثالث

بتحقيق

عبد السلام محمد هارون

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٩٦٩ - ١٣٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب

ذِكْرُ الْحَمَامِ (١)

وما أودعها الله عزاً وجل^(٢) من ضروب المعرفة ، ومن الخصال
المحمودة ، لتعرف^(٣) بذلك حكمة الصانع ، وإتقان صنعه المدبر^(٤) .

(استنشاط القارئ ببعض الهزل)

وإن كنا قد أملناك بالجِدِّ وبالاحتجاجاتِ الصحيحة والمروجة^(٥) ؛
لتكثر الخواطر ، وتشحد العقول - فإننا سننشطك^(٦) ببعض البطالات ،
وبذكر العلل الظريفة ، والاحتجاجاتِ الغريبة ؛ فربَّ شعْرٍ يبلغُ بفراطِ
غباوةِ صاحبه [من السرور والضحك والاستطراف] ، مالا يبلغه [حشدُ
أحرِّ النوادر ، وأجمع^(٧) المعاني .

(١) س : « نبدأ وبالله التوفيق بذكر الحمام » ل : « من الله التوفيق بذكر الحمام » .

(٢) ل : « وما أودعه الله جل ذكره » .

(٣) في الأصل : « ولتعرف » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « وإتقانه وصنعه المدبر » . وفي س : « وصنعة المدبر » .

(٥) المروجة : التي روجها صاحبها ، وجعلها تسير في الناس . ويقال : روج

الدراهم : جعلها تنفق في السوق . وفي ط ، س : « المزوجة » . والأشبه

« أثبت من ل » .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « فاستنشطتك » . وفي س : « فاستنشطك » .

(٧) ط : « وأجود » . وما كتبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ .

وأنا أستظرفُ أمرين استظرافاً شديداً : أحدهما استماعُ حديثِ الأعراب . والأمرُ الآخرُ احتجاجُ متنازعينِ في الكلام ، وهما لا يحسانِ منه شيئاً ، فإِنَّهُمَا يُشِيرَانِ مِنْ غَرِيبِ الطَّيْبِ (١) مَا يُضْحِكُ كُلَّ ثَكْلَانَ وَإِنْ تَشَدَّدَ ، وَكُلَّ غَضْبَانَ وَإِنْ أَحْرَقَهُ هَبِيبُ الْغَضَبِ . ولو أنَّ ذلكَ لا يَجِلُّ (٢) لكانَ في بابِ اللُّهُوِ والضَّحِكِ والسُّرُورِ والبَطَالَةِ والتَّشَاغُلِ ، ما يَجُوزُ في كُلِّ فَنٍّ (٣) .

وسنذكر من هذا الشكلِ عللاً ، ونوردُ عليك من احتجاجاتِ الأغبياءِ حُجَجاً . فإنَّ كُنْتَ مَن يَسْتَعْمِلُ المِلاَةَ ، وتَعَجَّلُ إليه السَّامةُ ، كانَ هذا البابُ تَنشِيطاً لِقَلْبِكَ ، وَجَمَاماً لِقَوَّتِكَ . ولتَبْتَدِئِ النَّظَرَ في بابِ الحِمامِ وقد (٤) ذَهَبَ [عَنكَ] الكَلالُ وَحَدَثَ النِّشاطُ .

وإنَّ كُنْتَ صاحِبَ عِلْمٍ وَجِدِّ ، وَكُنْتَ (٥) مَمْرُناً مَوْقِحاً ، وَكُنْتَ لِفَ تَفْكِيرٍ وَتَنْقِيرٍ ، وَدِرَاسَةِ كُتُبٍ ، وَحِلْفِ تَبْيِينٍ (٦) ، وَكانَ ذلكَ عَادةً لَكَ لَمْ يَضِرْكَ مَكانُهُ مِنَ الكِتابِ ، وَتَخَطُّبِهِ (٧) إلى ما هو أَوْلَى بِكَ .

(١) المراد بكلمة « الطيب » هنا : الهزل والفتكامة ، كما في هذا الجزء ص ٣٩ .
وفي القاموس « وفاكه : طيب النفس ضحوك » ، ويقال : طايبه : أي مازحه
وجاء في البيان ٣ : ٣٤٥ : « وكان فتى طيب من ولد يقطين لا يصحو »
وطيب بمعنى فسكه مزاح . وأصل معناه السهل المعاشرة . وانظر الحيوان ٤ : ٥٨ .

(٢) س : « ولولا أن ذلك ليجل » ؟ والإشارة بكلمة « ذلك » إلى احتجاج المتنازعين .

(٣) ط ، ل : « ما يجوز كل فن » .

(٤) كذا في س . وفي ل ، ط : « فقد » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التبيين : التفهم . وفي ط ، س : « تبين » . وما ابيت من ل أشبه
بكلام الجاحظ .

(٧) التخطى : مصدر تخطى بمعنى تجاوز . والتخطية : مصدر خطاه ، بمعنى دفعه =

(ضرورة التنويع في التأليف)

وعلى أنني قد عزمتُ - والله الموقن - أنني أوشح هذا الكتابَ وأفصلُ أبوابه ، بنوادرٍ من ضروبِ الشعر ، وضروبِ الأحاديث ، ليخرج قارئُ هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل ؛ فإنني رأيتُ الأسماعَ تملُّ الأصواتَ المطربةَ والأغانيَ الحسنةَ والأوتارَ الفصيحةَ ، إذا طال ذلك ^(١) عليها . وما ذلك إلا في طريق الراحة ، التي إذا طالت أورثت الغفلة . وإذا كانت الأوائِلُ قد سارتُ في صغارِ الكتبِ هذه السيرةَ ، كان هذا التدبيرُ لما طالَ وكثرَ أصلحَ ، وما غايتنا من ذلك كله إلا أن تستفيدوا خيراً .

وقال أبو الدرداء : إنني لأجُمُّ نفسي ببعضِ الباطل ، كراهةً أن أحملَ عليها من الحق ما يملؤها !

(ادعاء أبي عبد الله الكرخي الفقه)

فمن الاحتجاجات الطيبة ^(٢) ، ومن العِللِ الملهية ، ما حدثني به ابن المدينة ^(٣) قال : تحول أبو عبد الله الكرخي اللحياني إلى

- وأماطه . وإذا حملت غيرك على أن يخطو قلت أخطيته . وكلمة « تخطيه »

هي في س : « تخطيته » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ؛ ط .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) الطيبة هنا بمعنى الهزلية . وانظر ما سبق في ص ٦ . وهذه الكلمة هي في ط ، ل : « الطيبة » مصحفة .

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد أبو الحسن السعدي ، مولاهم -

الْحَرْبِيَّةُ (١) فَادَّعَى أَنَّهُ فَقِيهٌ ، وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ يَجُوزُ لَهُ ، لِمَكَانِ لِحْيَتِهِ وَسَمْتِهِ .
قال : فأتى على باب داره البوارى (٢) ، وجلس [وجلس] إليه [بعض]
الجيران ، فأتاه رجلٌ فقال : يا أبا عبد الله ! رجلٌ أدخل إصبعه في أنفه
فخرج على دمٍ ، أى شئ يصنع (٣) ؟ ! قال : يحتجم . قال : قعدت
طيباً أو قعدت فقيهاً ؟

(جواب أبي عبد الله المروزي)

وحدثني شمعون (٤) الطيب قال : كنت يوماً عند ذى اليمينين طاهر
ابن الحسين (٥) فدخل عليه أبو عبد الله المروزي فقال [طاهر] : يا أبا عبد الله

= ويعرف بابن المديني ، بصرى الدار ، وهو أحد أئمة الحديث في عصره ،
والمقدم على حفاظ وقته ، أخذ عنه أحمد بن حنبل ، وكان لا يسميه ، وإنما يكتبه
تجيلاً له . اتصل بالقاضي أحمد بن أبي داود ، وله معه أخبار كثيرة . ولد
سنة إحدى وستين ومائة ، وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين . انظر تاريخ
بغداد ٦٣٤٩ .

(١) الحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله
البلخي الراوندي ، أحد قواد المنصور . انظر الخبر أيضاً في البيان ٢ : ٣٢١ .
س : « الحربية » ل : « الحربية » صوابها في ط . ونحو هذا الخبر للشعبي
في المقدم ٦ : ١٥٢ .

(٢) البورى ، والبورية : والبارى ، والبارية والبارياه والبورياه : الحصير المنسوج .

(٣) س : « يصنعه » . وانظر قصة شبيبة بهذه في أخبار الطراف ص ٢٦ .

(٤) المعروف في هذا الاسم : « شمعون » .

(٥) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، من كبار الوزراء ، كان أديباً حكيماً
شجاعاً ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسي ، وهو الذى قتل الأمين ،
وعقد البيعة للمأمون ، فولاه شرطة بغداد ثم جعله والياً على خراسان ، فحدثته =

مذ كم دخلت العراق ؟ قال : منذ عشرين سنة ، وأنا صائم منذ ثلاثين سنة^(١) . قال : يا أبا عبد الله ، سألتك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين !

(جواب شيخ كندی)

وحدثني أبو الجهم^(٢) قال : ادعى شيخ عندنا أنه من كندة ، قبل أن ينظر في شيء من نسب كندة ، فقلت له يوماً وهو عندي : ممن أنت يا [أبا] فلان ؟ قال : من كندة . قلت : من أيهم أنت ؟ قال : ليس هذا موضع [هذا] الكلام ، عافاك الله !

(جواب ختن أبي بكر بن بريرة)

ودخلت على ختن [أبي بكر بن]^(٣) بريرة ، وكان شيخاً ينتحل قول الإباضية ، فسمعه يقول : العجب ممن يأخذه النوم وهو [لا] يزعم [أن] الاستطاعة مع الفعل^(٤) ! قلت : ما الدليل على ذلك ؟ قال : الأشعار الصحيحة . قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

= نفسه بالاستقلال بها ، وحالت دون ذلك منيته . وسمى ذا اليمين لأنه ضرب شخصاً في وقتته مع علي بن ماهان بالسيف ففقد نصفين ، وكانت الضربة بيساره فتقال فيه بعض الشعراء :

« كلتا يديك يمين حين تضربه »

فلقبه المأمون : ذا اليمين . انظر وفيات الأعيان . وفي ثمار القلوب ٢٣٢ - ٢٣٣ تعليان آخران . وانظر الطبري ١٠ : ١٤١ و ١٥٥ في حوادث ١٩٥ والديارات للشابشي ٩١ - ٩٢ . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفي سنة ٢٠٧ .

(١) ل : « وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة » .

(٢) س : « أبو الجهم » وهو تحريف . ولأبي الجهم حديث في البخلاء ص ٣٦ .

(٣) الزيادة من مثل هذا الموضوع ص ٢٢ س : ٣

(٤) من أصول المعتزلة أن استطاعة الفعل تسبق الفعل ، وجمهور الإباضيين على أن =

• مَا إِنْ يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا وَقَعَا^(١) .

ومثل قوله :

• يَهْوِينُ شَيْئِي وَيَقَعَنَّ وَقَعَا .

ومثل قولهم في المثل : « وَقَعَا كَعِكْمَى عَيْر^(٢) » [

وكقوله^(٣) أيضاً :

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا

كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهَ السَّبِيلُ مِنْ عَلِيٍّ^(٤)

وكقوله :

أَكْفٌ يَدِي عَنْ^(٥) أَنْ تَمَسَّ أَكْفَهُمْ

إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَتْنَا^(٦) مَعَا

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلِيٌّ فَقَالَ : أَمَا فِي هَذَا مَقْنَعٌ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، وَفِي دُونَ هَذَا !

= الاستطاعة مع الفعل ، وشذ منهم الحارثية فإنهم وافقوا المعتزلة . الفرق ٨٤ .
وكلمة « الفعل » هي في ط ، س : « العقل » وتصحيحه من ل ، ومن عيون
الأخبار ٢ : ٥٦ حيث يوجد هذا الخبر .

(١) ط ، س : « فرطا » ، والوجه فيه ما أثبت من ل .

(٢) العكم ، بالكسر : العمدل بكسر الميم . والمير : الحمار . ووقعا : أي
حصلا ، فهما في التوازن والتعادل سواء . أو بمعنى سقطا ؛ لأن العكبين
في الأكثر إذا حل أحدهما سقطا معا . والمثل يضرب للمتساويين . أمثال
الميداني ٢ : ٢٨٩ . ويقال : وقع المصطرغان عكسي عير وكعكسي عير :
وقعا معا لم يصرع أحدهما صاحبه . لسان العرب وفي الأصل ، وهو هنال :-
« كمظني عير » وهو تحريف .

(٣) هو امرؤ القيس . والبيت الآتي من معلقته المشهورة .

(٤) هذا الشطر ليس في ل .

(٥) ل ، س : « من » .

(٦) ل : « وحاجاتنا » .

(جواب هشام بن الحكم)

وذكر محمد بن سلام عن أبان بن عثمان قال : قال رجل من أهل الكوفة لهشام بن الحكم^(١) : أتري الله عز وجل في عدله وفضله كلّفنا ما لا نطيق ثمّ يعذبنا ؟ ! قال : قد والله فعل ، ولكننا لانستطيع أن نتكلّم به !

(سؤال ممرور لأبي يوسف القاضي)

وحدّثني محمد بن الصباح قال : بينا أبو يوسف القاضي يسيرُ بظهر الكوفة - وذلك بعد أن كتبَ كتابَ الحيل^(٢) - إذ عرضَ له ممرورٌ عندنا أطيّب الخلق ، فقال له : يا أبا يوسف ، قد أحسنتَ في كتاب الحيل^(٢) ، وقد بقيتُ عليك مسائلُ في الفطن ، فإن أذنت لي سألتك عنها . قال : قد أذنتُ لك فسَلْ . قال : أخبرني عن الحرِّ كافرٌ هو أو مؤمن ؟ فقال أبو يوسف : دينُ الحرِّ دينُ المرأة ودينُ صاحبةِ الحرِّ : إن كانت كافرةً فهو كافر ، وإن كانت مؤمنةً فهو مؤمن . قال : ما صنعت

(١) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستاني ، ومن المشبهة عند الخوارزمي في مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والنشبية ، وآراؤه مفصلة في الفرق ٤٧ - ٥٣ ، والملل والنحل ٢ : ٢١ - ٢٣ .

(٢) هي الحيل الشرعية ، التي يتخلص بها من بعض الأحكام ، أو من بعض المحظورات ، ومن نماذج ذلك ما كتبه ابن دريد في كتابه « الملاحن » المطبوع في مصر سنة ١٣٤٧ . وفي س : « الحيل » وهو تصحيف .

شيئاً . قال : فقل أنت إذن ؛ إذ لم ترض بقولي^(١) . فقال : الجُرُّ كافر . قال : وكيف علمت ذلك ؟ قال لأنَّ المرأة إذا ركعت أو سجّدت استدبر الجُرُّ القبلة واستقبلت هي القبلة ، ولو كان دينه دين المرأة لصنع كما تصنع . هذه واحدة يا أبا يوسف . قال : صدقت . [قال] : فتأذن^(٢) لي في أخرى ؟ قال : نعم . قال : أخبرني^(٣) عنك إذا أتيت صحراء فهجمت على بول وخِراء كيف تعرف أبول امرأة هو أم بول رجل ؟ قال : والله ما أدري ! قال أجل والله ما تدري ! قال : [أ] فتعرف أنت ذلك ؟ قال : نعم ، إذا رأيت البول قد سال على الخِراء وبين يديه فهو بول امرأة ، وخِراء امرأة . وإذا رأيت البول بعيداً من الخِراء فهو بول رجل وخِراء رجل . قال : صدقت ! قال : وحكي لي جواب مسائل فنسيت^(٤) منها مسألة ، فعاودته فإذا هو لا يحفظها .

(جواب الحجاج العبسي)

وحدّثني أيوبُ الأعورُ ، قال قائل للحجاج العبسي^(٥) : ما بال شعر الاست^(٦) إذا نبت أسرع والتف ؟ قال : لقربه من السماء^(٧) والماء هطل عليه^(٨) ! !

(١) ط ، ل : « فقل أنت إذا لم ترض بقولي » .

(٢) أراد الاستفهام .

(٣) ل : « خبرني » .

(٤) ل : « نسيت » .

(٥) ل : « لحجاج العبسي » ، ويظهر أنه من المخشيين .

(٦) ل : « است المرأة » .

(٧) السماء ، بالفتح : أصله سرقين الدولاب . وأريد به هنا النجوم ، وفي ط :

« السماء » وهو تحريف ما في ل .

(٨) ماء هطل : متتابع القطر عظيمه . وفي ل : « ويسق من عل » . وحديث =

(جواب نوفل عريف الكناسين)

وحدثني محمد بن حسن بن قال : وقفتُ على نوفلِ عريفِ الكناسين ،
وإذا موسوس قد وقف عليه ، وعنده كلُّ كناس بالكرخ ، فقال له
الموسوس : ما بال بنتِ وردان^(١) تدعُ قعرَ البئر وفيه كُرٌّ^(٢) خِراء وهو
لها مُسَلِّمٌ وعليها موفر ، وتجيء تطلب اللطاخة التي في آست أحدنا وهو
قاعدٌ على المقعدة^(٣) ، فتلزم نفسها الكلفة الغليظة ، وتعرض للقتل ،
ولأما هذا الذي في أستاذنا قيراطٌ من ذلك الدرهم ، وقد دفعنا إليها الدرهم
[وافيًا]^(٤) وافرأ . قال : فضحك القوم ، فحرَّك نوفلُ رأسه ثم قال :
أتضحكون ؟ ! قد والله سأل الرجل^(٥) فأجيبوا ! وأما أنا فقد - والله -
فكرت فيها منذ ستينَ [سنة]^(٦) ، ولكنكم لا تنظرون في شيء من
أمر صناعتكم . لاجرم أنكم لا ترتفعون أبداً ! [قال له الموسوس : قل -
يرحمك الله - فأنت زعيمُ القوم] ، فقال نوفل : قد علمنا أن الرطب

= الحجاج هذا ساقط من س . وتجد في محاضرات الراغب ٢ : ١١٧ - ١١٨
حديثاً مثله يروى عن « مخنث » .

- (١) بنت وردان يقال لها في مصر « خنفس » . معجم المملوف ٣٦ .
- (٢) السكر : بالضم : مكيال للعراق ، أو ستة أوقار حمار ، أو سعون قفيزا ،
أو أربعون إردباً . وفي ط : ل : « كل » وهي تصحيف . وأثبت ماني س .
- (٣) المقعدة : عنى بها ما وضع له اسم « المرحاض » في مصرنا هذا . وفي ط ، س :
« المقعد » . وأثبت ماني ل . وأصل المقعد والمقعدة مكان القعود .
- (٤) ط : « وقد دفعنا إليها من الدرهم وافرأ » وهو تحريف .
- (٥) ط : « الرجال » ، وتصحيحه من ل ، س .
- (٦) الزيادة من ل ، س وفي ط : « منذ ستين » .

أطيبُ من التَّمْر ، والحديثَ أطرف^(١) من العتيق ، والشئ من مَعْدِنِه
أطيب ، والفاكهة من أشجارها أطرف^(٢) . قال : فغضب شريكه^(٣)
مسبِّح^(٤) الكناس ثم قال : والله لقد وبَّختنا ، وهولت علينا ، حتى ظننَّا
أنك ستجيب بجوابٍ لا يحسنه أحد ، ما الأمرُ عندنا وعند أصحابنا هكذا .
قال : فقال لنا الموسوس : ما الجواب عافاك^(٥) الله ؛ فإني ما نمتُ البارحة
من الفكرة^(٦) في هذه المسألة ؟ قال مسبِّح^(٧) : لو أن لرجل ألفَ جاريةٍ
حسنة^(٨) ثم عتقنَ عنده لبرَدتْ شهوتهُ عنهنَّ وفترت ، ثم إن رأى واحدةً
دونَ أحسنهن في الحسن صبا إليها^(٩) ومات من شهوتها . فبنت وردانَ
تستطرف^(١٠) تلك اللطاحة^(١١) وقد ملَّت الأولى^(١٢) ؛ وبعضُ الناسِ

(١) كذا في ط ، س وفي ل : « أطرا » .

(٢) ل : « ألد » .

(٣) ط ، س : « شريك » ، وهو تحريف صوابه من ل .

(٤) كذا ضبط الاسم في ل . وجاء في ط ، س : « مسيح » . ولمسح هذا

حديث في الجزء الأول من الحيوان ص ٢٤٥ .

(٥) س : « فقال له الموسوس : ما الجواب عافاك » .

(٦) ل : « الفكر » .

(٧) انظر التنبية رقم ٤ من هذه الصفحة .

(٨) ط : « جوارى حسانا » وهو تحريف ، إذ أن تمييز الألف مفرد مجرور .

وصوابه في ل ، س .

(٩) ل : « واثبا » مكان : « صبا إليها » .

(١٠) كذا بالأصل . ولعلها « تستطرف » .

(١١) س : « اللطافة » . وهو تحريف ما أثبت من ط ، ل .

(١٢) ل : « الأول » .

الفطيرُ أحبُّ إليه^(١) من الخمير . وأيضاً إنَّ الكثيرَ يمنعُ الشهوة ، ويورث الصدوف^(٢) . قال : فقال الموسوس - واستحسنَ جوابَ مسَبِّح ، بعد أن كان لا يرى جواباً إلا جوابَ نوفل^(٣) - : لا تعرفُ مقدارَ العالمِ حتَّى تجلسَ إلى غيره ! أنتم أعلم أهل هذه المدرة ، ولقد^(٤) سألتُ علماءها عنه منذُ عشرينَ سنةً فما تخلصَ أحدٌ منهم إلى مثلِ ما تخلصتم إليه . وقد والله - أنتم عيني ، وطابَ بكم عيشي ! وقد علمنا أن كلَّ شيءٍ يُستَلَبُ استلاباً أنه ألدُّ وأطيب . ولذلك صارَ الدَّيبُّ إلى الغلمانِ ونيكهم على جهة القهر^(٥) ألدُّ [وأطيب] ، وكلُّ شيءٍ يصيبه الرَّجلُ فهو أعزُّ عليه من المالِ الذي يرثه أو يوهب^(٦) له .

(علة الحجاج بن يوسف)

قال : وحدَّثني أبانُ بن عثمانَ قال : قال الحجَّاجُ بنُ يوسفَ : واللهِ لَطَاعَتِي أَوْجِبُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

(١) كذا في ط . وفي ل ، س : « إليهم » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن لفظ « بعض » يصح أن يراعى فيه الأفراد ، ويصح أن يراعى فيه اكتساب الجسمية مما أصيب إليه من جمع . وينشدون لذلك قول جرير :

إذا بعض السنين تعرقتنا كفى الأيتام فقد أبي اليتيم

انظر الكامل ٣١٢ - ٣١٣ ليبسك ، والخزانة (٤ : ١٦٤ مسانئة) وسبويه ١ : ٢٥ بولاق .

(٢) الصدوف : العزوف عن الشيء والانصراف عنه . وفي ط ، س : « الصدود » وهو بمثل معناه .

(٣) ل : « أنه لا جواب إلا جواب نوفل » .

(٤) ل : « وأنتم أعلم أهل هذه المدرة ، لقد » .

(٥) ط ، س : « الضبط » ، وهو تحريف ما أثبت من ل

(٦) ط ، س : « الذي يوجب له » .

فَجَعَلَ فِيهَا مَثْنِيَّةً^(١) ، وقال : ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ولم يجعل فيها مَثْنِيَّةً^(٢) ! ولو قلتُ لرجل : ادخل من هذا الباب ، فلم يدخل ، حلَّ لي دمه !

(احتجاج مدني وكوفي)

قال : وأخبرني محمد بن سليمان بن عبد الله النوفليُّ قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة : نحن أشدُّ حبًّا لرسولِ الله - صلى الله عليه وسلم وعلى آله - منكم يا أهلَ المدينة ! فقال المدنيُّ : فما بلغَ من^(٣) حُبِّكَ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ؟ قال : ودِدتُ أنِّي وقَّيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم - وأنَّه لم يكنْ وصلَّ إليه يومَ أحدٍ ، ولا في غيره من الأيامِ شيءٌ من المكروه^(٤) يكرهه إلا كان بي دونَه ! فقال المدنيُّ : أفَيندَكَ غيرُ هذا ؟ قال : وما يكونُ غيرُ هذا ؟ قال : ودِدتُ أنَّ أبا طالبٍ كانَ آمنَ فُسرًا به النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأنِّي كافرٌ^(٥) !

(١) المثنوية : الاستثناء . وهو قوله تعالى : « ما استطعتم » .

(٢) فهم الاحتجاج أن المراد طاعة أولى الأمر ، وليس كما ظن ، بل المراد : اسمعوا المواعظ وأطيعوا الأوامر الإلهية ، أو اسمعوا لله ولرسوله ولكتاباه وأطيعوا الله فيما يأمركم . انظر تفسير الزمخشري ، والرازي ، والبيضاوي .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) س : « شيء يكرهه » . وفي ط : « بشيء يكرهه » ، ولا تصح هذه الأخيرة إلا بينا ، « وصل » للمفعول .

(٥) لفظ « كان » ساقط من ل . وكلمة : « وأنِّي » هي في ل : « وأنا » .

(احتجاج رجل من وجوه أهل الشام)

وحدّثني أبانُ بنُ عثمان قال : قال ابنُ أبي ليلى (١) : إنني لأُسَيرُ رجلاً من وجوه أهل الشام ، إذ مرَّ بِحَمَّالٍ معه رُمَّان ، فتناولَ منه رُمَّانَةً فجعلها في كُمِّه . فَعَجِبْتُ من ذلك ، ثمَّ رجعتُ إلى نفسي وكذّبتُ بصرى ، حتّى مرَّ بِسائلٍ فقيرٍ (٢) ، فأخرجها فناوله إيّاها . قال : فعلمتُ أنّي رأيتها ، فقلتُ له : رأيتُكَ قَدْ فعلتَ عجباً (٣) . قال : وما هو؟ قلتُ : رأيتُكَ أخذتَ رُمَّانَةً مِن حَمَّالٍ وأعطيتها (٤) سائلاً؟ قال : وإنك ممّن يقولُ هذا القولَ ؟ أما علمتَ أنّي أخذتُها وكانت سيئةً وأعطيتها فكانت عشرَ حَسَناتٍ ؟ قال : فقال ابنُ أبي ليلى : أما علمتَ أنّك أخذتها فكانت سيئةً وأعطيتها فلم تُقبَلْ منك ؟ !

(١) ابن أبي ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، واسم أبي ليلى يسار .
ولى محمد القضاء لبني أمية ، ثم وليه لبني العباس . وكان فقيهاً منفيًا بالرأى .
انظر أصحاب الرأى في المعارف ص ٢١٦ .

(٢) ط ، س : « وكذبت عيني حتى مر به سائل » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) ل : « فقلت رأيت منك عجباً » .

(٤) ل : « فأعطيتها » .

(من جهل الأعراب بالنحو)

وقال الربيع (١) : قلت لأعرابي : أتَهْمِزُ إسرائيل (٢) ؟ قال : إني إذا لَرَجُلٌ سَوءٌ ؟ قلت : أَلْجُرُّ (٣) فَلَسْطِينٌ ؟ قال : إني إذا لَقَوِي .

(احتجاج رجل من أهل الجاهلية)

قال : وحدَّثنا حمادُ بنُ سلمة قال : كان رجلٌ في الجاهليَّة معه مِحْجَنٌ (٤) يتناولُ به متاعُ الحاجِّ (٥) سَرِقةً ، فإذا قيل له : سرقت ! قال : لم أسرق ، إنما سَرَقَ مِحْجَنِي ! قال : فقال حماد : لو كان هذا اليومَ حَيَّةً لكانَ من أصحاب أبي حنيفة !

(الأعمش وجليسه)

قال : وحدَّثني محمد بن القاسم قال : قال الأعمشُ لجليس له : أما تَشْتَهِي بناني (٦) زُرْقَ العيونِ نَقِيَّةَ البطونِ ، سَوْدَ الظُّهورِ ، وأرغفةً

-
- (١) هو الربيع بن عبد الرحمن السلمى ، كما في البيان ٢ : ٢٢٠ .
(٢) ط : « أتَهْمِزُ أم إسرائيل » ، وتصحيحه من س ، ل .
(٣) ط : « فتجر » وأثبت ما في ل . وقد أراد الربيع بالهمز والجر معناها الاصطلاحى وفهم الأعرابي من الهمز الغمز ، أو النخس ، أو الدفع ، أو الضرب ، أو العَض ، كما فهم من الجر معناه اللغوى .
(٤) المحجن : العصا المعوجة .
(٥) الحاج : الحجاج إلى البيت الحرام . وقد جاء على لفظ المفرد .
(٦) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامَّة في مصر يكسرون بابه . وجمعه « بناني » . وجاء في ط : « بناني » وفي ل : « بنانيا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

حارّةً ليّنة ، وخلاً حاذقاً؟ قال : بلى ! قال : فانهض بنا . قال الرَّجُلُ :
فنهضتُ معه ودخل منزله . قال : فأومأ إليّ : أنْ خذْ تلك السَّلَّة . قال :
فكشفتها فإذا برغيفين يابسين^(١) وسُكَّرَجَة كامخ^(٢) شَبَثٍ^(٣) . قال : فجعل
يأكل . قال : فقال لي تعالْ كُلْ . فقلت : وأين السمك؟ قال : ما عندي ،
[سمك] ، إنما قلت لك : تشتهي !

(رأى حفص بن غياث في فقه أبي حنيفة)

قال : وسئل حفصُ بن غياث^(٤) عن فقه أبي حنيفة ، قال : كان
أجهلَ النَّاسِ بما يكون^(٥) ، وأعرفهم بما لا يكون .

(١) ل : « فإذا فيها رغيفان يا بسان » .

(٢) الكامخ ، بفتح الميم : ضرب من مشهيات الطعام ، قوامه البقول والملح
واللبن ، وقد تضاف إليه بعض الأباير . انظر كتاب الطبخ للبغدادي ص ٦٨ وشفاء
القليل ١٧٠ .

(٣) الشبث ، بالكسر : ضرب من البقول . وجاء في ل : « شبت » . وفي
القاموس : « الشبث كطمر : هذه البقلة المعروفة » . وفي تذكرة داود :
« شبت بالمثلثة ويقال بالمشناة » ، فهما لغتان .

(٤) هو حفص بن غياث بن طلق ، وكنيته أبو عمرو . ولاء هارون القضاء ببغداد
بالشرقية ، ثم ولاء قضاء الكوفة ، فات بها سنة ١٩٤ . وكان مثلاً في الزهد
والعفة ؛ روي أنه مرض خمسة عشر يوماً فندفع إلى ابنه مائة درهم ، وقال له : أمض
بها إلى العامل وقل له : هذه رزق خمسة عشر يوماً ، لم أحكم فيها بين المسلمين ،
لا حظ لي فيها ! وقد سبق الخبر في ١ : ٣٤٧ . وانظر البيان : ٢ : ٢٥٣ حيث
المستول هناك « شريك » .

(٥) ل : « كان » .

(علة خشنام بن هند)

وأما علة خُشْنَام^(١) بن هند ، فإنَّ خشنام بن هِنْدٍ كان شيخاً من الغالية^(٢) ، وكان ممن إذا أراد أن يسميَ أبا بكرٍ وعمرَ قال : الجبْتُ والطَّاغوت ، ومُنْكَر ونَكير ، وأفٌ وتُفٌ ، [وكُسَيْر] وعُوَيْر^(٣) . وكان لا يزال يُدخِلُ دارَه حمارَ كَسَّاح^(٤) ويضربه مائةَ عصاً^(٥) على أن أبا بكرٍ وعمرَ في جوفه . ولم أر قطُّ أشدَّ احتِرافاً^(٦) منه . وكان مع ذلك نبِيذِيّاً وصاحبَ حَمَام^(٧) . ويُشبهه في القَدِّ والخرطُ شيوخَ الحربيَّة^(٨) . وكان من [بنى] غُبَر^(٩) [من] صميمهم . وكان له بُنْيٌ يتبعه ، فكان يزنيُّ أمَّهُ عند^(١٠) كلِّ حقٍّ وباطلٍ ، وعندَ كلِّ جدِّ وهزلٍ . قلت له يوماً - ونحن

-
- (١) في القاموس : « خشنام : علم ، معرب خوش نام ، أى الطيب الاسم » .
(٢) الغالية : فرقة من فرق الشيعة الخمس ، وهى الزيدية والسكيسانية والإمامية والغلاة والإسماعيلية . والغلاة ، أو الغلاة : هم الذين غلوا في حق أمّتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكوا فيهم بأحكام الإلهية ، فرجما شهبوا واحداً من الأئمة بالإله ، ورجما شهبوا الإله بالخلق . الملل والنحل ١ : ١٩٥ ، ٢ : ١٠ .
(٣) انظر الاستدراكات في نهاية هذا الجزء .
(٤) الكساح : الكناس . والمكسحة : المكنتة . والكساحة ، بالضم : الكنتانة
(٥) ط ، ل : « عصى » . والوجه كتابته بالألف كما في س .
(٦) الاحتراف ، من الحرفة بمعنى الفقر . انظر المعارف ١٩٧ . وفي ط . س : « احتراقاً » .
(٧) أى يلعب بالحمام ويقامر به .
(٨) الحربية : محلة كبيرة ببغداد ، قنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي . انظر ص ٥٨ .
(٩) غبر ، كزفر : قبيلة من يشكر ، كما في تاج العروس . وفي ط ، س « غير »
وتصحيحه من ل .
(١٠) ل : « في » . يزنيها : يتدفها بالزنى .

عند بنى ربيعي : وَيَحْكُ ، بأي شيء تستحلُّ أن تقذِفَ أمه بالزنا ؟ فقال : لو كان عليّ في ذلك حرجٌ لما قذفتها ! قلت : فلم تزوجت امرأة ليس في قذفها حرج ؟ قال : إني قد احتلتُ حيلةً حتى حلّ لي من أجلها ما كان يحرم . قلت : وما تلك الحيلة ؟ قال : أنا زجلٌ حديدٌ ، وهذا غلامٌ عارم ، وقد كنت (١) طَلَّقتُ أمه فكنتُ إذا افتريتُ عليها (٢) أئمت ، فقلت في نفسي : إن أرغتها (٣) وخدعتها حتى أنيكها مرّةً واحدةً حلّ لي بعد ذلك افترائي عليها (٤) ، بل لا يكونُ قولي حينئذٍ فريةً ، وعلمتُ أن زنيّةً واحدةً لا تعدلُ عشرة (٥) آلافِ فرية . فأنا اليومَ أصدُقُ ولستُ أكذب . والصّادِقُ مأجور .

إني والله ما أشكُّ أن الله إذا علم أنّي لم أزن بها تلك المرّة (٥) إلا من خوف الإثم ٧ إذا قذفها (٦) - أنه سيجعلُ (٧) تلك الزنيّة له طاعة (٨) فقلت : أنت الآن على [يقين] أن زناك طاعةٌ لله تعالى ؟ قال : نعم .

(١) ل : « قد » .

(٢) ل : « عليه » ، والمعنى يصح بكلمتا العبارتين .

(٣) أرغتها : أردتها وطلبها أو خادعتها . وفي ط : « أعبث بها » وفي س : « أعبتها » ، وهما تحريف ما أثبت من ل .

(٤) في الأصل : « عشر » . والألف مذكور .

(٥) س : « المرأة » ، وتصح بتكلف .

(٦) ل : « قذفته » ، ويصح المعنى بالعبارتين .

(٧) ل : « فتجعل لي » ، وهو تحريف .

(٨) ط ، س : « طاعة لله » ، وهو تحريف ما في ل .

(حجة الشيخ الإباضي في كراهية الشيعة)

قال الشيخ الإباضي [وقد ذهب عنى اسمه وكنيته] وهو ختن أبي بكر ابن بريرة^(١) - وجرى يوماً [شئ من] ذكر التشيع والشيعة ، فأنكر ذلك واشتد غضبه عليهم ، فتوهمت أن ذلك إنما اعتراه للإباضية التي فيه ، [وقلت]^(٢) : وما على إن سألته ؟ فإنه يُقال : إنَّ السائل لا يعدمه أن يسمع في الجواب حجةً أو حيلةً [أو ملحة]^(٣) - فقلت : وما أنكرت من التشيع و [من ذكر] الشيعة ؟ قال : أنكرت منه مكان الشين التي في أول الكلمة ؛ لأنني لم أجد الشين في أول كلمة قط إلا وني مسخوطة^(٤) مثل : شوم ، وشر ، وشيطان ، وشغب ، وشح^(٥) ، وشمال ، وشجن^(٦) ، وشيب ، وشين^(٧) ، وشراسة ، وشنج^(٨) ، وشك ، وشوكة ، وشبث ، وشرك ، وشارب^(٩) ، وشطير ، وشطور ، وشجرة^(١٠) وشاني^(١١) ، وشم ،

(١) ط ، س : « برة » ، وأثبت ما في ل . انظر ص ٩ س ٩ .

(٢) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « إلا مسخوطة » .

(٥) كذا في س ، ط . وفي ل : « وشيخ » .

(٦) ط « شجرة » ، وهو تحريف ما أثبت من س . وفي ل : « وشخت » .

(٧) بدل هاتين الكلمتين في س ، « وشيب وشيت » وفي ل : « وشيت وشيب » .

(٨) الشنج ، بالتحريك : تقبض الجلد . وبدله في ل : « وشح » .

(٩) في ل مكان الكلمات الأربع : « وشوك وشازب وشارد » . وفي ط

أعيدت كلمة « شوكة » بين « شبت » و « شرك » . الشبث ، محركة : العنكبوت ،

أو دويبة كثيرة الأرجل . والشازب ، التي وردت في ل ، هو الحشن ،

أو الضامر اليابس .

(١٠) كذا في ل . ويراد بها شعر العانة . وفي ط ، س : « شعر » محرقة .

(١١) الشاني ، مخفف الشاني : المبغض العدو . وفي ط : « شاني » . وفي ل

« شابستي » وأثبت ما في س . وقد جاء اللفظان معا في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ .

وشتيم^(١) ، وشيطرج^(٢) ، وشنعة ، وشناعة ، وشأمة^(٣) ، وشوصة ، وشر
وشجوب^(٤) وشجّة ، وشطون ، وشاطن^(٥) ، وشن^(٦) ، وشلل ، وشيص^(٧)
وشاطر ، وشاطرة^(٨) ، وشاحب .

قلت [له] : ما سمعتُ متكلِّمًا قطُّ يقول هذا ولا يبلغه ، ولا يقومُ لهؤلاء
القوم قائمةٌ بعد هذا^(٩) !

-
- (١) الشتم : الكريه الوجه .
(٢) الشيطرج : نبت يوجد بالقبور الخراب ، ورائحته ثقيلة حادة ، وطعمه إلى مرارة . وفي س ، ط : « شطرنج » ، وهو تحريف ما في ل .
(٣) زيادة هذه الكلمة من ل ، س . والشأمة والمشأمة ، من الشؤم ، ضد المينة والمينة ، من المين .
(٤) الشوصة ، بالفتح وقد يضم : وجع في البطن ، أو ريح تمتقب في الأضلاع . أو ورم في حجابها . والشر ، بالفتح : القطع ، أو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسفله . وهاتان الكلمتان موضعهما في ل بعد كلمة : « شاطرة » .
(٥) الشطون : البعيدة . والشاطن : الخبيث .
(٦) الشن ، بالفتح : القربة الخلق الصغيرة .
(٧) الشيص ، بالكسر : أردأ التمر ، ووجع الضرس أو البطن .
(٨) الشاطر : الذي أعيا أهله ومؤديه خيثا ، وقد يراد بها اللص . وفي ل : « وشاطر وشطارة » . والشطارة : مصدر شطر : صار شاطراً .
(٩) هذا الخبر الذي ساقه الجاحظ - حديثا بينه وبين الشيخ الإباضي - تجده في العقد ١ : ٣٥٤ قد ساقه الجاحظ أيضا حديثا بين رجل من رؤساء التجار وشيخ شرس الأخلاق كان راكبا مع التاجر في سفينة . ولست أدري من أي كتب الجاحظ نقل صاحب العقد هذا الخبر على ذلك الوجه . كما أننا نجد هذا الخبر في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مصدرا بعبارة : « قال عمرو بن بحر : ذكر لي ذاكر عن شيخ من الإباضية » .

(حيلة أبي كعب القاص)

قال : وتعشى أبو كعب القاصُّ بطفشيل^(١) كثير اللوبيا ، وأكثر منه ، وشرب نبيذ تمر ، وغلّس إلى بعض المساجد ليقصَّ على أهله ، إذ^(٢) انفتل الإمام من الصلاة فصادف زحاما كثيرا ، ومسجدا مستورا بالبوارى^(٣) من البرد والريح والمطر ، وإذا محراب غائر في الحائط ، وإذا الإمام شيخ ضعيف ، فلما صلى استدبر المحراب وجلس في زاوية منه يسبح ، وقام أبو كعب فجعل ظهره إلى وجه الإمام ووجهه إلى وجوه القوم^(٤) ، وطبق وجه المحراب بجسمه وفروته وعمامته وكسائه ، ولم يكن بين فمحه وبين أنف الإمام كبير شيء ، وقصَّ وتحرك بطنه ، فأراد أن يتفرج بفسوة وخاف أن يصير ضراطا^(٥) ، فقال في قصصه : قولوا جميعا : لا إله إلا الله ! وارفعوا بها أصواتكم : وفسا فسوة في المحراب فدارت فيه وجشمت^(٦) على أنف الشيخ واحتملها ، ثم كدّه بطنه فاحتاج إلى أخرى فقال : قولوا : لا إله إلا الله ! وارفعوا بها أصواتكم . فأرسل فسوة أخرى فلم تخطي أنف الشيخ ،

(١) الطفشيل ، ضبطه بعضهم بكر الطاء والشين ، وصاحب القاموس جملة (طفشيل) وزان سميدع ، وقال : إنه نوع من المرق . أما صاحب كتاب الطبخ فقد جملة الطفشيل ضربا من التنويرات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطنى ، أعنى الحبوب ، كالعس والجلبان ، وما أشبه ذلك » . وانظر الحيوان ٢٢٦ .

(٢) فى الأصل : « إذا » .

(٣) البوارى : الحصر المنسوجة .

(٤) ل : « الناس » .

(٥) ل : « ضرطة » . وفى س : « يفرج » بدل : « يتفرج » .

(٦) جشمت : لزمت مكانها . وفى ط : « جشمت » ، والوجه ما فى ل ، س .

واختنقت^(١) في المحراب . فخمّر الشيخُ أنفه^(٢) ، فصار لا يدرى ما يصنع .
إن هو تنفّس قتلته الرائحة ، وإن هو لم يتنفّس مات كرباً . فما زال يُدارى
ذلك ، وأبو كعب يقصُّ ، فلم يلبث أبو كعب أن احتاج إلى أخرى . وكلما
طال لبثه تولّد في بطنه من النفخ على حسَب ذلك . فقال : قولوا جميعاً :
لا إله إلا الله ! وارفعوا بها أصواتكم . فقال الشيخ من المحراب - [وأطلع^٨
رأسه وقال] - : لا تقولوا ! لا تقولوا ! قد قتلتني ! إنما يريد أن يفسو !
ثم جذب إليه ثوبَ أبي كعب وقال : جئت إلى ها هنا لتفسو^(٣) أو تقصّ ؟
فقال : جئنا لنقص^(٤) ، فإذا نزلت بليّة فلا بدّ لنا ولكم من الصبر ! فضحك
الناس ، واختلط المجلس .

(جواب أبي كعب القاصّ)

وأبو كعب هذا هو الذي كان يقصُّ في مسجد عتابٍ كلَّ أربعاء^(٥)
فاحتبسَ عليهم في بعض الأيام وطال انتظارهم له . فبينما هم كذلك إذ جاء
رسوله فقال : يقول لكم أبو كعب : انصرفوا ؛ فإنني قد أصبحت
[اليوم] مخموراً !

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « اختفت » .

(٢) نحر أنفه : غطاه .

(٣) ل : « تفسو » .

(٤) ل : « نقص » .

(٥) هو مقصور : « أربعاء » .

(علة عبد العزيز)

وأما علة عبد العزيز بشكست فإنَّ عبدَ العزيز كان له مالٌ ، وكان إذا جاء وقتُ الزَّكاةِ وجاء القَوَادُّ بغلامٍ مؤجَّرٍ^(١) ، قال : يا غلامُ ألك أمُّ ؟ ألك^(٢) خالات ؟ فيقول الغلام : نعم . فيقول : خذْ هذه العشرة الدراهم - أو خذْ هذه الدنانير - مِن زكاةِ مالي ، فادفعها إليهنَّ ، وإن شئتَ أن تُبركني^(٣) بعد ذلك على جهة المكارمة ، [فافعل] ، وإن شئتَ أن تنصرف فانصرف . فيقول ذلك وهو واثقٌ أنَّ الغلامَ لا يمنعه بعد أخذ الدراهم ، وهو يعلم أنه لن^(٤) يبلغ من صلاحِ طباعِ المؤجَّرين أن يؤدُّوا الأمانات . فغبر^(٥) بذلك ثلاثين سنة وليس له زكاةٌ إلاَّ عند أمهاتِ المؤجَّرين وأخواتهم وخالاتهم .

(١) لفظة عباسية ، يقصد بها من يستأجره اللاطة . انظر كنايات الجرجاني ص

١٢٠ س ١١ وأخبار أبي نواس لابن منظور ٩ ، ١٧ .

(٢) يقال أبركه : جعله يبرك . وقد كنى بقوله . وفي ط « تلزمني » وأثبت . مافى س ، ل .

(٣) ل : « لم » .

(٤) ط : « فغبر » وليست من كلام الجاحظ . وأثبت مافى ل ، س ، وغبر .

بمعنى بقى وظل .

(احتجاج طيب كوفي للتسمية بمحمد)

وحدثني محمد بن عباد بن كاسب قال : قال لي الفضل بن مروان^(١) شيخ من طيِّاب^(٢) الكوفيِّين وأغنيائهم^(٣) : إنَّ وُلِدَ لك مائةٌ ذكرٍ فسمهم كلهم محمداً ، [وكنّهم بمحمد] ؛ فإنَّك ستري فيهم البركة . أو تدرى لأى شيءٍ كثر مالى ؟ قلت : لا والله ما أدرى . قال : إنَّما كثر مالى لأنى سميتُ نَفْسِي فيما بيني وبين الله محمداً ! وإذا كان اسمي عند الله محمداً فما أبالي ما قال الناس !

(جواب أحمد بن رباح الجوهري)

وشبه هذا الحديث قول المرؤزي^(٤) : قلت : لأحمد بن رباح الجوهري اشتريت كساءً أبيضَ طبرياً بأربعمائةٍ درهم ، وهو عند الناس - فيما ترى عيونهم قومسى^(٥) يساوى مائة درهمٍ ؛ قال : إذا علم الله أنه طبرىٌّ ففاعلىٌّ ممَّا قال الناس ؟ !

(١) ل : « مرزوق » .

(٢) الطيِّاب : جمع طيب ، مثل جيد وجياد ، والطيب : الفكه المزاج . انظر البيان

٣ : ١١٥ ، ١٥٢ وسيبويه ٢ : ٢١١ . و ما سبق في ص ٦ ، ٧ .

(٣) ط ، س : « وأغنيائهم » واعتمدت ما في ل . انظر ص ٦ س ٧ .

(٤) ل : « المرزوق » .

(٥) قومسى : نسبة إلى قومس ، بضم القاف وفتح الميم : كما في القاموس . أو بضم القاف

وكسر الميم كما في المعجم . وهى صنع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

(احتجاج حارسِ يكنى أبا خزيمة)

وكان عندنا حارسٌ يكنى أبا خزيمة ، فقلت يوماً - وقد خطر على
بالي - : كيف اكنى هذا العليجُ الألكنُ بأبي^(١) خزيمة ؟ ثم رأيتُه
فقلت له : خبرني عنك ، أكان أبوك يسمي خزيمة ؟ قال : لا . قلت :
فجدُّك أو عمك أو خالك ؟ قال : لا . قلت : فلك ابنُ يسمي خزيمة ؟ قال :
لا . قلت : فكان لك مولى يسمي خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان
في قربتك رجلٌ صالحٌ أو فقيهٌ يسمي خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فلم اكنيت
بأبي^(١) خزيمة ، وأنت عليجُ الألكنُ ، وأنت فقيرٌ ، وأنت حارسٌ ؟ قال :
هكذا اشتبهت . قلت : فلأى شيءٍ اشتبهت هذه الكنية من بين جميع
الكنى ؟ قال : ما يُدريني . قلتُ : فتبعتها الساعةً بدينارٍ ، وتكنتني بأى
كنيةٍ شئت ؟ قال : لا والله ، ولا بالدنيا^(٢) وما فيها !

(جواب الزيادى)

وحدثني مسعدة بن طارق ، قلت للزيادى - ومررتُ به وهو جالسٌ
في يوم غمق^(٣) حارٌّ وميد^(٤) ، على باب داره في شروع نهر

(١) ط ، س : « أبا » ، والمعروف في « اكنى » أن يتعدى بالبهاء كما في اللسان . وأما الذي
يتعدى بنفسه أو بالبهاء فهو « كنيته وكنوته وأكنيته وكنيته » .

(٢) ط : « بالدينار » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) يوم غمق ، كفرح ، ذوندى وثقل ، أو لريحه خفة وفساد . وفي ط ، س : « يوم غيم » .
والوجه ما أثبت من ل ، وهو الموافق لسكلمة « ومد » الآتية .

(٤) اليوم الومد : ذو الومد بالتحريك ، وهو الندی يجي في صميم الحر من قبل البحر .

الجوبار^(١) بأردية^(٢) ، وإذا ذلك البحر يبخر في أنفه^(٣) - قال : فقلت له
بعث دارك وحظك من دار جدك زياد بن أبي سفيان ، وتركت مجلسك
في ساباط غيث^(٤) ، وإشراكك على رحة بنى هاشم ، ومجلسك في الأبواب
التي تلى رحة بنى سليم ، وجلست على هذا النهر في مثل هذا اليوم ،
ورضيت به جاراً ؟ قال . نلت أطول آمالي في قرب هؤلاء [البرّازين] . قلت
له : لو كنت بقرب المقابر فقلت نزلت^(٥) هذا الموضع للاتعاط به والاعتبار
كان ذلك وجهاً . ولو كنت بقرب الحدادين فقلت لأتذكر بهذه
النيران والكيران^(٦) نار جهنم ، كان ذلك قولاً . ولو كنت اشترت
داراً بقرب العطارين فاعتلت بطلب^(٧) رائحة الطيب كان ذلك وجهاً

(١) الجوبار : بضم الجيم : محلة بأصبهان . قال ياقوت : « جو بالفارسية النهر
الصغير ؛ وبار كأنه منيله . فعناه على هذا مسيل النهر الصغير » قال صاحب
الألغاز الفارسية المعربة : « وهو مركب من جوى أى سيل ، ومن بار ، وهى
من الأدوات التي تدل على الكثرة » . وفي ط ، س « الحونان ، وتصحيحه
من ل ومعجم البلدان .

(٢) كذا . وهذه الكلمة ليست في ل . ولعل الوجه حذفها .

(٣) ط : « ينجر » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ، س . وكلمة « البحر » من
في ل : « النهر » .

(٤) السباط : السقفة بين دارين تحبها طريق نافذ . ياقوت والقاموس . قال صاحب
الألغاز الفارسية : « مأخوذة من سابه بوش ، ومعناها المظلة » . وكلمة « غيث »
هى في ط ، س : « عيث » .

(٥) ل : « تركت » ، وهو تحريف ما أثبت من ط ، س .

(٦) جمع كبير : وهو الزق ينفخ فيه اخداد .

(٧) كذا في ط . وفي س ، ل : « بطيب » .

فَأَمَّا قُرْبُ الْبَزَّازِينَ^(١) فَقَطْ فَهَذَا مَا لَا أَعْرِفُهُ . أَفَلَكَ فِيهِمْ دَارُ غَلَّةٍ ، أَوْ هَلْ لَكَ عَلَيْهِمْ دُيُونٌ حَالَةٌ ، أَوْ هَلْ لَكَ فِيهِمْ أَوْ عِنْدَهُمْ غِلْمَانٌ يُؤْتُونَ الضَّرْبَةَ ، أَوْ هَلْ لَكَ مَعَهُمْ شِرْكَةٌ مُضَارَبَةٌ ؟ قَالَ : لَا . قُلْتَ : فَمَا تَرْجُو إِذَا مِنْ قَرْبِهِمْ^(٢) ؟
رَفَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا : نَلْتَ آمَالِي^(٣) بِقُرْبِ الْبَزَّازِينَ .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

وَحَدَّثَنِي ثَمَامَةُ بْنُ أَشْرَسٍ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مَمْرُورٌ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ فَيَأْتِي دَالِيَةَ لِقُومٍ ، وَلَا يَزَالُ يَمْسُحُ مَعَ رِجَالِ الدَالِيَةِ عَلَى ذَلِكَ الْجَذَعِ^(٤) ذَاهِبًا وَجَائِيًا ، فِي شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ . حَتَّى إِذَا أَمْسَى نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا مِنْ هَذَا فَرَجًا وَمَخْرَجًا ! ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ . فَكَانَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ .

(بين أعمى وقائده)

وَحَدَّثَنِي الْمَكِّيُّ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَقُودُ أَعْمَى بِكِرَاءٍ^(٥) ، وَكَانَ الْأَعْمَى رَجُلًا عَثَرَ الْعَثْرَةَ وَذُكِبَ النَّسْكَةَ ، فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ أَبْدِلْ

(١) البزاز : بائع البز بفتح الباء ، وهو الثياب ، أو متاع البيت من الثياب . والبزاز : بائع بزر الكتان ، أى زيتته بلغة البغاددة . وفى ط : « البزازين » وأثبت ما فى س ، ل .

(٢) ل : « قرب البزازين » .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ل : « قنت إمالى » ، وجهه ما أثبت .

(٤) ط « الجزع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الكراء : الأجرة .

لى (١) به قائداً خيراً منه ! قال : فقال القائد : اللهم أبدل لى (١) به أعمى خيراً لى منه .

(حماقة ممرور)

وحدثنى يزيدُ مولى إسحاقَ بن عيسى قال : كُنَّا فى منزل صاحب لنا ، إذ خرج واحدٌ من جماعةنا ليَقْبِلَ فى البيت الآخر (٢) ، فلم يلبث إلا ساعةً حتى سمعناه يصيح : أوهِ (٣) أوهِ ! قال : فنَهَضْنَا بأجمعنا إليه فزعين ، فقلنا له : مالك ؟ وإذا هو نائم على شقه الأيسر ، وهو قابضٌ على خصيته بيده (٤) فقلت له : لم صحت ؟ قال : إذا غمزت خصيتى اشتكيتها ، وإذا اشتكيتها صحت . قال : فقلنا له : لا تغمزها بعدُ حتى لا تشتكى ! قال : نعم إن شاء الله تعالى .

(حماقة مولاة عيسى بن على)

قال يزيد : وكانت لعيسى بن على مولاة عجوزٌ خراسانيةٌ تصرخ بالليل من ضربانِ ضرس لها ، فكانت قد أرقت الأميرَ إسحاق ، فقلت له : إنهما مع ذلك لا تدع أكلَ التمر ! قال : فبعث إليها بالغداة فقال لها : أتأكلين التمر بالنهار وتصبحين بالليل ؟ فقالت : إذا اشتهيتُ أكلت وإذا أوجعتنى صحت !

(١) فى عيون الأخبار ٢ : ٤٨ حيث يوجد الخبر : « أبدلنى » .

(٢) قال يقبل : نام فى القائلة ، وهى منتصف النهار . فى س : « فى بيت الآخر » .

(٣) كلمة تقال عند التوجع والألم . وفيها ثلاث عشرة لغة ذكرها الفيروزباده .

(٤) ل : « بيديه » .

(حكاية ثمامة عن مرور)

١٠ وحدثني ثمامة قال : مررتُ في غبِّ مطرٍ والأرضُ نديَّة ، والسَّمَاءُ متغيِّمٌ ، والريِّحُ شمَالٌ ، وإذا شيخٌ أصفرٌ كأنَّه جَرَادَةٌ ، وقد جلسَ على قارعة الطَّرِيقِ ، وحجَّامٌ زنجيٌّ يَحْجُمُهُ ، وقد وضع على كاهله وأخذَ عِيَهُ محاجِمٍ ، كلِّ محجمةٍ كأنَّها قَعْبٌ ، وقد مَصَّ دَمَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَسْتَفْرِغَهُ . قال : فوقفتُ عليه فقلت : يا شيخُ لِمَ تَحْتَجِمُ في هذا البردِ (١) ؟ قال لمكانِ هذا الصُّفَارِ (٢) الذي بي .

(صنيع مرور)

وحدثني ثمامة قال : حدَّثني سعيد بن مسلم (٣) قال : كُنَّا بخراسانَ في منزلٍ بعضِ الدَّهَّاقينَ ونحنُ شبَّابٌ ، وفينا شيخٌ . قال : فأتانا ربٌّ لمنزلٍ بدُّهُنٍ طيبٍ فدَهَنَ بعضُنَا رأسَهُ ، وبعضُنَا لحيته ، وبعضُنَا مَسَحَ

(١) الزيادة من المقد ٤ : ٢٠٣ حيث يوجد الخبر .

(٢) الصفار ، بالضم : الماء الأصفر يجتمع في البطن ، أو دود فيها . كذا في القاموس وقد عبر عنه صاحب مفاتيح العلوم ص ٩٨ بكلمتي « البرقان والأرقان » وقال : « هما صفار ، وهو أن تصفر عينا الإنسان ولونه بامتلاء مرارته ، واختلاط المرة الصفراء بدمه » . وانظر هذا الخبر في عيون الأخبار ٢ : ٥٢ .

(٣) كذا في ط ، ل . وفي سن : « سلم » . وهذا الحديث الآتي تجده أيضا في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مع اختلاف يسير .

شارِبِهِ ، وَبَعْضُنَا مَسَحَ يَدَيْهِ وَأَمَرَهُمَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَبَعْضُنَا أَخَذَ بَطْرَافِ
إِصْبَعِهِ فَأَدْخَلَ فِي أَنْفِهِ وَمَسَحَ بِهِ شَارِبَهُ . فَعَمَدَ (١) الشَّيْخُ إِلَى بَقِيَّةِ الدَّهْنِ
فَصَبَّهَا فِي أُذُنِهِ ، فَقَلْنَا لَهُ : وَيْحَكَ ، خَالَفْتَ أَصْحَابَكَ كُلَّهُمْ ! هَلْ رَأَيْتَ
أَحَدًا إِذَا أَتَوْهُ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ صَبَّهَ (٢) فِي أُذُنِهِ ؟ قَالَ : فَإِنَّهُ مَعَ هَذَا
يُضْرَتُنِي (٣) ؟

(أَمْرُ عَيْصٍ ، سَيِّدِ بَنِي تَمِيمٍ)

وَحَدَّثَنِي مَسْعَدَةُ بْنُ طَارِقٍ [الدَّرَّاعِ] (٤) قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّا لَوُقُوفٌ
عَلَى حُدُودِ دَارِ فُلَانٍ لِلْقِسْمَةِ ، وَنَحْنُ فِي خِصُومَةٍ ، إِذْ أَقْبَلَ [عَيْصٌ] (٥)
سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ وَمُوسِرُهُمْ (٦) وَالَّذِي يَصَلِّي عَلَى جَنَائِزِهِمْ . فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ مُقْبِلًا
إِلَيْنَا أَمْسَكْنَا عَنِ الْكَلَامِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : حَدَّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ ،
هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدٌ (٧) ؟ ! قَالَ مَسْعَدَةُ : فَأَنَا مُنْذُ سَنِينَ (٨)

(١) عمد : قصد . وفي ط ، س : « وتعمد » ، ولا تصح هذه الكلمة مع وجود
« إلى » ، وصوابها في ل .

(٢) ل : « فصبه » وهو تحريف ما في ط ، س .

(٣) ط ، س . « فأنها مع ذلك تضرتني » ولها وجه ، أي فان تلك الفعلية ، وقد
أثبت ما في ل .

(٤) عى بكلمة : « الذراع » من يذرع الأرض ، أي يقيسها .

(٥) الزيادة من العقد (٤ : ٢٠٣)

(٦) موسرهم : غنيمهم . وفي ط « مؤسرهم » محرفة .

(٧) كذا في ل ، س . وفي ط : « أحدنا » وبهذه يخف انبهام الكلام ،

مع ان الغاية من الحديث بيان شدة انبهام حديث التميمي . وكلمة « بعضها » هي

في ل : « بعض » . وفي العقد : « هل ضم بعضها إلى بعض أحد » .

(٨) ل : « منذ ستين سنة » . ومثل ذلك في العقد .

أفكرُ في كلامه ما أدري ما عني به . [قال : وقال لي مرة : مامن شر من
ذين ! قلت : ولم ذاك ؟ قال : من جرا يتعلقون !] .
وحدثني الخليل بن يحيى السلولي قال : نازع التيمي بعض بني عمه
في حائط ، فبعث إلينا لندشهد على شهادته (١) ، فأتاه جماعة منهم (٢) الحميري
والزهري ، والزيادي ، والبكراوي . فلما صرنا إليه وقف بنا على الحائط
وقال : أشهدكم جميعاً أن نصف هذا الحائط لي !

(جواب ممرور)

قال : وقدم ابن عم له إلى عمر بن حبيب ، وادعى عليه ألف درهم
فقال ابن عمه : ما أعرفُ مما قالَ قليلاً ولا كثيراً ، ولا له على شيء !
قال : أصلحك الله تعالى ! فاكتبُ بإنكاره . قال : فقال عمر : الإنكار
لا يفوتك (٣) ، متى أردته فهو بين يديك !

(أمنية أبي عتاب الجرّار)

قال : وقلت لأبي عتاب الجرّار (٤) : ألا ترى عبد العزيز الغزالي
وما يتكلم به في قصصه؟ قال : وأى شيء (٥) قاله؟ [قلت :] (٦) قال : ليت الله تعالى

(١) ل : « ليشهدنا على شهادة » .

(٢) ل : « فيهم » .

(٣) ل : « ليس يفوتك منه » .

(٤) في الأصل : « لابن عتاب » ، وكنية الرجل « أبو عتاب » كما في البيان (٢ :

٣١٨) وعيون الأخبار ٢ : ٤٨ والعقد ٤ : ١٩٧ . و « الجرّار » هي

كذلك في ط ، س ، وفي ل : « الحزان » وفي البيان : « الجزائر » . واسمه إبراهيم بن جامع

كما في الحيوان ٥ : ١٦٧ .

(٥) في الأصل : « قلته » .

(٦) زيادة يحتاج إليها الكلام .

لم يَكُنْ خَلَقَنِي وَأَنَا السَّاعَةَ أَعُور ! قَالَ أَبُو عَتَّابٍ (١) : [وَقَدْ قَصَّرَ فِي الْقَوْلِ ،
وَأَسَاءَ فِي التَّمْنَى . وَلَكِنِّي أَقُولُ] : لَيْتَ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ خَلَقَنِي وَأَنَا السَّاعَةَ
أَعْمَى مَقْطُوعُ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ !

(تعزية طريفة لأبي عتّاب الجرار)

ودخل أبو عتّاب على عمرو (٢) بن هذّاب وقد كُفَّ بَصْرُهُ ، والناس
يُعزُّونه ، فمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ كَالْجَمَلِ الْمَحْجُومِ (٣) ، [وَ] لَهُ صَوْتُ جَهِيرٍ ،
فَقَالَ : يَا أَبَا أَسِيدٍ ، لَا يَسُوءُ نَفْسَكَ (٤) ذَهَابُهُمَا ، فَلَوْ رَأَيْتَ ثَوَابَهُمَا فِي مِيزَانِكَ تَمَنَيْتَ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَطَعَ يَدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ ، وَدَقَّ ظَهْرَكَ ، وَأَذَى ضِلْعَكَ ! (٥) .

(داود بن المعتمر وبعض النساء)

وبينا داودُ بنَ المَعْتَمِرِ الصُّبَيْرِيِّ جَالِسٌ مَعِيَ ، إِذْ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ
لَهَا قَوَامٌ وَحُسْنٌ ، وَعَيْنَانِ عَجِيبَتَانِ ، وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ بَيضٌ ، فَنَهَضَ دَاوُدُ ١١

(١) ط : « ابن عقاب » س : « ابن عتاب » وصوابه من ل . وانظر التنبيه ٤ من
الصفحة السابقة .

(٢) ل ، ط : « عمر » ، وأثبت ما في س . وعيون الأخبار والبيان ٢ : ١٠٣ وكتاب
البنغال ٢٦٣ .

(٣) الجمل المحجوم : الذي وضع على فمه الحجام - ككتاب - لثلا يعض ؛ فصوته
أقوى صوت . وجاء في حديث ابن عمر - وذكر أباه - : « كان يصيح
الصيحة يكاد من سمها يصعق ، كالبعير المحجوم » . في ط : ل : « المحجوم » .
وتصحيحه من س .

(٤) ط ، س : « يسؤك » وهي صحيحة . وأثبت ما في ل وعيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

(٥) ط ، س : « ظلمك » وفي ل : « ظلفك » . والظلف ، أصله للبقرة والشاة والظبي بمنزلة
القدم من الناس ، ولا يصح معه المعنى إلا بعسر . والوجه ما أثبت من الحيوان ٥ : ١٦٨ .

فلم أشك أنه قام ليتبّعها ، فبعثتُ غلامى ليَعرف ذلك ، فلمّا رجع قلت له :
قد علمت [أنك] (١) إنّما قُمتَ لتكلّمها ؛ فليس ينفعك إلا الصّدق ،
ولا ينجيك مني الجُحود ، وإنما غاييتى أن أعرف كيف ابتدأتَ القول (٢) ،
وأى شىء قلتَ لها - وعلمت أنه سيأتى بآبدة . وكان مليّاً بالأوابد (٣) -
قال : ابتدأتُ القول (٤) بأن قلتُ [لها] : لولا ما رأيتُ عليك (٥) من سيّء
الخير لم أتبعك . قال : فضحكتُ حتى استندتُ إلى الحائط ، ثمّ قالت :
إنما يمنعُ مثلكَ من اتباعِ مثلى والطّمع فيها (٦) ، ما يرى من سيّء الخير
فأمّا إذ قد صار سيّء الخير هو الذى يُطمعُ فى النّساء فإنّا لله وإنا
إليه راجعون !

وتبع داودُ بنُ المعتمر امرأة (٧) ، فلم يزل يُطريها (٨) حتى أجابت ،
ودلّها على المنزل الذى يمكنها (٩) فيه ما يريد ، فتقدّمت الفاجرةُ وعرض له

(١) الزيادة من س فقط .

(٢) ط ، س : « ابتدئتُ القول » ، وتصحيحه من ل .

(٣) ط ، س : « مليا » وفى ل : « ملينا » . قال ابن منظور : « الملىء بالهمز :

الثقة الغنى . وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء » . فالروايتان

صحيحتان . والأوابد : جمع آبدة ، وهى الكلمة أو الفعلة الغريبة .

(٤) ط : ، س : « ابتدئتُ » ، وتصحيحه من ل .

(٥) ط ، س : « لولا ما عليك » ل : « لولا ما رأيت » وفى عيون الأخبار (٢ : ٥١) :

« لولا ما رأيت عليك » وقد أثبت ما فيها جامعا بين الروايتين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فيه » . وكلاهما صحيح .

(٧) ل : « واحدة » .

(٨) يطريها : يبالغ فى الثناء عليها ، وهن يفترون بذلك . وفى ط : « يطريها » . وليس بشىء .

وفى ل : « يطردها » من طرد الصيد . وقد أثبت ما فى س .

(٩) ل : « يمكنه » وهما سيان .

رجلٌ فشغَلَهُ ، وجاء إلى المنزل وقد قضى القومُ حوائجَهُمْ وأخذت حاجتها ، فلم تنتظره^(١) . فلما أتاهم ولم يرها قال : أين هي ؟ قالوا : والله قد فرغنا وذهبت ! قال : فأىَّ طريقٍ أخذت ؟ قالوا : [لا] والله ما ندري ؟ قال : فإن عدوتُ في إثرها حتى أقوم على مجامع الطرق^(٢) أتروني ألحقها ؟ قالوا : [لا] والله ما تلحقها ! قال : فقد فانتِ الآن ؟ قالوا : نعم . قال : فعسى أن يكون خيراً ! فلم أسمع قطُّ بإنسانٍ يشكُّ أن السَّلامة من الذنوب خير [غيره]^(٣) .

(قول أبي لقمان الممرور في الجزء الذي لا يتجزأ)

وسأل بعض أصحابنا أبا لقمان الممرور عن الجزء الذي لا يتجزأ : ما هو ؟ قال :
الجزء الذي لا يتجزأ هو على بن أبي طالب عليه السلام . فقال له أبو العيناء محمد^(٤) :

-
- (١) ل : « وأبت أن تنتظره » .
(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « في جامع الطريق » محرفة .
(٣) الزيادة من س . وبدونها يصح القول أيضا ويجزئ كما في ط . وفي ل :
« فلم أسمع قطُّ بأن إنسانا مسلما شك في أن السَّلامة من الذنوب خير من غيرها » .
(٤) أبو العيناء هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء ، مولى أبي جعفر المنصور . ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والعتبي . وكان فصيحاً ظريفاً لساناً . دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري فقال له : ماتقول في دارنا هذه ؟ قال : إن الناس بنوا الدور في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك ! ولقيه بعض الكتاب في السحر فقال متعجبا منه ومن بكوره : يا أبا عبد الله ، أتبكر في مثل هذا الوقت ؟ فقال له : أتشاركني في الفعل وتنفرد بالتمعجب ؟ ! . فقد أبو العيناء بصره بعد الأربعين . وسبب تلقيه بأبي العيناء مذكور في وفيات الأعيان . ولد سنة ١٩١ وتوفى سنة ٢٨٢ . انظر نكت الحميان ٢٦٥ .

أفليس في الأرض جزء لا يتجزأ غيره؟ قال: بلى حمزة جزء لا يتجزأ، وجعفر جزء لا يتجزأ! قال فما تقول في العباس؟ قال: جزء لا يتجزأ. قال: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أبو بكر يتجزأ، وعمر يتجزأ. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: يتجزأ مرتين، والزبير يتجزأ مرتين. قال: فأى شيء تقول في معاوية؟ قال: لا يتجزأ [ولا لا يتجزأ].

فقد فكرنا في تأويل أبي لقمان حين جعل الإمام^(١) جزءاً لا يتجزأ^(٢) إلى أى شيء ذهب، فلم نفع عليه إلا أن يكون كان أبو لقمان إذا سمع المتكلمين يذكرون الجزء الذي لا يتجزأ، هاله ذلك وكبر في صدره، وتوهم أنه الباب الأكبر من علم الفلسفة، وأن الشيء إذا عظم خطرته سموه بالجزء الذي لا يتجزأ.

وقد تسخفنا في هذه الأحاديث، واستجزنا ذلك بما تقدم من العذر وسنذكر قبل ذكرنا [القول] في الحمام جملاً من غرر ونوادير وأشعار ونُتفٍ وفقرٍ من قصائد قصار وشوارد وأبيات، لنعطى قارى الكتاب من كل نوع تذهب إليه النفوس نصيباً إن شاء الله.

(١) المراد بالإمام: علي بن أبي طالب. وفي ط، س: «الأنام» بمعنى الخلق، وأثبت ما في ل.

(٢) كذا في س، ل. وفي ط: «أجزاء لا يتجزأ» فيكون صواب ما في ط: «جعل الأنام أجزاء لا يتجزأ» والمراد بالجزء الذي لا يتجزأ، أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار لا يمكن ألبة أن يكون لها جزء. وهذا هو مذهب جمهور المتكلمين وأما الفلاسفة فيرون أن كل جزء فإنه ينقسم إلى أصغر منه، وهكذا إلى غير نهاية. وقد تبهم في ذلك النظام وبعض المعتزلة، فنفى الجزء الذي لا يتجزأ. انظر الفصل ٥: ٩٢ - ١٠٨ والفرق ص ١٢٣. وقد صنف جعفر ابن حرب المعتزلي كتاباً في تكفير النظام بإبطاله الجزء الذي لا يتجزأ. الفرق ١١٥.

(٣) الزيادة من س.

(تناسب الألفاظ مع الأغراض)

ولكل ضربٍ من الحديث ضربٌ من اللفظ ، ولكل نوعٍ من المعاني ١٢
نوعٌ من الأسماء : فالسَّخِيفُ للسَّخِيفِ ، وَالخَفِيفُ للخَفِيفِ^(١) ، وَالجَزَلُ
للجَزَلِ ، وَالإفصاحُ في مَوْضِعِ الإفصاحِ ، وَالكِنايةُ في مَوْضِعِ الكِنَايةِ ،
وَالإسْترسالُ في مَوْضِعِ الإسْترسالِ .

وإذا^(٢) كان مَوْضِعُ الحديثِ على أَنَّهُ مُضْحِكٌ وَمُلهٍ^(٣) ، وداخِلٌ
في بابِ المَزَاحِ والطَّيِّبِ^(٤) ، فَاسْتَعْمَلْتَ فِيهِ الإعرابَ ، انْقَلَبَ عَن جِهَتِهِ .
وإنْ كانَ في لفظه سُخْفٌ وَأَبْدَلْتَ السَّخَافَةَ بِالْجَزَالَةِ ، صَارَ الحديثُ الَّذِي
وَضِعَ على أَنِ يَسُرُّ النُّفُوسَ يُكْرَهُمَا ، وَيَأْخُذُ بِأَكْظَامِهَا^(٥) .

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « وإن » . وأثبت ما في ل .

(٣) ط ، س : « وملهى » ، والصواب ما أثبت من ل .

(٤) الطيب بمعنى الهزل والفكاهة . وفي ل : « المزح الطيب » . وأثبت ما في
ط ، س . وانظر التنبيه الأول من ص ٦ .

(٥) الأَكْظَامُ : جمع كظم ، بالتحريك ، وهو مخرج النفس . والكلام في استعمال
الإعراب عند الفكاهة وسرد النوادر سبق للجاحظ مثله في الجزء الأول

(الوقار المتكلف)

وبعضُ النَّاسِ إِذَا انْتَهَى إِلَى ذِكْرِ الْحَرِّ وَالْأَيْرِ وَالنَّبِيكِ ارْتَدَعَ وَأَظْهَرَ
التَّقَرُّزَ (١) ، وَاسْتَعْمَلَ بَابَ التَّوَرُّعِ . وَأَكْثَرُ مَنْ تَجَدَّه كَذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ
رَجُلٌ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الْعَقَافِ وَالْكَرَمِ ، وَالنُّبُلِ وَالْوَقَارِ ، إِلَّا بِقَدْرِ هَذَا
الشَّكْلِ مِنَ التَّصْنَعِ . وَلَمْ يُكْشَفْ قَطُّ صَاحِبُ رِيَاءٍ وَنِفَاقٍ ، إِلَّا عَنِ
لُومٍ مُسْتَعْمَلٍ ، وَنِدَالَةٍ مَتَمَكِّنَةٍ .

(تَسْمِيحٌ بِبَعْضِ الْأُمَّةِ فِي ذِكْرِ الْفَاطِظِ)

وَقَدْ كَانَ لَهِمْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ مَقْنَعٌ ، حِينَ سَمِعَهُ بَعْضُ النَّاسِ (٢)
يُنْشِدُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (٣) :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسَا
إِنْ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نَنِكَ لَمِيْسَا (٤)

(١) التقزز : التباعده من الدنس . وفي ط ، س : « التعزز » بمعنى التكبر
والتشدد ، كما في اللسان ، وأثبت ما في ل .

(٢) هو أبو العالية ، كما في عيون الأخبار ١ : ٣٢١ .

(٣) في العقد ٣ : ١٢٢ أنه كان يرتجز في الطريق بالبيت الآتي في طريقه إلى مكة .
وفي العمدة ١ : ١١ أن ابن عباس سئل : هل الشعر من رفث القول ؟
فأنشد البيت وقال : « إنما الرفث عند النساء » تم أحرم للصلاة . وليس في الخبر
عنده ذكر المسجد الحرام أو مكة . والبيت ليس لابن عباس بل تمشل به كما
في اللسان (همس) .

(٤) الهميس : المشي الخفى الحسن . لميس : اسم امرأة .

ف قيل له في ذلك ، فقال : إنما الرَّفْتُ ما كان عند النساء .
وقال الضَّحَّاك : لو كان ذلك القولُ رَفْنًا لسكان قطعُ لسانه أحبُّ إليه
مِنْ أن يَقُولَ هُجْرًا (١) .

قال شبيبُ بن يزيد الشيباني (٢) ، لَيْلَةَ بَيْتِ (٣) عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءِ (٤) :
* مَن يَنِكَ الْعَيْرَ يَنِكَ نَيْبًا كَا *

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ - رضى الله عنه - حينَ دَخَلَ على بعض
الأمراء فقال له : مَنْ في هذه البيوت ؟ فلما قيل له : عقائلُ من عقائل

(١) الكلام من مبدأ « وقال الضحاك » : كان في الأصل متأخرا عن مكانه ، بعد
نهاية خبر شبيب الآتي . وقد رددته إلى موضعه الطبيعي . والضحاك هذا هو
الضحاك بن عبد الله الهلالي ، وهو أحد من انضم إلى عبد الله بن عباس في خروجه
على علي بن أبي طالب . انظر تفصيل هذا في المقدم ٣ : ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) هو شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي ، كان مع صالح بن مسرح رأس الصفرية .
خرج شبيب بالموصل ، وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد .
وفي إحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيل - دجيل الأهواز لادجيل بغداد -
ففرق فيه وكانت تشترك معه زوجته غزالة وكذا أمه جهيزة في مقاومة الحجاج .
ولما دخل هو وزوجه غزالة على الحجاج في الكوفة ، تحصن منها وأغلق عليه
قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان - وقد كان الحجاج ليج في طلبه - :

أسد على وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر !

هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر !

ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفي سنة ٧٧ . انظر المعارف ١٨٠ ، ووفيات الأعيان ،
والأغانى ١٦ : ١٤٩ ، ٢١ : ٨ .

(٣) ط ، س : « ليلة في بيت » ل : « ليلة بيته » ، والصواب ما أثبت من المعارف ١٨٢ .
وبيت العدو : أوقع به ليلا .

(٤) عتاب بن ورقاء ، كان يكنى أبا ورقاء ، وكان من أجواد العرب ، ولى عدة
ولايات ، وقاد عدة جيوش .

(٥) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل في أمثال الميداني ٢ : ٢٣٢ -
٢٣٣ . وقد سبق في الجزء الثاني ص ٢٥٦ .

العرب ، قال عليٌّ : « مَنْ يَطُلُّ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَطِقُ بِهِ » (١) .

فَعَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - يَعُولُ (٢) فِي تَنْزِيهِ اللَّفْظِ وَتَشْرِيفِ

الْمَعَانِي (٣) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ قَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ (٤) لِلنَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جِئْنَا بِعَجْرَائِكَ وَسُودَانِكَ ، وَلَوْ قَدْ مَسَّ هَوْلَاءُ

وَخَزْمٌ (٥) السَّلَاحِ لَقَدْ أَسْلَمُوكَ ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : عَضِضْتَ

بِظُرِّ اللَّاتِ !

(١) قال الميبداني في الأمثال ٢ : ٢٢٨ : « يريد من كثر إخوته اشتد ظهره

وعزه بهم » . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٢ بتحقيقنا .

(٢) ط ، س : « يقدم » وتصحيحه من ل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وكلمة « تشریف » هي في ط ، س : « شرف »

وأثبت ما في ل .

(٤) بدیل بن ورقاء : صحابي ، ترجم له ابن حجر في الإصابة ١ : ١٤٦ وكان

من الرجال البارزين في يوم الفتح وبعده . انظر سيرة ابن هشام . والمعروف

في كتب السيرة نسبة مثل الكلمة الآتية إلى عروة بن مسعود الثقفي . جاء في سيرة

ابن هشام ، عند الكلام في أمر الحديبية : « فخرج - يعني - عروة بن مسعود

الثقفي - حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال :

يا محمد ! أجمت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ ! إنها قریش

قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الله لاتدخلها

عليهم عنوة أبدا ! وإيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال :

وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : امصص

بظلال ! نحن ننكشف عنه ؟ ! قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا

ابن أبي قحافة . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ،

ولكن هذه بها ! » . وقد نقل هذا الكلام عنه ابن سيد الناس ٢ : ١١٦

وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٣ .

(٥) الوخز : الطعن الخفيف الضعيف . وفي ل : « حر » .

وقد رووا مرفوعاً قوله : « مَنْ يُعْذِرُنِي مِنْ [ابن] أمّ سباع ^(١) مُقَطَّعة البَطْور ؟ » .

(لكلِّ مقام مقال)

ولو كان ذلك الموضعُ موضعَ كناية هي المستعملة . وبعد فلو لم يكن لهذه الألفاظِ مواضعُ استعملها أهلُ هذه اللُّغة وكان الرأىُ ألاَّ يُلفَظَ بها ، لم يَكُنْ لأوَّل . كونها معنى إلا على وجه الخطأ ، ولكان في الحزم والصَّوْنِ لهذه اللُّغة أن تُرْفَعَ هذه الأسماء منها .

وقد أصاب كلَّ الصَّوابِ الذي قال : « لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ ^(٢) » .

(صورٌ من الوقار المتكافئ)

ولقد دخل علينا فتى حَدَّثُ كان قد وَقَعَ إلى أصحاب عبد الواحد ابن زيد ^(٣) ونحنُ عند موسى بن عمران ، فدارَ الحديثُ إلى أن قال الفتى : ١٣
أفطرتُ البارحةَ على رغيفٍ وزيتونة [ونصف ، أو زيتونة وثلاث ، أو زيتونة وثلاثي زيتونة ، أو ما أشبه ذلك . بل أقول : أكلت زيتونة] ، وما علم الله من

(١) يقال : أعذره منه : أمكنه « وتروى مثل هذه الكلمة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب . انظر مفاخرة الجوارى والغلمان وسيرة ابن هشام ٥٦٣ - ٥٦٤ جوتنجن وتاريخ الطبرى القسم الأول ص ١٤٠٥ . وسباع هذا هو ابن عبد العزى الغبشاني . وفى س : « سباع » مصحفة . وقد قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد . السيرة ٦١١ وكانت أمه ختانة بمكة . السيرة ٥٦٣ .

(٢) انظر المثل في كتاب الميداني (٢ : ١٣٢) .

(٣) عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد ، كان شيخاً للصوفية ، وكان من أهل الحديث ، =

أخرى^(١) ، فقال موسى : إن من الورع ما يُبغضه الله ، علم الله ؛ وأظنُّ ورعَكَ هذا من ذلك الورع .

وكان العُتبي^(٢) ربّما قال : فقال لى المأمون كذا وكذا ، حين صار التَّجْمُ على قِمة الرأس ، أو حين جازني^(٣) شيئاً ، أو قبل^(٤) أن يوازي^(٥) هامتي . هكذا هو عندي ، وفي أغلب ظني ، وأكرهه أن أجزم على شيء وهو كما قلت إن شاء الله تعالى ، وقريباً ممّا نقلت . فيتوقف في الوقت الذي ليس من الحديث في شيء . وذلك الحديث إن كان مع طلوع الشمس لم يَزِدْه ذلك خيراً ، وإن كان مع غروبها لم ينقصه ذلك شيئاً . هذا ولعلَّ الحديث في نفسه لم يكن قطُّ ولم يصل هو في تلك الليلة ألبتة . وهو مع ذلك زعم أنه دخل على أصحاب الكهف فعرف عددهم ، وكانت عليهم ثياب سبئية^(٦) وكلهم ممعط الجلد . وقد قال الله عزَّ وجلَّ لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّيْتَهُمْ رُعبًا ﴾ .

= قال حصين بن القاسم : لو قسم حديث عبد الواحد على أهل البصرة لوسعهم .
ولكنه كان متها في حفظه ، كثير الوهم . لسان الميزان (٤ : ٨٠) . وقد ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٦٠ مصر ١٨٣ ليسك ، ضمن العباد والزهاد . وانظر خبرين من أخبار أصحابه في البيان (٣ : ١٧١ ، ٢٨٦) .

(١) أى من ريتونة أخرى . وهذه الكلمة هى فى ط : « أمرى » محرفة صوابها فى س ، ل .

(٢) العتبي هو محمد بن عبد الله . سبقت ترجمته فى الجزء الأول ص ٥٤ . وفى ل : « القيني » محرفة ، صوابها فى س ، ط .

(٣) ط : « جازبى » ، والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) ل : « قبيل » .

(٥) ط : « يوارى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ثياب سبئية : نسبة إلى سبن ، بالتحريك ، وهو موضع لم يعينه ياقوت . =

(بعض نواذر الشعر)

وسنذكر من نواذر الشعر جملة ، فإن نشطت لحفظها فاحفظها ؛ فإنها
من أشعار المذاكرة . قال الثقفى (١) :

مَنْ كَانَ ذَا عَضِدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ

إِن الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضِدٌ

تَذُبُّ يَدَاهُ إِذَا مَا قَسَلَ نَاصِرُهُ وَيَأْنِفُ الضَّيْمَ إِنْ أَثْرَى لَهُ عَدَدٌ (٢)

وقال أبو قيس بن الأسلت (٣) :

= والفيروزبادى جعله قرية ببغداد . وأما صفة الثياب فقد اختلف اللغويون فيها ،
فن قائل إنها القسية ، أى الثياب صنعت من كتان مخلوط بجرير . ومن قائل
إنها ضرب من الثياب يتخذ من مشاقاة الكتان أغلظ ما يكون . وهذا المعنى الأخير
هو المناسب للكلام . وهذه الكلمة هي في ط ، س : « الشثنية » تحريف ما أثبت من ل .

(١) الثقفى هذا ، هو الأجرد الثقفى كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧١٢ . وهو من
الشعراء الذين وفدوا على عبد الملك بن مروان . والبيتان الآتيان رواهما الجاحظ
في البيان ١ : ٦٧ ، ٣ : ٢٢٥ وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣ : ٢ .

(٢) ط : « وتأنف » وتصحيحه من ل ، س : والبيان وعيون الأخبار . وأثرى
عدده : كثر عدد قبيله أو أنصاره .

(٣) أبو قيس ، قال صاحب الأغاني ١٥ : ١٥٤ : لم يقع إلى اسمه .
والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم ، ينتهى نسبه إلى الأوس . وأبو قيس
شاعر من شعراء الجاهلية . قال هشام بن الكلبي : كانت الأوس قد أسندوا
أمرهم في يوم بعثت إلى أبي قيس بن الأسلت ، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر
حتى شحب وتغير ، ولبت أشهراً لا يقرب امرأته . ثم إنه جاء ليلة فدى على
امرأته ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعتته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس !
فقال : والله ما عرفتك حتى تكلمت ! فقال في ذلك أبو قيس ، القصيدة
التي أولها :

بزُّ امرئ^(١) مُسْتَبْسِلٍ حَازِرٍ^(٢) للذَّهرِ ، جِلْدٍ غَيْرِ مَجْزَاعٍ
الكَيْسُ^(٣) والقُوَّةُ خَيْرٌ مِنْ الـ إِشْفَاقِ^(٤) والفَهْمِ وَالْمَاعِ^(٥)

وقال عبدة بن الطيب :

رَبُّ حَبَانَا بِأَمْوَالٍ مُخَوَّلَةٍ وَكُلُّ شَيْءٍ حَبَاهُ اللَّهُ تَخْوِيلُ
والمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ سُحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلُ

وكان عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - يردّد هذا النصف

الآخر ، ويعجب من جودة ما قسم^(٦) .

= قالت ولم تقصد لقليل الخنا مهلا فقد أبلغت أسمى

استنكرت لونا له شاحبا والحرب غول ذات أوجاع

قلت : والتصيدة من المفضليات ص ٢٨٤ ومنها البيتان المذكوران . وأما ابن حجر

في الإصابة (٩٣٥ من باب الكنى) فقال : « مختلف في اسمه : فقيل صيني ،

وقيل الحارث ، وقيل عبد الله ، وقيل صرمة . واختلف في إسلامه » .

وانظر الخزانة ٣ : ٣٧٥ - ٣٧٨ .

(١) البز : السلاح ومثلها البزة . وجاءت الرواية في ط ، س : « إني امرؤ »

وأثبت رواية ل . وهي الموافقة لما في المفضليات .

(٢) الحاذر : المتأهب الشاكي السلاح ، وجاء مثل هذا في قول القائل :

وَبِزَّةٍ فَوْقَ كَمِيٍّ حَازِرٍ وَزَيْتْرَةٌ سَلَبَتْهَا عَن عَامِرٍ

وجاء في ط : « حازر » بالزاي ، وهو تحريف صوابه في س ، ل ، والمفضليات .

(٣) رواية المفضليات : « الحزم » .

(٤) رواية المفضليات : « الإدهان » . والإدهان : اللين . والإشفاق : الخوف .

(٥) الفهم : السى . وجاء في ط ، س : « القمية » وهي إن صحت في اللغة

كان معناها الذلة . وقد أثبت رواية ل . ورواية المفضليات : « الفكة »

والفكة : استرخاء الرأي والهاع : سوء الحرص مع الضعف . وهذه

هي رواية ل ، والمفضليات . وفي ط ، س : « العاع » وجاء في اللسان

والتاموس : عيب بالتشديد ، بمعنى عى . ولم ترد فيهما لفظة « العاع » .

(٦) انظر العقد ٣ : ٣٨٧ والبيان ١ : ٢٤٠ - ٢٤١ والصناعتين ٣٣١ .

وقال المتلمس :

وأعلمُ علمَ حقِّ غيرِ ظنٍّ وتقوى الله من خيرِ العتادِ
لحفظِ المالِ أيسرَ من بُغاهُ^(١) وضربِ في البلادِ بغيرِ زادِ
وإصلاحِ القليلِ يزيدُ فيه ولا يَبْقَى الكثيرُ معَ الفسادِ ١٤
وقال آخر:

وحفظك^(٢) مالا قد عُنيتَ بجمعه
أشدُّ من الجمعِ^(٣) الذي أنت طالبُه

وقال حميد بن ثور الهلالي :

أشغَلُ عَنَّا يَا بَنَ (٤) عَمَّ فَلَنَ (٥) تَرَى
أخا^(٦) البخلِ إِلَّا^(٧) سَوْفَ يَعتَلُّ بِالشَّغَلِ

وقال ابن أحرر :

هذا الشناء وأجدرُ أن أصحابه وقد يدوم ريق الطامعِ الأمل^(٨)

(١) يقال : بنى الشيء يبنيه بغاء وبنى وبنية ، بضمهن . وما أثبت هو مافى س .
وفى ل : « خير من بغاء » ، وهى رواية البحترى فى حماسه ص ٣٤٣ . وفى ط :
« أيسر من فناه » وهذه رواية المقد ٢ : ٤١ . وفناه : فناؤه ، وقصر
لضرورة الشعر ، ومثل هذه الرواية فى المعنى رواية البغدادى فى الخزانة ٣ : ٧٢ :

* لحفظ المال خير من ضياع *

وقد خصص البحترى الباب الثلاثين والمائة لما قيل فى إصلاح المال وحفظه .

(٢) الرواية فى س : « حفظك » بنحرم البيت .

(٣) ط ، س : « المال » والوجه ما أثبت من ل ، والبخلاء ١٤٢ . قال الجاحظ :
« وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه » وأنشد البيت .

(٤) ل : « بابن » ولعل الوجه ما أثبت من ط ، س . وهو الأشبه بقول الشعراء .

(٥) ط ، ل : « فلا » .

(٦) ط ، س : « من » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٧) ط : « لا » وتصحيحه من س ، ل . وفى ط ، س : « سوف تعتل »

وتصحيحه من ل .

(٨) « الشناء » جاءت فى ط ، س : « الشقاء » وهو تحريف صوابه من ل =

وقال ابن مقبل :

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ ، فَمِنْهُمَا

أَمُوتَ وَأُخْرَى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ^(١)

وكلتاها قد خُطَّ لي في صحيفة

فلا المَوْتُ أهْوَى لي ولا العيش أروحُ^(٢)

وقال عمرو بن هند :

وإن الذي ينهاكم عن طلابها يُناغي نساء الحى في طرّة البردِ^(٣)

يُعَلِّلُ والأَيَّامُ تنقُصُ عُمُرَهُ^(٤)

كما تنقُصُ^(٥) النَّيرانُ^(٦) من طرف الزُّند

= والبيان ١ : ١٨٠ واللسان (مادة دوم) . وجاء في س : « فأجدر » .
وكلمة « أصحابه » هي في الأصل « صاحبه » محرفة ، وتصحيحها من البيان واللسان .
قال ابن بري في هذا البيت : « يقول : هذا ثنائي على النعمان بن بشير ،
وأجدر أن أصحابه ولا أفارقه . وأمل له يبق ثنائي عليه ، ويدوم ريق في فمي
بالثناء عليه » .

(١) الرواية المشهورة في البيت : « وما الدهر » . انظر ديوان ابن مقبل ٢٤ و الكامل
٥٣٨ لبيسك وحامسة البحترى ١٨٣ وكتاب سيويه ١ : ٣٧٦ . واستشهد به
المبرد وسيويه على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه . وتقدير الكلام : فمِنْهُمَا
تارة أموت فيها .

(٢) هذا البيت من ل . وروى في حماسة البحترى : « فلا الموت أهواه » وما
هنا أوفق .

(٣) طرة الشعر والثوب : طرفه .

(٤) ط ، س : « نعلل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت ماق ل ، والبيان ٣ : ٣٤
وما سياني في ص ٤٧٩ .

(٥) ش : « تنقص » وله وجه . س : « تنقص » وليس بشيء .

(٦) ط : « الأيام » وهو تحريف مأثبت من س ، ل ، والبيان .

وقال أمية - إن كان قالها (١) - :

رُبَّمَا تَجْزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمِّ رِلَهُ فَرْجَةً كَحَلِّ الْعِقَالِ

(شعر في الغزل)

وقال آخر (٢) :

رَمْتَنِي وَسِئْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ (٣)
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمْتَنِي رَمَيْتُهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمٌ (٤)
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لِحَارَاتِ بَيْتِهَا ضَمِنْتَ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهِيمٌ (٥)

وقال آخر :

لَمْ أَعْطُهَا بِيَدِي إِذْ بَتَّ أَرْشُفُهَا إِلَّا تَطَاوَلَ غُصْنُ الْجَيْدِ لِلجَيْدِ (٦)

(١) ل : « قاله » . وانظر اللسان (فرج) .

(٢) هو أبو حية النميري كما في الكامل ١٩ لبيسك والحماسة (٢ : ١١٠) . وانظر البيان

٦٨ و ٣ : ٣٢٤ .

(٣) يقول : رمته بطرفها . وعنى بستر الله ، الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » وهو اسم موضع . انظر الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكناف الحجاز » . ورميم هي خليلته .

(٤) قال المبرد في شرح هذا البيت : « لو كنت شابا لرميت كما رميت ، وفتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب ! » .

(٥) هذا البيت ساقط من ل . ويصح في « أن » أن تكون ناصبة أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها الفعل .

(٦) في اللسان : عطا الشيء يعطوه : إذا أخذه وتناوله .

كما تَطَاعَمَ فِي خَضْرَاءَ نَاعِمَةٍ مَطْوَقَانِ أَصَاخًا بَعْدَ تَغْرِيدِ^(١)
فَإِنْ سَمِعْتَ بِهَلِكِ لِلْبَخِيلِ فَقُلْ بَعْدًا وَسُحْقًا لَهُ مِنْ هَالِكِ مُودِي

(شعر في الحكم)

وقال أبو الأسود الدؤلي^(٢) :

المُرءُ يَسْعَى ثُمَّ يُدْرِكُ مَجْدَهُ حَتَّى يُزَيِّنَ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلِ^(٣)
وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ غَيْهَ^(٤) يُرْمَى وَيَقْدَفُ بِالَّذِي لَمْ يَعْمَلِ

١٥

[وقال دريد :

رئيسُ حروبٍ لا يزال ربيثةً مشيحٌ على محقوقِ الصُّلبِ مُلَبَّدِ^(٥)
صَبُورٍ عَلَى رِزْوِ الْمَصَائِبِ حَافِظٌ مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابِ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ^(٦)
وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنِّي لَمْ أَقْلُ لَهُ كَذَبَتَ وَلَمْ أَبْجَلْ بِمَا مَلَكْتُ يَدِي]

(١) خضراء ، عنى بها شجرة أو أيسكة . والناعمة : الخضراء الناضرة . نعم العود : اخضر ونضر . والمطوقان : حامتان مطوقتان . وتطاعمهما : أن يدخل الذكر فه في فم أنثاه . وفي ط ، ل : « مطوقات أصاخر » ، والوجه ما أثبت من ل ، واللسان (طعم) .

(٢) الدؤلي : نسبة إلى الدئل بضم الدال وكسر الهمزة ، وهو أبو قبيلة من الهون ابن خزيمة . يقال في النسبة إليه دؤلي ودؤلي بفتح عينهما ، ودبلي بكسر الدال ، ودنلي بكسرتين . وجاء في س « الدبلي » . وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو ابن جندل بن سفيان بن كنانة . كان عاقلا ، حازما ، بخيلا . وهو أول من وضع العربية . وكان شاعرا مجيدا ، وشهد صفين مع علي ، وولى البصرة لابن عباس ومات بها - وقد أسن - سنة تسع وستين .

(٣) مجده فاعل يدرك ، أي يتكامل مجده ويتم . من أدرك الثمر .

(٤) ل : « عيه » .

(٥) يقال احقوقف ظهر البعير والفرس : إذا طال واعوج ، وعنى بالمحقوقف فرسه . الملبد : الفرس قد شد عليه اللبد .

(٦) الرواية في الحماسة : « فليل التشكى للمصيبات حافظ » . والأبيات من قصيدة يرفى بها دريد أخاه عبد الله بن الصمة ، روى بعضها أبو تمام في الحماسة (١ : ٣٣٦ - ٣٤٠) .

وقال سعيدُ بن عبد الرحمن (١) :

وإنَّ أمراً يُمسي وَيُصبحُ سألماً مِن النَّاسِ إلَّا ما جنى لسعيدُ (٢)

(شعر في الزهد)

وقال أكرمُ بنُ صينيِّ :

نُرِّبِي وَيَهْلِكُ آباؤُنَا وَبَيْنَنَا نُرِّبِي بَدِينَا فَنِينَا

وقال بعضُ المحدثين :

فَلآنَ أَسْمَحْتُ لِلخُطُوبِ فَلَا يُلْفَى فُؤَادِي مِن حَدِيثِ يَجِبُ (٣)

قَلْبِي الدَّهْرُ فِي قَوْلِبِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ لِيَوْمِهِ سَبَبُ

وقال آخرُ (٤) :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ (٥)

أَلَا يَا مَوْتَ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدْأً أَبَيْتَ فَمَا تَحِيْفُ وَلَا تُحَابِي (٦)

كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبي كَمَا هَجَمَ المَشِيبَ عَلَى شِبَابِي (٧)

(١) هذا ما في ل ، ومثله في الحيوان ١ : ٢٤ - ونهاية الجزء الثاني من البيان . وفي س ، ط : « وقال آخر » . وجاء في عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعراً لم أقل مثله » . وأنشد البيت .

(٢) إلا ما جنى ، يريد إلا جزء ما جنى . وجاءت هذه الكلمة في س : « غنى » وفي ط : « جنى » وهما تحريف ما أثبت من ل والبيان وعيون الأخبار .

(٣) أسمح للخطوب : لان وانقاد ، وهو عبارة عن التحمل والصبر . ووجب القلب وجباً ووجيباً ووجباناً : خفق .

(٤) هو أبو نواس ، والأبيات من ثلاثة عشر بيتاً في ديوانه ص ٢٠٠ . ونسبت في الأغاني

٣ : ١٥٥ - إلى أبي العتاهية . وهي في ديوان أبي العتاهية أيضاً ص ٢٣ - ٢٤ .

(٥) الرواية في ط ، س : « وكلكم يصير إلى التراب » وأثبت ما في ل والديوان ، وهو الموافق لما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٢٤) .

(٦) حاف يحيف : جار وظلم . وفي ط ، س « تحيف » وهو تصحيف ما في ل . وفي الديوان : « قسوت فاستكف وما تحابي » .

(٧) ط والديوان : « على الشباب » وفي الديوان أيضاً : « هجمت على حياتي » .

وقال آخر (١) :

يانفس خوضي بحارَ العِلمِ أو غوصي فالناس من بين مغمومٍ ومخصوصٍ (٢)
لا شيء في هذه الدنيا يُحاط به إلا إحاطة منقوص بمنقوص

(شعر في التشبيه)

وأنشدنا للأحيمر (٣) :

بأقبٍ منطلقٍ اللبان كأنه سيد تنصل من حُجور سَعالي (٤)

وقال الآخر (٥) :

أراقب (٦) لمحا من سهيل كأنه إذا ما بدأ من دُجية الليل يطرف (٧)

وقالوا (٨) قال خلف الأحمر : لم أر أجمع من بيت لأمرئ القيس ،

وهو قوله :

(١) ط ، س : « وقال منهم آخر » والوجه حذف « منهم » كما في ل . وجاء في
أدب الدنيا والدين ص ٢١ ، « وأنشد الرشيد عن المهدي بيتين وقال : أظنهما له »
ثم روى البيهقي .

(٢) ط : « بين مغموم » وصوابه في س ، ل وأدب الدنيا والدين .

(٣) ط ، س « وأنشد الأحيمر » وما أثبت من ل .

(٤) الأقب : الضامر البطن ، عني به فرسا . اللبان ، بالفتح : الصدر ، وأراد
بانطلاق اللبان انبساطه واستواءه . وفي الأصل : « منطلق اللسان » بمعنى زلق فصيح
وليس يسكون ذلك . والسيد ، بالكسر : الذئب . تنصل من حُجور السعالي :
خرج منها . والسعلاة - فيما يزعم العرب - : الغول . يقول : كأنه ذئب خبيث
فهو سريع العدو . جاء في ل : « تنصل في » .

(٥) هو جران العود . والبيت من قصيدة مثبتة في ديوانه ١٣ - ٢٤ .

(٦) هذا ما في ل والبيان (٣ : ٤٠) وهو صواب الرواية . وفي ط ، س « يراقب »

(٧) الرواية في الديوان ص ١٤ وكذا في ل : « من آخر الليل » . والدجية ، بالضم : الظلمة
وبجمها دجى . ويطرف : أى كما تطرف العين .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ل .

أفادَ وجادَ وسَادَ وزادَ وقادَ وذادَ وعادَ وأفضل^(١)
ولاً أجمعَ مِنْ قوله^(٢) :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَبِيَّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْجَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلٍ
وقالوا : ولم نر^(٣) في التشبيه كقولهِ ، حينَ شبهَ شيئينَ بشيئينَ في حالتينِ

١٦

مختلفينِ في بيتٍ واحدٍ ، وهو قوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرَهَا العُنَابُ وَالْحَشَفُ البَالِي

(قطعة من أشعار النساء)

وسنذكرُ قطعةً من أشعارِ النساءِ . قالتُ أعرابِيَّةٌ^(٤) :

رَأَتْ نِضْوًا أَسْفَارِ أُمِيمَةٍ شَاحِبًا عَلَى نِضْوِ أَسْفَارِ فِجْنٍ جُنُونَهَا
فَقَالَتْ : مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ ، وَمَنْ تَكُنُّ

فَإِنَّكَ مَوْلى فِرْقَةٍ لَا تَزِينُهَا

(١) كذا في ل ومثله عند المكبرى ٢ : ٧٢ . وجاء في ط ، س :

أفادَ وجادَ وسادَ وقادَ وعادَ وزادَ وأفضلَ

وقد جرى على طريقة امرئ القيس أبو العيثل الأعرابي فقال :

اصدق وعف وبر واصبر واحتمل واصفح ودار وكاف وابدل واشجع

ثم المتنبي في قوله :

أقل أنل أقطع أحمل على سلّ أعد زد هشّ يشّ تفضل ادن سرّ صل

انظر الوساطة ٢٥٣ والمكبرى .

(٢) كذا في ل وفي ط ، س : : « وقالوا : وقال خلف الأحمر : لم أر أجمع
من بيت امرئ القيس » .

(٣) س : « يرى » .

(٤) كذا . والشعر كما ترى ، ينطق بأن قائله رجل .

(٥) الفرقة ، بالكسر : الجماعة . ط ، س : « وقرينها » صوابه في ل ونقد الشعر ٧٣
واللسان (ضحا ٢١٢) حيث أنشد خمسة أبيات .

وقالت امرأة من خثعم :

فإنّ تسألوني من أحبّ فأؤنّي

أحبّ ، وبيت الله ، كعب بن طارق

أحبّ الفتى الجعد السلولي ناضلاً^(١) على الناس معتاداً لضرب المفارق

وقالت أخرى :

وما أحسن الدنيا وفي الدار خالد وأقبحها لما تجهز غاديا

وقالت أم فروة^(٢) الغطفانية :

فما ماء مزن أي ماء تقوله تحدر من غر طوال الذوائب^(٣)

بمنعرج أو بطن واد تحدرت عليه رياح الصيف من كل جانب^(٤)

نفى نسم الريح القذا عن متونه فما إن به عيب يكون لعائب^(٥)

بأطيب بمن يقصر الطرف دونه تقي الله واستحياء بعض العواقب

(١) يقال نضله ، إذا غلبه في الرمي . وجاء في ل : « فاضلاً » وأثبت ما في ط ، س .

(٢) كذا في س والجزء الخامس من الحيوان ص ١٤٢ . وفي ط « أم فرق » وفي ل :

« امرأة فروة » . والشعر الآتي قد نسب في زهر الآداب (١ : ١٦٧) إلى

عائكة المريية في ابن عم لها راودها عن نفسها . وفي أمالي اللقالي (٢ : ٨٧)

شعر لمن تدعى زينب بنت فروة المريية ، تقوله في ابن عم لها يقال له المغيرة .

(٣) رواية زهر الآداب : « وما طعم ماء أي ماء تقوله » . وعنى بالغر السحاب ،

وبذوائبها أطرافها .

(٤) رواية زهر الآداب : « بمنعرج من بطن واد تقابلت » وفي الجزء الخامس من

الحيوان : « تحدرت » موضع « تحدرت » ، و « المزن » مكان « الصيف » .

(٥) زهر الآداب : « نفت جرية الماء » . وفيه وفي الجزء الخامس : « تراه لشارب » .

وقال بعضُ العشاقِ (١) :

وأنتِ التي كلفْتيني (٢) دَلَجَ السُّرى
وأنتِ التي أوزنتِ قلبي حرارةً
وأنتِ التي أسخطتِ قومي (٥) فكلُّهمُ
وجونُ القَطَا بالجلهتَيْنِ جُثومُ (٣)
وقرحتِ قرحَ القلبِ وهو كليم (٤)
بَعِيدُ الرُّضَا دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمُ (٦)

فقال المعشوقه :

وأنتَ الذي أخلفْتني ما وَعَدْتني
وأبرزتني للنَّاسِ حتَّى (٧) تركتني
فلو أنَّ قولاً يكلمُ الجسمَ قد بدأ
وأشمتُ بي مَنْ كان فيكَ يَلمُ
لهمُ غَرَضاً أَرْمَى وأنتَ سَليمُ
بجلديَ مِنْ قولِ الوُشَاةِ كُلمُ

وقال آخر (٨) :

شهدتُ وبیتِ اللّهِ أنَّكَ غَادَةٌ
وأنتِ لا تجزيني بمودَّةٍ
رَدَّاحٌ وَأَنَّ الوجهَ مِنْكَ عَتِيقُ (٩)
ولا أنا للهجرانِ مِنْكَ مُطِيقُ

(١) هو ابن الدمينه ، وكان قد هوى امرأة من قومه يقال لها « أميمة » فهم بها مدة فلما وصلتته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعابها طويلا ، وتحدثا بالشعر الآتي . انظر معاهد التنصيص ١ : ٥٨ والحامسة ٢ : ١٤٦ وديوان ابن الدمينه ٣٦ - ٣٧ . والآيات الثانية في البيان ٣ : ٣٧٠ والأغاني ١٥ : ١٤٨ .

(٢) ط ، س : « كلفني » وتصحيحه من ل والمراجع المتقدمة .

(٣) عنى بالجلهتين ناحيتي الوادي . وفي س : « بالجلهتين » وهو محرف .

(٤) في الحامسة والديوان ، « قطعت قلبي حزازة » والحزازة : الوجد . وفيها أيضا « وقرقت »

مكان : « وقرحت » والوجه فيها « قرقت » بقاف ثم فاء ، يقال قرف الجرح وقرفه :

قشره ولما يبرأ . وجاء في المعاهد : « ومزقت » وفي المعاهد والحامسة : « فهو كليم » وفي

الديوان : « فهو سقيم » .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « أحفظت قلبي » وهو تحريف . والرواية

في المعاهد والحامسة والديوان : « أحفظت قومي » . وأحفظه : أغضبه .

(٦) الكظيم : المكظوم ، وهو من امتلأ جوفه بالغضب .

(٧) الرواية في جميع المصادر المتقدمة : « ثم » .

(٨) هو قيس لبني ، كما في تزيين الأسواق ٤٩ .

(٩) الرداح ، كسحاب : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الرائع .

فأجابته :

شَهِدْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَنَّكَ بَارِدٌ إِلَّا شَنَايَا وَأَنَّ الْخَصْرَ مِنْكَ رَقِيقٌ^(١)
وَأَنَّكَ مَشْبُوحُ الذَّرَاعِينَ خَلَجَمٌ^(٢) وَأَنَّكَ إِذْ تَخْلُو بَهْنَ رَفِيقٌ^(٣)

(شعر مختار)

[وقال آخر :

اللَّهُ يَعْلَمُ يَا مَغِيرَةَ أَنِّي قَدْ دُسْتُهَا دَوْسَ الْحِصَانِ الْهَيْكَلِ
فَأَخَذْتُهَا أَخَذَ الْمُقْصَبُ شَاتَهُ عَجْلَانٌ يَشْوِيهَا لِقَوْمٍ نَزَلِ^(٤)]
وقال كعبُ بنُ سعدٍ الغنَوِيُّ^(٥) :

وَحَدَّثْتَنِي أَنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةٌ وَقَلِيبٌ

(١) كذا في ط ، س . وفي ل والبيان ٢ : ٣٥١ : « وأن الكشح منك لطيف »
وما أثبت هو الأشبه ؛ إذ أنه الملائم للمجاجة .

(٢) مشبوح الذراعين : طويلهما ، وقيل عريضهما . الخلجم : الجسم العظيم . وفي ط ، س : « خلجم » وهو تصحيف ما كتبت من ل والبيان .

(٣) في ل ، والبيان : « عفيف » وانظر التنبيه الأول .

(٤) المقصب : القصاب . والشعر للعجاج ، كما في اللسان (فتح) .

(٥) كعب بن سعد الغنوي شاعر إسلامي ، وهو أحد بني سالم بن عبيد بن سعد ابن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غنم بن غنم بن أعصر . كذا قال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي في موضعين منه . وقد راجعت كتب الصحابة وكتاب الشعراء لابن قتيبة وكتاب الأغاني وغيرها فلم أجد ترجمته في أحدها إلا ما قاله أبو عبيد المذكور ، والظاهر أنه تابعي . خزائن الأدب (٣ : ٦٢١ بولاق) . والأبيات الآتية من مرثية له طويلة رواها ابن الشجري في مختارات أشعار العرب (٢٧ - ٣٠) والقالي في أماليه (٢ : ١٤٨ - ١٥١) يرثي بها أخاه أبا المغوار ، واسمه هرم أو شبيب . وفي أمالي القالي أن بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب ، وبعضهم يروونها بأسرها لسهم الغنوي ، وهو من قومه وليس بأخيه ، وبعضهم يروى شيئا منها لسهم .

وماء سماء^(١) كان غيرَ حَمَمَةٍ^(٢) بَرِّيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جَنُوبٌ^(٣)
ومنزلةٌ في دارِ صدقٍ^(٤) وغِبْطَةٍ وما اِقْتَالَ في حُكْمٍ عَلَى طَيْبٍ^(٥)
وقال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ :

رئيسُ حُرُوبٍ لا يَزَالُ رَبِيشَةً مشيحٌ على مُحَقَّقِ الصَّلْبِ مُلْبِدٍ^(٦)
صبورٌ على رُزءِ المصائبِ حافِظٌ مِن اليَوْمِ أَعْقَابَ الأحاديثِ في غَدٍ
وهوَنَ وَجَدِي أَنِّي لم أَقْلُ لَهُ كَذَبْتَ ولم أَبْخَلْ بما مَلَكَتْ يَدِي

(قطع من البديع)

وقطعةٌ من البديع قوله^(٧) :

إذا حَدَاها صاحبي ورجَّعا وصاحَ في آثارها فأسمعا

-
- (١) ط : « وما وسماع » : س : « وما وسماع » وصوابه من ل ولسان العرب (قول) .
(٢) الحجة : مكان جوم الماء ، أى كثرته . والمحة بالخاء : المكان تكثر فيه الحمى .
جاء في ط ، س : « بين حجة » ، وأثبت ما في ل ، ولسان العرب (قول) .
(٣) ربح الجنوب معها الخير والمطر والتلقيح . انظر اللسان (جنب) . قال ابن الأعرابي :
الجنوب في كل موضع حارة إلا بنجد فإنها باردة . جاء في ط ، س : « بذى شربة »
مكان « برية » التي أثبتتها من ل ، واللسان .
(٤) كذا في ط ، س : واللسان . وفي ل : « أمن » .
(٥) اقتال : تحكم . وجاءت هذه الكلمة في ل : « اقتال » وفي س : « افتاك »
وصواب تحريفها من اللسان (قول) . وجاء في ط : « افتات » وهى صحيحة ،
في معنى : « اقتال » . وكلمة « في » هى في كل من س ، ل ولسان العرب :
« من » . وقد عني بالكلام أن أخاه لم يمرض فيحتاج إلى الطبيب .
(٦) « محقوقف » هى في الأصل : « محرورف » وليس لهذه وجه . وقد سبق الكلام
في هذه الأبيات وشرحها ص ٥٠ .
(٧) ط ، س : « قولهم » ، وأثبت ما في ل .

يتبعن^(١) منهن جُلالاً أتلعا^(٢) أدمك في ماء المهاوى مُنقَعاً^(٣)

وقال الراجزُ في البديع المحمود :

قد كنت إذ حبلُ صِباك مُدمش^(٤) وإذ أهاضيبُ الشبابِ تبغش^(٥)

ومن هذا البديع المستحسن منه ، قولُ حُجر بن خالد بن مرثد^(٦) :

سمعتُ بفِعلِ الفاعلين فلم أجذُ كِفِعلِ أبي قابوسَ حَزْماً ونائلاً^(٧)

يُساقُ الغمامُ الغرُّ من كلِّ بلدةٍ إليك فأضحى حَوْلَ بيتِكَ نازلاً^(٨)

(١) في الأصل : « يتبعن » وهو ظاهر التحريف . وقد عني بكلامه الإبل .

(٢) الجلال ، بالضم : العظيم . وجاء في ط ، س : « حلالا » مصحفة . والأتلع : الطويل العنق .

(٣) كذا جاء في البيت في ط ، ل . وفي س : « أرمك » وفي ل : « ماء المهاوى » .

(٤) في اللسان : « أدمج الحبل : أجاد فتلته . . . وقوله : إذ ذلك إذ حبل الوصال مدمش ؛ إنما أراد : مدمج ، فأبدل الشين من الجيم لمكان الروى » . فروى البيت برواية أخرى .

(٥) الأهضوبة : الدفعة من المطر ، تجمع على أهاضيب . وتبغش : تدفع ما بها من الماء . وقد كنى بقوله عن قوة الشباب ونعمته وريه . جاء في ط ، س : « تنعش » وصوابها من ل ، والبيان ٣ : ٣٣٤ .

(٦) هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ، شاعر جاهل كان معاصراً لعمرو بن كلثوم . وكان أنشد شعراً بين يدي النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو في مجلس الملك ، ثم اقتصر منه حجر ، وأجار الملك حجراً . فقال حجر الأبيات الآتية يمدحه . انظر شرح التبريزي للحماسة ٢ : ٣٩ والحماسة ٢ : ٢٩٤ و « مرثد » هي في ط ، س : « مزيد » وتصحيحها من ل ، والحماسة وشرحها .

(٧) أبو قابوس : كنية النعمان ، و « حزماً » هي كذلك في ط ، والحماسة . وفي ل : « فعلا » .

(٨) في صدر هذا البيت روايات كثيرة . فيروى « فساق إلهي الغيث » ، و « فسيق إليه للغيث » ، و « فساق الإله الغيث » ، و « فسيق القهام الغر » . وهي صورة تطلعك على ما تفعل الرواية . وكل هذا دعاء له .

فأصبح منه كلُّ وادٍ حللتَه

وإن كان قد خوى^(١) المربيع^(٢) سائلا

فإن أنت تهلك يهلك الباعُ والنَّداُ وتُضحى قلوصُ الحمد جرباء حائلا^(٣)

فلا ملكٌ ما يبلغنك سعيه ولا سُوقَةٌ ما تمدحنك باطلا^(٤)

١٨

باب

في صدق الظنِّ وجودة الفِراسة

قال أوس بن حجر :

[الألمعيُّ الذي يظنُّ بك الظنَّ كأنَّ قَدْرَأي وقد سمعا

وقال عمر بن الخطَّاب : « إنك لا تَنْتَفِعُ بعقل الرَّجُلِ حتَّى تعرفَ

صدقَ فطنته » .

(١) خوى النجم : سقط ولم يمطر في نواته ، وكان العرب يستدلون على المطر بالنجوم .

انظر تفصيل ذلك في الأزمنة والأمكنة للمرزوق ٢ : ١٧٩ - ١٨٥ ، وبلوغ

الأرب ٣ : ٢٢٩ - ٢٦١ . وفي الأصل « حوى » مصحفة .

(٢) المربيع : النجوم التي يكون بها المطر في أول الأنواء . ط : « المربيع »

وتصحيحه من س ، ل . يقول : يسير الخير في ركابك ، فلو أنك نزلت

في مكان محروم من نعمة الغيث ، أفضت عليه من الخير ما يفعمه .

(٣) الباع : الشرف والكرم . قال رؤبة :

* إذا الكرام ابتدروا الباع بدر *

والقلوص : الناقة الشابة الفتية . و « الحمد » هي في س : « الحب » محرفة

وفي ل : « الحى » ، ولها وجه . وفي الحماسة : « الحرب » وهي رواية جيدة . والحائل

من النوق : التي حمل عليها فلم تلقح .

(٤) للتبريزي كلام جيد في هذا البيت .

وقال أوس بن حجر [:

مليحٌ نَجِيحٌ أخو مَازِقِ نِقَابٍ مُحَدَّثٍ بِالْغَائِبِ (١)

وقال أبو الفضة ، قاتِل (٢) أحمَر بن شميطة :

فإلَّا يَأْتِيكُمْ خَبْرٌ يَقِينٌ فَإِنَّ الظَّنَّ يَنْقُصُ أَوْ يَزِيدُ

وقيل لأبي الهذيل : إنك إذا راوغت واعتلت - وأنت تكلم النظام

[وقت] - فأحسن حالاتك أن يشك الناس فيك وفيه ! قال : خمسون شكاً

خيرٌ من يقينٍ واحدٍ !!

وقال كثيرٌ في عبد الملك :

رأيتُ أبا الوليد غداةً جمع به شيبٌ وما فقدَ الشَّباباً (٣)

فقلتُ له ، ولا أعيا جواباً : إذا شابتُ لِدَاتُ المرءِ شاباً

ولكن تحت ذلك الشيب حزمٌ إذا ما قال أمرضَ أو أصاباً (٤)

وليس في جودة الظن بيت شعرٍ أحسن من بيت بلعاء (٥) بن تيس :

(١) أخو مازق : أى هو حسن التخلص من المآزق . وروى : « أخو ماقط » .
والنقاب : الرجل العالم بالأشياء الفطن .

(٢) ط ، س : « أحمد » وصوابه في ل . وانظر ما كتبت في الشيطانية ص ٢٦٨
من الجزء الثانى .

(٣) جمع ، بالفتح ، هو المزدلفة . وكلمة « وما » هى فى ط ، س : « وما » ، تحريف
مافى ل ، واللسان (مادة مرض) . وفى البيان ٤ : ٦٧ : « وقد » وهى تحريف
يشوه المعنى ؛ إذ يريد أنه وإن فقد مظاهر الشباب فهو متمتع بأخص صفات الشباب .

(٤) أمرض : أى قارب الصواب فى الرأى وإن لم يصب كل الصواب . وفى س :
« أغرض » ولا وجه له ، وصوابه فى البيان واللسان . وكلمة : « قال » فى البيت بمعنى
« ظن » وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى البيان واللسان .

(٥) ط ، س : « ليلعا » وأثبت مافى ل . وبلعاء هذا كان رأس بنى كنانة فى أكثر
حروبهم ومغازيهم ، وهو شاعر محسن ، وقد قال فى كل فن أشعاراً جيداً
المؤتلف ١٠٦ . مات بلعاء قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار
الآخر . العقد ٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ .

وَأَبْنَى صَوَابَ الظَّنِّ أَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنَّ المرءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهُ
وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ ﴾ .

وقال ابن أبي ربيعة في الظن :

ودعاني إلى الرِّشَادِ فَوَادُّ كان للغنى مرةً قد دعاني
ذاك دَهْرٌ لو كنت فيه قَرِينِي ^(١) غَيْرَ شَكِّ عَرَفْتُ لِي عِصْيَانِي
وتقلبت في الفراشِ ولا تَع لم إلا الظنون أن مكاني

(من مختار الشعر)

وقال ابن أبي ربيعة في غير هذا الباب :

وخلِّ كنتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمَسْتَمِعًا مَطِيعًا
أَطَافَ بَغِيَّةٍ ^(٢) فَنَهَيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا
أَرَدْتُ رَشَادَهُ جَهْدِي ، فَلَمَّا أَبِي وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا
وقال معقر بن حمار البارقى ^(٣) :

(١) الرواية في الديوان ص ٦٦ : « قريبي » وهي رواية جيدة . وعصيان الأهل والأقارب في الحب ، بما أكثر الشعراء الكلام فيه .

(٢) ط : « بغيه » والوجه ما أثبت من ل ، س . وإليها يعود الضمير في « عنها » .

(٣) معقر بن حمار البارقى اسمه سفيان بن أوس بن حمار ، وهو شاعر جاهلي . سمي معقرا بقوله في قصيدة مشهورة :

لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

معجم المرزبانى ٢٠٤ وخزانة البغدادي ٢ : ٢٩١ بولاق . وهو صاحب البيت المشهور (انظر المعجم ، وكذلك المؤلف ٩٢) :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

وفى ط ، س : « معبد بن حماد » وجاء على الصواب الذي أثبتته في ل .

الشَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
مِنْهَا الْمُقَصَّرُ عَنِ رَمِيَّتِهِ وَنَوَافِذُ يَذْهَبْنَ بِأَلْحَصْلِ^(١)

(أبياتٌ للمحدّثين حسانٌ)

وأبياتٌ^(٢) للمحدّثين [حسانٌ^(٣)] ، قال العتّابي^(٤) :
وَكَمْ نِعْمَةٍ آتَاكَهَا^(٥) اللَّهُ جَزَلَةٌ مُبْرَأَةٌ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ يَذِيْمُهَا^(٦)
فَسَلَطَتْ^(٧) أَخْلَاقًا عَلَيْهَا ذَمِيمَةً تَعَاوَرْنَاهَا حَتَّى تَفْرَى أَدِيمَهَا
وَلَوْعًا وَإِشْفَاقًا وَنَطْقًا مِنَ الْخُلْنَا بَعُورَاءَ يَجْرِي فِي الرِّجَالِ نَمِيمُهَا^(٨)
وَكَنْتَ امْرَأً لَوْ شِئْتَ أَنْ تَبْلُغَ الْمَدَى^(٩)
بَلَّغْتَ بِأَذْنِي نِعْمَةً^(١٠) تَسْتَدِيمُهَا
وَلَكِنْ فِطَامُ النَّفْسِ أَعْسَرَ مَحْمَلًا^(١١) مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ حِينَ تَرُومُهَا^(١٢)

-
- (١) الخصل ، بالفتح : الغلبة في النضال .
(٢) ل : « أبيات » .
(٣) الزيادة من س ، ل .
(٤) هو كلثوم بن عمرو العتّابي ، سبقت ترجمته في الجزء الثاني ص ٢٩٦ . وقد روى
الراغب البيهقي الأخيرين في محاضراته ١ : ١٣٣ ونسبهما إلى عمرو بن كلثوم
وصوابه ما ذكرت ، كما في البيان ١ : ١٢٠ .
(٥) ط ، س : « آتى بها » ، وأثبت ما في ل .
(٦) ذامه يذيمه : عابه .
(٧) ط : « فسلط » ، وأثبت ما في س ، ل .
(٨) النميم مثل النيمة . و « نطقا » أى هو ينطق بالعمراء من الخلنا .
(٩) رواية المحاضرات : « المنى » . ومؤداهما واحد .
(١٠) رواية المحاضرات : « غاية » .
(١١) كذا في ط ، س والبيان . وفي ل والمحاضرات : « أثقل » .
(١٢) س فقط : « يرومها » وليس بشيء .

وقال أيضاً :

وكنْتُ امرأً هَيَّابَةً تَسْتَفِزِّنِي رِضَاعِي بِأَدْنَى ضَجْعَةٍ أُسْتَلِينُهَا^(١)
أُوَافِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَمَّةٍ تَوَقَّلُ^(٢) فِي نَيْلِ الْمَعَالِي فَنُؤُهَا
رَعَى أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فَهُوَ إِمَامُهَا وَأَدَّى إِلَيْهَا الْحَقَّ فَهُوَ أَمِينُهَا
وَيَسْتَنْتِجُ الْعَقَاءَ^(٣) حَتَّى كَأَنَّمَا تَغْلُغَلُ فِي حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَنِينُهَا
وَمَا كَلَّ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِي وَلَا كَلَّ مِنْ أُمَّ الصَّوْمَى يَسْتَبِينُهَا^(٤)
مُقِيمٌ بِمُسْتَنِّ الْعُلَا ، حَيْثُ تَلْتَقِي طَوَارِفُ أَبْكَارِ الْخُطُوبِ وَعُؤُنُهَا^(٥)
وقال الحسن بن هاني :

قَوْلًا لَهَارُونَ إِمَامٍ الْهَدَى عِنْدَ احْتِفَالِ الْمَجْلِسِ الْحَاشِدِ
نَصِيحَةُ الْفَضْلِ^(٦) وَإِشْفَاقُهُ أَخْلَى لَهُ وَجْهَكَ مِنْ حَاسِدِ
بِصَادِقِ الطَّاعَةِ دِيَانِهَا وَوَاحِدِ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ^(٧)

(١) ط ، س : « تستلينها » .

(٢) . توقل : تتوكل ، بمعنى تصمد . وهذه رواية ل . وفي ط ، س : « توغل » .

(٣) يستنتج العقاء : يجعلها تلد . وهذا كناية عن قدرته على التغلب على المصاعب .
في ط ، س : « العنقاء » وهي ذلك الطائر الخيالي الذي لا وجود له ، وبها يصح
المعنى أيضا . أي هو يقدر أن يحصل على ما لا يناله غيره .

(٤) ط ، س : « وماكل » ، وهي على الصواب في ل . أم : قصد . والصوى : جمع
صوة بالضم : وهي حجر يكون علامة في الطريق .

(٥) المستن : مكان الاستنان ، وهو سرعة العدو . والطوارف : الحديثات ،
وفي ط : « طوارق » . والمون : جمع عوان ، وهي التي ولدت بعد بطنها البكر .

(٦) هو الفضل بن يحيى البرمكي . وأراد أبو نواس استعطاف الرشيد على الفضل .

(٧) يقول : هو مخلصك في حضرتك وفي غيبتك .

أنتَ على ما بيكَ مِنْ قُدْرَةٍ ما أنتَ مِثْلَ الفِضْلِ بالواجدِ
 أوحدَه (١) اللهُ فَمَا مِثْلُهُ لَطالِبِ ذاكِ ولا نأشِدُ
 وليس على اللهُ بِمِستَنكرٍ (٢) أن يَجْمَعَ العالمَ في واحدٍ
 وقال عديُّ بن الرِّقاعِ العاملي :
 وقصيدةٌ قدْ بَتُّ أجمعَ بَيْنَها حتى أقومَ مِيلَها وسنادها
 نظراً المثقَّفِ في كُعبِ قناتِهِ حتى يُقيمَ ثِقافَهُ مُنادها (٣)
 وعَلِمْتُ حتى لَسْتُ أسألُ عالِماً عن حَرْفٍ واحدَةٍ لَكِ أزدادها (٤)
 صَلَّى الإلهُ على امرئٍ ودَّعته وأتمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وزادها

(شعر لبنت عدي بن الرقاع)

قال : واجتمع ناسٌ من الشعراءِ ببابِ عديِّ بن الرقاعِ يُريدون
 ثَمائنتَهُ ومُساجلتَهُ ، فخرَجَت إليهمُ بِذنتٍ له صغيرة ، فقالت :
 تَجْمَعْتُمُ من كُلِّ أَوْبٍ ومَنْزِلٍ على واحدٍ لازلتمُ قِرْنَ واحدٍ (٥)

(١) هكذا الرواية الجيدة : « أوحدَه » أى جملة واحداً . وهى رواية الديوان ٨٧ وعيون الأخبار ١ : ٢٢٧ . وفى الأصل : « أوحدَه » وليس بشيء .

(٢) كذا فى ط ، ل . وفيه الخزم . والرواية فى س والديوان وعيون الأخبار : « وليس لله بمستنكر » .

(٣) الثقاف ، بالكسر : ماتسوى به الرماح . والمناد : المعوج . وفى الأصل : « منادها » وهى على الصواب الذى أثبت فى الموشح ص ١٣ .

(٤) قال فى الموشح ١٩٠ قال أبو جعفر المنجم : كنت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما ، وهو عدي بن الرقاع ، لقوله :

وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن علمٍ واحدَةٍ لَكِ أزدادها
 ثم أسائله عن جميع العلوم فإذا لم يجب أدبته ! وأقبل رأس الآخر - وهو
 زيادة بن زيد - لقوله :

إذا ما انتهى علمى تناهيت عنده . أطال فأعلى أم تناهى فقصرأ
 (٥) « ومنزل » هكذا جاءت الرواية أيضاً فى الشعراء ١٤٥ . وروى فى الصناعتين =

(شعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وهو صغير)

وقال عبدُ الرحمنُ بنُ حسانِ الأنصاري ، وهو صغير^(١) :
اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ مُشْتَغِلًا فِي دَارِ حَسَّانَ أَصْطَاذُ الْيَعَاسِيَا^(٢)
وقال لأبيه وهو صبي^٣ - ورجع إليه وهو يبكي ويقول : لسعني طائر !
قال : فصفه لي يا بني^٤ ! قال كاذبهُ ثوبُ حَبْرَةَ^(٣) ! قال حسان : قال ابني
الشَّعْرُ وَرَبُّ الكَعْبَةِ !
وكان الذي لَسَعَهُ زنبورًا .

= ٣٥٩ ، وذيل الأمل ٧٠ : « وبلدة » . وفي الكامل ١٤٩ ليسك وشرح المقامات
للشريشي ٢ : ٣٠١ « ووجهة » . وزاد الثاقب في الخبر : « فاستحيوا ورجعوا »
وابن قتيبة : « فانصرفوا عنه ولم يهاجوه » . والشريشي : « فأفحمتهم ورجعوا
بأخزي حالة » .

(١) ل : « صغير » . والخبر هنا مقتضب . جاء في الكامل ١٤٩ ليسك : « ويروي
أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالمقوبة ، فقال : الله يعلم . . . الخ .

(٢) العسوب : أمير النحل .

(٣) الرواية في الكامل ١٤٩ ليسك : « كأنه ملتف في بردى حبرة^٥ » . والحبرة ،
بالتحريك ، أو كمنبة : ضرب من برود اليمن .

(٤) كذا في ل ، وفي ط ، س : « زنبور » بالرفع . وهي صحيحة في العربية ،
على تقدير ضمير الشأن . وبتلك اللغة جاء قول المجير :

إذا مت كان الناس صنفان شامت وآخر من بالذي كنت أصنع

انظر سيبويه ١ : ٣٦ بولاق ، وشرح المفصل ٣ : ١١٦ س ٥ .

(شعر سهل بن هارون وهو صغير)

وقال سهل بن هارون ، وهو يختلف إلى الكتابِ لجارِ لهم :
نُبِّيتُ بِغُلْكَ مَبْطُونًا فَقُلْتُ لَهُ فَهَلْ تَمَائِلُ أَوْ نَأْتِيهِ عَوَادًا (١)

٢٠

(شعر طرفة وهو صغير)

وقال طرفة وهو [صبيٌّ] صغير :
يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَالَكَ الْجَوْفِ بِيضِي وَاصْفِرِي (٢)
وقال بعض الشعراء (٣) :
إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعْيشَ فَجِيٌّ بَزَادٍ

(١) ط : « نبت يفلك » س : « نبتت بفلك » ل : « نبيت نملك » وصوابه ما أثبت من كتاب البغال . و المبطون : الذي يشتكي بطنه . و « فقلت » هي في ل : « فرغت » وفي البغال : « فزعت » . وتمائل : دنا من الشفاء . ط ، س : « أو يأتيه عواد » . وانظر قصة البيت واضحة في كتاب البغال ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٢) روى الدميري سبب هذا فذكره « أنه كان مع عمه في سفر ، وهو ابن سبع سنين فزلوا على ماء فذهب طرفة بفتح له فنصبه للقنابر ، وبقي عامة يومه لم يصد شيئاً ، ثم حمل فحه وعاد إلى عمه ، فتحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن مانثر لمن من الحب فقال ذلك » . والرجز ستة أشطار عند الدميري واللسان (قبر) . وقال ابن بري : هو لكليب بن ربيعة . وانظر الشعراء ١٤٠ .

(٣) هو يزيد بن الصمق الكلابي كما في معجم المرزباني ٤٩٤ وكنيات الجرجاني ٧٣ والاقطصاب ٢٨٨ . أو أبو مهوش الفقمسي كما في حواشي الكامل ٩٨ ليبسك . وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا في العقد ٢ : ١٠ وأمثال الميداني ١ : ١٧١ وأدب الكاتب ١٢ والخزانة ٣ : ١٤٢ وأخبار الطراف ٢٤ . ورواها الجاحظ في البيان ١ : ١٩٠ .

بِحَبْزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِسَمْنٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ (١)

رَاهِ يَطُوفُ بِالْآفَاقِ (٢) حِرْصاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ (٣)

وقال الأصمعيّ : الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ : الْوَطْبُ (٤) :

وقال أعرابيٌّ :

أَلَا بَكَرَتْ تَلْحَى قَتِيلَةً بَعْدَمَا بَدَأَ فِي سَوَادِ الرَّأْسِ أَيْضُ وَاضِحٌ

لِتُدْرِكَ بِالْإِمْسَاكِ وَالْمَنْعِ ثَرْوَةً مِنْ الْمَالِ أَفْنَتْهَا السَّنُونَ الْجَوَائِحُ

فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَعْذِلْنِي فَإِنَّمَا بِذِكْرِ النَّدَى تَبْكِي عَلَى النِّوَائِحِ (٥)

(أشعار في معانٍ مختلفة)

وقال بشارٌ أبياتاً تجوز في المذاكرة (٦) ، في باب (٧) [المنى ، وفي باب]

الحزم ، وفي باب المشورة . وناسٌ [يجعلونها للجمع جاع الأزديّ ، وناسٌ]

يُجْعَلُونَهَا لغيره ، وهي قوله :

(١) البجاد : الكساء ، وزنا ومعنى .

(٢) روى : « يطوف الآفاق » كما في س .

(٣) الثعالبى في ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر كذلك تصف رأسه بالعظم ، وتضرب به المثل » وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد في الاقتصاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ، ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان ! » .

(٤) في اللسان : « الملفف في البجاد : وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك » .

(٥) س : « تبكى عليك » ، وما هنا أجود .

(٦) ل : « من المذاكرة » ، محرقة .

(٧) ط ، س : « وفي باب » ، وأثبت ما في ل .

إذا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنَ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ (١) حَازِمٌ
 وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاظَةً مَكَانُ الْخَوَانِي رَافِدٌ لِلْقَوَادِمِ (٢)
 ٢١ وَأَذِنَ مِنْ الْقُرْبَى الْمُقَرَّبَ نَفْسَهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأَةً غَيْرَ كَاتِمٍ
 وَمَا خَيْرٌ كَفَّ أَمْسَكَ الْغُلُّ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرٌ نَصَلٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ (٣)
 فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِرِدُ اهِمَّ بِالْمَنَى وَلَا تَبْلُغُ الْعَلِيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ
 وقال بعض الأنصار (٤) :

وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ (٥) لَهُ شِفَاءٌ
 وَبَعْضُ الْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ عِنَاجٌ (٦) كَمُخْضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءٌ (٧)
 وقال تَأَبَّطُ شَرًّا - إِنْ كَانَ قَالَهَا (٨) - :

- (١) ل والبيان (٤ : ٤٩) : « نصيحة » وهي صحيحة ، يقال نصحه نصحاً ،
 بالضم ، ونصاحه ، ونصاحية . والاسم النصيحة .
 (٢) مر الكلام في ريش الطائر بالجزء الثاني ص ٣٥٥ . رافد : معين . وفي س ،
 ط : « راية » ولم أجد لها وجها ، ويروى : « فإن الخواني قوة » . وفي
 كنيات الجرجاني ٦٠ : « فريش الخواني » .
 (٣) النصل هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه . في ل ، « وما خير سيف »
 وأثبت ما في ط ، س .
 (٤) للشعر في البيان (٣ : ١٨٦) منسوب إلى الربيع بن أبي الحقيق .
 (٥) هذه الكلمة ساقطة من ط . والرواية في ل : « كداه البطن ليس له دواء » .
 (٦) أصل العنجاج للدلو ، وهو خيط أو سير يشد في أسفلها ثم يشد في عروتها . وهذه
 رواية ل واللسان . وفي ط : « عماد » . والبيت ساقط من س .
 (٧) المخض : أصله اللبن ، وهو تحريكه لاستخراج الزبد . والإتاء ، بالكسر : الزبد .
 (٨) بعد هذه الكلمة في ل عبارة مقحمة على الكتاب لاجرم ، وهذا نصها : « قال
 النمرى : وما يدل على أنه مولد قوله :

شامِسٌ في القُرِّ حتَّى إذا ما ذَكَتِ الشُّعْرَى فَبَرَدٌ وظِلٌّ^(١)
وَلَهُ طَعْمَانٍ : أَرَى وشَرَى وكِلَا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ^(٢)
مُسْبِلٌ في الحَيِّ أَحْوَى رِفْلٌ وإذا يَغْدُو فِسمعُ أزلُّ^(٣)
وَوَرَاءَ الثَّارِ منه ابنُ أختِ مَصِيعٌ عَقَدْتَهُ ما مُحَلٌّ^(٤)
مُطْرَقٌ يَرشَحُ سَمًّا ، كما أَطْرَقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السَّمَّ صِلٌّ^(٥)
خَبْرٌ ما نَابَنَا مُصَمِّلٌ جَلٌّ حَيٌّ دَقٌّ فِيهِ الأَجَلُّ^(٥)

- = فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا . وقال أبو الندى : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلماً . أما النمرى هذا فهو أحد شراح الحماسة ، بل هو أول شارح لها كما في خزانة الأدب (٣ : ٣٣٢ ، ٥٤١ بولاق) وهو ينقل في شرحه عن كتاب المعاني لأحمد بن حاتم الباهلي ، وهذا توفي سنة ٢٣١ . وأما أبو الندى فهو محمد بن أحمد الغندجاني ، يروى عنه الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابي الذي قرئت عليه بعض تصانيفه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وللحسن رد على النمرى في شرحه للحماسة نقل عنه البغدادي في الخزانة كثيراً . وهذه الزيادة تجدها في شرح التبريزي للحماسة (٢ : ١٦٠ - ١٦١) مع بسط وتفصيل .
- (١) شامس في القر : يعني أن من لجأ إليه في القر وجده كالشمس التي تدق . والشعري : كوكب يظهر في شدة الحر .
- (٢) الأرى : العسل . والشري : الحنظل .
- (٣) مسبل في الحى : أى هو في حال السلم ممن يسبلون ثيابهم لما هم فيه من نعمة . والرفل : الكثير اللحم . ويغدو : أى في حال الحرب . والسمع : ولد اللذئب من الضبع . والأزل : القليل لحم العجز والفخذين .
- (٤) ل : « ووراء الثار منى » وهى رواية الحماسة . والمعنى يصح بكليهما إن حمل الضمير في « منى » على التجريد . والمصع : الشديد المقاتلة .
- (٥) المصمئل : الشديد . وفي ل : « خبر ماجاونا » .

كُلُّ ماضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسَنَّا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ^(١)

فَاسْقِنِيهَا^(٢) يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ^(٣)

وقال سلامة بن جندل^(٤) :

سَأَجْزِيكَ بِالْوُدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا أَصْغَعُ لِيَّ سَوْفَ أَجْزِيكَ صَعَصَعَا

سَأَهْدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَثْلِيثٍ مِدْحَةً إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بُيُوتُكَ لَعَلَعَا^(٥)

فَإِنْ يَكُ مَحْمُوداً أَبُوكَ فَإِنَّا وَجَدْنَاكَ مَحْمُودَ الْخَلَاتِقِ أَرُوعَا

فَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا ثَنَاءً وَمِدْحَةً^(٦) وَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا لَكُمْ مِائَةَ مَعَا^(٧)

فقال صعصعة بن محمود بن^(٨) بشر^(٩) بن عمرو بن مرثد : الثناء والمدحة^(١٠)

(١) قبل هذا البيت في الحماسة بيتان يتوقف معناه عليهما . وهما :

يركب الهول وحيداً ولا يصح حبه إلا البياني الأفل

وفتو هجروا ثم أسروا ليلهم حتى إذا انجاب حلوا

أراد بالماضي الأول الرجل الشديد، والثاني السيف القاطع. تردى بالسيف: تقلده بجماله.

(٢) س : « سقنيها » . ويريد الخمر .

(٣) الخلل : المهزول . وفي ل : « بعد حال » مصحفة .

(٤) قال سلامة الأبيات الآتية ، وبعث بها إلى صعصعة بن محمود . (البيان ٣ : ٣١٨) .

(٥) كذا الرواية في ل ، والبيان . وفي ط : « سأهدي بتثليث إليك هدية توافيك لو » .

وفي س مثل ط مع إبدال « مدحة » بكلمة « مذمة » و « توافيك » بكلمة « قوافيك » .

(٦) كذا الرواية في ل والبيان . وفي ط ، س : « أهدينا إليك ثناءنا » .

(٧) عنى بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه أحمربن جندل ، الأمير .

(٨) ل : « من » .

(٩) س : « بشير » . وفي البيان : « صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرثد » .

(١٠) كذا في ل والبيان . وفي ط ، س : « الثناء والحمد والمدح » .

أحبُّ إلينا . وكان أحمراً^(١) بن جندل أسيراً في يده ، فخلّى سبيلَه من غير فداء .

وقال أوسُ بن حجر ، في هذا الشُّكل من الشعر - وهو يقع في باب

الشُّكر والحمد - :

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءً ثَوِيَّهَا حَلِيمَةٌ إِذْ أَلْقَى مِرَاسِيَّ مُقَعَدٍ^(١)
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانِي وَحَلَّ بِفَلَجٍ فَالْقِنَافِذِ عُوْدِيَّ^(٢)
وَفَدَّ غَبْرَتِ شَهْرِي رَبِيعٍ كَلَيْهِمَا بِحَمْلِ الْبَلَايَا وَالْحِبَاءِ الْمَمْدَدِ^(٤)
وَلَمْ تُلْهَمَهَا تِلْكَ التَّكَالِيفُ ؛ إِنَّهَا كَمَا شِئْتَ مِنْ أَكْرُومَةٍ وَتَحْرَدِ^(٥)
سَاجِزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مَثُوبٌ^(٦) وَحَسْبُكَ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْكَ وَتُحَمَّدِي^(٧)

٢٢

(١) كذا في ل والبيان . وفي ط ، س : « أحمد » .

(٢) يقال ألقى مراسيه : أى استقر ، ومثله ألقى عصاه . وكلمة « مقعد » هى فى ط ، س : « ومقعد » ، صوابه فى ل ، ويعنى بالمقعد نفسه . وانظر الديوان ٥ والبيان (٣ : ٣١٩) .

(٣) فلج والقنفاذ : موضعان . والعود : جمع عائد الذى يزور المريض . قالوا : وكان أوس قد جالت به ناقته فى سفر فصرعته فاندقت فخذاه ، فأواه فضالة بن كلدة ، وكانت حليلة بنت فضالة تعنى به فى أثناء مرضه . (الأغاني ١٠ : ٧) .

(٤) ط ، س : « عبرت » ، وهى رواية الديوان ومؤداهما واحد . والبلايا : جمع بلية .

(٥) التخرد من قولهم خريده ، وهى الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المسترة ، قد جاوزت الإعصار ولم تعنس . و « تحرد » هى رواية ل والديوان والبيان واللسان (مادة خرد) . وفى ط : « تحردى » بالواو ، والياء فى آخرها زيادة ناسخ . وفى س : « تجرد » .

(٦) المثوب : المثيب . وفى التنزيل العزيز : « هل ثوب الكفار » . وما أثبت هو رواية ل والديوان والأغاني . وفى ط ، س والبيان : « سنجزيك أو يجزيك عنا » .

(٧) ط ، س « وتحمد » وهو خطأ إملائي .

وقال أبو يعقوب الأعور :

فلم أجزه إلا المودّة جاهدأ وحسبك مني أن أودّ وأجهدا^(١)

(من شعر الإيجاز)

وأبيات^(٢) تضاف إلى الإيجاز وحذف الفضول . قال بعضهم ووصف

كلابا في حال شدّها وعدوها ، وفي سرعة رفع قوائمها ووضعها - فقال :

* كأنما ترفع ما لم يوضع^(٣) *

ووصف آخر ناقةً بالنشاط والقوة فقال :

* [خرقاء]^(٤) إلا أنها صناع *

وقال الآخر :

* الليل أخفى والنهار أفضح^(٥) *

ووصف الآخر قوساً^(٦) فقال :

* في كفه معطيّة منوع *

(١) أي وأجهد في الود . وفي ط ، س : « وأهدا » .

(٢) ط ، س « وأشياء » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) انظر ما كتب عن هذا البيت في الجزء الثاني ص ٣٥ .

(٤) زيادة هذه الكلمة من ل والمدة (١ : ١٦٨) والبيان (١ : ١٥٠ و ٣ : ٧٢) .

(٥) قبله في البيان (١ : ١٥٠) :

* إنك يا ابن جعفر لا تفلح *

(٦) في الأصل : « فرسا » وهو تحريف ، تجد صوابه في البيان (١ : ١٥٠) وديوان

المعاني (٢ : ٥٩) ، وقد نسب البيت فيهما إلى العكلى ، وهو أبو حزام .

وقال الآخر (١) :

وَمَهْمَهُ فِيهِ السَّرَابُ يَسْبَحُ [كَأَنَّمَا دَلِيلُهُ مَطْوَحٌ] (٢)
يَدَّابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلُحُوا كَأَنَّمَا بَاتُوا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا

ومثل هذا (٣) البيت الأخير (٤) [قوله] :

وَكَأَنَّمَا بَدْرٌ وَصِيلٌ كُتَيْفَةٌ (٥) وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ أَرْمَامٌ

ومثله (٦) :

تَجَاوَزْتُ حُمْرَانَ فِي لَيْلَةٍ وَقُلْتُ قُسَّاسٌ مِنَ الْحَرَمَلِ (٧)

ومن الباب الأول قوله :

عَادَنِي الْهَمُّ فَاعْتَلَجَ كُلُّ هَمٍّ إِلَى فَرَجٍ

وهذا الشعر لجعيفران الموسوس (٨) .

وقال الآخر (٩) :

-
- (١) هو مسعود أخو ذى الرمة ، كما في ديوان المعاني (٢ : ١٢٨) .
(٢) زيادة هذا البيت من ل ، وهو في أصله متأخر عن البيت الذي بعده ، والوجه تقديمه عليه .
(٣) ل : « ومن شاكل » .
(٤) ط : « الآخر » وأثبت ماني س ، ل .
(٥) كتيفة : اسم جبل . وفي س : « كتيفة » . وفي ل : « كتيفة » وهو تحريف ما أثبت من ط .
(٦) ط ، س : « ومنه قول الآخر » . وصاحب الشعر هو أوفى بن مطر الخزاعي ، كما في ذيل أمالي القائل ٩١ . والبيت من سبعة أبيات لها قصة في ذيل الأمالي .
(٧) في ذيل الأمالي : « تجاوزت . اوان » .
(٨) ل : « لجعفر الموسوس » وصوابه في ط ، س . وهو جعيفران بن علي بن أصفر ابن السري ، أبوه من أبناء الجند الخراسانية . ولد جعيفران ونشأ ببغداد ، وكان أدبياً شاعراً ، تغلب عليه السوداء حيناً ، فإذا أفاق قال جيد الشعر . الأغاني (١٨ : ٦١) . وللبيت السابق خبر في الأغاني (١٨ : ٦٢) .
(٩) صاحب الشعر جرير ، كما في نهاية أمالي المرتضى (٤ : ٢٠٢) .

لم أقض من صحبة زيدِ أربي فتى إذا نبهته^(١) لم يغضب
أبيضُ بسامٌ وإن لم يعجب ولا يظن^(٢) بالمتاع المحقّب
موكّلُ النفس بحفظِ الغيب أقصى رفيقه له كالأقرب
وقال دُكين^(٣) :

وقد تعالّت^(٤) ذمّيل العنّس بالسوطِ في ديمومةِ كالترس
* إذعرج الليل بروج الشمس^(٥) *

وقال دُكين أيضاً :

٢٣

بموطنٍ يُنيط فيه المحتسى^(٦) بالمشرفياتِ نطافِ الأنفس^(٧)

-
- (١) هذه الرواية موافقة لما في عيون الأخبار (٣ : ٢٣) .
(٢) س : « يظن » ولعل صواب هذه « يظن » بالبناء للمفعول : أى يتم .
(٣) هو دكين بن رجاء الفقيمي ، وكان من أجازة عمر بن عبد العزيز - وعمر الضنين بإجازة الشعراء - أجازة وهو والى المدينة ، كما أجازة وهو خليفة . الشعراء لابن قتيبة . والرجز يروى في المؤلف ١٠٤ منسوباً إلى منظور بن حبة الأسدي .
(٤) كذا في الأصل والبيان (٣ : ٣٣٤) ، وصواب الرواية : « تعالّت » كما في المؤلف ١٠٤ وزهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان مادة (علل) . يقال : تعالّت الناقة : إذا استخرجت ماعنها من السير . والذمّيل : ضرب من سير الإبل .
(٥) في البيان والمؤتلف : « بروج الشمس » . وعرج الليل : حبسه . والبروج : الظهور .
(٦) س : « الخنّس » وهو تحريف . وينيط : يعلق .
(٧) المشرفيات : السيوف منسوبة إلى مشارف الشام . والنطاف : جمع نطفة ، وهى قليل الماء يبقى في دلو أو قربة . وتعليق النطاف في المشرفيات عبارة عن شدة الحرص على الماء ، وذلك يكون في المهامه الجديدة . وفي ط ، س : « لطاق » ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

وقال الراجز :

طَالَ عَلَيْنَ تَكَالِيفُ السُّرَى وَالنَّصُّ فِي حِينِ الْمَجِيرِ وَالضُّحَى
حَتَّى عُجَاهُنَّ فَمَا تَحْتَ الْعُجْبَى (١) رَوَاعِفٌ يَخْضِبُنَّ مُبَيِّضُ الْحَصَى (٢)
وفي هذه الأرجوزة يقول :

* وَضَحِكَ الْمَزْنَ بِهَا ثُمَّ بَكَى (٣) *

ومن الإيجاز المحذوف قول الراجز ، ووصف سهمه حين رمى غيراً
كيف [نَفَذَ سَهْمَهُ ، وَكَيْفَ] صرّعه ، وهو قوله (٤) :
* حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا (٥) *

(شعر في الاتعاض والزهد)

ومما يجوز في باب الاتعاض قول المرأة وهي تطوفُ بالبيت :

أَنْتِ وَهَبْتَ الْفِتْيَةَ السَّلَاهِبَ (٦) وَهَجْمَةً يَحَارُ فِيهَا الطَّالِبُ (٧)

(١) العجى ، واحدها العجاية والمجاورة بضم العين في كليهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم ، تكون عند رسغ الدابة . والرجز في البيان ٣ : ٣٣٥ .

(٢) رواعف : يسيل منها الدم .

(٣) ط ، س : « البرق » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « يقول » وتصحيحه من ل .

(٥) الشعر في وصف سهم رام أصاب حماراً . انظر البيان ١ : ١٥٠ . يقول :
نجا السهم من جوف الحمار وما نجا الحمار . أو نجا الحمار - من النجو - وما نجا
من الهلاك .

(٦) وهبهم السلاهيب : أى الخيل الطويلة .

(٧) الهجمة : عدد عظيم من الإبل . وانظر البيان ٣ : ١٩٤ .

وَعِنْمًا مِثْلَ الْجَرَادِ السَّارِبِ مَتَاعَ أَيَّامٍ وَكُلُّ ذَاهِبٍ
[ومثله قولُ المسعوديَّ :

أَخْلِفَ وَأَنْطَفَ ، كُلُّ شَيْءٍ زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ ذَاهِبٌ^(١)]
وقال القُمدار^(٢) ، وكان سيِّدَ عَنزَةٍ في الجاهليَّةِ :

أَهْلَكَتْ مُهْرِيَّ فِي الرَّهَانِ لِحَاجَةٍ وَمِنَ اللَّجَاجَةِ مَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
[قال : وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد - وكان فصيحاً :
إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنَّما يُرَجِّي الفتي كما يضرُّ وينفعا]
وقال الأخطل :

مُشْمَسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
وقال حارثة بن بدر :

طَرِبْتُ بِفَانُورٍ^(٣) وَمَا كَدْتُ أَطْرِبُ^(٤) سَفَاهًا وَقَدْ جَرَّبْتُ فِيمَنْ يَجْرِبُ
وَجَرَّبْتُ مَاذَا العَيْشُ إِلَّا تَعِلَّةٌ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَنْجَنُونَ يَقْلَبُ^(٥)
وَمَا اليَوْمُ إِلَّا مِثْلُ أَمْسِ الَّذِي مَضَى وَمِثْلُ غَدِ الجَائِي وَكُلُّ سَيِّذِهِبٍ^(٦)

(١) في اللسان : أخلف فلان لنفسه : إذا كان قد ذهب له شيء فجعل مكانه آخر
وأما « أنطف » فلم أهد إلى وجه فيها ، وهي في البيان ٣ : ١٩٤ ، ٢٥٢ ،
و ٤ : ٦٩ : « أتلف » .

(٢) ط ، س : « الفرار » وأثبت ما في ل .

(٣) فانور : اسم موضع ، أو واد ببلاد نجد . في ط : « بفانور » وصوابه في س ، ل .

(٤) ل : « تطرب » .

(٥) في شرح شواهد المغنى للسيوطي ٧٩ : « المنجنون بفتح الميم : « الدولاب الذي

يستقى عليه . وجمعه مناجين وهو مؤنث » . فالوجه : « تقلب » . ومثله قول القائل :

وما الدهر إلا منجوناً بأهله وما صاحب الحاجات إلا معذبا

(٦) منع تنوين : « غد » لضرورة الشعر . وربما كانت الرواية : « أمسى » و « غدى »
بالإضافة إلى ياء المتكلم .

وقال حارثة بن بدر الغداني (١) أيضاً :

إذا الهمُّ أمسى وهو داءٌ فألقه ولست بممضيه وأنت تعادله (٢)
فلا تنزلن أمرَ الشديدةِ بامرئٍ إذا رامَ أمراً عوقته عواذله
وقل للـفـواد إن نزا بك نزوةً
من الروع أفرخ أكثرُ الروع باطله

(شعر في الغزو)

وقال الحارث بن يزيد (وهو جدُّ الأَحيمِر السَّعديُّ) وهو يقع في باب
الغزو وتمدحهم ببعده المغزى (٣) :

لَا لَأَعْقُ وَلَا أَحُو ب وَلَا أُغِيرَ عَلَيَّ مُضِرٌ
لَكِنَّمَا غَزَوِي إِذَا ضَجَّ الْمَطِيُّ مِنَ الدَّبْرِ
وقال ابن محفّض (٤) المازنيُّ :

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع . قال أبو الفرج :
كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك
النبي صلى الله عليه وسلم . وله أخبار في الفتوح . وذكر المبرد في الكامل
أنه غرق في ولاية عبد الله بن الحارث على العراق . وذلك سنة أربع وستين .
الإصابة ١٩٣٣ . وفي ط ، س : « الفزاري » وصوابه في ل ، كما يتضح
من نسبه وكما في أمالي المرتضى ٢ : ٤٧ حيث يوجد الشعر الآتي .

(٢) رواية المرتضى واللسان ١٣ : ٤٦٢ : « فأمضه » . تعادله ، هو من قولهم :
أنا في عدال من هذا الأمر - بكسر العين - أي في شك منه ، أمضى عليه أم أتركه .
يقول : اجزم بطرد الهم ولا تتردد في ذلك .

(٣) المغزى : الغزو ، أو مكانه . والبيتان الآتيان سبقا في الحيوان ١ : ٣٣ وهما
كذلك في البيان ٣ : ٢٠٠ .

(٤) ط ، س : « مخفض » . وقد اختلف في ضبط هذا الاسم ، ولذلك قصة في خزانة =

ان تكِ دِرْعِي يَوْمَ صَحْرَاءِ كَلْبِيَّةٍ (١) أَصِيبَتْ فَمَا ذَا كُمْ عَلَيَّ بِعَارِ
 أَلَمْ تَكِ مِنْ أَسْلَابِكُمْ قَبْلَ ذَا كُمْ عَلَيَّ وَقَبِي يَوْمًا وَيَوْمَ سَفَارِ (٢)
 [فتلكِ سراييل ابن داودَ بيننا عوارِي والأيام غير قصارِ (٣)
 ونحن طردنا الحميَّ بَكْرَ بنِ وائلِ إِلَى سَنَةِ مِثْلِ الشَّهَابِ وَنَارِ (٤)
 ومومٍ وطاعونٍ وموميَّ وحصبَةٍ وذِي لِبْدِي يَغْشَى المَهْجِجَ ضَارِي (٥)
 وحكمِ عَدُوِّ لَاهَوَادَةَ عِنْدَهُ وَمَنْزِلِ ذَلِّ فِي الحَيَاةِ وَعَارِ

= البغدادى ٢ : ٥١٠ - ٥١١ بولاق . وأصوب الأقوال فى ضبطه ما أثبت من ل .
 وابن محفض هذا ، هو حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض ، من بنى مازن
 ابن عمرو بن تميم . قال المرزبانى : هو مخضرم له فى الجاهلية أشعار ، وعاش
 إلى أن أدرك الحجاج ، وله معه قصة ؛ فإنه سمع على المنبر وهو يقول :
 بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا
 فقام إليه حريث ، وهو شيخ كبير ، فقال : أيها الأمير ، من يقول
 هذا ؟ قال : حريث بن محفض المازنى . فلما نزل دعاه فقال : ما حلك على
 قطع الخطبة على ؟ قال : أنا حريث بن محفض ، فإنك أنشدت شعرى فأخذتني
 أريحته ! قال : فخلاه . الإصابة ١٩٦٨ وانظر ذيل الأمالى ٨١ .

(١) كلبية ، بضم الكاف : واد من أودية العلاة باليمامة لبنى تميم . وفى ط ، ل ، « كلبية »
 وصوابه من م ومعجم البلدان . وفى ذيل الأمالى : « يوم صحراء كلبية ، وهى
 موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل » .

(٢) فى ذيل الأمالى : « الوقبى ، وكذلك سفار : ما لبنى مازن » .

(٣) زدت هذا البيت من معجم البلدان وذيل الأمالى . وسراييل : دروع . وابن داود
 هو سليمان ، وقد أخطأ حريث فنسب الدروع إليه . وإنما تنسب لداود نفسه
 وانظر نظير هذا الخطأ فى شعر النابغة والحطيئة فى المعرب للجوالقي ص ٨٥ - ٨٦ .
 عوارى : جمع عارية . بتشديد الياء وتخفيفها ، وهو ما يعار .

(٤) قال أبو على : سنة ، أراد أسكناهم السواد وهو بلد وباء . وروى أبو على :
 « مثل السنان » .

(٥) الموم ، بالضم : الجدرى الكثير المتراكب . والمهيجج : من يزجر السبع
 يصيح به : هيج هيج .

وقال آخر (١) :

خُذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمْ الْقَوْمَ عَقْلَكُمْ

وكونوا كَمَنْ سِيمَ الْهُوَانَ فَأَرْتَعَا (٢)

ولا تُكثِرُوا فِيهَا الضُّجَّاجَ فَإِنَّهُ نَحَا السَّيْفَ مَا قَالَهُ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا (٣)

وقال أبو ليلى :

كَانَ قَطَاتِهَا كُرْدُوسٌ فَحَلَّ مَقْلُصَةً عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ (٤)

(شعر في السيادة)

وقال أبو سليمان (٥) :

لأبدٍ للُسُودِ (٦) من أرماحٍ ومن سفِيهِ دائمٍ النَّبَاحِ

(١) هو الكميث بن ثعلبة كما في خزانة الأدب ٤ : ٥٦٠ بولاق والمؤتلف ١٧٠ .
أو هو الكميث بن معروف ، كما في حماسة البحترى ١١ ، وشرح التبريزي
لحماسة ١ : ٢٠٦ .

(٢) سيم الهوان : كلف النذل . وأرتع : من أرتع إبلة : جعلها تأكل ماشاءت
وهذه رواية ل ، والخزانة . وفي ط ، س : « فأتبعا » وفي حماسة البحترى :
« فأربعا » .

(٣) ابن دارَةَ هو سالم بن مسافع بن يربوع ، كان يهجو بني فزارة هجوا شنيعا ، فقتله
زميل الفزاري ، فقال الكميث ذلك ، يريد أن الفعل أفضل من القول . انظر شرح
الحماسة للتبريزي ، وخزانة الأدب ٤ : ٥٦٢ بولاق .

(٤) القطة : العجز ، أو ما بين الوركين . والكردوس ، بالضم : كل عظم كثير
اللحم . وكلمة « ساقى » هي في الأصل : « سلقى » ولاوجه لها ، وتصحيحها
كما سبق في الجزء الأول ص ٢٧٤ .

(٥) س : « سلمى » . وقد سبق الرجز في الجزء الأول ٣٥٢ .

(٦) ط ، س : « للُسود » ، وتصحيحه من ل والجزء الأول .

• وَمِنْ عَدِيدِ يُتَّقَى بِالرَّاحِ •

وقال الهذلي :

وإنَّ سيادةَ الأَقوامِ فاعلمَ لها صعداءُ مَطلبها طويلٌ (١)

وقال حارثة بن بدر (٢) ، وأنشده سفيان بن عيينة (٣) :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِ

(شعر في هجاء السادة)

وقال أبو نخيلة :

وإنَّ بقومٍ سَوِّدوكَ لَفَاقَةً إلى سَيِّدٍ ، لو يظفرون بسيدٍ

وقال إياس بن قتادة ، في الأحنف بن قيس :

وإنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لو أَطَعْتَهُ دَعَاكَ إلى نارٍ يَفُورُ سَعِيرها (٤)

وقال حميضة (٥) بن حذيفة :

أَيظلمهم قسراً فتباً لسعيهِ وكل مطاعٍ لا أبالك يظلمُ

(١) انظر كلامي على هذا البيت في الجزء الثاني ص ٩٥ .

(٢) في الأصل : « الحارث بن بدر » صوابه في البيان ٣ : ٢١٩ وأمال المرتضى

٢ : ٥٣ . وانظر أمال الزجاجي ٢١ .

(٣) سفيان بن عيينة ذكره ابن قتيبة في المعارف ٢٢١ في أصحاب الحديث ،

ولد سنة سبع ومائة ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة . قال : وكان أشد

الناس اختصاراً . سئل عن قول طائوس في ذكاة السمك والجراد ، فقال :

ذكاته صيده . وجاء في العقد ١ : ٢٩١ : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات

نظراؤه من العلماء ، تكاثر الناس عليه ، فأنشد يقول : خلت الديار . . . الخ .

(٤) س : « يفود سعيها » . والبيت في البيان ٣ : ٣٣٦ .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « حميضة » .

وقال آخر :

فأصبحت بعد الحلم في الحى ظالما تخمط فيهم والمسود يظلم^(١)

وكان أنس بن مدركة^(٢) [الخثعمى] يقول :

عزمت على إقامة ذى صباحٍ لأمرٍ ما يسود من يسود^(٣)

[وقال الآخر :

كما قال الحمار لسهمٍ رامٍ لقد جمعت من شيء لأمر

وقال أبو حية :

إذا قلن كلاً قال والنقع ساطعٌ بلى ، وهو واهٍ بالجراء أباجله [

وقال آخر^(٤) :

إني رأيت أبا العوراء مرتفعاً^(٥) بشط دجلة يشرى التمر والسماكا

كشدة الخيل تبقى عند مذودها والموت أعلم إذ قفى بمن تركا^(٦)

هذه مساعيك في آثار سادتنا ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

(١) التخمط : السكبر والغضب .

(٢) أنس بن مدركة ، أو ابن مدرك : شاعر جاهلى . انظر تحقيق العلامة الراجكوتى فى حواشى الخزانة ٣ : ٨٠ سلفية . وفى ل : « إياس بن مدركة » وهو تحريف .

(٣) هذا البيت من شواهد سيويه ١ : ١١٦ بولاق ، وقد تكلم فيه صاحب الخزانة ٣ : ٧٧ سلفية .

(٤) الأبيات تجدها أيضا فى الجزء الخامس ص ٥٩٨ .

(٥) فى الجزء الخامس : « مرتفعا » .

(٦) فى س ، وكذا فى الجزء الخامس : « كشرة الخيل » . وفى ل : « كثرة » وكلمة « تبقى » ساقطة من س وهى فى الجزء الخامس « تبخى » . و : « إذ قفى » هى فى الجزء الخامس « من يدنى » .

وقال شتيم بن خويلد ، [أحد بنى غراب بن فزارة] :

وقلت لسيدنا يا حلِيمُ إنك لم تأسُ أسوأَ رفِيقاً^(١)
أعنتَ عدياً^(٢) على شأوها تُعادي فريقاً وتُتبعُ فريقاً
زحرت^(٣) بها ليلةٌ كلَّها فجئتَ بها مؤيداً خنفيقاً^(٤)
وقال ابن ميادة^(٥) :

أثبتُ ابن قشراءِ العِجانِ^(٦) فلم أجِدُ لدى بابهِ إذناً يسيراً ولا نُزلاً^(٧)
وإنَّ الذي ولأكَ أمرَ جماعةٍ لأنقصُ من يمشي على قَدَمِ عَمَلا

(شعر في المجد والسيادة)

وقال آخر^(٨) :

ورثنا المجد عن آباءِ صِدقِ أسأنا في ديارِهِمُ الصنِيعا

(١) أنشده ابن الأنباري في الأضداد ٢٢٥ وقال : « أراد يا حلِيم عند نفسك ، فأما عندي فأنت سفيه » .

(٢) كذا في ل ، ومعجم المرزباني ٣٩٢ والبيان ١ : ١٨١ . وفي ط ، س : « عليا » .

(٣) زحرت ، من الزحير ، وهو النفس بأنين .

(٤) قال الجاحظ في البيان : « مؤيد : داهية . خنفيق : داهية أيضا » . ط : « مريدا خنفيقا » ، وتصحيحه من ل ، س ، والبيان .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقال آخر » . وجاء في الجزء الخامس نسبة البيتين إلى ابن أحر .

(٦) القشراء : الشديدة الحمرة . والرواية في الجزء الخامس : « حمراء » .

(٧) « يسيراً » هي في ط ، س : « يسر » ، وأثبت مافي ل ، والجزء الخامس . والنزل أصله بضم النون والزاي ، وسكن للشعر . والنزل : ما أعد للضيف .

(٨) هو معن بن أوس المزني ، كما في الأغاني ١٠ : ١٥٨ . والبيتان كذلك في عيون الأخبار ٤ : ١١٣ .

إذا المجد الرفيع تعاورته بُناة السوء أوشك أن يضيعا
وقال الآخر :

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه أنا السيد المفضى إليه المعتم^(١)
ولم يعطهم خيراً أبوا أن يسودهم وهان عليهم رغمه وهو أظلم^(٢)
وقال الآخر (٣) :

٢٦

زكت لبحرٍ درهبيه ولم يكن ليدفع عني خلتي درهما بحر^(٤)
فقلت لبحرٍ خذهما واصطرفهما وأنفقهما في غير حمدٍ ولا أجر
أتمنع سؤال العشرة بعد ما تسميت بحراً وأكنت أبا الغمر
وقال الهدلي :

وكنت إذا ما الدهر أحدث نكبة أقول شوى ، مالم يُصين صميمي^(٥)
وقال آخر في غير هذا الباب :

سقى الله أرضاً يعلم الضبُّ أنها بعيدٌ من الأدواء^(٦) طيبة البقل
بنى بيته في رأس نشزٍ وكذبة^(٧) وكلُّ امرئٍ في حرفة العيش ذو عقل

(١) في عيون الأخبار ١ : ٢٤٨ : « المفضى إليه المعظم » . ونسب في أمالي الزجاجي ١٨ إلى المغيرة بن حبناء .

(٢) في حاسة ابن الشجري ١٠٠ : « وهان عليهم فقهه » .

(٣) في المقدم ٢ : ٢٧٥ : « سأل أعرابي رجلاً يقال له عمرو ، فأعطاه درهين ، فردهما عليه فقال » ، وأنشد البيهقي الأولين ، برواية « عمرو » مكان : « بحر » . وفي محاضرات الراغب ٢ : ١٥٢ : « ولى رجل يقال له البحر ، ويكنى أبا الغمر بعض كور خراسان ، فدحه شاعر فأعطاه درهين فقال » . وأنشد البيهقي الأولين . وانظر عيون الأخبار ٣ : ١٤٣ .

(٤) في الأصل : « بحري » وهو تحريف . والخلة بالفتح : الحاجة والفقر .

(٥) أنشد ابن الأنباري هذا البيت في الأضداد ١٩٩ وقال : شوى أى هين حقير .

(٦) الأدوية : جمع داء ، وفى ل : « الأرواء » .

(٧) فى الأصل : « بنا » . النشز : المكان المرتفع . والكذبة : الأرض الغليظة .

(أبو الحارث جَمِين والبرذون)

وحدّثني المكيُّ قال : نظر أبو الحارث [جَمِين]^(١) إلى برذون يُسْتَقَى عليه ماءٌ ، فقال : المرءُ حيثُ يَضَعُ نَفْسَهُ^(٢) ! هذا لو قد هَمَلَجَ لم يُبْتَلِ بِماترى !

(بين العقل والحظ)

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابي :

وما نُبِّئُ^(٣) الأبيبَ بغيرِ حظٍّ بأغنى في المعيشة من فَتِيلِ^(٤)
رأيت الحظَّ يَسْتُرُ كلَّ عَيْبٍ وَهَيْهَاتَ الحُظُوظُ من العقول

(١) كذا في ل ، وفي مواضع متعددة من البيان ، وصاحب القاموس يرى هذا خطأ ، وأن صوابه « جهيز » قال - في مادة جن - : « ضبطه المحدثون بالنون والصواب بالزاي المعجمة ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جهيزا قد أوقى الحكمة والميزا »

(٢) بدل هذه في البيان ٢ : ١٠٢ :

* « وما المرء إلا حيث يجعل نفسه » *

وهو صدر بيت لحريث اللحام (اللوساطة ١٥٦) وعجزه :

* فأبصر بعينيك امراً حيث يعمد *

(٣) ط ، س : « لبث » ، وتصحيحه من ل .

(٤) الفتيل : الهنة التي في شق النواة . وفي ط : « فتيل » تحريف ما في س ، ل .

(هجو الخلف)

وقال الآخر (١) :

ذهبَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ سَلْفًا (٢) وَبَقِيَتْ كَالْمَقْهُورِ فِي خَلْفٍ (٣)
مَنْ كُلُّ مَطْوِيٍّ عَلَى حَنْقٍ مُتَضَجِّعٍ يُكْفَى وَلَا يَكْفِي (٤)

(عبد العين)

وقال آخر :

وَمَوْلَى كَعْبِدِ الْعَيْنِ أَمَا لِقَاؤُهُ فَيَرْضَى وَأَمَا غَيْبُهُ فَظَنُونُ (٥)
ويقال للمرائي ، ولمن إذا رأى صاحبه تحرك له وأراه الخدمة والسرعة
في طاعته فإذا غاب عنه وعن عينه خالف ذلك : « إِنَّمَا هُوَ عَبْدُ عَيْنٍ (٦) » .

(١) هو الأحوص ، كما في البيان ٢ : ١٨٤ . والبيتان أيضا فيه ٣ : ٣٣٦ .

(٢) ل : « أحب قريتهم » . وفي البيان : « أحبهم فرطا » .

(٣) في الجزء الثاني من البيان : « كالمقهور » . وفي الثالث : « كالمقهور » .
وكلمة « خلف » هي في ط : « خلق » محرفة .

(٤) المتضجع : من تضجع في الأمر ، إذا تقعد ولم يقم به .

(٥) في ثمار القلوب ٢٦٣ : « فئنين » ، وهو تحريف ما هنا . وفي البيان

٣ : ٢٠٤ :

ومولى كداء البطن أما لقاءه فحل وأما غيبه فظنون

والظنون بالفتح كالظنين : وهو المتهم الذي لا يوثق به . ويصح أن تقرأ بضم
الظاء جمعا للظن .

(٦) للميداني مثل هذا الكلام في أمثاله ٢ : ٣٢٠ وزاد : « وكذلك يقال :

فلان أخو عين ، وصديق عين : إذا كان يراني فيرضيك ظاهره » .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدَّهُ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدَّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائماً ﴾ .

(من إيجاز القرآن)

وقد ذكرنا أبياتاً تُضاف إلى الإيجاز وقلة الفُصول ، ولي كتابٌ جَمَعْتُ فيه آياً من القرآن ؛ لتعرفَ بها [فصل] ما بين الإيجاز والحذف ، وبين الزوائد والفُصول والاستعارات ، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة [على الذي كتبتُه لك في باب الإيجاز وترك الفُصول] . فمنها قوله حينَ وصفَ خمرَ أهلِ الجنة : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ . وهاتان الكلمتان قد جَمَعْتَا جميعَ عُيوبِ خمرِ أهلِ الدنيا .

وقوله عز وجل حينَ ذكرَ فاكهةَ أهلِ الجنة فقال : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ . جمع بهاتين الكلمتين جميعَ تلك المعاني . [وهذا كثيرٌ قد دللتك عليه ، فإن أردته فوضعه مشهور] .

(رأى أعرابي في تسمير المال)

وقال أعرابيٌّ من من بني أسد :
يقولون ثمرٌ ما استطعت ، وإنما لوارثه ما ثمرَ المالَ كاسبه
فكله وأطعمه وخالسه وارثاً شحيحاً ودهراً تغتريك نوابه^(١)

(١) خالسه ، من الخالسة ، وهي الأخطى في نهزة ومخالفة .

(شعر في الهجاء)

وقال رجلٌ من بني عَبَس :

أبلغ قراداً لقد حَكَمْتُمُ رجلاً^(١)

لا يَعْرِفُ النِّصْفَ بل قد جَاوَزَ النُّصْفَا^(٢)

كان امرأً ثاراً والحقُّ يَغْلِبُهُ فجانِبَ السَّهْلِ سَهْلَ الحَقِّ واعتَسفا
وذاكُمْ أَنَّ ذُلَّ الجارِ حالفَكُمْ وَأَنَّ أنْفَكُمْ لا يَعْرِفُ الأنفا
إِنَّ المحْكَمَ ما لم يَرْتَقِبْ حَسَباً

أَوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أو حَدَّ القَنَا جنفاً^(٣)

مَنْ لا ذبَ بالسَّيْفِ لاقى قَرْضَه عجباً^(٤) موتاً على عَجَلٍ أو عاش مُنتَصِفاً
بيعُوا الحياةَ بها إذ سامَ طالِبُها إِمَّا رَواحاً وإما مِيتَةً أنفاً^(٥)

(١) ط ، س : « أبلغ فؤادى لقد حركتمو » ، وهو تحريف ما أثبت من ل .
وقراد : اسم قبيلة .

(٢) النصف مثلثة والنصفة بالتحريك : الإنصاف . والنصف بالتحريك : الاسم
منه . والأبيات في البيان ١ : ٢١١ .

(٣) جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٤) القرض ، أصله : ما يتجازى به الناس بينهم . وجاء في ل ، والبيان ١ :
٣١١ : « فرصة » .

(٥) يقول : بيعوا الحياة بالحياة . ويقال سام بالسلعة وسام واستام بها وعليها : غالى .
وقد تعدى الفعل هنا بنفسه . في ط ، س : « نام » وليس بشيء .
وأثبت ما في ل .

ليس امرؤ خالداً والموتُ يطلبهُ هاتيك أجسادُ عادٍ أصبحتُ جيفاً
أبلغُ لديكَ أبا كعبٍ (١) مغلغلةً أن الذي بيننا قد مات أو دنفنا (٢)
كانت أمورٌ فجابت عن حلومكم ثوب العزيمة حتى انجاب وانكشفا (٣)
إني لأعلمُ ظهرَ الضغنِ أعدله عني ، وأعلمُ أني آكلُ الكتفا (٤)

(شعرٌ حكيمٌ)

وقال أسقفُ نجران (٥) :

منعَ البقاءَ تصرفُ الشمسِ وطلوعُها من حيث لا تُسمي
وطلوعُها بِيضاءٍ صافيةً وغروبُها صفراءُ كالورس
اليومَ أعلمُ ما يجيءُ بهِ ومضى بفضلِ قضائه أُمس

(١) ل : « سعد » . والمغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد .

(٢) دنف : براه المرض حتى أشفى على الموت . وفي س : « قد بات » محرف .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « فجافت » و « مال فانكشفا » .

(٤) كذا في ل ، وفي ط ، س : « أين آكل » . وقولهم : « يعلم من أين تؤكل الكتف » كناية عن الخدق .

(٥) الشعر نسب في معاهد التنصيص ٢ : ١٢١ وكذلك الصناعتين ١٩٢ إلى بعض

ملوك اليمن . ونسب في العتمد ٢ : ١٢٢ إلى عابد من نجران ، وفي معجم

المرزبانى ٣٣٩ إلى القمقام بن المياهل ، وهو تبع الثاني أو الثالث ، ملك حضرموت

واليمن . وانظر خبراً متعلقاً به في كل من زهر الآداب ٣ : ١٨٣ وذيل أمالي القالي ٢٩ .

وقال عبيد بن الأبرص (١) :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَثُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَثُوبُ
مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَحْبِبُ
[وَعَاقِرٌ مِثْلُ ذَاتِ رَحْمٍ وَغَانِمٌ مِثْلُ مَنْ يَحْبِبُ]
أَفْلِحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُبْلَغُ (٢) بِالضَّمِّ عَفْ وَقَدْ يُخَدَعُ الْأَرِيبُ ٢٨
المرءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبِ طُولُ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْدِيبُ
وقال آخر (٣) :

إِذَا الرَّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضَادُهَا
وَجَعَلَتْ أَوْصَابُهَا تَعْتَادُهَا فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

(مرثية محمد المخلوع)

وقالت بنت عيسى بن جعفر (٤) ، وكانت مُمْلَكَةً (٥) لمحمد (٦) المخلوع

حينَ قتل :

(١) كذا في ل . والشعر من قصيدته المشهورة التي أولها :

أفقر من أهله ملحوب فالقطيبات فالذنوب

(٢) ل : « يدرك » .

(٣) هو زر بن حبيش . قاله وقد حضرته الوفاة . وكان قد عاش مائة وعشرين سنة .
انظر أدب الدنيا والدين ١٠٨ . والرجز أيضاً في الحيوان (٦ : ٥٠٦) والعقد
(٢ : ٢٦٨) ومعجم الأدباء ١٦ : ١٢٤ .

(٤) عيسى بن جعفر ، هو حفيد أبي جعفر المنصور ، ولي البصرة وكورها وفارس
والأهواز واليمامة والسند ، ومات بدير بين بغداد وحلوان . المعارف ١٥٦ - ١٦٦ .
(٥) مملكة ، من الإملاك ، وهو عقد الزواج . وفي ط « ملكها » وهو
تحريف ما أثبت من ل ، س .

(٦) محمد المخلوع ، هو الأمين بن هارون الرشيد . وفي العقد (٢ : ١٧٨) أن
اسم المرأة لبانة بنت ريطة بن علي ، وفي مروج الذهب (٢ : ٣١٦ بهية) أنها
لبانة ابنة علي بن المهدي ، وفيها زيادة في الشعر . وفي البيان (٣ : ١٢١) أنه لامرأة في
بعض الملوك . وفي الطبری ١٠ : ٢١٠ أن الشعر ، للباية أو لابنة عيسى بن جعفر .

أَبِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأَنْسِ بَلْ لِلْمَعَالِي وَالرُّمَحِ وَالْفَرَسِ
أَبِي عَلَى فَارِسٍ فُجِعْتُ بِهِ أَرْمَلَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ

(من نعت النساء)

وقال سلم الخاسر (١) :

تَبَدَّتْ قَلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا بِجِدِّ نَقِيَّ اللَّوْنِ مِنْ أَرِّ الْوَرْسِ (٢)
فَلَمَّا كَرَّرْتُ الطَّرْفَ قَلْتُ لَصَاحِبِي عَلَى مِرْيَةٍ : مَا هَاهُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ !

(١) هو سلم بن عمرو ، مولى بنى تيم بن مرة ، شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدي والهادي والبرامكة . قالوا : سمي بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفا فباعه واشترى طنبوراً . وهو صاحب البيت المشهور :

من راقب الناس مات غمًا وفاز بالذمة الجسور

كان سلم تلميذ بشار بن برد وراويته . وجاء اسمه في الوفيات برسم « سالم » وهو خطأ . انظر الأغاني (٢١ : ٧٣ - ٨٤) وتاريخ بغداد ٤٧٥٤ .
وبما ينص على تعيين اسمه قول أبي المتاهية له :

سلم ياسلم ليس دونك سر حبس الموصلى فالعيش مر
وقوله :

إنما الفضل سلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك
وقوله :

والله والله ما أبالي متى ماتت ياسلم بعد ذا السفر
وقوله :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

(٢) « الشمس » يصح قرأتها بالنصب ، يجعل « قلت » بمعنى ظننت . ويصح الرفع بتقدير « هي » . ل : « بجلد غني اللون أثر كالورس » .

(شعر رثاء)

وقال الآخر (١) :

كَفَى حَزَنًا بَدْفِكَ ثُمَّ أَنَّى نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّ
وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا (٢)

باب

من المديح بالجمال وغيره

قال مزاحم العقبلي :

يَزِينُ سَنَا الْمَاوِيَّ (٣) كُلَّ عَشِيَّةٍ عَلَى غَفَلَاتِ الزَّيْنِ وَالْمَتَجَمَّلِ (٤)
وَجَوْهٌ لَوْ أَنَّ الْمُدْجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي (٥)
وقال الشمرذل :

إِذَا جَرَى الْمَسْكُ بِنَدَى فِي مَفَارِقِهِمْ رَاخُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكُرْمِ

(١) هو أبو العتاهية يرثى على بن ثابت الأنصاري ، كما في معاهد التنصيص (٢) : (١٨٥) . أو ولدا له كما في المقد (٢ : ١٥٦) . وانظر للكامل ٢٣٠ . لبيك وذيال الأمال ص ٢ ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) .
(٢) انظر لهذا البيت الاستدراكات .
(٣) الماوي : لغة في المساوية أي المرأة ، أو جمع لها عند ابن الأعرابي . وفي ط : « الماذي » وفي س : « الماзи » وفي ل : « المادي » وكل ذلك تحريف ما أثبت ، كما في اللسان (مادة موى) والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) .
(٤) في الأصل : « والمتحمل » وصوابه من اللسان والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) ومجالس ثعلب ٢٧٧ . وهي مصدر من تجمل .
(٥) انظر تفسيره في اللسان (عشا ٢٨٧) .

يشبهونَ ملوكاً من تجلّتهم^(١) وطولِ أنضية الأعناقِ والأُم^(٢)
[النضى^٣ : السهم الذى لم يرش ، يعنى أن أعناقهم مُلس^٤ مستوية^(٣)
والأُم^(٤) : القامات] .

وقال القتال الكلابي :

٢٩ . ياليتنى ، والمنى ليست بنافعة^(٥) مالكٍ أو لحصنٍ أو لسيارٍ^(٦)
طوال أنضية الأعناقِ لم يجذوا ریحَ الإمام إذا راحت بأزفار^(٧)
لم يرضعوا الدهرَ إلا ندىً واضحةً لو أصبح الوجه يحمي باحة الدار^(٨)
وقال آخر :

إذا كان عقلٌ قاتمٌ إنَّ عقلنا إلى الشاء لم تحلُّ علينا الأبايرُ
وإنَّ امرأً بعدي يُبادل^(٩) وُدَّكم بُودَّ بنى ذبيان مولى نحاسيرُ

(١) ل وكذا الكامل (٣٥ ليسك) ، وأمالى القالى (١ : ٢٣٨) : « فى تجلّتهم » .
وللتجلة : العظمة . وفى المقد (٦ : ٢٢٨ لجنة التأليف) : « فى مجلّتهم » . ورواية
الحماسة (٢ : ٢٧٨) : « يشبهون سيوفاً فى صرامتهم » .

(٢) كذا جاءت الرواية فى ل والأمالى والحماسة ، ويروى : « اللم » جمع
لمة ، بكسر اللام ، وهو شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة .

(٣) جاء فى الكامل : « فالنضى مركب النصل فى السنخ . وضربه مثلاً . وإنما أراد
طوال الأعناق » .

(٤) الأُم : جمع أمة ، بضم الهنزة .

(٥) ل : « بمغنية » .

(٦) قال المبرد فى الكامل ٣٥ ليسك : « وقوله لمالك أو لحصن أو لسيار » ، فهؤلاء
بيت فزارة » ، يريد موضع الشرف فيهم .

(٧) الأزفار : جمع زفر بالكسر ، وهو الحمل بالكسر ، كما فى الكامل واللسان

(مادة زفر) . وفى س : « بأذفار » فيكون جمع زفر بالتحريك ، وهو
خبث الريح .

(٨) قال المبرد : واضحة : أى خالصة فى نسبها ، وليست بأمة .

(٩) فى هامش س : « خ : تبدل » أى فى نسخة .

أولئك قومٌ لا يُهان هديهم^(١) إذاصرحت كحلٌ وهبت أعاصير^(٢)
مذاليق^(٣) بانحليل العناق إذاعدوا^(٤) بأيديهم خطيةً وبواتير

وقال أبو الطمّحان القيني في المعنى الذي ذكرنا :

كم فيهم من سيّدٍ وابن سيّدٍ وفي بعقد الجار ، حين يفارقه
يكاد الغمام الغرّ يُرعدُ أن رأى وجوه بني لأمٍ وينهلُ بارقه

وقال لقيط بن زرارة^(٥) :

ولائي من القوم الذين عرفتم إذا مات منهم سيّدٌ قام صاحبه
نجومٌ سماءٍ كلما غار كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه^(٦)

وقال بعض التميميين ، يمدح عوف بن القعقاع بن معبد بن زرارة :

بحقّ امرئٍ سرو عتية خاله^(٧) وأنت لقعقاع وعمك حاجبٌ
[دراري نجومٌ كلما انقضّ كوكبٌ بدا كوكبٌ ترفض عنه الكواكب]

(١) الهدى : الرجل ذو الحرمة ، يأتي القوم يستجير بهم أو يأخذ منهم عهدا . فهو مالم يجر أو يأخذ العهد هدى ، فإذا أخذ العهد منهم فهو حينئذ جار لهم . اللسان (هدى) .

(٢) كحل ، بالفتح ، هي السنة والجدب ، . وصرحت : صارت خالصة في شدتها وجدبها . وهو مثل . انظر الميداني ٢ : ٣٧٠ واللسان . وفي س : « كهل » محرفة .

(٣) كذا في ل . والمذلاق : السريع الجرى ، جسمه مذاليق . وفي ط ، س : « مداليف » من الدليف ، وهو المسمى الرويد . وليس يصح المعنى به .

(٤) ل : « غزوا » .

(٥) الشعر منسوب إلى أبي الطمّحان القيني في الكامل ٣٠ لبيك والوساطة ١٥٩ والحامسة (٢ : ٢٧٢) .

(٦) الجزع ، بالفتح : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض .

(٧) كذا في ط ، س . وفي ل : « يمسرو عتية » ، وفي الشطر تحريف .

وقال طفيلُ الغنويُّ :

وكانَ هُرَيْمٌ مِنْ سِنانِ خَلِيفَةَ وعَمرو ومِن أسماءَ لَمَّا تَغَيَّبُوا
نَجُومُ ظلامِ كَلِما غابَ كوكبُ بَدَاسِطِعا في حِنْدِسِ اللَّيْلِ كوكبُ^(١)

وقال الحرَّيميُّ^(٢) ، يمدحُ بنيَ حُرَيْمِ^(٣) ، من آلِ سنانِ بنِ أبي حارثة :

بِقِيَّةِ أَقْمارٍ مِنَ الغُرِّ لو خَبَتُ^(٤) لَظَلَّتْ مَعَدُّ في الدُّجَى تَتَكسَعُ^(٥)

إذا قَرُّ مِنْهُم تَغَوَّرَ أو خَبَا بَدَا قَرُّ في جَانِبِ اللَّيْلِ^(٦) يَلْمَعُ

وقال بعضُ غنِيٍّ^(٧) ، وهو يمدحُ جَماعَةَ إِخوةَ ، أنشدنيها أبو قَطَنَ ،

الذي يقال له شهيد الكرم :

حَبْرٌ ثَناءٌ^(٨) بنيَ عَمْرِو فَإِنَّهُمُ أُولُو فَضولٍ وَأَنْفالٍ وَأَخْطارٍ^(٩) ٣٠

إِنْ يُسألُوا الخَيْرَ يُعْطُوهُ ، وَإِنْ جُهِدُوا فَالجُهدُ يُخْرِجُ مِنْهُمُ طيبَ أَخْبارٍ^(١٠)

(١) ديوان طفيل ١٨ والبيان ٣ : ٣٣٧ . ل : « نجوم أسماء » . ل ، س : « غار

كوكب » . ل : « بدا وانجلى عنه الدجى كوكب » .

(٢) الحرَّيميُّ بالراء تقدمت ترجمته في الجزء الأول ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٣) ط ، ل : « حريم » ، وتصحيحه من س . وانظر ترجمة الحرَّيميُّ .

(٤) ط ، س : « أقوام » موضع « أقمار » . و « الفر » هي كذلك في س .

وفي ل : « المر » ، وفي ط : « المر » ، محرفتان .

(٥) في اللسان : « وتكسع في ضلاله : ذهب ، كتكسع . عن ثعلب » .

(٦) الرواية في الوساطة ١٥٩ : « في جانب الأفق » .

(٧) أي أحد الغنويين . وانظر التحقيق الخاص به في الجزء الثاني ص ٨٩ .

(٨) ط ، س : « خبر ثنائى » وتصحيحه من ل . والتجبير : تحسين الخط

أو الكلام أو الشعر .

(٩) الفضول : ما يتبقى من الغنائم حين تقسم ، يختص بها الرئيس .

(١٠) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

وإن توددّتهم لأنوا ، وإن شهموا كشفت أذمار حربٍ غيرٍ أغار^(١)
من تلق منهم ثقُلٍ لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
وقال رجلٌ من بني نهشل^(٢) :

إني لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الكُماةِ إلا أين المحامونا
لو كان في الألفِ منّا واحدٌ فدعوا من فارسٍ خالهم إياه يعنونا^(٣)
وليس يذهب منّا سيّدٌ أبداً إلا افتلينا غلاماً سيّداً فينا^(٤)

وفي المعنى الأوّل يقول النابغة الذبيانيّ :

وذاك لأنّ الله أعطاك سورة^(٥) ترى كلّ ملكٍ دونها يتذبذبُ
بأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكبٌ

وفي غير ذلك من المديح يقول الشاعر :

وأنت حياً في الحروب محلهم والجيشُ باسم أبيهم يستهزمُ

[وفي ذلك يقول الفرزدق :

لتبك وكيعاً خيلٌ ليلٍ مُغيرةٌ تساقى السّمامَ بالرُّدينيّةِ السُّمرِ^(٦)

-
- (١) انظر تفسير البيت في الجزء الثاني ص ٨٩ . وجاء في س : « وإن شتموا » محرفة .
وفيها أيضاً : « أذمار شر » وفي ل : « شد » وفيها : « غير أشرار » .
(٢) هو بشامة بن حزن النهشلي كما في شرح التبريزي للحماسة ١ : ٥٠ . وانظر
الحماسة ١ : ٢٥ .
(٣) ل : « من عاطف » . يقال عطف على العدو : ماله عليه .
(٤) الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأم .
(٥) السورة : بالضم : المنزلة الرفيعة .
(٦) وكيع هذا هو ابن أبي سود الغداني . والسمام : جمع سم . ورواية الديوان ٢٤٦
والكامل ٧٦٥ ليسك : « المنايا » . وانظر كتاب البغال ٢٦٨ .

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوةٍ دعوها وكيعاً والرِّمَّاحُ بهم تجرى^(١)

وأما قول الشاعر :

* تخامل المحتد أو هزام^(٢) *

فإنَّما ذهبَ إلى أنَّ الدَّعوةَ [إذا قام بها] خامل الذِّكر والنسب^(٣)
فلا يحسُّده من أكفائه أحدٌ ، وأما [إذا قام بها^(٤)] مذكورٌ بيمين
النَّقِيبة ، وبالظَّفَر المتتابع ، فذلك أجود^(٥) ما يكون ، وأقربُ إلى
تمام الأمر .

وقال الفرزدق :

تصرَّم مني^(٦) وُدُّ بكرِ بنِ وائلٍ وما كان وُدِّي عنهم يتصرَّم
قوارصُ تأتيني ويحتقرونها وقد يملأ القطرُ الأناةَ فينفعم^(٧)

وقال الفرزدق^(٨) :

وقالت أراه واحداً لأخاله^(٩) يؤمِّله في الوارثين الأبعادُ

(١) رواية الديوان والكامل : « والجياد بهم تجرى » . وما هنا أجزل وأقوى .

(٢) كذا جاء .

(٣) ط ، س : « وإذا قام بالدعوى خامل الذكر والنسب » .

(٤) ليست بالأصل والكلام في حاجة إليها .

(٥) س : « أجوز » .

(٦) كذا في ل . ، وفي ط ، س : « تذكر حبي » وهو تحريف .

(٧) ل : « الأتى » . وهو الجدول تؤتية إلى أرضك .

(٨) الشعر الآتى قاله الفرزدق عند ما عبرته زوجه نوار بأنه لا ولد له . عيون الأخبار

٤ : ١٢٢ ومعاهد التنخيص ١ : ١٠٢ . وفي الديوان ١٧٢ أن التي عبرته

هي امرأته طيبة بنت المعجاج الجاشعي . وينسب الشعر أيضا إلى ابن عنقاء

الغزاري . معجم المرزباني ٣٤٣ .

(٩) في الديوان : « طاح أهله » ، وفي المعجم : « باد أهله » .

لعلك يوماً أن ترينى (١) كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد (٢)
فإن تمياً قبل أن يلد الحصى (٣) أقام زماناً وهو فى الناس واحداً

وقال الفرزدق أيضاً (٤) :

فإن كان سيفُ خانٍ أو قدراً أنى (٥) لميقاتٍ يومٍ حتفه غير شاهد (٦)
فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به نباييدى ورقاء عن رأس خالداً (٧)
كذلك سيوفُ الهندِ تنبؤ ظبائها ويقطن أحياناً مناط القلائد

(١) ط ، س « ترانى » وهو تحريف ، وصوابه من ل و عيون الأخبار . وفى الديوان : « فإنى عسى أن تبصرينى » .

(٢) الحوارد : جمع حارد ، وهو المجتمع الخلق الشديد الهيبة . ورواية الديوان : « اللوابد » .

(٣) الحصى : العدد الكثير . وقال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكائر

(٤) وكان قدم سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم وأمره أن يضربه بالسيف ، فلما ضربه بالسيف لم يؤثر فيه ، وكلعج الرومى فى وجهه ، فارتاع الفرزدق ، وضحك سليمان والقوم . فقال جرير :

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعثت يداك وقالوا محدث غير صارم

انظر تفصيل الخبر فى الأغانى (١٤ : ٨٢ - ٨٣) والغيث المنسجم (٢ : ١١٣) والعمدة (١ : ١٢٦) والنقائض ٣٨٤ .

(٥) س : « أنى » بمعنى حان . وانظر رواية البيت فى حماسة البحرى ٥٦ .

(٦) يروى : « لتأخير نفس حتفها » .

(٧) ورقاء هذا هو ابن زهير بن جذيمة العبسى . وخالداً ذلك هو ابن جعفر بن كلاب العامرى ، وكان خالداً قد برك على زهير تمهيداً لقتله ، ولحقه حنجد بن البكاء العامرى ، وقال : نع رأسك يا أباً جزء - يعنى خالداً - فنحنى خالد رأسه ، وضرب حنجد رأس زهير ، وضرب ورقاء بن زهير رأس خالد العامرى بالسيف ، وكان على خالد درعان فنيا سيف ورقاء ، فقال فى ذلك :

(خير قصار القصائد)

وإن أحببت أن تروى من قصار القصائد شعراً لم يُسمع بمثله^(١) ،
فالتمس ذلك في^(٢) قصار قصائد الفرزدق ؛ فإنك لم تر شاعراً قطُّ يجمعُ
التجويدَ في القصار والطوال غيره .

وقد قيل للكُميت : [إنَّ] النَّاسَ يزعمون أنَّك لا تقدر على القصار !
قال : مَنْ قال الطَّوالَ فهو على القصار أقدر^(٣) .

هذا الكلام يخرج في ظاهر الرأى والظن ، ولم نجد ذلك عند التحصيل
على ما قال .

= رأيت زهيراً تحت كلكل جعفر فأقبلت أسمى كالعجول أبادر
إلى بطلين ينهضان كلاهما يريمان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يميني إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه من الحديد المظاهر
الأغاني (١٠ : ١٤) . . وقد شاع حديث الفرزدق بهذا ، حتى حكى أن المهدي
أتى بأسرى من الروم ، فأمر بقتلهم ، وكان عنده شبيب بن شيبه فقال له : اضرب
هذا الملحج ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فغير به قومه إلى
اليوم ! فقال : إنما أردت تشريفك ، وقد أعفيتك . انظر أدب الدنيا والدين
٦ - ٧ . والفرزدق في شعره يعرض بسليمان بن عبد الملك ويعيره بنبو سيف
ورقاء العبسي عن خالد ، وبنو عبس أخوال سليمان . الأغاني (١٤ : ٨٣) . أو
هو قال ذلك لأن صنع بنو عبس كان مع جرير - يعني أنه كان موالياً لهم - الأغاني
(١٥ : ١٥) . وجرير ليس عبسياً ، بل هو كلبى .

(١) ل : « تسمع بمثله » .

(٢) س : « من » .

(٣) ل : « قدر » .

(جواب عقيل بن علفة وجرير)

وقيل لعقيل بن علفة : لم لاتطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق (١) » .

وقيل لجرير : إلى كم تهجو الناس ؟ قال : إني لا أبتدى ، ولكني أعتدى (٢) .

وقيل له : لم لانقصر (٣) ؟ قال : « [إن] الجراح يمنع الأذى (٤) ! » .

(شعر مختار)

قال عبيد بن الأبرص :

نبئت أن بني جديلة أوعبوا [نفرأء] من سلمى لنا وتكتبوا (٥)

-
- (١) المعروف في المثل : « حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » . انظر أمثال الميداني (١) : (١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧) .
- (٢) انظر ماسياتي في ص ٤٧٠ والبيان ٣ : ٦٥ والتمثيل والمحاضرة ١٨٤ والعقد ٥ : ٢٩٦ .
- (٣) أي تقصر قصائدك ، وكان جرير يطيل قصائد الهجاء .
- (٤) يريد أن مظهر العنف والانطلاق يكف الناس عن التعرض لصاحبه . والجراح أصله للخيل تغلب صاحبها وتطير به . في ط ؛ س : « قال الجماع يمنع الأذى » . وتصحيحه وإكماله من ل .
- (٥) بنو جديلة : حتى من طيء . أوعبوا : أي لم يدعوا منهم أحداً ونفروا جميعاً . تكتبوا : صاروا كتائب . وهي في ط ، س : « تنكبوا » وتصحيحه من ل والديوان ١٢ ليدن .

[ولقد جرى لهم فلم يتعيفوا تيس قعيد كالهراوة أعصب^(١)]
وأبو الفراخ على خشاش هشيمة متنكب إبط الشائل ينعب^(٢)
[فتجاوزوا ذاكم إلينا كله عدوا وقرطبة^(٣) فلما قربوا]
طعنوا^(٤) بمران الوشيج فترى خلف الأسنان غير عرق يشخب^(٥)
وتبدلوا اليعبوب بعد إلهم صمما^(٦) ففروا^(٧) يا جديل وأعدبوا^(٨)

(١) يقول : قد جرى لبني جديلة بالشؤم تيس قعيد من الظباء فلم يتعيفوا . التعيف : من العيافة ، وهي هنا بمعنى التشاؤم . والقعيد : الذي يأتي من الخلف . وجعل التيس كالهراوة في ضخمها واندماجها . والأعصب : المكسور القرن . وهو نما يتشاهم به . انظر العمدة (٢ : ٢٠٢) .

(٢) أبو الفراخ ، عني به الغراب . والهشيمة : الشجرة اليابسة . والخشاش : مالا عظم له من الدواب ، مثل الحيات والعظايا . وشبه فراخ الغراب لمعطها بالحنافس . وروى في س : « خشاش » ، وهي بالكسر بمعنى الجانب ، كما في القاموس . ومنتكبا لإبط الشائل ، أي مائلا عن جهتها . والشائل : جمع شمال ، وهي الريح الشمالية .

(٣) « ذاكم » عني به التعيف والزجر . و « قرطبة » أي عدوا شديدا . وفي الأصل « قرصبة » تصحيف مأثبت . ورواية الديوان : « مرقصة » ، وهي ضرب من العدو .

(٤) ط ، س : « ظعنوا » ، والوجه مأثبت من ل وديوان عبيد .

(٥) المران بالضم : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . والوشيج : شجر الرماح . يشخب : يسيل دمه .

(٦) اليعبوب : صنم لجديلة ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، رهط عبيد ابن الأبرص ، فتبدلوا اليعبوب بدله . الخزانة (٣ : ٢٤٦ بولاق) .

(٧) في الخزانة : « قروا » ، بالقاف .

(٨) قال البغدادي : « أي لاتأكلوا على ذلك ولا تشربوا » . وهكذا جاء في ل والخزانة . وفي ط ، س : « أوعبوا » .

وقال آخر :

ألم ترَ حَسَّانَ بِنَ مَيْسِرَةَ الَّذِي بَجُوحِي^(١) ، إِلَى جِيرَانِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ
مَتَارِيبُ^(٢) مَا تَنْفَكُ مِنْهُمْ^(٣) عِصَابَةٌ إِلَيْهِ سِرَاعًا يَحْصُدُونَ وَيَزْرَعُ

(شعر في معنى قوله : يريد أن يعرِّبه فيعجمه)

وباب^(٤) آخرٌ مثلُ قوله^(٥) :

* يريد أن يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمَهُ *

وقال آخر :

* كَأَنَّ مَنْ يَحْفَظُهَا يُضْيِعُهَا *

(١) ماعدال : « يجوع » . وانظر الاستدراكات .

(٢) متاريب : جمع مترب ، كحسن ، وهو الذي قل ماله . وهذا الحرف من الأضداد ، والأكثر فيه أن يستعمل للذي كثر ماله . والمعروف في الذي قل ماله : « ترب كفرح ، من الثلاثي . انظر اللسان (ترب) . وهذه الكلمة هي في ط ، ل : « متى ريب » ، وهي على الصواب في س .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) ط : « وقال » . وتصحيحه من س ، ل ؛ فإن الآتي مخالف للسابق .

(٥) هو الخطيئة ، والبيت الآتي من أرجوزة له ، أولها كافي العمدة ١ : ٧٤ ، والديوان ١١١ :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الخضيض قدمه والشعر لا يسطيعه من يظلمه

وبعده :

ولم يزل من حيث يأتي يحرمه من يسم الأعداء يبق ميسمه

وقال آخر :

• أهوجُ لا يَنْفَعُهُ التَّثْقِيفُ •

وقال بعض المحدثين [في هذا المعنى] :

إذا حَاوَلُوا أَنْ يَشْعُبُوهَا رَأَيْتَهَا مَعَ الشَّعْبِ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَدَاعِيًا^(١)

وقال صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارِيَ فِي ثَرَى رَمْسِهِ^(٢)

إذا ارْعَوَى عَادَ إِلَى جَهْلِهِ كَذِي الضَّنَا عَادَ إِلَى نُكْسِهِ

ومثل هذا قوله :

وتَرَوُضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمْتَ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ

وقال حُسَيْلُ^(٣) بن عُرْفُطَةَ :

لِيَهْنِيكَ بُغْضٌ فِي الصَّدِيقِ وَظَنَةٌ^(٤) وَتَحْدِيثُكَ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ كَاذِبُهُ

وَأَنْتَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ بَلَاكٌ^(٥) ، ومثلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جَانِبُهُ

(١) الشعب : الإصلاح . والتداعي : التساقط . وهذا البيت هو الثاني من أبيات عددها اثنا عشر بيتا في البخله ١٨٨ يهجو بها الشاعر قوما بخلاء ، فوصف قدورهم بما يقتضيه الهجاء .

(٢) البيان ١١ : ١٢٠ و التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

(٣) هو حسيل بن عرفطة بن نضلة بن الأشر بن جحوان بن فقعم الأسدي ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ورأى الرسول ، وروى عنه . وهو ممن غير الرسول الكريم أسماءهم ، فسماه « حسينا » . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جعله أبو زيد في نوادره ٧٥ ؛ ٧٧ من شعراء الجاهلية . والصواب ما قدمت . ومن العجيب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش في ذلك . انظر النوادر في الموضعين . وقد جاء هذا الاسم في كل من ط ، س ، وكذلك البيان ٣ : ٢٤٩ « الحسن » ، وهو تحريف . والأبيات بدون نسبة في البغال ٣٣٩ .

(٤) في البيان والبغال : « ليهنك » وهما صحیحتان . وفيه أيضاً « وضنة » .

(٥) بلاك : اختبرك . وفي ط ، س : « قلاك » بمعنى أبفضك ، وأثبت ما في ل والبيان والبغال .

وَأَنْتَ مِهْدَاءُ أَخْلَنَا نَطِفُ النَّثَا^(١) شَدِيدُ السَّبَابِ رَافِعُ الصَّوْتِ غَالِبُهُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْجَهْلِ يَدْعُو إِلَى الرَّدَى^(٢) وَلَا مِثْلَ بُغْضِ النَّاسِ نَغْمَضُ صَاحِبِهِ

(كَلِمَةٌ لِلزَّبْرَقَانِ)

وقال الأصمعي : قال الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ : خَصَلْتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي امْرئِ
السَّوءِ : شِدَّةُ السَّبَابِ ، وَكَثْرَةُ اللَّطَامِ^(٣) .

(شِعْرٌ فِي تَمْجِيدِ الْأَقَارِبِ)

وقال [خالد] بن نَضْلَةَ :

لَعَمْرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَلَوْ عَالَوْا بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ^(٤)
مَنْ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَا نَدَى كَثِيرٍ^(٥) وَلَا يُنْبِيكَ مِثْلُ الْمَجْرَبِ
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدَا لَسْتَ مِنْهُمْ فَكُلُّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبٍ^(٦)
فَإِنْ تَلْتَبَسُ بِي خَيْلُ دُودَانَ لَا أَرِمُ وَإِنْ كُنْتُ ذَا ذَنْبٍ وَإِنْ غَيْرَ مُذْنِبٍ

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وفي ط ، س ، والبيان :
« النثا » ، وهو تحريف ما أثبت من ل . والنطف : المتهم المريب .

(٢) الردى : الهلاك . وفي الأصل : « الرخا » ، وتصحيحه من البيان .

(٣) س : « الطعام » محرف .

(٤) أي وإن أركبوه المراكب الصعبة . س : « غلت به » محرفة .

(٥) رواية الحماسة ١ : ١٣٤ : « ذأ غنى جزيل » . و « كثير » هي في ط ،
س : « كثيراً » ، وإنما هو صفة للندى .

(٦) العدا : اسم جمع بمعنى الأعداء . أو بمعنى للغرباء كما جاء في المخصص ١٢ : ٥٢ .
رواية عن ابن السكيت ، قال : « ولم يأت فعل - أي بكسر ففتح - في الصفات
غير هذا » . وانظر البيان ٣ : ٢٥٠ .

(بكل وادِ بنو سعد)

قال : ولما تأذى الأضبط بن قريع في بني سعد^(١) تحوّل عنهم إلى
آخرين فأذوه فقال : بكلّ وادِ بنو سعد !

(مقطّعات شتّى)

وقال سُحَيْمُ بن وَثِيل :

ألا ليسَ زَيْنَ الرَّحْلِ قِطْعٌ وَنُمْرُقٌ ولكنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَأْمِي رَاكِبُهُ^(٢)

وقال أعرابيٌّ :

فما وجدُ ملواحٍ مِنْ الهِمِّ حُلَّتْ عن الماءِ حتّى جَوْفُهَا يَتَصَلِّصُ^(٣)
تَحْمُومٌ وَتَغْشَاهَا العِصِيُّ وَحَوْهَا أَقَاطِيعُ أَنْعَامٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ
بِأَكْثَرِ مَنِي غَلَّةٍ وَتَعَطُّفًا^(٤) إلى الورد^(٥) ، إلاّ أنّي أَجْمَلُ

(١) ط ، س : « سحيم » ، والصواب : « سعد » كما في ل ، وما سبق في الجزء الأول ص ٣٥٨ .

(٢) القطع ، بكسر القاف : البساط ، أو الفرقة ، أو الطنفسة يجعلها الراكب تحته .
وفي ل : « نطع » بالنون ، وهو البساط من الأديم . والنمرق والفرقة : الوسادة الصغيرة أو الطنفسة فوق الرحل . وقد حرف الناسخون البيت في عيون الأخبار ١ : ٢٩٧ فجعلوه « قطعاً يمزق » . ورواه المرزباني في معجمه ٣٩٠ لمضر بن ربيعي .

(٣) حللت : منمت من الماء . وفي ط ، س : « خلّيت » . والهيم : الإبل العطاش .

(٤) ط ، س : « تقطعا » . وأثبت ما في ل والبيان ٣ : ٥٥ .

(٥) ل : « العدد » وصواب هذا « العد » بالكسر ، وهو الماء الجاري الذي له مادة لاتنقطع .

وقال خالد بن علقمة ابن الطيفان^(١) ، في عيب أخذ العقل والرضا
بشيء دون الدم ، فقال :

وإنَّ الَّذِي أَصْبَحْتُمْ تَحْلُبُونَهُ دَمٌ غَيْرَ أَنَّ اللَّوْنَ لَيْسَ بِأَحْمَرَ
فلا تُوعِدُوا أولادَ حَيَّانَ بَعْدَمَا رَضَيْتُمْ وَزَوَّجْتُمْ سَيَّالَةَ مِسْهَرًا^(٢)
وأعجبَ قِرْدٍ يَقْصِمُ القَمْلَ حَالِقًا^(٣) إذا عَبَّ مِنْهَا فِي النَّقِيذِ بَرَبْرًا^(٤)
إذا سَكَبُوا فِي القَعْبِ مِنْ ذِي إِنْأَتْمٍ رَأَوْا لَوْنَهُ فِي القَعْبِ وَرَدًّا وَأَشْقَرًا^(٥)

٣٣

باب آخر

في ذكر الغضب ، والجنون ، في المواضع التي يكون فيها محموداً^(٦) .
قال الأشهب بن رُميلة^(٧) :

(١) ط ، س : « الصبيان » ، وهو تحريف مأثبت من ل والقاموس . والطيفان
هي أم خالد . وكلمة « ابن » هي في الأصل مخدوفة الألف وهو خطأ ، وقد جاء
على الصواب الذي أثبتته في الأغاني ١١ : ١٢١ . وكان خالد معاصراً
لجرير والفرزدق .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وحولتم بسالة مشفرا » . وهو تحريف ،
ولعل صواب « حولتم » فيه « حولتم » .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأكحم فرداً يقصم الفيل جالباً » !

(٤) منها : أي من إبل الدية . والنقيبة : العظيمة الضرع من النوق . وفي ل :
« النقيبة » ، وهي الجزور تجزر للضيافة . والبربرة : الصياح .

(٥) ط : « العقب » محرفة . وقد زاد كلمة « ذى » قبل إنأتم ، ولذلك نظائر في
كلامهم . انظر خزانة الأدب ٤ : ٣٣١ - ٢٣٢ سلفية .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « في مثل ذلك من الغضب ، وفي ذكر الجنون
في المواضع التي يكون ذكره فيها محموداً » .

(٧) الأشهب بن رُميلة : شاعر إسلامي مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم =

هر^(١) المَقَادَة^(٢) من لا يَسْتَقِيدُ لها^(٣) وأَعَصَوْصَبَ السَّيْرُ وارتدَّ المساكينُ^(٤)

مِنْ كُلِّ أَشْعَثَ قَدْ مَالَتْ عِمَامَتُهُ كَأَنَّهُ مِنْ ضِرَارِ الضَّمِيمِ مَجْنُونِ^(٥)

وقال في شبيهه فلك أبو الغول الطَّهَوِيُّ^(٦) :

فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي مَعَاشِرَ صُدِّقْتُ فِيهِمْ ظُنُونِي^(٧)

مَعَاشِرَ لَا يَمْلُونُ الْمَنَايَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الطَّحُونِ^(٨)

وَلَا يَجْزُونَ مِنْ خَيْرِ بَشَرٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلْظِ بَلَدِينَ^(٩)

وَلَا تَبْلَى بَسَّالَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ

= تعرف له حجة . انظر الإصابة ٤٦٤ . و « رميلة » هي أمه . واسم أبيه ثور ابن أبي حارثة ، ينتهي نسبه إلى تميم . وكان الأشهب بن هاجي الفرزدق ، وقد سبق رجز له في ذلك بالجزء الأول ٣١٥ هو في الخزانة ٤ : ٥١٠ بولاق . جاء في ط : « رميلة » وهو تحريف . وجاء بعد هذا في كل من ط ، س : كلمة « بعد ذلك » .

(١) هر : كره . وفي ط ، س : « هذ » بمعنى قطع .

(٢) المقادة : القود ، وهو نقيض السوق . وفي ل : « الوفادة » وأحسبها تحريفاً ، ولعل الكلام في صفة ركب مسافرين في فلاة .

(٣) ل : « يستعد لها » .

(٤) اعصوصب السير : صار عصيباً شاقاً . وفي ل : « اعصوصب الشر » .

(٥) مالت عمامته مما لعب النوم به . واسترار : الفرر . وفي ٦ : ٢٤٦ : « من حذار الضميم » .

(٦) قيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها . المؤتلف ١٦٣ . وهو شاعر إسلامي .

التبريزي (١ : ١٤) ومعجم البلدان (وقبي) . وفي ل : « الضبسي » وهو تحريف .

(٧) قال التبريزي : « يروى : صدقوا . . . و يروى : صدقت فيهم ظنونى ، ويكون ظنونى في موضع رفع بصدقته » ، أى فاعلا لصدقته .

(٨) في ل ، وكذا في الحماسة : « فوارس » وفيهما أيضاً : « الحرب الزبون » .

(٩) في ل ، وكذا في الحماسة : « ولا يجزون من حسن بئى » . والسبى بالفتح .

هُمْ أَحْمَوْا حِمَى الْوَقْبَى بِضَرْبٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُنُونِ (١)
فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي وَدَاوَوَا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ

وقال ابن الطَّيرِيَّة (٢) :

[لو أُنِّي لم أنل منكم معاقةً إلا السِّنَانَ لذاقَ الموتَ مَظُونُ
أو لاخْتِطَبْتُ فَإِنِّي قد همت به بالسَّيْفِ إنْ خَطِيبَ السَّيْفِ مَجْنُونُ (٣)

وقال آخر [:

حَمْرَاءُ تَامِكَةَ السَّنَامِ كَأَنَّهَا جَمَلٌ بِهَوْدَجٍ أَهْلِيهِ مَظْعُونُ (٤)
جَادَتْ بِهَا يَوْمَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كِلْتَا يَدَيْ عَمْرٍو الْغَدَاةَ يَمِينُ (٥)
مَا إِنْ يَجُودُ بِمَثَلِهَا فِي مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمٌ الْخَلِيمِ أَوْ مَجْنُونُ (٦)

(١) الوقبى ، بالتحريك : اسم أرض ، أو اسم ماء . المقصور ١١٦ ومعجم البلدان .
في ل ، والمقصور والحاسة والمعجم : « هم منعوا » .

(٢) كذا جاء في ل نسبة البيتين الآتين إلى ابن الطرية ، ونسبة الثلاثة التي بعدها
إلى « آخر » ، لكن في ط ، س نسبة الثلاثة الأبيات التالية إلى ابن الطرية .
ولم أعر على مرجع هاتين المقطوعتين .

(٣) في الأصل : « لاشتت » ، صوابه من ٦ : ٢٤٥ .

(٤) تامكة السنام : عظيته . وقد شبه الناقة المهداة إليه بالجمل المظعون : الذي شد
هودجه بالظعان ككتاب ، وهو جبل الهودج . فجعلها كجمل لوثاقة خلقها ، ثم أضاف
إلى النعت ذكر الهودج ، ليصور بذلك عظم علوها .

(٥) كلتا يديه يمين : أراد : شماله كيمينه في العطاء ، مبالغة في وصفه بالعطاء . وجاء في
الحديث : « كلتا يديه يمين » فتوهم بعضهم التشبيه ، ورد عليهم ابن قتيبة في تأويل
مختلف الحديث ٢٦٥ .

(٦) ط ، س : « في مثلها » . والأشبه ما كتبت من ل . وضمير : « بمثلها »
عائد إلى الناقة الحمراء . وضمير « مثله » إلى يوم الوداع . والخيم
بالكسر : السجية .

وفي هذا المعنى يقول حسان ، أو ابنه عبد الرحمن بن حسان :
 إِنَّ شَرخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا
 إِنَّ يَكُنْ غَثًّا مِنْ رَقَاشِ حَدِيثُ فِيمَا نَأْكُلُ الْحَدِيثَ سَمِينًا (٢)
 وفي شبيهه بذلك قول الشَّنْفَرِيِّ :
 فَذَقْتُ وَجَلْتُ وَاسْبَكْرْتُ وَأُكْمِتُ

فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ (٣)
 وقال القُطَامِيُّ - حين وصف إفراط نأقته في المَرَحِ والنَّشَاطِ :

يَتَّبَعْنَ سَامِيَةَ (٤) الْعَيْنَيْنِ تَحْسَبُهَا مَجْنُونَةً أَوْ تُرَى مَا لَا تَرَى الْإِبِلُ ٣٤

وقال ابن أحمَرَ ، في معنى التشبيه والاشتقاق :

بِهَجَلٍ مِنْ قَسًا ذَفِرِ الْخَزَامِي تَدَاعَى الْجَرِيْبَاءُ بِهِ الْحَنِينَا (٥)

(١) شرح الشباب هو اسوداد الشعر . ولولا أنهما لاصطحاها صارا بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا . أمالي ابن الشجري (١ : ٣٠٩) . وانظر قول المبرد في الكامل ٥٩٧ ليسك والعسكري في الصناعتين ١٨٥ .

(٢) هذا البيت ليس في ل . والبيتان في الديوان ١٣٤ - ٤١٤ في سبعة أبيات .

(٣) يقول : دق جسمها في المواضع التي يستحسن فيها الدقة ، وعظم في الأجزاء التي يرضى فيها العظم . واسبكرت : استقامت واعتدلت . وقصيدة البيت بديعة ، وهي من المفضليات . وانظر البيان (٣ : ٢٢٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦ .

(٤) سامية : عالية ، وفي ط ، ل : « نامية » ، وتصحيحه من س والجزء السادس من الحيوان ص ٧٧ .

(٥) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وفي ل : « لجو » وهو تحريف . وفي س : « بجو » وهي صحيحة ، فالجو : ما اتسع من الأرض وبرز واطمأن ، كما في اللسان . و « قسا » : موضع بالعالية ، وهو بالفتح ، ويقال بالكسر كما في المقصور . و « الخزامى » : نبت طيب الرائحة . و « ذفر » : ذكي الرائحة . و « تداعى » هي في ط « تهادى » وهي رواية أخرى ، كما في اللسان (جرب) . والجريباء : الريح الشمالية الباردة . والحنين : صوت الريح . وفي ل : « الجنينا » مصحفة عما أثبت من ط ، س واللسان في مواضع متعددة والكامل ٤٦٤ ليسك ومعجم البلدان (قسا) والمقصور ٨٨ والبيان ٣ : ٢٢٢ والحيوان (٦ : ١٨٥) والمخصص (١١ : ٢٠٧) .

تَفَقُّاً فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الْحَازِرِبَازِ بِهِ جُنُونًا^(١)

وفي مثل ذلك يقول الأعشى :

وإذا الغيثُ صوبُهُ وَضَعَ الْقِدْرُ حَ وَجُنَّ التَّلَاعُ وَالآفَاقُ^(٢)

لم يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً نَشْوَةَ الْحَمِ رِ وَلَا اللَّهْوُ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ

وقال آخر في باب المزاح والبطالة ، مما أنشدنيهِ أبو الأصْبَغِ^(٣)

ابن رِبْعِي :

أَتَوْنِي بِمَجْنُونٍ يَسِيلُ لِحَابِهِ وَمَا صَاحِبِي إِلَّا الصَّحِيحُ الْمَسْلَمُ

وأنشدني^(٤) إبراهيم بن هاني ، وعبدُ الرحمن بن منصور^(٥) :

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتَ بِوَاكِدٍ طَبِيباً يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونٍ

(١) تفقأ : تصبب ، وفي س : « تكسر » ، وهي رواية أخرى كما في أمثال الميداني (١ : ٢٢٧) والحيوان (٦ : ١٨٦) . والقلع بالتحريك : قطع من السحاب كأنها الجبال ، الواحدة قلعة . والحازير باز : ذباب يظهر في الربيع فيدل على خصب السنة ، أو هونبت . وجنونه : تكائفه .

(٢) البيتان أعيدا في ص ٤٨٥ والجزء السادس ص ١٨٦ .

(٣) أبو الأصْبَغِ جاء في الأصل « أبو الأصْبَغِ » . صوابه من البخلاء ٢٢٩ ، ١٠٥ . وذكره الجاحظ في البيان (٤ : ١٩) ضمن النوكي وأشباههم . وروى أنه قيل له : أما تسمع بالعدو وما يصنعون في البحر ؟ فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا لا أعرفهم ولا يعرفونني ، فكيف صاروا لي أعداء ؟ !

(٤) ط ، ل : « وأنشده » ، وأثبت ما في س موافقاً ما في الجزء السادس ص ١٨٦ .

(٥) في الجزء السادس زيادة : « قبل أن يجن » .

(إبراهيم بن هاني والشعر)

وكان إبراهيم [بن هاني] لا يقيم شعراً^(١) . ولا أدرى كيف أقام

هذا البيت !

وكان يدعى بحضرة أبي إسحاق^(٢) علم الحساب ، والكلام ،
والهندسة ، واللحون ، وأنه يقول الشعر ؛ فقال أبو إسحاق : نحن لم نمتحنك
في هذه الأمور ، فلك أن تدعيها عندنا^(٣) . كيف صرت تدعي قول
الشعر ، وأنت إذا رويتك لغيرك كسرتة ؟! قال : فإني هكذا طبعت ، أن أقيمه
إذا قلت ، وأكسره إذا أنشدت ! قال أبو إسحاق : مابعد هذا الكلام كلام !

(جواب أعرابي)

وقلت لأعرابي ، أيما أشد غلماً : المرأة أو الرجل ؟ فأنشد :

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلُ الْأَيْرِ أَدْنَى لِلْفَجُورِ أَوْ الْحِرِّ

وَقَدْ جَاءَ هَذَا مُرْخِيًا مِنْ عِنَانِهِ وَأَقْبَلَ هَذَا فَاتِحًا فَاهٍ يَهْدِرُ^(٤)

(١) وكان ماجنا خليماً كثير العبث متمرداً . انظر أخباره وأحاديثه في الجزء الأول

من البيان ٩٣ - ٩٥ .

(٢) هو النظام .

(٣) س : « عندها » .

(٤) يهدر : من الهدير ، وأصله تردد صوت اليعير في حنجرتة . وفي ط ، س :

« يهدر » بالياء محرفة . وهي على الصواب الذي أثبت في ل ومحاضرات الراغب

(٢ : ١١٨) وقد روى الخبر فيها مبدوءاً بقليل لقطرب - يعني النحوى .

(مقطعات شتى)

وأشده بعضهم :

أصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا وَاکْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ بِيَاضِ قِنَاعَا
ثُمَّ وَلى الشَّبَابُ إِلَّا قَلِيلاً ثُمَّ يَأْبَى^(١) القليلُ إِلَّا نَزَاعَا

وأشده محمد بن يسير^(٢) [لبعضهم] :

قَامَتْ مُتَخَاصِرُنِي لِقُبَّتَيْهَا^(٣) خَوْذُ تَنَاطَرُ نَاعِمٍ بِكُرٍّ^(٤)
كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مَبْلَغٍ لَذَّةٌ عُدْرٌ^(٥) ٣٥

وقال الآخر في خلاف ذلك ، أنشدني محمد بن هاشم السُّدْرِيُّ^(٥) :

فَلَا تَعْذُرَانِي فِي الإِسَاءَةِ إِنَّهُ أَشْرُ الرِّجَالِ مَنْ يَسِيءُ فَيُعْذَرُ^(٦)

-
- (١) ط ، س : « يَأْبَى » . وتصحيحه من ل والبيان (٢ : ٣٣٤) .
(٢) ط ، س : « يسر » وصوابه في ل . وقد سبقت ترجمته في الجزء الأول .
والشعر في البيان (١ : ١٩٨) مسبوق بعبارة : « وأنشد الأحوص بن محمد » .
(٣) جاء في البيان ، من تفسير الجاحظ للبيت : « تخاصرنى : آخذ بيدها وتأخذ بيدي » .
وكلمة : « لقبتيها » كذا جاءت بالأصل ، ووردت في الجزء الأول من البيان
وكذا في الثالث منه ص ٣٤١ : « بقتها » ، وفسرها الجاحظ في الجزء الأول بقوله :
« واثقنة (واحدة القنن . وهى) : المواضع الغليظة من الأرض في صلابة » .
(٤) تاطر : تتاطر ، أى تتثنى وتتعطف . و « ناعم » هكذا جاءت في ط ، س .
وفي ل والبيان : « غادة » ، وفسرها الجاحظ بأنها الناعمة اللينة .
(٥) ط : « السدري » صوابه ما في ل ، س . ترجم له المرزبانى في معجمه ٤٣١
(٦) قال الجوهري في الصحاح : « لا يقال أشر إلا في لغة رديثة » . وهكذا جاءت
الرواية في ط ، ل . وفي س والجزء السابع ص ٢٦٠ وكذا في أدب الدنيا والدين
ص ٣١ : « شرار » .

وقال ابن فسوة^(١) :

فَلَيْتَ قَلَوِصِي عُرِّيتَ أَوْ رَحَلْتَهَا إِلَى حَسَنٍ فِي دَارِهِ وَابْنِ جَعْفَرٍ^(٢)
إِلَى مَعَشَرَ لَا يَخْصِفُونَ نِعَاهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتَ مَالِمٌ يُخْصَرُ^(٣)
وقال الطَّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ ، وَهُوَ أَبُو نَفْرٍ^(٤) :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنْزِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ
إِذَا مَا رَأَى قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيَّنِّي فِعْلَ الْعَارِفِ الْمُتَجَاهِلِ
مَلَأَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنْ الضَّيِّقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِلٍ^(٥)

(١) ط ، س : « ابن قُرب » وصوابه ما أثبت من ل . والشعر في الأغاني (١٩) :
١٤٤) وكذا البيان (٣ : ١٠٩) منسوب إلى ابن فسوة . وقد تقدمت ترجمته
في الجزء الثاني ص ١١ .

(٢) كذا على الصواب في ل والأغاني . وفي ط : « إلى حرمي دارمي بن جعفر »
وفي س : « إلى حينى درامى » والتحرير فيهما ظاهر . وفيهما أيضا « إذ
رحلتها » ، وهو خطأ صوابه في ل والأغاني .

(٣) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، وكانت النعال السبئية خاصة بأهل النعمة من
العرب . وانظر كلام الجاحظ في البيان ٣ : ١٠٩ - ١١٣ . والنمل المخصرة :
المستدقة الوسط .

(٤) كذا في ل ، وهو الصواب كما في الشعراء لابن قتيبة ١٤٠ والأغاني ٤٠ :
١٤٨ . وفي ط : « نقير » وفي س : « بقير » محرفتان . والطرمح : شاعر
إسلامي في الدولة المروانية ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع
من وردها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة . وكان شاعراً
فصيحا ، يكثر في شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابي عن ثمانى
عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرمح فلم يعرف واحدة منها . وكان صديقاً
للكميت الشاعر لايكادان يتفارقان . انظر المرجعين المتقدمين والخزانة ٣ :
٤١٨ بولاق .

(٥) الحابل : من يصطاد بالحبال ، وكفته ، بالكسر ، هى حبالته . في ط : « حائل »
محرفة ، صوابها في ل ، س والأغاني والشعراء . وليبيت نظير في اللسان (كفف) .

وقال آخر :

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من قبلي تدور
وقال الحرّمي (١) وذكر عماء (٢) :

أصغى إلى قائدي ليخبرني إذا التقينا عمّن يُحيني
أريد أن أعدل السلام وأن أفصل بين الشريف والدون
أسمع ما لا أرى فأكره أن أخطي ، والسمع غير مأمون (٣)
لله عيني التي فجئت بها لو أن دهرًا بها يواتيني (٤)
لو كنت خيرت ما أخذت بها تعمير نوح في ملك قارون
وقال بعض القدماء (٥) :

ألم تر حوشبًا أضحى يدي قصورًا نفعها لبني نفيله (٦)
يومل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة (٧)

(١) في الأصل وكذا معاهد التنصيص (١ : ٨٧) .: « الحرّمي » - بالزاي - وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (٤ : ٥٧) ونسكت الهميان ٧١ . وقد تقدمت ترجمته ، وتحقيق اسمه في الجزء الأول ص ٢٢٤ .

(٢) ل : « في عيني » . وانظر الشعر والشعراء ٨٣٠ - ٨٣١ .

(٣) س : « وأكره أن أخطيء » .

(٤) كذا في ل والمراجع المتقدمة . وفي ط ، س : « دهرًا تولى فواتيني » .

(٥) لم أجد صاحب البيت فيما لدى في المراجع . قالوا : لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذي يدعى رصافة أبي العباس ، قال لعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي : ادخل وانظر . فدخل معه فلما رآه تمثل بالبيتين . معجم البلدان ، والأغانى (١٨ : ٢٠٦) وعيون الأخبار (١ : ٢١١) . وقد عاتبه أبو العباس على ذلك ، كما في عيون الأخبار والعقد (٣ : ٢٦٩) .

(٦) كذا في ل ، س ومعظم الروايات . وفي ط وعيون الأخبار : « بقيلة » .

(٧) ل : « يطرق كل ليلة » ، وهي رواية فريدة .

وقال ابن عباسٍ بعد ما ذهب بصره (١) :

إِنْ يَأْخُذِ اللهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهُمَا فِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورٌ (٢)
قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورٌ

[وقال حسان يذكرُ بيانَ ابن عباس (٣) :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرِكْ مَقَالاً وَلَمْ يَقِفْ لِعَيٍّْ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
يَصْرَفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ]

(شعر في الخصب والجذب)

وقال بعضُ الأعرابِ يذُكُرُ الخِصْبَ والجَدْبَ :

٣٦

مُطِرْنَا فَلَمَّا أَنْ رَوِينَا تَهَادَرْتُمْ شَقَاشِقُ فِيهَا رَائِبٌ وَحَلِيبُ

(١) كذا في ل ، وهو الصواب ، كما في نكت الهميان ٧١ نقلا عن الجاحظ ، وكذا

عيون الأخبار ٤ : ٥٦ والشعر والشعراء ٨٣٠ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٨٧ والمقد

٣ : ١٥٧ ، ٣٩٠ وقد ذكر صاحب المقدم سبب الشعر . وشذ أبو علي القالي في ذيل

الأمالي ص ١٥ فنسب البيتين إلى حسان بن ثابت . وقد وجدتهما في ديوانه ص ١٦٥ .

ويروى البيتان أيضاً لأبي علي البصير كما في المستطرف ٢ : ٢٧٢ ولأبي العيناء

في معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٣ . وفي ط ، س : « وقال أبو يعقوب الخزيمي ، وهو خطأ .

(٢) س : « فف لسانى وسمى » وفي عيون الأخبار : « فف فؤادى وسمى » .

(٣) انظر معجم الأدباء ٦ : ١٨٩ . ولحسان بن ثابت أبيات أخرى يذكر فيها بيان

ابن عباس . انظر البيان ١ : ٣٣٠ .

ورابت رجالاً من رجال ظلامه^(١) وعُدَّتْ ذُحُولُ بَيْنِهِمْ وَذُنُوبُ^(١)
 وَنُصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا فَتَرَوَّحَتْ^(١) لهنَّ بما هاجَ الحبيبَ خَيبُ^(١)
 وَطَنٌ فَنَاءُ الحَى حَتَّى كَانَهُ رَحَى مَنْهَلٍ مِنْ كَرَّهِنَ نَجِيبِ^(٣)
 بنى عَمَّا لَا تَعَجَّلُوا ، يَنْضُبُ الثَّرَى قليلاً وَيَشْبِي المِترَفِينَ طَيِّبُ^(٤)
 فَلَوْ قَدْ تَوَلَّى النَّبْتُ وَامْتِيرَتِ القُرَى وَحَنَّتْ رِكَابُ الحَى حِينَ تَثُوبِ^(٥)
 وَصَارَ غُبُوقَ الخُودِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ على أهلها ، ذُو جُدَّتَيْنِ مَشُوبِ^(٦)
 ١ وَصَارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خُنْزَوَانَةٌ ينادى إلى هادى الرّحى فيجيبُ^(٧) [
 أولئك أَيَّامٌ تَبِينُ ما الفَتَى أَكَابِ سَكَيْتُ أمْ أَسْمُ نَجِيبُ

(١) ل : « ورامت رجال » و « ذحول بيننا » . وانظر الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٩٦ - ١٩٧ وديوان المعاني ٢ : ٤٥ .

(٢) « فتروحت » كذا في س والمخصص ١٠ : ١٨٠ . وفي ط ، ل : « فتراجعت » . وفي ط ، س : « هاج الحليب » وتصحيحه من ل والمخصص . قال ابن سيده : « أما قوله : ونصت ركاب للصبا ، فإن طلب اللهو مما يبعث عليه الفراغ ورخاء البال » . و « الحبيب » هنا بمعنى المحب ، بكسر الحاء . و « خيب » هى بالخاء المعجمة ، ومعناها سرعة الجرى . ل والمخصص : « حبيب » بالحاء ، وليس بشئ . يقول : لتلك الركاب خيب بما يهيج المحبين ويبعث أشواقهم .

(٣) ط : « وظن » ، ل : « ودير » محرفتان . وفي ل أيضاً : « من كرهن لجيب » .

(٤) عبارة تهكية ، وعنى بالطيب هنا الجذب وشدة الزمان .

(٥) تولى : أخذ في الهيج . وامتيرت القرى : جلب ما فيها . ط ، س : « وابتزت القرى ، وصوابه من ل والمخصص . وفي المخصص : « تثوب » ، وهما بمعنى .

(٦) الغبوق ، بالفتح : ما يشرب بالعشى . والخود : الشابة الحسنة الخلق . وفي ط ، س : « غنوق الجود » تحريف ما أثبت من ل والمخصص . والجدة بالضم : الخط ، وعنى بذو الجدتين اللبن يظهر فيه لونان ، وذلك حين يكون مشوباً ، أى مخلوطاً بالماء . وفي ط ، س : « عشوب » ، تحريف ما في ل .

(٧) الخنزوانة : الكبر . وهادى الرحى : مقبضها . وفي المخصص بياض يمكن ساء ما هنا .

(شعر لأنس بن أبي إياس)

وقال : ولما ولي حارثة بن بدر سرق^(١) ، كتب إليه أنس بن

أبي إياس^(٢) [الدبلي] :

أحار بن بدر قد وليت ولاية
وباه نهما بالغنى ، إن للغنى
[ولا تحقرن يا حار شيتا ملكته
فإن جميع الناس إما مكذب
يقولون أقوالاً ولا يعرفونها
فكن جرذاً فيها تحون وتسرق
لساناً به المرء الهيوبه ينطق
فحظك من ملك العراقين سرق]
يقول بما هوى ، وإما مصدق^(٣)
ولو قيل هاتوا حقتوا لم يحققوا

وقال بعض الأعراب :

فلما رأينا القوم ثاروا بجمعهم
وأدر كنا من عز^(٥) قيس حفيظة
رغينا الحديث وهو فيهم مضيع^(٤)
ولا خير فيمن لا يعضو وينفع

(١) سرق ، بالضم وتشديد الراء المفتوحة : إحدى كور الأهواز . وفي ط : « سرف » محرفة .

(٢) ويروى : « ابن إياس » . وانظر القاموس (أنس) وجمهرة ابن حزم ١٨٤ . وقصة الشعر مفصلة في أمالي المرتضى ٢ : ٤٩ - ٥١ والعقد ٢ : ٥٥ وزهر الآداب ٤ : ٥٨ ومعجم البلدان برسم (سرق) . وانظر رواية الأبيات في المراجع المتقدمة وكذا عيون الأخبار ١ : ٥٨ ، ومحاضرات الراغب ١ : ٨٣ . والمفهوم أن الشعر الآتي مداعبة لاهجاء . ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله : جزاك إله العرش خير جزائه فقد قلت معروفاً وأوصيت كافياً أشرت بأمر لو أشرت بغيره لألفيتني فيه لأمرك عاصياً

(٣) ل : « تهوى » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « ساروا يجمعهم » و : « فينا مضيع » ، تحريف .

(٥) ل : « عرق » .

(نصيحة رجل لبعض السلاطين)

ويقال إن رجلاً قال لبعض السلاطين : الدنيا بما^(١) فيها حديث ، فإن استطعت أن تكون من أحسنها حديثاً فافعل !

(أقوال مأثورة)

وقال حذيفة بن بدر لصاحبه^(٢) يوم جفر الهبأة^(٣) ، حين أعطاهم بلسانه ما أعطى : إياك والكلام المأثور^(٤) .

وأنشد الأصمعي :

كلُّ يومٍ كأنه يومٌ أضحى عند عبد العزيز أو يومٍ فطر
وقال : وذكر لي بعض البغداديين أنه سمع مدنيّاً مرّاً بباب الفضل
ابن يحيى - وعلى بابه جماعة من الشعراء - فقال :

مالقينا من جود فضل بن يحيى ترك الناس كلهم شعراء ٣٧

(١) س : « وما » .

(٢) هو أخوه حمل بن بدر ، كما في العقد ٣ : ٣١٦ .

(٣) كان هذا اليوم لعيس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة ، وأخوه حمل ، سيدا بنى فزارة . للعمدة ٢ : ١٦١ والعقد ٣ : ٣١٦ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٢ . وفي ط : « الهبأة » ، وهو على الصواب في س ، ل .

(٤) المأثور : الذي ينقله الخلف عن السلف . وفي س : « المائق » ، وفي ط : « السائر » والأشبه ما أثبت من ل : موافقاً لما في العقد .

وقال الأصمعي : قال لي خَلَفُ الأحمر : الفارسيُّ إذا تظَرَّفَ^(١)
تساكت ، والنَّبَطِيُّ إذا تظَرَّفَ^(١) أكثر الكلام .

وقال الأصمعيُّ : [قال رجلٌ] لأعرابيُّ : كيف فلانٌ فيكم ؟ قال :
مرزوقٌ أحق ! قال : هذا الرَّجُلُ الكامل .

قال : وقال أعرابيُّ لرجلٍ : كيف فلانٌ فيكم ؟ قال : غَنِيٌّ حَظِيٌّ^(٢)
قال : هذا من أهل الجَنَّةِ !

(السواد والبياض في البادية)

الأصمعيُّ قال : أخبرني جَوْسِقُ قال : كان يقال بالبدو : « إذا ظَهَرَ
البَيَاضُ قَلَّ السَّوَادُ ، وإذا ظَهَرَ السَّوَادُ قَلَّ البَيَاضُ » . قال الأصمعيُّ : يعني
بالسَّوَادِ التَّمْرَ ، وبالبياضِ اللَّبَنَ والأقِطَ^(٣) . يقول : إذا كانت السَّنَةُ مُحْصِبَةً
كثُرَ الأَقِطُ واللَّبَنُ وَقَلَّ التَّمْرُ ، وإذا كانت السَّنَةُ مجدِبةً كثُرَ التَّمْرُ وَقَلَّ اللَّبَنُ
[والأقِطُ] . وقال : إذا كان العام خصيباً^(٤) ظهر [في صدقة الفِطْرِ]
البَيَاضُ ، يعني الأَقِطَ ؛ وإذا كان جَدِيباً^(٥) ظهر السَّوَادُ ، يعني التمر .
وتقول الفُرسُ : إذا زَحَرَتِ الأودِيَةُ بالماءِ كثُرَ التَّمْرُ^(٦) ، وإذا
اشتَدَّتِ الرِّياحُ كثُرَ الحَبُّ .

(١) تظرف : تكلف الظرف . وفي ط ، ل : « تظرف » . وصوابه من س .

(٢) ط ، س : « غني حظي » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الأقط : شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمتص .

(٤) ط : « خصبا » .

(٥) ط ، س : « جدبا » .

(٦) ط : « السمن » ، وأثبت ما في س ، ل .

(قول في أثر الريح في المطر)

وحدثني محمد بن سلام^(١) ، عن شعيب بن حجر^(٢) قال : جاء رجلٌ على فرسٍ فوقفَ بماءٍ من مياه العرب فقال : أعندكم الريحُ التي تكبُّ البعير^(٣) ؟ قالوا : لا . قال : فتذري الفارس^(٤) ؟ قالوا : لا . قال : فكما تكون يكون مطرُكم .

وحدثني العُتبي^(٥) قال : هجمتُ على بطنِ بينَ جبيلين ، فلم أرَ وادياً أخصبَ منه ، وإذا رجالٌ يتركلون^(٦) على مساحيم ، وإذا وجوهٌ مهجئة ، وألوانٌ فاسدة . فقلتُ : واديكُم أخصبُ وادٍ ، وأنتم لاتشبهونَ المخاصيبَ^(٧) قال : فقال شيخٌ منهم : ليس لنا ريح .

(١) ل : « وحدث محمد بن سلام » . ومحمد بن سلام هذا هو الجمحي صاحب الطبقات ، كان من أئمة الأدب البصريين ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين . لسان الميزان (٥ : ١٨٢) .

(٢) ل : « صخر » .

(٣) تكب البعير : تقلبه وتصرعه .

(٤) ذرت الريح الشيء وأذرتة : أطارته .

(٥) ل : « القيني » ، وهو تحريف نهنا عليه كثيراً .

(٦) في القاموس : « تركل بمسحاته : ضربها برجله لتدخل في الأرض » . في ط

« يتوكأون » ، وفي ط : « يتوكلون » ، وأثبت ما في ل .

(٧) المخاصيب . جمع نخصب أو نخصاب . وفي ط فقط : « المخاصب » .

(شعر في الخصب)

وقال النمر بن تولب :

كَأَنَّ حَمْدَةَ^(١) ، أَوْ عَزَّتْ لَهَا شَبَّهَا فِي الْعَيْنِ يَوْمًا تَلَاقَيْنَا بِأَرْمَامِ-
مِثَاءُ جَادٍ عَلَيْهَا وَابِلٌ هَطِلٌ فَأَمْرَعَتْ لَاحْتِيَالٍ فَرَطَ أَعْوَامِ^(٢)
إِذَا يَجْفُ ثَرَاهَا بَلَّهَا دِيمٌ مِنْ كَوْكَبٍ بَزَلِ بِالمَاءِ سَجَامِ
لَمْ يَرَعَهَا أَحَدٌ وَارْبَتَهَا زَمْنَا^(٣) فَأَوَّ مِنْ الأَرْضِ مَحْفُوفٍ بِأَعْلَامِ^(٤)
تَسْمَعُ لِلطَّيْرِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلًا كَأَنَّ أَصْوَاتَهَا أَصْوَاتُ جُرَامِ^(٥)
كَأَنَّ رِيحَ خُزَامَاهَا وَحْنُوتَهَا بِالأَلِيلِ رِيحٌ يَلْدَنْجُوجٍ وَأَهْضَامِ^(٦)

(١) ل فقط : « حمرة » .

(٢) لاحتيال : أى بعد احتيال . والاحتيال : مرور الأحوال . وفرط أعوام : بعد أعوام ، قال لبيد :

هل النفس إلا متعة مستعارة تعار فتأق ربها فرط أشهر

وفى ط ، س : « بعد أعوام » .

(٣) كذا . وفى اللسان مادة (فأو) : « وأكتم روضتها » .

(٤) الفأو : بطن تطيف به الرمال يكون مسهطيلًا . ط : « فأوا » .

(٥) الجرام : الذين يصرمون التمر ، أى يقطعونه . وقد غنى الأنباط . وفى ط ، س : « حوام » محرف .

(٦) الخزامى والخنوة : نبتان طبيبا الرائحة . واليلنجوج : العود الهندى الذى يستعمل فى

البخور . وفى ط : « يلتجوج » محرفة . والأهضام : واحدها هضم بالكسر ، وهضم بالفتح ، وهضمة ، وهو كل شئ يتبخر به غير العود واللبنى .

قال : فلم يدع معني من أجله يُخصب الوادى ويعم نبتة إلا ذكره .
وصدق النمر (١) !

وقال الأسدي في ذكر الحصب ورطوبة الأشجار (٢) ولدونة الأغصان
وكثرة الماء :

وَكَأَنَّ أَرْحُلَنَا بِجَوْ مُحَصَّبٍ يَلْوِي عُنِيزَةً مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ (٣)
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْحَزَامِي عَرَفَجَا يَأْتِيكَ قَابِسٌ أَهْلُهُ لَمْ يُقْبَسِ (٤)
ذهب إلى أنه قد بلغ من الرطوبة في أغصانه وعيدانه (٥) ، أنها إذا ٣٨
حك بعضها ببعض لم يقدح (٦) .

وفي شبيهه بذلك يقول الآخر (٧) ، وذهب إلى كثرة الألوان (٨)
والأزهار والأنوار :

(١) في ل : « وصدق حديث القيني في قوله : فأومن الأرض محفوف بأعلام » .
وليس بشيء .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « الأشعاب » محرف . وفي البيان (٣ : ٣٤٠) :
« الورق » . وفي الحيوان ٤ : ٤٦٥ أن الشعر للمرار بن منقذ .

(٣) في الأصل : « أرجلنا » وصوابه من البيان والمخصص (١٠ : ١٣٣) .
والجو : ما انخفض من الأرض . والمحصب : موضع بين مكة ومني . ورواية
المخصص : « بوهد نخصب يمني عنيزة » ، والوهد : المنخفض . وهذه الرواية أجود . والترمس :
ماء لبني أسد . والمقيل : موضع القيلولة حيث يتوافر الظل . وزواية المخصص :
« مفيض » ، بمعنى موضع الفيضان .

(٤) كذا في ل والمخصص (١٠ : ١٧٦ : ١١ : ٣٢) . وفي ط ، س
والبيان : « أهلها » .

(٥) ل : « من رطوبة أغصانها وعيدانها » .

(٦) س : « تقلح » .

(٧) ل : « جرير » .

(٨) ليست في ل .

[كانت لنا مِنْ غَطْفَانَ جَارَهُ] كأنها من دَبَلٍ وشاره^(١)
والحلى حلى التبر والحجارة^(٢) مَدْفَعُ مِثَاءٍ إِلَى قَرَارَةٍ^(٣)
] ثم قال :

* إِيَّاكَ أَعْنَى وَاسْمَعِي يَا جَارَهُ^(٤)] *

وقال بشار :

وحديث كَأَنَّهُ قِطْعُ الرَّؤُضِ فِيهِ الْحَمْرَاءُ وَالصَّفْرَاءُ

بَاب

من الفطن وفهم الرِّطَّانَاتِ وَالْكُنَايَاتِ وَالْفَهْمِ وَالْإِفْهَامِ

(حديث المرأة التي طرقها اللصوص)

الأصمعي قال : كانت امرأة [تنزل] متنحية من الحى ، وتحب العزلة
وكان لها غنمٌ ، فطرقها اللصوص فقالت لأمتها^(٥) : أَخْرِجِي ! مَنْ هَاهُنَا ؟

(١) الدبل : بالتحريك : أصله في البعير أن يمتلئ شعما ولحما . وفي ط ، س « زبل »
محرقة . والشارة : السمن ، أو حسن الهيئة ، وفي المخصص واللسان (مادة حلى)
« كأنها من حسن وشاره » .

(٢) استشهد بهذا البيت ابن سيده في المخصص (٤ : ٤٠) على أن الحلى ما يترين به من
مصوغ المعدنيات والحجارة .

(٣) الميثاء : الأرض اللينة . والقارارة : المظمن من الأرض . والمدفع : الحجرى .

(٤) البيت في أمثال الميداني (١ : ٤٣) مع أبيات أخرى منسوبة إلى سهل
ابن مالك الفزاري .

(٥) ط ، س : « لابنتها » ، وأثبت ما فى ل .

[قالت : هاهنا] حَيَّانُ ، والحُمَارِسُ (١) ، وعامرٌ (٢) والحارثُ ، ورأسُ
عَنْزٍ (٣) وشادن (٤) . وراعِيَا بَهْمِنَا (٥) . [فنحنُ ما أولئك . أى : فنحنُ أولئك] .
فلما سَمِعُوا ذلكَ ظنُّوا أنَّ عِنْدَهَا بَنِيهَا . وقال الأصمعيُّ مرَّةً (٦) : فلما
سَمِعَت حِسْمَهُمْ قالت [لَأَمَّتْهَا] : أَخْرَجَنِي سُلْحَ بَنِيٍّ مِنْ هَاهُنَا .
قال : وسُلْحٌ جَمْعُ سُلْحٍ (٧) . وحَيَّانُ والحُمَارِسُ (٨) : أَسْمَاءُ تَبِيوسٍ لَهَا .

(قصة المَهْمُورَةِ الشِيَاهِ وَالْحَمْرِ)

قال الأصمعيُّ : تزوَّجَ رجلٌ امرأَةً فساقَ إليها هَهْرَهَا ثلاثينَ شاةً ،
وبعثَ بها رسولاً ، وبعثَ بزِقٌ خَمْرٍ . فَعَمَدَ الرَّسُولُ فذَبَحَ شاةً فِي الطَّرِيقِ
فَأَكَلَهَا ، وَشَرَبَ بَعْضَ الزُّقِّ . فلما أتى المرأةَ نظرتَ إلى تسعٍ وعشرينَ
ورأتَ الزُّقَّ ناقصاً ، فعلمتَ أنَّ الرجلَ لا يبعثُ إلاَّ بثلاثينَ وَزِقٌ (٩) مملوءٌ

(١) ل : « الحنارس » .

(٢) ط ، س : « وعامرا » ، محرفة .

(٣) ط فقط : « عتر » ، ولها وجه ؛ فالعتر بالكسر : كل ما ذبح .

(٤) ط ، س : « بارق » .

(٥) ط ، س : « وراعينا بهمنا » ، تحريف ما في ل .

(٦) الكلام من « فلما سمعوا » ساقط من ل .

(٧) السلاح ، بالضم : النجو .

(٨) ل : « الحنارس » . وكما أن الوجه أن يضاف « عامر والحارث » إلى الكلام ليتحقق
معنى الجمعية .

(٩) ط ، س : « وزقا » .

فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ : قَلْ لِمَا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالرَّسَالَةِ : قَالَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَكَلْتِ مِنْ
الثَّلَاثِينَ شَاةً شَاةً ، وَشَرِبْتِ مِنْ رَأْسِ الزُّقِّ ! فَاعْتَرَفَ [بِذَلِكَ (٣)] .

(قِصَّةُ الْعَنْبَرِيِّ الْأَسِيرِ)

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ قَالَ : أَسْرَبَنُو شَيْبَانَ
رَجُلًا مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ ، قَالَ : دَعَوْنِي حَتَّى (٤) أُرْسَلَ إِلَى أَهْلِي لِيَفْدُونِي (٥) . قَالُوا :
عَلَى أَلَّا تَسْكُلُمُ الرَّسُولَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدِينَا . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَقَالَ لِلرَّسُولِ ،
أَنْتِ أَهْلِي فَقُلْ : إِنَّ الشَّجَرَ قَدْ أَوْرَقَ . وَقُلْ : إِنَّ النِّسَاءَ قَدْ اشْتَكَّتْ
وَخَرَزَتْ الْقِرْبَ (٦) . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَتَعْقِلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِنْ كُنْتَ
تَعْقِلُ فَمَا هَذَا ؟ قَالَ : اللَّيْلُ . قَالَ : أَرَأَيْكَ تَعْقِلُ : لَقِيَ إِلَى أَهْلِي فَقُلْ لَهُمْ :
عَرُّوا جَمَلِي الْأَصْهَبَ ، وَارْكَبُوا نَاقَتِي الْحَمْرَاءَ ، وَسَلُّوا حَارِثًا عَنْ أَمْرِي - وَكَانَ
حَارِثٌ صَدِيقًا لَهُ - فَذَهَبَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَ بِهِمْ ، فَدَعَا حَارِثًا فَقَصَّ عَلَيْهِ
الرَّسُولُ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ أَمَا قَوْلُهُ « إِنَّ الشَّجَرَ قَدْ أَوْرَقَ » فَقَدْ تَسَلَّحَ الْقَوْمُ .

٣٩

(١) ل : « قل له » .
(٢) رثم : كسر أنفه أو فوه حتى تقطر منه الدم ، أو لطح بالدم .
(٣) هذه الزيادة من س فقط . والخبر في البيان (٣ : ٢١١) برواية أخرى ، وقد
عين اسم الرجل بأنه قسامة بن زهير العنبري . وانظر كذلك كنايات الجرجاني ٦٣
ومحاضرات الراغب (١ : ٦٧) حيث نسب الخبر في الأخيرة إلى امرئ القيس .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٥) ط ، س : « إلى صاحبي » ، وفي ط فقط : « ينفوني » .
(٦) هذه الجملة ليست في ل . وهي في أصلها : « وجررت القرب » وليس لذلك
وجه ، وقد اعتمدت في تصحيحها على ما في كامل ابن الأثير ١ : ٣٨٤ : والمراد بالخبر
هنا الإصلاح استعداداً للحرب .

وأما قوله : « إِنَّ النِّسَاءَ قَدْ اشْتَكَّتْ وَخَرَزَتْ الْقِرْبَ ^(١) » فيقول : قد اتخذت الشُّكَا ^(٢) وخرزت القيرب للغزو . وأما قوله : « هذا الليل » فإنه يقول : أناكم جيشٌ مثلُ الليل . وأما قوله : « عرُّوا جملي ^(٣) الأضهب » فيقول : ارتحلوا عن الصَّمان . وأما قوله : « اركبوا ناقتي الحمراء » فيقول : انزلوا الدهناء .

وكان القوم قد تهيئوا للغزوهم ، فخافوا أن يُنذِرهم ، [فأنذروهم] وهم لا يشعرون ، فجاء القوم يطلبونهم فلم يجدوهم ^(٤) .

(قصة العطاردي)

وكذلك صنع العطاردي في شأن [شِعب] جبلة ، وهو كيرب بن صفوان ؛ وذلك أنه حين لم يرجع لهم قولا حين سأله أن يقول ، ورعى بصرتين في إحداهما شوك ، والأخرى تراب ، فقال قيس بن زهير : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه ألا يتكلم ، وهو ينذركم عدداً ^(٥) وشوكة ^(٦)

قال الله عز وجل : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ .

(١) س فقط : « وجررت القرب للغزو » ، والكلمة الأخيرة تفسد الكلام ، وتصحيح

كلمة « جررت » هنا وفيما سيأتي قريباً ، اعتمدت فيه على ما في الكامل .

(٢) الشكا ، بالكسر : جمع شكوكة بالفتح : وعاء للماء أو اللبن من آدم .

(٣) ط ، س : « جمالي » وتصحيحه من ل .

(٤) هذا الخبر أورده ابن عبد ربه في العقد ٣ : ٣٣٠ - ٣٣١ في بدء كلامه على

يوم الوقيط ، وكذلك ابن الأثير ، بصورة مفصلة . وهو أيضاً في أمالي ^(٥) :

١ : ٦ والمرتضى ١ : ١٢ والعمدة ١ : ٢١١ ومحاضرات الراغب

١ : ٦٧ والمزهر ١ : ٣٣٣ وكنيات الجرجاني ٦٤ ومعاني الأشتانديني

٥٧ وطرارز المجالس ٢٥٤ والملاحن ٤ وأخبار الظراف ٧٠ والمستطرف ١ : ٤٢ .

(٥) أي عدوا كثير العدد ، وقد أشار إليه بالتراب . وفي ط ، س : « غدرا »

وليس بشيء .

(٦) الشوكة : البأس والقوة . س : « أو شوكة » . والخبر مع بسط كبير ، في كامل

ابن الأثير ١ : ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(شعر في صفة الخيل والجيش)

قال أبو نخيلة (١) :

لما رأيتُ الدِّينَ دِينًا يُؤْفَكُ وَأَمَسَتِ الْقُبَّةُ لَا تَسْتَمْسِكُ (٢)
يُفْتَقُ مِنْ أَعْرَاضِهَا وَيُهْتَكُ (٣) سرت من الباب فطَارَ الدَّكَدَكُ (٤)
مِنهَا الدَّجُوجِيُّ وَمِنْهَا الْأَرْمَكُ (٥) كَاللَّيْلِ إِلَّا أَنَّهَا تَحْرَكُ

وقال منصور النمرى :

ليلٌ من النَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ (٦)

وقال آخر :

كَأَنَّهُمْ لَيْلٌ إِذَا اسْتَنْفَرُوا (٧) أَوْ لُجَّةٌ لَيْسَ لَهَا سَاحِلٌ

(١) في الأصل : « ابن نخيلة » ، وليس يعرف شاعر أو راجز بهذا الاسم . وأبو نخيلة

تقدمت ترجمته في ٢ : ١٠٠ .

(٢) ط : « لاتمسك » .

(٣) ط ، س : « أو يهتك » .

(٤) الدكدك : ماتكيس . واستوى من الرمل ، أو ماالتبد منه بالأرض . في ط ، س

« قطار دكدك » ، وفي ل : « فسار الدكدك » ، وقد جمعت بينهما بما ترى .

(٥) الدجوجي : الشديد السواد . والأرمك : الذي يخالط حمرة سواد ، وقد تكلم

العسكري في هذا البيت والذي بعده . وهما في صفة الخيل . الصناعتين ٣٩٧ .

(٦) المذروبة : المحددة . وفي ط س : « المدرية » ، وهو تحريف ما أثبت من ل

وديوان المعاني ٢ : ٦٧ .

(٧) استنفروا : دعوا للقتال والنصرة . في ط : « استفزوا » وصوابه في س ، ل .

وقال العجاج^(١) :

كأَنَّمَا زُهاوُهُ إِذا جُهِرَ^(٢) لَيْلٌ وَرِزٌّ وَغَرِّه إِذا وَغَرَ^(٣)

* سارِ سَرَى مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ فِجْرٍ^(٤) *

وفي هذا الباب وليس منه^(٥) يقول بشار :

كَأَنَّ مُثارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ^(٦)] وَأَسِيفُنَا لَيْلٌ تهاوى كواكبُه

وقال عمرو بن كلثوم :

تَبَنِي سَنابِكُهُمْ مِنْ فَوْقِ أَرُوسِهِمْ [سَقْفًا^(٧) كواكبُه البَيْضُ المَباتيرُ

وهذا المعنى قد غلب عليه بشار ، كما غلب عنتره على قوله :

فَتَرَى الدُّبابَ بِها يُغَيِّ وَحَدَهُ هَزِجًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ المَرْتَمِ
غَرِّدًا يُحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ المُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الأَجْذَمِ
فلو أن امرأ القيس عَرَضَ في هذا المعنى لعنتره لافتَضَحَ .

(١) ط : « وقال آخر » . وأثبت ماقى س ، ل .

(٢) زهاؤه : قدره . وفي ط ، س : « نهاره » وصوابه من ل : وديوان المعاني

٢ : ٧١ . وجهر : نظر إليه باستعظام . ورواية ديوان المعاني واللسان (مادة

جهر ، وغر) : « لمن جهر » . والشعر في نعت جيش .

(٣) الرز ، بالكسر : الصوت . ووغر الجيش : صوتهم وجلبتهم . وفي ط ، س

« وزور وعرة إذا وعر » ، وهو تشويه لإصلاحه من ل وديوان المعاني واللسان .

(٤) ل : « فحر » ، وفي الأصل : « العير » صوابه في ديوان العجاج ١٨ وديوان المعاني

والمخصص ١٦ : ١٨٥ . قال ابن سيده : والعين : ماعن يمين قبلة العراق .

(٥) ل : « به » .

(٦) ط ، س : « كأنما النقع يوما فوق رؤوسهم » ، وبذلك يختلف الوزن ، وأثبت

ماقى ل وعيون الأخبار ٢ : ١٩٠ . ومشهور الرواية : « فوق رموسنا »

انظر الوساطة ٢٣٧ وحامسة ابن الشجري ٢٣٤ .

(٧) ط ، س : « سقف » صوابه في ل .

(مقطعات شتى)

وقال بعضهم [في] غير هذا [المعنى] :

وفلاةٍ كأنما اشتمل اللب لُ على ركبها بأبناء حام^(١)
٤٠ خضتُ فيها إلى الخليفة بالرَّ قَّة^(٢) بحرى ظهيرة وظلام
وقال العرجي^(٣) :

سميتني خلقاً بخلَّةٍ قدمت^(٤) ولا جديد إذا لم يلبس الخلق
يا أيها المتحلَّى غيرَ شيمته ومن خلائقه الإقصاد والمَلق^(٥)
ارجع إلى خيمك المعروف ديدنه إن التخلق يأتي دونه الخلق^(٦)
وقال آخر^(٧) :

أودى الحيار من المعاشر كلهم واستبَّ بعدك يا كليب المجلس
وتنازعوا في كلِّ أمرٍ عظيمةٍ لو قد تكون شهدتهم لم يندسوا^(٨)

(١) حام : أحد أبناء نوح . وإليه ينسب السودان ، والزنوج ، والأحباش ، والنوبة .
(٢) البرقة : مدينة على الفرات . ط ، س : « بالشرفة » تحريف .
(٣) ط ، س : « وقال آخر » ، وأثبت ما في ل موافقاً لما في العقد ٢ : ٢٤
وزهر الآداب ١ : ٧٧ والشعراء ١٣٨ . ويروى الشعر أيضاً لسالم بن وابصة
كافي البيان ١ : ٢٣٣ ونوادر أبي زيد ١٨١ . وهو بدون نسبة في مجالس ثعلب ٣٠٠ .
(٤) ط : « بخلَّة قدحت » س : « لخلَّة قدمت » ، وأثبت ما في ل .
(٥) الإقصاد ، لعله من أقصدت الحية : لدغت فقتلت .
(٦) الخيم ؛ بالكسر : السجية .
(٧) هو مهلهل ، كما سيأتي ، وكافي ديوان المعاني ١ : ٢٠٤ والصناعتين ١٩٤ .
(٨) ل : « لو كنت حاضر أمرهم لم يندسوا » .

وأبيات أبي نواسٍ على أنه مولد شاطر ، أشعرٌ من شعر مهلهل في إطراق
الناس في مجلسٍ كليب ، وهو قوله (١) :

على خبز إسماعيلٍ واقية البخل (٢) وقد حلَّ في دار الأمان من الأكل
وما خبزُهُ إلا كآوى يُرى ابنها ولم تُرَّ آوى في الحزون ولا السهل
وما خبزُهُ إلا كعنقاءٍ مُغربٍ تُصوِّر في بسطِ الملوك وفي المشل
يحدث عنها الناس من غير رؤيةٍ سيوى صورة ما أن تُمرُّ ولا تُحلي
وما خبزُهُ إلا كليبُ بن وائلٍ ليالى يحمى عزه منبت البقل
وإذ هو لا يستبُّ خصمانِ عنده ولا القولُ مرفوعٌ بجِدِّ ولا هزل

(١) يهجو إسماعيل بن أبي سهل بن نبيخت ، كما في الديوان ١٧١ وأخبار أبي نواس
١٢٧ وثمار القلوب ٧٧ . قال الجاحظ : « وكان أبو نواس يرتعى على خوان
إسماعيل بن نبيخت كما ترتعى الإبل في الحمض بعد طول الخلة ، ثم كان جزاؤه منه
أنه قال :

خبز إسماعيل كالوشى إذا ماشق يرفا

وقال :

وما خبزُهُ إلا كليب بن وائل ليالى يحمى عزه منبت البقل

البخلاء ٥٩ . وفي رسالة الحاسد والمحسود ص ١٠ : « وكان الحسن بن هانىء
يرتعى على مائدة إسماعيل الهاشمي ، وكان من المطعمين للطعام المسرفين ، فعارض
الحسن بن هانىء يوماً بعض أصحابه فقال له : من أين ؟ فقال : من عند إسماعيل .
فقال له : ما أطمعكم ؟ فقال : أطمعنا دماغ كلب في قحف خنزير . فلم يكن
منه هذا القول إلا على وجه الحسد » .

(٢) انفرد ابن منظور في أخبار أبي نواس برواية : « واقية النحل » ، كما يقال :
« واقية الكلاب » .

فإن خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذي أصابَ كليياً لم يكن ذلكَ عن بَدَلٍ (١)
ولكن قضاءً ليس يُسطاعُ دفعهُ بِجيلةِ ذى دَهْمٍ ولا فِكْرٍ ذى عقلٍ (٢)

(شعر العرب والمولدين)

والقضية التي لا أحتشمُ منها (٣) ، ولا أهابُ الحصومة (٤) فيها: أن (٥)
عامَّة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب ، أشعر من [عامَّة]
شعراء الأمصار والقُرَى ، من المولدة (٦) والنابتة (٧) . وليس ذلك بواجبٍ
لهم في كلِّ ما قالوه (٨) .

وقد رأيت ناساً منهم (٩) يهريجون أشعارَ المولدين ، ويستسقطون من
رواها . ولم أر ذلك قطُّ إلا في روايةٍ للشعرِ غيرِ بصيرٍ بجوهر ما يروى . ولو
كان له بصرٌ (١٠) لعرف موضعَ الجيِّدِ ممَّن كان ، وفي أيِّ زمان كان .

(١) في ديوان المعاني والثمار : « عن ذل » ، وفي الديوان : « من ذل » ، وأنا
أرتضى ما هنا .

(٢) ل : « بجيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل » . والدهى : الدهاء .

(٣) كذا في س ، ل . وفي ط : « والقصيدة هذه احتشم منها » محرفة .

(٤) ط ، س : « ولا أطلب الحصومة » ، ل : « ولا أهاب الحصوم » ، وقد عدلت
القول بما ترى .

(٥) ط : « إذ » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٦) ل : « المولدين » .

(٧) ط : « والثانية » ول « الثانية » س : « النابتة » ، والوجه ما أثبت .

(٨) ط ، ل : « فيما قالوه » ، والوجه ما كتبت من س .

(٩) ط : « نشأهم » س : « نسابهم » ل : « ناسا » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(١٠) ل : « ولد » ، وهو تحريف ظاهر .

وأنا رأيت^(١) أبا عمرو [الشيباني] وقد بلغ من استجاداته لهذين البيتين ،
ونحن في المسجد يوم الجمعة ، أن كلّف رجلاً حتى أحضره دواة وقرطاساً ٤١
حتى كتبهما له . وأنا أزعّم أنّ صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً .
ولولا أن أدخل في [الحكم] بعض الفتك^(٢) لزعمتُ أن ابنه لا يقول شعراً
أبداً^(٣) ، وهما قوله :

لأَحْسِبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَيْلَى فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرَّجَالِ^(٤)
كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا أَفْطَعَ مِنْ ذَلِكَ لَذَلَّ السُّؤَالُ^(٥)

(القول في المعنى واللفظ)

وذهب الشيخُ إلى استحسانِ المعنى ، والمعاني مطروحةٌ في الطريق
يعرفها العجميُّ والعربيُّ ، والبدويُّ والقروى ، [والمدنيُّ] . وإنما الشأنُ
في إقامةِ الوزنِ ، وتخيُّرِ اللفظِ^(٦) ، وسهولةِ المخرجِ^(٧) ، [وكثرةِ الماءِ] ،

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « قد سمعت » .

(٢) الفتك : المجون . وفي ط ، س : « القيل » .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « لزعمت أن ابنه أشعر منه » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « وإنما » .

(٥) كذا في ط ، س والبيان (٢ : ١٧١) . وفي ل : « أشد من ذلك على
كل حال » . وفي المستطرف (٢ : ٥٣) : « أخف من ذلك لذل السؤال » . ومن
العجيب أن ينعي الجاحظ على أبي عمرو استحسانه هنا ، ثم يقع هو فيما عابه على غيره
فيجعل البيتين في مختارات البيان والتبيين .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « تمييز » وفي س : « وتخيير » .

(٧) ط : « وسهولته وسهولة المخرج » .

وفى صحّة الطّبع وجوّد السّبك^(١) ، فإنما الشعر صناعة^(٢) ، وضرب من النّسج^(٣) ، وجنس من التّصوير .

وقد قيل للخليل بن أحمد : مالك لا تقول للشّعر ؟ قال : «الذي يجيئني لأرضاه ، والذي أرضاه لا يجيئني» .

فأنا أستحسن هذا الكلام ، كما أستحسن جواب الأعرابيّ حين قيل له : كيف تجذّك ؟ قال : [أجدني] أجد ما لا أشتهي ، وأشتهي ما لا أجد !

(شعر ابن المقفع)

وقيل لابن المقفّع : مالك لا تجوز^(٤) البيت والبيتين والثلاثة ! قال : إن جزئها^(٥) عرفوا صاحبها . فقال له السائل : وما عليك أن تعرف بالطّوال الجياد ؟ ! [فعمل أنه لم يفهم عنه] .

(الفرق بين المولد والأعرابي)

ونقول : إن^(٦) الفرق بين المولد والأعرابي : أن المولّد يقول^(٧) بنشاطه وجمع^(٨) باله ، الأبيات^(٩) اللاحقة بأشعار أهل البدو ، فإذا^(١٠) أمعن انحلت قوّته ، واضطرب كلامه .

(١) ل : « وجودة السبك وصحة الطبع » مع إسقاط « صحة الطبع » مما سبق .

(٢) ل : « صياغة » .

(٣) ط فقط : « الصبغ » .

(٤) أي تتجاوز . وفي ط ، س : « تجود » محرفة .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « جودتها » وهو تحريف

(٦) ل : « لأن الفرق » مع حذف : « ونقول » .

(٧) س : « يقوم » وهو تحريف .

(٨) ط : « وجميع » ، وللوجه ما أثبت من س ، ل .

(٩) كذا في ل . وبدلها في ط ، س : « فيشبه » .

(١٠) ط ، س : « وإذا » .

(شعر في تعظيم الأشراف)

وفي شبيهه بمعنى مهلهل وأبي نؤاس ، في التّعظيم والإطراق عند السّادة ،

يقول الشاعر^(١) في بعض بني مروان :

في كفه خَيْرُ رَانَ رِيحُهُ عَبِقٌ في كفِّ أَرْوَاعٍ في عَرِينِهِ شَمَمٌ^(٢)
يَغْضِي حَيَاءً وَيَغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يَكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمْ وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا سَاخَتْ الْكَلِمُ
كَمْ هَاتَفَ بِكَ مِنْ دَاعٍ وَهَاتِفَةٍ يَدْعُوكَ يَا قَوْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قَوْمَ^(٣)

وقال أبو نؤاس في مثل ذلك^(٤) :

فَتَرَى السَّادَاتِ مَائِلَةً^(٥) لِسَلِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَرَّةٍ
فَهَمُّ شَتَّى ظُنُونُهُمْ حَذَرَ الْمَطْوِيِّ مِنْ خَبْرَةٍ^(٦)

(١) هو الفرزدق يقوله في هشام بن عبد الملك كما في أمالي المرتضى (١ : ٤٨)
وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزین الكناني في عبد الملك بن مروان كما في ديوان
الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو للفرزدق في علي بن الحسين كما في العمدة (٢ : ١١٠)
وأمالي المرتضى . أو للعين المنقري فيه ، كما في العمدة . أو لكثير بن كثير المهدي
في محمد بن علي بن الحسين . المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم في قثم بن العباس ، كما
في العمدة . وهذا مثل لمقدار اختلاف الرواة في نسبة الشعر . وقد سكت الجاحظ
عن النسبة هنا ، وكذلك في البيان (١ : ٣٧٠ ، ٣ : ٤١) وكذا ابن قتيبة في
عيون الأخبار (١ : ٢٩٤ ، ٢ ، ١٩٦) تحفظا منهما .

(٢) ل ، س : « ريجها » .

(٣) هذا البيت ساقط من ل .

(٤) يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور ، كما في الديوان ٦٦ من قصيدته
المشهورة التي مطلعها :

أيها المتتاب من عفره لست من ليلى ولا سمرة

(٥) مائلة : واقفة ، يعني لإجلاله . وهذه رواية ل والديوان . وفي ط ، س :

« مائلة » ، والميل علامة الخضوع .

(٦) في الديوان : « حذر المكنون من فكره » .

وقال إبراهيم بن هرمة في مديح المنصور ، وهو شبيه بهذا
وليس منه :

له لحظات عن حفاقي سريره^(١) إذا كرها فيها عقاب^(٢) ونائل^(٣)
فأم الذي أمنت آمنة الردى وأم الذي أوعدت بالشكل ثاكل^(٤) ٤٢

(شعر في الحلف والعقد)

وقال مهلهل ، وهو يقع في باب الحلف وكّد بعقد^(٥) :

[ملنا على وائل وأفلتنا يوماً عدى جريعة الذقن^(٦)]
دفعت عنه الرّماح مجتهداً حفظاً لخلي وحلف ذى يمن^(٧)
أذكر من عهدنا وعهدهم عهداً وثيقاً بمنحّر البُدن
مابلّ بحر كفا بصوفتها^(٨) وما أناف الهضاب من حصن^(٩)
يزيده الليل والنهار معاً شداً ، خراط الجموح في الشطن^(١٠)

(١) كذا في س والعقد (١ : ٣٢٠ تأليف) وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤) وفي . ل :
« عن حفا من » وفي ط : « في خفا من » . وفي العقد (٦ : ٣٥١ تأليف) : « عن
خفاء سريرة » . وفي العمدة (٢ : ١٠٩) : « عن خفاقي سريره » .

(٢) س : « فيه عقاب » وهو تحريف .

(٣) ط : « أمته الردى » وتصحيحه من س ، ل . وفي ل : « حاولت بالشكل »
وفي س : « أنكلت » .

(٤) ط فقط : « في باب حلف » . ل فقط : « وكيف يعقد » .

(٥) يقال في المثل : أفلتني جريعة الذقن ، إذا كان قريباً منك كقرب الجرعة من الذقن
ثم أفلتك ، وهو يضرب مثلاً لإفلات الجبان . اللسان (جرع) .

(٦) ط ، س : « وحفظ ذى يمنى » وهو تحريف .

(٧) في اللسان : « وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني ، واحده
صوفة . ومن الأبيديات قولهم : لا أكلمه مابل بحر صوفة » . ل : « بصوفتها »
وهو تحريف .

(٨) حصن ، بالتحريك : جبل بأعلى نجد . وفي ط ، س : « حصن » مصحف .
وفيها أيضاً : « وما أناف الصخور » .

(٩) الخراط : بالكسر : الجماع . والشطن : الحبل . ط ، س : « خراط الجموع »
وصوابه من ل .

(شعر في مصرع عمرو بن هند)

وقال جابر بن حني^(١) التغلبي :

ولسنا كأقوامٍ قريبٍ محلهمُ ولسنا كمن يرضيكم بالتلق^(٢)
فسائلٌ شرَّحبيلاً بنا ومحلماً غداة نكرُّ الخيلَ في كلِّ خندق^(٣)
لعمرك ما عمرو بنُ هندٍ وقد دعا لتخدمَ ليلى أمه بموفق^(٤)
فقام ابنُ كلثومٍ إلى السيفِ مُغضباً فأمسكَ من ندمانه بالمخنق^(٥)
وعممه عمداً على الرأسِ ضربةً بذى شطبٍ صافي الحديدِ مخفق^(٦)

(١) جابر بن حني أحد شعراء المفضليات . وفي ط ، س : « ضابي بن حينا » وهو تحريف . والشعر ينسب أيضاً إلى أفنون التغلبي كما في الشعراء ٩٦ والأغاني (٩ : ١٧٦) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٣١) .

(٢) ل : « نرضهم » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٣) ط : « فسائل شريكاً نائباً ومحكماً » . س : « فسائل شريحا نائباً ومحكماً » ، وأثبت ما في ل . وفي س : « تكرر الخيل » .

(٤) لاستخدام أم عمرو بن هند ، ليلى أم عمرو بن كلثوم ، قصة يتداولها الرواة . انظر لها الأغاني (٩ : ١٧٥ - ١٧٦) .

(٥) الندمان ، بالفتح : النديم ، والمراد به عمرو بن هند . وفي ل : « ندمانه » وهو تحريف . وفيها أيضاً : « بالمخنق » وهو تحريف كذلك . وفي س : « بالمخنق » .

(٦) الشطب : طرائق للسيف . و « الحديد » هي في الأصل « الحديد » ، وأثبت ما في الأغاني ليستقيم الشعر . والمخفق ، كقبر : العريض من السيوف . وفي ط : « محقق » وفي س : « محقق » وهما تصحيف ما أثبت من ل .

(شعر في الأقارب)

وقال المتلمس :

على كلهم آسى وللأصل زلفة فزحزح عن الأدنين أن يتصدَّعوا
وقد كان إخواني كريماً جوارهم ولكن أصل العود من حيث يُنزعُ

وقال المتلمس :

ولو غيرُ أخوالي أرادوا نقيبتي جعلتُ لهم فوقَ العرائنِ ميسما
وما كنتُ إلا مثلَ قاطعِ كفه بكفُّ له أُخرى فأصبحَ أجذما
يداهُ أصابتُ هذه حَتْفَ هذه فلم تجدِ الأخرى عليها مُقدِّما
فأطرقَ إطراقَ الشجاع ولو يرى مساعاً لنابيهِ الشجاعُ لَصَمَّما (١)
أحارثُ إنا لو تساطُ دِماؤنا تَزَايَلنَ حتَّى لا يمسَّ دَمُ دِما (٢)

(تفسير كلمة لعمر)

قال : وسألتُ عن قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبي
مرِّيم الحنفي (٣) : واللهِ لَأَنَا أَشَدُّ بَغْضاً لَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِلدَّمِ (٤) ! قال :

(١) الشجاع : الحية الذكر .

(٢) نساط : تخلط . وفي ط ، س : « تساقط » ، وصوابه في ل . وكانوا يعتقدون
أنه إذا خلط دم عدوين تميز كل منهما عن الآخر .

(٣) اسمه إياس بن صبيح ، كان من أهل اليمامة وكان من أصحاب مسيامة ، وهو قتل
زيد بن الخطاب بن نفيل يوم اليمامة ، ثم تاب وحسن إسلامه ، وولى قضاء البصرة
بعد عمران بن الحصين في زمن ابن الخطاب . طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ٢ ص ٦٤) :
وقال أبو الحسن في شرح الكامل : ثقة كوفي . الكامل ٣٤٦ ليسك .

(٤) النص في الكامل : « والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم » وزاد : « قال :
أفتمنعني حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء ! » .

لأنَّ الدَّمَّ الجارى من كلِّ شيءٍ بين ، لا يغيضُ في الأرض ؛ ومتى جفَّ
[وتجلَّب] فقرفته (١) رأيتَ مكانه أبيض .

إلا أنَّ صاحب المنطق قال في كتابه في الحيوان : كذلك الدَّماء ، إلاَّ
دَمَ البعير .

(أشعار شتى)

وقال النَّمِرُ بنُ تولب (٢) :

إذا كنتَ في سعدٍ ، وأمك منهمُ غريباً فلا تغررك أمك من سعدٍ (٣)
وقال (٤) :

وإنَّ ابنَ أختِ القومِ مُصغى إنأؤه إذا لم يُزَاحِمُ خالهُ بأبٍ جلدٍ (٥)

-
- (١) قرفه : قشره . وفي ط ، س : « فقرفته » ؛ تصحيف ما أثبت من ل .
(٢) في محاضرات الراغب (١ : ١٧٧) نسبة الشعر إلى حسان بن وعلة . وفي الحماسة
(١ : ٢٠٠) إلى غسان بن وعلة .
(٣) الرواية المشهورة : « فلا يغررك خالك من سعد » . انظر الكامل ٣٣٧ ليسك
ومحاضرات الراغب والعقد (١ : ٤٣) والحماسة ، وعيون الأخبار (٣ : ٨٩) .
(٤) كذا بالأصل . والبيتان متصلان كما في جميع المراجع السابقة ماعدا العقد ، والرواية
فيها جميعاً ماعدا العقد ؛ فإنه لم يرو البيت الثاني : « فإن ابن أخت القوم » . وبعد
البيت السابق ، كما في العقد وشرح التبريزي (٢ : ٤١) :
إذا مادعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرء
قال أبو عمرو بن العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب ، وكانوا يسمون
الغدر في الجاهلية : « كيسان » .
(٥) مصغى إنأؤه : يقال أصغيت الإناء : نقصته . انظر المحمص (١٣ : ١٦١) .
وفي اللسان ، « ويقال أصغى فلان إناء فلان : إذا أماله ونقصه من حظه » .

وقال آخر :

تَخَيَّرَهُ اللهُ الْغَدَاةَ لِدِينِهِ عَلَى عِلْمِهِ وَاللَّهُ بِالْعِلْمِ أَفْرَسٌ^(١)

وقال آخر :

وَمَا تَرَكَ الْمَاجُونَ لِي فِي أُدْيِمِكُمْ مَصْحًا وَلَكِنِّي أَرَى مُتَرَقِّعًا^(٢)

وقال العجلى ، أو العكلى^(٣) ، إنوح بن جرير :

[أَتَسْبَنِي فَأَرَاكَ مِثْلِي سُبَّةً وَأَسْبَ جَدَّكُمْ بِسَبِّ أَيْبِنَا]

ولقد أرى والمقتضى متجوز^(٤) يانوخُ أَنَّ أَبَاكَ لَا يُؤْفِينَا

وقال عمرو بن معد يكرب :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعَهُ وَجَاوِزَهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وَصِلَهُ بِالزَّمَاعِ فَكُلُّ أَمْرٍ سَمًا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلَوْعُ

(شعر في صاحب السوء)

وقال المقنع الكندي^(٥) :

وصاحب السوء كالذء العياء إذا مَا أَرَفَضَنِّي الْجَوْفِ يَجْرِي هَاهُنَا وَهَنَا^(٦)

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « تخيره رب العباد . . . بالبعد أعرف » .

(٢) المصحح : موضع الصحة . س : « مترفعاً » وهو تصحيف ، صوابه في اللسان والمقاييس (رفع) .

(٣) كذا في س . وفي ط : « وقال العجلى ، أو الكملى » وفي ل :

« وقال العكلى » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « ولقد رأونا والقضا متخون » وفي س : « ولقد

رأونا والقضا متخون » .

(٥) المقنع : لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أجمل الناس وجها ، وكان إذا سفر اللثام عن

وجهه أصابته العين ، فكان لا يمشى إلا مقنعا . واسمه محمد بن ظفر بن عمير .

شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . الأغاني (١٥ : ٧٥١) والشعراء ١٧٣ .

(٦) داء عياء : لا يبرأ منه . وفي ل : « كالداء المضال » .

يُنْبِي وَيُنْجِرِ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ وَمَا رَأَى عِنْدَهُ مِنْ صَالِحٍ دَفْنَا (١)
كَمَهْرٍ سَوْءٍ إِذَا رَفَعَتْ سَيْرَتَهُ رَامَ الْجَمَاحَ وَإِنْ خَفَضَتْهُ حَرْنَا (٢)
إِنْ يَنْحَى ذَاكَ فَكُنْ مِنْهُ بِمَعْزَلَةٍ أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَعْرِفْ لَهُ جَنَانًا (٣)

بَاب (٤)

ذِكْرُ خِصَالِ الْحَرَمِ

فَمِنْ خِصَالِهِ أَنْ الذُّئْبَ (٥) يَصِيدُ الظَّبْيَ وَيُرِيغُهُ (٦) وَيَعَارِضُهُ ، فَإِذَا دَخَلَ
الْحَرَمَ كَفَّ عَنْهُ .

وَمِنْ خِصَالِهِ أَنَّهُ لَا يَسْقُطُ عَلَى الكَعْبَةِ حَامٍ (٧) [إِلَّا وَهُوَ عَلِيلٌ . يُعْرِفُ
ذَلِكَ مَتَى امْتَحَنَ وَتَعَرَّفَتْ حَالُهُ (٨) . وَلَا يَسْقُطُ عَلَيْهَا] مَا دَامَ صَحِيحًا .
وَمِنْ خِصَالِهِ أَنَّهُ إِذَا حَاذَى أَعْلَى الكَعْبَةِ عَرَقَةً (٩) مِنَ الطَّيْرِ كَالطَّيَامِ
وغيره ، انْفَرَقَتْ فِرْقَتَيْنِ وَلَمْ يَعْلَمَهَا (١٠) طَائِرٌ مِنْهَا .

(١) ل : « يَجْرِي وَيُنْجِرِ » ، وَفِي الشُّعْرَاءِ : « يَنْبِي وَيُنْجِرِ » .

(٢) رَفَعَ سَيْرَتَهُ : زَادَ فِي سُرْعَةِ سَيْرِهِ .

(٣) الْجَنِينُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْقَبْرِ . وَفِي ل : « أَوْ مَاتَ ذَاكَ لَا تَشْهَدُ لَهُ جَنَابًا » ، وَهُوَ
تَحْرِيفٌ مَا فِي الشُّعْرَاءِ : « أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَشْهَدُ » .

(٤) قَبْلَ هَذَا فِي ل : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

(٥) كَذَا فِي ل وَثَمَارِ الْقُلُوبِ ١٣ وَمَحَاضِرَاتِ الرَّاعِبِ (٢ : ٢٦٣) . وَفِي ط ،
س : « الْكَلْبُ » ، وَلَيْسَ مُرَادًا .

(٦) يَرِيغُهُ : يَطْلُبُهُ .

(٧) ط ، س : « عَلَى الكَعْبَةِ حَامٍ » .

(٨) فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ : « عَرَفَ ذَاكَ مِنْ امْتِحْنِهِ وَتَعَرَّفَ حَالَهُ » .

(٩) الْعَرَقَةُ ، بِالتَّحْرِيكِ : السُّطْرُ مِنَ الطَّيْرِ ، أَوْ الْخَيْلِ ، وَالْجَمْعُ عَرَقٌ . وَفِي ط ، س
« عَرَفَ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(١٠) ط : « يَعْلَمُهَا » وَصَوَابُهُ فِي س ، ل .

ومن خصاله [أنه^(١)] إذا أصاب المطر الباب الذي من شقِّ العراق ،
كان الخِصْبُ والمطرُ في تلك السَّنَةِ في شِقِّ العراق ، [وإذا أصاب الذي من^(٢)]
شِقِّ الشَّامِ كان الخِصْبُ^(٣) والمطرُ في تلك السَّنَةِ في شِقِّ الشَّامِ [، وإذا^(٤)]
عمَّ جوانبَ البيتِ كان المطرُ والخِصْبُ عامًّا في سائر^(٥) البُلدان .

ومن خصال الحرم أن حصى الجِمار يُرمى بها في ذلك المرمى ، مُذْ يَوْمَ
حَجِّ النَّاسِ البيتَ على طَوَالِ اللَّدْمِ ، ثمَّ كأنَّه على مقدارٍ واحد . ولولا
موضع الآيَةِ والعلامةِ والأعجوبةِ التي فيها ، لقد كان ذلك كالجبال . هذا
من غير أن تكسحَه السُّيول ، ويأخذَ منه النَّاسُ .

ومن سنَّتِهِمْ : أن كلَّ مَنْ علا السَّكْبَةَ من العبيد فهو حرٌّ ، لا يرون
المَلِكَ على من علاها ، ولا يجمعون بين [عزٍّ] علوها وذلة^(٦) المَلِكِ .
وبمكة رجالٌ من الصُّلحاء لم يدخلوا السَّكْبَةَ .

وكانوا في الجاهليَّة لا يبنون بيتاً مربَّعاً ؛ تعظيماً للسَّكْبَةِ . [والعربُ
تسمي كلَّ بيتٍ مربَّع كعبة ، ومنه : كعبة نجران] . وكان^(٧) أوَّلُ مَنْ بنى
بيتاً مربَّعاً حميد بن زهير^(٨) ، أحد بني أسد بن عبد العزى .

ثمَّ البركة والشفاء الذي يجده مَنْ شرب من ماء زمزم على وجه الدهر

(١) الزيادة من س ، ل .

(٢) هذه الكلمة وسابقتها ليستا بالأصل . وهما من ثمار القلوب .

(٣) في الأصل ، أى ل التي منها هذه الزيادة : « الحظر » ، وتصحيحه من
ثمار القلوب .

(٤) ل : « فإذا » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل والثمار .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وبين » . وفي الثمار : « وذل الرق » .

(٧) كذا في ل . وفي ط ، س : « فكان » .

(٨) هو حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي . وكانت له
دار ملاصقة للمسجد ، وقد ذكره ابن حجر في الإصابة ١٨٣٣ .

وكثرة من يُقيم عليه يجد فيه الشفاء ، بعد أن لم^(١) يدع في الأرض حمّة^(٢) إلا أنها ، وأقام عندها ، وشرب منها ، واستنقع^(٣) فيها .

هذا مع شأن الفيل ، والطير الأبايل ، والحجارة السجيل ، وأنهم لم تزل أمنا ولقاحا^(٤) ، لا تؤدى إتاوة ، ولا تدين للملوك ، ولذلك سمي البيت العتيق ؛ لأنه لم يزل حراً لم يملكه أحد .

وقال حرب بن أمية في ذلك^(٥) :

أبا مَطَرٍ هَلُمَّ إِلَى صَلَاحٍ فَتَكْفِيكَ النَّدَامَى مِنْ قُرَيْشٍ^(٦)
فَتَأْمَنَ وَسَطَهُمْ وَتَعِيشَ فِيهِمْ أبا مَطَرٍ هُدَيْتَ لِحَيْرِ عَيْشٍ^(٧)
وَتَنْزِلَ بَلَدَةً عَزَّتْ قَدِيمًا وَتَأْمَنَ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشٍ^(٨)

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . وقال عز وجل ، حكاية عن إبراهيم

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « أن لا » .

(٢) الحمة ، بالفتح : كل عين فيها ماء حار ينبع ، يستشفى بها الأعداء .

(٣) استنقع فيها : نزل واغتسل . وفي ط ، س : « وانقع » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) في الكامل ٧٠٦ ليبسك : « واللقاح : الذي ليس في سلطان أحد » .

(٥) يقول الشعر لأبي مَطَرٍ الحضرمي ، يدعوهُ إلى حلفه ونزول مكة . كامل المبرد .

(٦) المبرد : « صلاح اسم من أسماء مكة » ، وضبطت في الكامل ضبط قطام . وقال ياقوت

في المعجم : « صلاح بوزن قطام : من أسماء مكة . قال العمراني : وفي كتاب

التكملة : صلاح ، بكسر الصاد والإعراب » يعني التنوين . في س : « فتكفئك »

وفي المعجم : « ليكفئك » ، وفي الكامل « فتكف كالندامى » ، والمعنى مستقيم بالجميع .

(٧) س : « فتأمن رهطهم » .

(٨) كذا في ط ، س ، والمعجم ، والكامل . وفي ل فقط : « عزت لقاحا »

وفي المعجم : « أن ينالك رب جيش » .

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ . رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

(خصال المدينة)

والمدينة هي طيبة ، ولطيها قيل تلفظ خبثها وينصع طيبها . وفي ربح
تراها وبنة^(١) تزبتها ، وعرف تراها^(٢) ونسيم هواؤها ، والنعمة^(٣) التي
توجد في سكرها وفي حيطانها - دليل على أنها جعلت آية حين
جعلت حرماً .

وكل^(٤) من خرج من منزل مطيب إلى استنشاق [ربح] الهواء
والأربة^(٥) في كل بلدة فإنه لا بد عند الاستنشاق والتثبت من أن يجدها
منتنة . فذلك^(٦) على طبقات من شأن البلدان ، إلا ما كان في مدينة
الرسول ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فللصباح^(٧) والعطر والبخور

(١) البنة ، بالفتح : الريح الطيبة . وفي س : « نبت » ، وتصحيحه من ل .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) كذا في ط ، س ، وثمار القلوب ٤٣٦ . وفي ل : « والنعمة » ، وهذه
محرقة لا ريب . وأميل إلى أن تكون هذه الكلمة « فعمة » من فعم المسك
البيت : طيبه .

(٤) ط ، س : « وقيل » ، ووجهه من ل .

(٥) ط : « الهوى والبرية » ، وصوابه في س ، ل .

(٦) ل : « وذلك » .

(٧) الصباح ، بوزن كتان : عطر . ط ، س : « فللصباح » تحريف ما أثبت .
وفي ل : « والصباح » .

والتَّضُوح^(١) ، من الرائحة الطيبة - إذا كان فيها - أضعافُ ما يوجد له في غيرها من البلدان ، وإن كان الصَّبَّاح^(٢) أجود ، والعطر أفخر ، والبَخُور أتمن .

(بعضُ البلدان الرديئة)

ورُبَّتْ بلدةٍ يستحيل^(٣) فيها العطرُ وتذهب رائحته ، كقَصَبَةِ الأهواز . ٤٥
وقد كان الرشيدُ همَّ بالإقامة بأنطاكية ، وكره أهلها ذلك ، فقال شيخُ منهم ، وصدَّقهُ : يا أمير المؤمنين ، ليست من بلادك ، ولا بلادٍ مثلك ، لأنَّ الطَّيِّبَ الفاخرَ يتغيَّرُ فيها حتَّى لا يُدْتَفَعَ منه بكثير^(٤) شيء ، والسَّلَّاحَ يصدأ فيها ولو كان من قلعة الهند^(٥) ، ومن طبع^(٦) اليمن ، ومطرها ربَّما أقام

(١) التَّضُوح ، كصبور : طيب . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « والتضوع » ، وفي س : « والتضوح » ، وفي ل : « والعُضْرَج » ، والصواب ما أثبتت موافقا لما في ثمار القلوب .

(٢) ط ، س « الصَّبَّاح » ، تحريف ما أثبت من ل . وانظر الاستنباه السدي قبل السابق .

(٣) يستحيل هنا بمعنى يتغير .

(٤) ل : « بكبير » . وهذا الخبر تجد نحوه في معجم البلدان برسم (أنطاكية) .

(٥) قلعة عظيمة ببلدة تسمى « كله » وهي أول بلاد الهند من جهة الصين ، وفي هذه القلعة تضرب السيوف القلعية . انظر معجم البلدان برسم (القلعة) . وفي ط : « فلق » وفي س : « فلق » ، وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « قلع » . والذي باليمن هو « القلعة » كما في المعجم والقاموس . وأثبت ما في ل .

شهرين ، ليس فيه سكون^(١) . فلم يُقِمَ بها^(٢) . ثم ذكر المدينة فقال :
وإنَّ الجُويريةَ السَّوداءَ ، كَتَجْعَلُ في رأسها شيئاً من بَلَح ، وشيئاً من
نَضُوحٍ ، مما لاقيمةَ له ؛ لهوانه على أهله ، فتجد لذلك^(٣) خُمْرةً طيِّبةً^(٤)
وطيبَ رائحةٍ لايعدُّها^(٥) بيتُ عَرُوسٍ من ذوى الأقدار . حتَّى إنَّ النَّوى
المنقَع ، الذى يكونُ عندَ أهلِ العراقِ في غايةِ النَّتنِ ، إذا طال إنقاعه ،
يكونُ عندهم في غايةِ الطَّيبِ . والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب

ذكر الحمام^(٦)

(أجناسه)

قال صاحب الحمام : الحمام وحشىٌ ، وأهلىٌ ، وبيوتىٌ ، وطورانى^(٧) .
وكلُّ طائرٍ يعرف بالزَّواج ، وبجسن الصَّوت ، والهديل ، والدَّعاء ، والترجيع
فهو حمام ، وإن خالفَ بعضُه بعضاً فى بعض الصَّوتِ واللَّونِ ، وفى بعض القدِّ

(١) ل : « دام شهرين ليس فيها سكون » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فلم يقربها » وتصح إن جعلت من القرار .

(٣) ط ، س : « ذلك » ، وصوابه فى ل وثمار القلوب .

(٤) الخمرة ، مثلثة : الرائحة الطيبة .

(٥) كذا فى ل وثمار القلوب . وفى ط ، س : « لا يعدله » . يعدلها : يساويها .

(٦) كلمة « باب » ليست فى ل . وفيها : « القول فى الحمام » .

(٧) الطورانى : منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له طرآن ، نسبة شاذة .

[ولحن] الهديل^(١) . وكذلك تختلف أجناس الدجاج^(٢) على مثل ذلك^(٣) ولا يخرجها [ذلك] من أن تكون دجاجا : كالديك الهندي والخلاسي^(٤) والنبطي^(٥) ، وكالدجاج^(٥) السندي والزنجي وغير ذلك . وكذلك الإبل : كالعرب^(٦) والبخت^(٦) ، والفوالج ، والبهونيات^(٧) والصراصريات^(٨) ، والحوش ، والنجب^(٩) ، وغير ذلك من فحول الإبل ؛ ولا يخرجها ذلك من أن تكون إبلا .

وما ذاك إلا كمخالفة الجردان والفأر ، والنمل والذر ، وكاختلاف^(١٠) الضأن والمعز ، وأجناس البقر الأهلية والبقر^(١١) الوحشية ، وكقراية ما بينهما^(١٢) وبين الجواميس .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وفي بعض النوح والهديل » . وفيهما أيضاً بعد هذا : « والدعاء والترجيع فهو حمام » ، والوجه حذف هذا الكلام الأخير كما في ل ؛ لأنه تكرار .

(٢) ط ، س : « وقد يختلف الدجاج » .

(٣) « على مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٤) الخلاسي ، بالكسر : الديك بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٥) بدلها في ط ، س : « ومثل » .

(٦) ط ، س : « العرب » .

(٧) البهونيات من الإبل : ما بين الكرمانية والعربية . وانظر ١ : ١٣٨ .

(٨) الصراصريات : ما بين البخاق والعرب . ط : « الصراصريات » ، تحريف .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . والحوش والحوشية : الإبل المتوحشة .

(١٠) ط ، س : « ومثل اختلاف في » ، تحريف .

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(١٢) ل : « بينهما » .

وقد تختلف الحياتُ والعقاربُ بضروب الاختلاف ، ولا يخرجها ذلك من أن تكون عقاربَ وحياتٍ . وكذلك الكلابُ ، والغربان . وحسبك بتفاوت ما بين الناس : كالزنج والصقالبة ، في الشعورِ والألوان ؛ وكياجوج ومأجوج ، وعاد وثمود ، ومثل الكنعانيين^(١) والعمالقة . فقد تخالف الماعزة الضائنة^(٢) حتى لا يقع بينهما تسافدٌ ولا تلاقح . وهي في ذلك غنمٌ وشاء .

قال : والقمرى حمام ، والفاخية حمام ، والورشان حمام . والشفنين^(٣) حمام ، وكذلك اليمام واليعقوب . وضروبٌ أخرى كلها حمام . ومفاخرها التي فيها ترجع إلى الحمام التي لا تعرف^(٤) إلا بهذا الاسم . ٤٦

قال : وقد زعم أفليمون^(٥) (صاحب الفراسة) أن الحمام يتخذُ لضروب : منها ما يتخذ للأنس والنساء والببوت ، ومنها ما يتخذ للزجال^(٦) والسباق .

(١) ط : « الكنعانيين » ، محرفة .

(٢) ط ، س : « للضائنة » وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٣) الشفنين ، بالكسر : ضرب من الحمام حسن الصوت . ط ، ل : « السفنين » تصحيف ما أثبت من س . ووفقا لما في الديمري .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « الذي لا يعرف » ، وهما وجهان .

(٥) أفليمون : فاضل كبير في فن من فنون الطبيعة ، وكان معاصرا لبقرط ، وأظنه شامى الدار ، كان خبيراً بالفراسة ، عالما بها ؛ إذا رأى الشخص وتركيبه ؛ استدل بتركيبه على أخلاقه ، وله في ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية . القفطى . قلت : وقد طبع كتابه في حلب سنة ١٣٤٧ وهو يقع في خمس وأربعين صفحة . وفي ط ، س : « أفليمون » .

(٦) في الأصل : « للرجال » بالراء ، تحريف ما أثبت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٥٧ . وانظر هذا الجزء ص ٢٢٣ .

[والزُّجَال : إرسال الحمام الهوادِي (١)] .

(من مناقب الحمام)

ومن مناقب الحمام حُبُّه للناس ، وأنس الناس به ، وأنتك لم ترَ حيواناً قطُّ أعدلَ موضعاً ، ولا أقصد (٢) مرتبةً من الحمام . وأسفل (٣) النَّاس لا يكون دُونَ أن يتَّخذها ، وأرفع الناس لا يكون فوقَ أن يتَّخذها . وهي شيءٌ يتَّخذُه (٤) ما بين الحَجَّام إلى الملك (٥) الهمام .

والحمامُ مع عمومِ شهوةِ النَّاس له ، ليس شيءٌ مما يتَّخذونه هُمَّ أشدُّ شغفاً به (٦) ولا أشدُّ صَبَابَةً (٧) منهم بالحمام ، ثمَّ تجد ذلك في الخِصَّيان كما تجده في الفحول ، وتجده [في الصَّيبان كما تجده في الرِّجال ، وتجده] في الفِتيان (٨) كما تجده في الشيوخ ، وتجده في النساء كما تجده في الرِّجال . والحمامُ من الطَّير الميامين . وليس من الحيوان الذي تظهر له عورةٌ وحجم قضيب (٩) كالسكلب والحمارِ وأشباه ذلك ، فيكون ذلك مما يكونُ يجب على الرِّجال ألاَّ يَدْخُلوه دورهم .

(١) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٥٨) .

(٢) أقصد : من القصد ، ضد الإفراط . وفي س : « أقصر » ، محرفة .

(٣) ل : « لأن أسفل الناس » .

(٤) ط ، س : « يتَّخذها » ، وأثبت ما في ل . ط : « وهي شتي » ، ل : « وهو

شيء » ، وأثبت ما في س .

(٥) ط ، س : « الرجل » .

(٦) ط ، س : « أشد شفقاً » . والشفق : الشفقة . وأثبت ما في ل .

(٧) ط فقط : « ضيانة » ، وهي تحريف ، لوجود الباء في كلمة : « بالحمام » .

(٨) ل : « الشبان » .

(٩) ل : « وحجم وقضيب » ، بإقحام الواو .

(كلمة لثني في الحمام)

قال مثنى بن زهير : ومن العجب أن الحمامَ ملقَّى ، والسَّكرانَ موقى ،
فأنشده ابن يسير^(١) بيت الخزيمي^(٢) :

وأعددتُهُ ذُخْرًا لكلِّ مِلْمَةٍ وسَهْمُ المنايا بالذخائرِ مَوْلَعٌ^(٣)

(شرب الحمام) .

ومتى رأى إنسانٌ عطشانٌ الدِّيكَ والدَّجاجةَ يشربان الماء ، ورأى
ذئباً وكلباً يُلطعان الماءَ لَطْعًا ، ذَهَبَ عطشُهُ من قُبْحِ حسو الديك نغبةً نغبةً^(٤) ،
ومن لَطَعَ الكلبُ . وإنَّه كَيرى الحمامَ [وهو] يَشرب الماء ! وهو^(٥) رِيَّانٌ ،
فيشتهي أن يَكْرَعَ في ذلك^(٦) الماء معه .

(١) هو محمد بن يسير ، تقدمت ترجمته في (١ : ٥٩) . وفي الأصل : « ابن بشير »
وهذا تحريف .

(٢) في ط : « الخزيمي » وفي س : « الخزيمي » ، وصوابه ما أثبت من ل . وهو أبو يعقوب
إسحاق بن حسان . تقدمت ترجمته في (١ : ٢٢٤) .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٤٢٣) .

(٤) النغبة ، بالفتح : الجرعة ، ويضم . أو الفتح للمرة والضم للاسم . وفي س :
« نغبة نغبة » ، وهو تحريف .

(٥) أى الإنسان .

(٦) هذه الكلمة مساقطة من ل . وفي ط ، س : « يشتهي أن يكون » ،
وله وجه .

(صدق رغبة الحمام في النسل)

والديك والكلبُ في طلب^(١) السِّفادِ [وفي طلب الذَّرءِ] كما قال
أبو الأَخْزَرِ^(٢) الحِمَّانِيُّ :

* لَأُمْبِتَغِي الضَّنَّ وَلَا بِالْعَازِلِ^(٣) *

والحمام أكثر معانيه الذَّرءُ وطلبُ الولد . فإذا علم الذَّكَرُ أَنَّهُ قد أودَعَ
[رحمَ] الأنثى ما يكون منه الولد تقدمًا في إعدادِ العِشِّ ، ونقلِ القِصَبِ^(٤)
وشِيقِ^(٥) الخوص ، وأشباه ذلك من العِيدانِ الخوَّارةِ الدَّقَّاقِ^(٦) حتَّى يعملوا
أفحوصة وينسجها^(٧) نسجًا مداخلًا ، وفي الموضع الذي قد [رضيها] واتخذاه

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأَخْزَرُ » وصوابه في ل . قال فيه صاحب المؤتلف ٥٢ : « أخذ
بني عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبد العزى هو حمان .
راجز محسن مشهور » .

(٣) الضنن : بالفتح ويكسر : الولد . وفي ط ، س : « الضر » ، وصوابه في ل
والجزء الأول ص ١٩٥ والعازل فسرهُ الجاحظ في الجزء الأول ١١٠ . وفي ط ،
س : « بالعاذل » ، وهو تحريف ما أثبت من الجزء الأول ص ١٩٥ . وفي ل :
« العازل » .

(٤) ل : « تقدمًا في نقل القصب » .

(٥) الشقيق : جمع شقة بالكسر ، وهى القطعة المشقوقة ، ونصف الشيء إذا شق .

وفي ط ، س : « تشقيق » ، وأثبت ما في ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧١) .

(٦) الخوارة : الضعيفة . وفي ط ، س : « الخور » ، تحريف صوابه في ل ونهاية
الأرب . وفي ط ، س : « الرقاق » بالراء .

(٧) كذا على الصواب في ل ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « حتَّى يعملوا الخوص
وأشباه ذلك وينسجها » .

واصطنعاه ، بقدر جثمان الحمامة ، ثم أشخصنا لتلك الأفحوصة حُرُوفاً غيرَ مرتفعة ؛ لتحفظَ البَيْضَ وتمنعه من التدرج ، [ولتلتزمَ كَنَفِي (١) الجُوجُو]
 وتكون (٢) رِفْداً لصاحبِ الحُضْنِ ، وسنداً للبيض . ثم يتعاوران ذلك
 المكان ويتعاقبان ذلك القرمُوص (٣) وتلك الأفحوصة ، يسخّانها
 ويدفّيانها (٤) ويطيبّانها ، وينفيان عنها طباعها الأوّل (٥) ، ويُحدثان لها
 طبيعةً أخرى مشتقةً من طبائعهما ، ومستخرجةً من رائحةِ أبدانهما وقواهما
 الفاصلة (٦) [منهما ؛ لكي تقعَ البيضةُ إذا وقعتْ ، في موضعٍ أشبهَ المواضع
 طباعاً بأرحامِ الحمام] (٧) ، مع الحضانة والوثارة (٨) ؛ لكي (٩) لاتنكسر البيضة
 يبسّ موضع ، ولثلاثينكر طباعها (١٠) طباعَ المكان ، وليكونَ على مقدارٍ
 من البردِ والسخانة (١١) والرّخاوة والصّلابة . ثم إنَّ ضَرْبَها الخاضَ وطَرَقَتْ (١٢)

- (١) في أصلها أى ل وكذا في نهاية الأرب : « كنفى » ، والوجه ما أثبت . والكنف : الجانب . والجوجو من الطائر : صدره .
- (٢) ط ، س : « ليكون » ، وفي ل : « وتكون » ، وأثبت ما في نهاية الأرب .
- (٣) القرموص ، بالضم : العش بييض فيه الحمام . وفي ط : « الغرموص » ، وصوابه في س ، ل .
- (٤) ط فقط : « ويرفيانها » ، والوجه ما أثبت .
- (٥) الطباع ، بالكسر : الطبع .
- (٦) الفاصلة : المنفصلة . وفي ط ، س : « الفاصلة » ، وما كتبت من ل أشبه .
- (٧) هذه الزيادة من ل ونهاية الأرب . وبدلها في ط ، س : « من أرحامها » .
- (٨) الوثارة : أن يكون الشيء موطأً ممهداً . وفي ط : « والاثارة » ، وصوابه في ل ، س .
- (٩) ط : « لكن » وصوابه في ل ، س ونهاية الأرب .
- (١٠) الطباع ، بالكسر : سبق تفسيره . ط « طبائعهما » وفي س : « طبائعهما » ، والوجه ما أثبت من ل .
- (١١) في ل ونهاية الأرب : « والسخونة » وهما بمعنى .
- (١٢) طرقت تطريقاً : حان خروج بيضها ، وأصل التطريق للقطا .

ببيضتها ، بَدَرَتْ^(١) إلى الموضع الذي قد أعدته ، وتحاملت إلى المكان الذي اتخذته وصنعتة ، إلا أن يُقرَّعها^(٢) رعدٌ قاصف ، أو ريحٌ عاصفٌ فإنها ربما رمت بها دون كِنِّها وظل عَشِها ، وبغير موضعها^(٣) الذي اختارته . والرَّعْدُ ربما مَرِقٌ^(٤) عنده البيضن وفسد ، كالمرأة التي تُسْقِط من الفَرْع ، ويموتُ جنينُها من الرَّوع^(٥) .

(عناية ذَكر الحمام وأنثاه بالبيض)

وإذا وضعت البيضَ في ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبانِ الحَضْنَ ويتعاورانهُ ، حتَّى إذا بلغ ذلك البيضُ مداه وانتهت أيامه ، وتمَّ ميقاته الذي وظفه خالقه ، ودبَّره صاحبه^(٦) ، انصدع القَيْضُ^(٧) عن الفرخ ، فخرجَ

(١) ل : « بادرت » ، وهما بمعنى . وقبل هذه الكلمة في ط ، س : « ففصلت

أرحامها » ، وهى عبارة مشوهة وليست في ل ولا في نهاية الأرب .

(٢) كذا في ل ، س ونهاية الأرب . والتقريع : الإقلاق وهو الإزعاج . ويجوز

أن تكون هذه الكلمة من القرع بمعنى الضرب . وفي ط فقط : « يفرعها » .

(٣) ل : « دون موضعها » ، بإسقاط ما بين الكلمتين من كلام .

(٤) مرقت البيضة ، بالكسر : فسدت فصارت ماء .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) الكلام من مبدأ : « وتم » ساقط من ل .

(٧) القَيْض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة ، أو هو البيضة التي خرج ما فيها

من فرخ ، أو ماء . وفي ط ، س ، ونهاية الأرب : « البيض » ، والمعنى يصح بكل منهما .

عارى الجلد ، صغيرَ الجناح ، قليلَ الحيلة ، منسدَّ الحلقوم ، فيعينانه على خلاصه من قبضه (١) وترويحجه من ضيق هَوْتِه (٢) .

(عنایتها بالفراخ)

وهما يعلمان أن الفرخين لا تتسع حلوقهما وحواصلهما (٣) للغذاء ، فلا يكون لهما (٤) عند ذلك همٌ إلا أن ينفخا في حلوقهما (٥) الريح ، لتتسع الحوصلة بعد التحامها ، وتنفقتَ بعد ارتاقها . ثم يعلمان (٦) أن الفرخ وإن اتسعت حوصلته شيئاً ، أنه لا يَحتمل في أول اغتذائه أن يزقَّ بالطعم (٧) ، فيزقَّ عند ذلك باللعب المختلط بقواهما وقوى الطعم - وهم يسمون ذلك اللُّعابَ اللَّبَاءَ (٨) - ثم يعلمان أن طبع حوصلته يرق (٩) عن استمراء الغذاء

-
- (١) في الأصل : « يبيضه » ، والصواب ما أثبت .
(٢) أهوة بالفتح : أصل معناها الكوة ، وهى الحرق في الحائط ، والثقب في البيت ، والمراد بها هنا موضع خروج الفرخ من القيص . والكلام من مبدأ : « فخرج » ساقط من ل . وهذه الكلمة هى فى ط : « هوانه » وفى س : « هواته » والوجه ما أثبت .
(٣) عبر عن المثني بالجمع ، كما فى الكتاب العزيز : « فقد صغت قلوبكما » أى صغنا قلبا كما .
(٤) ط فقط : « يكون » ، وهو تحريف مطبى .
(٥) ل : « حلقه » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .
(٦) ط ، س : « ويعلمان » ، وأثبت ما فى ل ونهاية الأرب .
(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « إنه أن امتنعت الحوصلة شيئاً لا يحتمله فى أول غذائه أن يزق بالطعم » ، هو تحريف كما ترى .
(٨) كذا . والمعروف : « اللبأ » .
(٩) ط ، س : « طبع حواصلهما يضمف » ، وصوابه من س .

وهضم الطعم^(١) ، وأن الحوصلة تحتاج إلى دبغٍ وتقوية ، وتحتاج إلى أن يكون لها بعض المتانة والصلابة ، فإكلا من شورج^(٢) أصول الحيطان ، وهو^(٣) شيء بين الملح الخالص^(٤) وبين التراب الملح^(٥) ، فيزقانه به^(٦) حتى إذا علما أنه قد اندبغ واشتد زقاه بالحب الذي [قد غب^(٧) في حواصلهما ثم زقاه بعد ذلك بالحب الذي^(٨) هو أقوى وأطرى . فلا يزالان يزقانه بالحب والماء على مقدار قوته ومبلغ طاقته ، وهو يطلب ذلك منهما ، ويبيض نحوهما^(٩) حتى إذا علما أنه قد أطاق اللقط منعا بعض المنع ، ليحتاج إلى اللقط فيتعوّده ، حتى إذا علما أن أدواته^(١٠) قد تمت ، وأن أسبابه قد اجتمعت وأنهما إن فطماه فطماً مقطوعاً مجذوذاً^(١١) قوى على اللقط ، وبلغ لنفسه منتهى حاجته - ضرباه إذا سألها الكفاية ، ونفياها متى رجع إليهما^(١٢)

- (١) كلمة : « وهضم الطعم » ساقطة من ل .
 (٢) الشورج : نوع من الملح ، قال صاحب منهاج الدكان ص ٢١٦ : هو ملح الدباغة . وهذه الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « صروح » وفي س : « سروح » ، ل و عيون الأخبار ٢ : ٩١ : « سورج » ، نهاية الأرب : « شروج » وصواب ذلك كله ما أثبت من منهاج الدكان .
 (٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب .
 (٤) ط ، س : « واخلض » ، وصواب هذه « المحض » ، وأثبت ما في ل .
 (٥) ط ، س : ونهاية الأرب : « الخالص » واخترت ما في ل .
 (٦) كذا في ل : ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « فيزقان الفرخ » .
 (٧) غب : أصل معناها بات . والمراد مكث طويلاً حتى لان .
 (٨) في الأصل ، أى ل : « الحب » ، والوجه ما أثبت من نهاية الأرب .
 (٩) البيض ، أصله في الإنسان أن يسأل عن الحاجة فيتمطق بشفتيه .
 (١٠) ط : « أذاته » ، وصوابها في ل ، س .
 (١١) أى منقطاً لعودة بعده إلى الزق . وفي ل : « منبتا » ، وهما بمعنى .
 (١٢) بعد هذه الكلمة في ط ، س كلمة : « للعادة » وليست في ل ، ولا في نهاية الأرب .

ثمَّ تُنَزَّعَ [عنهما] تلك الرحمةُ العجيبةُ منهُما له ، وينسيان ذلك العطف
المتمكنَ عليه^(١) ، ويُذهلان عن تلك الأثرة [له] ، والكدَّ المضنى^(٢) من
الغدوِّ عليه ، والرَّواحِ إليه^(٣) . ثمَّ يبتديان العمل ابتداءً ثانياً ، على ذلك
النظام وعلى تلك المقدمات^(٤) .

فسبحان من عرفهما وألمهما ، وهداهما^(٥) ، وجعلهما دلالةً
لمن استدلَّ ، ومُخْبِرًا صادقًا لمن استخبر ، ذلكم الله رب العالمين .

(حالات الطُّعم الذي يصير في أجواف الحيوان)

وما أعجَبَ حالاتِ الطُّعمِ الذي يصير في أجواف الحيوان ، وكيف
تتصرَّف به الحالاتُ ، وتختلف في أجناسه الوجوه^(٦) : فمنها^(٧) ما يكون
مثل زق الحمام لفرخه ، والزقُّ في معنى القىء أو في معنى التقيؤ وليس بهما^(٨)
وجرَّة البعير والشاةِ والبقرة في معنى ذلك ، وليس به . والبعير يريد أن

(١) ليست في ل .

(٢) ل : « والكد عليه » .

(٣) « من الغدو . . . » الخ ليس في ل .

(٤) ط ، س : « على هذا النظام وعلى هذه المقامات » وأثبت ما في ل : بعد تصحيح
كلمة « المقامات » من نهاية الأرب .

(٥) في الأصل : « وهنأهما » ، وما كتبت أليق بالكلام .

(٦) ط ، س : « وتختلف في أجناسها الوجوه » ، ل : « في أجناسه في الوجوه »
وصححت الكلام جامعاً بينهما .

(٧) أي من الحالات . وفي ل : « فته » .

(٨) ط ، س : « التقيؤ وليس هما » ، وأثبت الصواب من ل .

يعود في خضمه^(١) الأوّل واستقصاء طعمه . وربما كانت الجرّة رجيعة .
والرّجيع : أن يعود على ما قد أعاد عليه مرّة حتّى ينزعه من جوفه ، ويقبله
عن جهته .

(زقّ الحمام)

والحمام يُخرجه من حوصلته ومن مُستكنّه وقراره^(٢) ، وموضع حاجته
واستمرائه ، بالأثرة والبرّ ، إلى حوصلة ولده . [قد] ملك ذلك وطابت به نفسه
ولم تغث عليه نفسه^(٣) ولم يتقدّر^(٤) من صنيعه ، ولم تحبث نفسه^(٥) ، ولم
تغيّر شهوته . ولعلّ لذّته^(٦) في إخراجها أن تكون كلذّته^(٧) في إدخاله ،
وإنما اللذة في مثل هذا بالمجاري^(٨) ، كنحو ما يعترى مجرى النطفة من
استلذاذ مرور النطفة ، فهذا شأن قلب الحمام ما في جوفه ، وإخراجه بعد
إدخاله . والتمساح يخرج^(٩) على أنه رجعه ونجوه^(١٠) الذي لا يخرج له ولا فرج
[له] في سواه .

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « طحنه » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « مسكنه وقرابه » ، وما في ل أشبه
بلغة الجاحظ .

(٣) يقال غثت نفسه : لقت ، أي غثيت غثيانا . وفي ط ، س : « تتعاث » ، ولم
أجد لها وجها . وهذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) س : « يتقرز » ، ومؤدبها واحد .

(٥) انظر ما جاء خاصاً بهذا التعبير في ١ : ٣٣٥ س ١٠ .

(٦) ط ، س : « لذاته » .

(٧) ط ، س ، « كلذاته » .

(٨) ط ، س : « كالمجاري » ، تحريف ما أثبت من ل .

(٩) ط ، س : « والتمساح إخراجه » ، وصوابه في ل . وانظر ماسياتي .

(١٠) ط ، س : « ونجوه » ، وهو تصحيف ما في ل .

(تصرف طبيعة الإنسان والحيوان في الطعام)

وقد يعترى ذلك الإنسان لما يعرض من الداء ، فلا يعرف^(١) إلا الأكل والقىء ، ولا يعرف النجوى إلا في الحين على بعض الشدة . وليس ما عرض بسبب آفة كالذى يخرج على أصل تركيب الطبيعة .

والسنور والكلب على خلاف ذلك كله ، لأنهما يُخرجان به عارض يعرض لهما من خبث النفس ، ومن الفساد^(٢) ، ومن التثوير والانقباض^(٣) ثم يعودان بعد^(٤) ذلك فيه من ساعتها ، مشتهيين له ، حريصين عليه . والإنسان إذا ذرعه ذلك لم يكن شيئاً أبغض إليه منه ، وربما استقاء وتكلف ذلك لبعض الأمر . وليس التكلف في هذا الباب إلا له .

وذوات الكروش كلها تقصص^(٥) بجرتها ، فإذا أجادت مضغه أعادته ، والجرّة هي^(٦) الفرث ، وأشد من ذلك أن تكون^(٧) رجيماً ، فهي تجيد مضغها وإعادتها إلى مكانها ، إلا أن ذلك مما لا يجوز أفواهاها^(٨) . وليس عند الحافر من ذلك قليل ولا كثير ، بوجه من الوجوه .

(١) ل : « يعرض » .

(٢) المراد بخبث النفس ما يعرض لها من التقرز والغثيان . وفي س : « من حيث النفس والفساد » ، وهو تحريف .

(٣) ل : « الانتقاس » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ل : « مع » .

(٥) أصل معنى القمص الطعن الوحى ، أى السريع .

(٦) ط ، س : « وهو » ، تحريف .

(٧) ط ، س : « يكون » .

(٨) س : « إلا أن ذلك ما كان لا يجوز أفواهاها » .

[وقد يعترى سباع الطير شبيهه بالقوى ، وهو الذى يسمونه « الزمّج » (١) .
وبعضُ السّمكِ يقىء قيتاً ذريعاً ، كالبال ، فإنه ربّما دسَع الدّسعة (٢) ،
فتلقى (٣) بعض المراكب ، فيلقون من ذلك شدّة . والناقة الضجور ربّما
دسعتُ بجرّتها في وجه الذى يرحلها (٤) أو يعالجها ، فيلقى من ذلك أشدّ
الأذى . ومعلومٌ أنّها تفعلُ ذلك على عمد .

فلذوات الأقدام فى ذلك مذهب ، ولذوات الكروش من الظلف
والخفّ فى ذلك مذهب ، ولذوات الأنياب فى ذلك مذهب ، وللسّمك
والتمساح الذى يشبه السّمك فى ذلك مذهب .

ويزعمون أن جوف التمساح إن (٥) هو إلّا معاليق (٦) فيه ، وأنه فى صورة
الجراب ، مفتوح الفم ، مسدود الدّبر ، ولم أحقّ ذلك ، وما أكثر من
لا يعرفُ الحال فيه .

(الرجوع إلى طلب النسل عند الحمام)

ثم رجع بنا القولُ فى الحمام بعد أن استغنى ولده عنه ، وبعد أن نزع
الرحمة منه ، وذلك أنه يبتدىء الذكرُ الدّعاء والطرد ، وتبتدىء الأنثى بالتأتى

(١) الزمّج : أحد نوعى العقاب ، والغالب فى لونه أن يكون أحمر ، وهو من خفاف
الجوارح ، ومن الطيور التى يصيد بها الملوك . الدميرى .

(٢) دسَع : قاء .

(٣) يصح أن تقرأ بفتح التاء أو ضمها .

(٤) يرحلها ، بضم الحاء : يحط عليها الرحل .

(٥) ليست بالأصل ، والأصل هنال . وزدتها للحاجة إليها .

(٦) جمع معلاق ، وهو اللسان .

والاستدعاء ، ثمّ تزيّف وتشكّل^(١) ، ثمّ تمكّن وتمنع ، وتجبّب وتصدف^٢ بوجهها ، ثم يتعاشقان ويتطاوعان ، ويحدثُ لهما من التغزّل والتفتّل^(٢) ، ومن السّوف^(٣) والقبّل ، ومن المصّ والرّشّف ، ومن التنفّخ والتنفّج ، ومن الخيلاء والكبرياء ، ومن إعطاء التقبيل حقّه ، ومن إدخال الفم في جوف الفم ، وذلك من التطاعّم ، وهى المطاعمة . وقال الشاعر :

لم أعطها بيدي إذ بتُّ أرسفها إلا تطاول غصنُ الجيد بالجد^(٤)
كما تطاعّم في خضراء ناعمة مطوّقان أصاخا بعد تغريد .
هذا مع إرسالها جناحها وكفّها على الأرض ، ومع تدّرعها وتبّعها^(٥)
ومع تصاوله وتطاوله ، ومع تنفّجه وتنفّخه ، مع ما يعتريه مع الحكمة والتفلى^٦
والتنفّش^(٦) حتّى تراه وقد رمى فيه بمثله^(٧) .

ثمّ الذى ترى من كسّحه بذنبه^(٨) ، وارتفاعه بصدّره ، ومن ضربه بجناحه ، ومن فرحه ومرّحه بعد قمّطه والفراغ من شهوته ، ثمّ يعتريه ذلك في الوقت الذى يفتر فيه أنسكح الناس .

(١) تزيّف : تنشر جناحها وذنبها وتسحبها على الأرض . والتشكّل ، من الشكل بالفتح : وهو الغنج والدلال والغزل .

(٢) التفتّل : التلوى .

(٣) السوف : الشم .

(٤) عطا الشئ يعطوه : تناوله بيده .

(٥) فى الأصل ، والأصل هنا ل : « وهو مع . . . الخ . وكلمة « هو » لا حاجة إليها . والتدّرع : أصل معناه لبس الدرّع . والتبعل : التزير للبعل .

(٦) التنفّش ، بالفاء ، هو أن ينفّض الطائر ريشه . وفى الأصل : « والتنفّش » .

(٧) كذا . وهنا تنهى الزيادة التى ابتدأت من مبدأ الصفحة السابقة ، وهى من ل .

(٨) كسّحه : كنبه الأرض بذنبه .

(القوة التناسلية لدى الحمام)

وتلك الخصلة يفوق بها جميع الحيوان ، لأن الإنسان الذى هو أكثر الخلق فى قوة الشهوة ، وفى دوامها فى جميع السنة ، وأرغبُ الحيوان [فى التصنع و] التغزل ، والتشكُّل والتفتُّل (١) أفتراً ما يكون إذا فرغ، وعندها ٤٩ يركبه القُبُور ، ويحبُّ فراقَ الزَّوج ، إلى أن يعودَ إلى نشاطه ، وترجعُ إليه قُوَّتُه .

والحمامُ أنشطُ ما يكون وأفرح ، وأقوى ما يكون وأمرح ، مع الزَّهو والشكل (٢) ، واللَّهُو والجذَل ، أبردَ ما يكون الإنسانُ وأفتَره ، وأقْطَع ما يكون وأقصره (٣) .

هذا ، وفى الإنسان ضروبٌ من القُوى : أحدها فَضْلُ الشَّهْوَةِ ، والأخرى دوام الشهوة فى جميع الدَّهر ، والأخرى قوة التصنع والتكلفِ ، وأنتَ إذا جمعتَ خِصَالَه كلها كانت دونَ قوَّةِ الحمام عندَ فراغِه من حاجته وهذه فضيلةٌ لا يُنكِرُها أحدٌ ، ومزِيَّةٌ لا يجحدُها أحدٌ !

(١) ط ، س : « والتمتع والشكل والتقبيل » ، وأثبت ما فى ل .

(٢) الشكل ، بالفتح : الغنج والدلال والغزل .

(٣) العبارة فى ل : « والحمام أنشط ما يكون وأمرح وأقوى وأجندل أبرد ما يكون الإنسان وأفتَر » .

(البغال ونشاطها)

ويقال : إنَّ النَّاسَ لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ نَشَاطِ الْحَمَامِ فِي وَقْتِ فِتْرَةِ الْإِنْسَانِ إِلَّا مَا وَجَدُوهُ فِي الْبِغَالِ ؛ فَإِنَّ الْبِغَالَ تَحْمِلُ أَثْقَالَهَا عَشِيَّةً ، فَتَسِيرُ بَقِيَّةَ يَوْمِهَا وَسَوَادَ^(١) لَيْلَتِهَا ، وَصَدْرَ نَهَارٍ غَدِهَا^(٢) ، حَتَّى إِذَا حَطُّوا عَنْ جَمِيعِ مَا كَانَ مَحْمَلًا مِنْ أَصْنَافِ الدَّوَابِّ أَحْمَالَهَا^(٣) ، لَمْ يَكُنْ لَشَيْءٍ مِنْهَا هَمَّةٌ ، وَلَا لِمَنْ رَكِبَهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمَرَاعَةُ^(٤) وَالْمَاءَ وَالْعَلْفَ ، وَلِلْإِنْسَانِ الْاسْتَلْقَاءَ وَرَفْعُ الرَّجْلَيْنِ وَالْغَمَزَ وَالتَّأَوُّهَ^(٥) ؛ إِلَّا الْبِغَالَ فَإِنَّهَا فِي وَقْتِ إِعْيَاءِ جَمِيعِ الدَّوَابِّ وَشِدَّةِ كَلَالِهَا ، وَشَغْلِهَا بِأَنْفُسِهَا مِمَّا مَرَّ عَلَيْهَا ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَمَلٌ إِلَّا أَنْ تَدُلِّيَ أَيُورَهَا وَتَشْطُ^(٦) وَتَضْرِبَ بِهَا بَطُونَهَا ؛ وَتَحْطُهَا وَتَرْفَعُهَا . وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَوْ رَأَى الْمَكَارِي امْرَأَةً حَسَنَاءَ لَمَّا انْتَشَرَ لَهَا وَلَا هَمَّ بِهَا . وَلَوْ كَانَ مُنْعِظًا ثُمَّ اعْتَرَاهُ بَعْضُ ذَلِكَ الْإِعْيَاءِ لَنَسِيَ الْإِنْعَازَ .

وهذه خَصْلَةٌ تَخَالِفُ فِيهَا الْبِغَالُ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ . وَتَزْعُمُ الْعَمَلَةُ^(٧) أَنَّهَا تَلْتَمِسُ بِذَلِكَ الرَّاحَةَ وَتَتَدَاوَى بِهِ . فَلَيْسَ الْعَجَبُ - إِنْ كَانَ ذَلِكَ سَحَقًا - إِلَّا فِي إِمْكَانِ ذَلِكَ لَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ شَهْوَةٍ وَشَبَقٍ مُفْرَطٍ .

(١) ط ، س : « وسائر » .

(٢) ط ، س : « و صدر نهارها من غدها » .

(٣) ل : « حتى إذا حطوا عن جميع أصناف الدواب أثقالها » .

(٤) المرأعة : اسم من مرغه في التراب جعله يتقلب فيه . وانظر كتاب البغال ٣٢٤ .

(٥) الكلام من مبدل : « وللإنسان » ساقط من ل .

(٦) شظ وأشظ : أنمظ . ط ، س : « تنعظ » .

(٧) العملة ، بالتحريك : العاملون بأيديهم . وفي ل : « العوام » .

(النشاط العجيب لدى الأتراك)

وشبهه آخراً وشكل من ذلك ، وذلك كالذي يُوجد عند الأتراك عند بلوغ المنزل بعد مسير الليل كله وبعض النهار ، فإن الناس في ذلك الوقت ليس لهم إلا أن يتمددوا ويقيدوا^(١) دوابهم . والتركي في ذلك الوقت إذا عاين ظبياً أو بعض الصيد ، ابتدأ الرّكضَ بمثل نشاطه قبل أن يسير ذلك السير ، وذلك وقت يهَمُّ فيه الخارجيّ والحصىّ أنفسهما^(٢) ؛ فإنهما المذكوران بالصبر على ظهر الدابة .

(فطام البهائم أولادها)

وليس في الأرض بهيمة تَفْطِمُ ولدَها عن اللبن دفعة واحدة ، بل تجدُ الطيبة أو البقرة أو الأتان أو الناقة ، إذا ظنّت أنّ ولدَها قد أطاق الأكل منعتهُ بعض المنع ، ثم لا تزال تُنزل^(٣) ذلك المنع وترتبه وتدرّجه ، حتى إذا علمت أنّ به غني عنها إنّ هي فطمته فطاماً لا رجعة فيه ، منعتهُ كلّ المنع .

(١) ل : « ويقودوا » ، تحريف ماقط ، س .

(٢) الخوارج مشهورون بالشدة . وقد ضرب الناس بهم المثل ، قال :

إذا ما البخيل والمحاذر للقري رأى الضيف مثل الأزرق المجفف

وقال آخر :

وقلب ود حال عن عهده واليف ينبو بيد الشاري

رسائل الجاحظ ٢٧ ساسي . وانظر لنشاط الترك ص ٣١ منها .

(٣) تنزله : تدرجه . وفي الأصل : « تترك » .

٥٠ والعرب تسمى هذا التدبيرَ من البهائم التَّعْفِيرَ^(١) ، ولذلك قال لبيد :
لمعْفِرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ مَا يُمَنُّ طَعَامُهَا^(٢)
وعلى مثل هذه السِّيرة والعادة يكونُ عملُ الحمامِ في فراخه .

(من عجائب الحمام)

[ومن عجيب أمر الحمام أنه يقلب بيضه ، حتى يصير الذي كان منه
يَلِي الأَرْضَ يَلِي بدنَ الحمام من بطنه وباطنِ جَنَاحِهِ ، حتى يُعْطَى جَمِيعَ
البيضةِ نصيبها من الحُضْنِ ، ومن مَسَّ الأَرْضَ ، لعلمه أن خلافَ ذلك
العملُ يفسدُه] .

وخصلةٌ أخرى محمودةٌ في الحمام ، وذلك أن البغلَ المتولّدَ بينَ الحمارِ
والرَّمكةِ لا يبقى له نسل ، والرَّاعِي^(٣) المتولّدَ فيما بينَ الحمامِ والورشانِ ،
يكثُرُ نسله ويطولُ عمرُ ولده . والبُخْتُ والقوالجُ ، إنْ ضَرَبَ بعضها بعضاً
خرج الولدُ منقوصَ الخلقِ لا خيرَ فيه . والحمامُ كيفما أدْرَتْه ، وكيفما
زَاوَجْتَ بينَ متفِقِها ومختلفِها ، يكونُ الولدُ^(٤) تامَّ الخلقِ ، مأمولَ الخيرِ .

(١) « التعفير » سبق كلام الجاحظ فيه ٢ : ١٩٨ .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ٢ : ١٩٨ . س : « غبس » وهو تصحيف .

(٣) ط ، س : « والزاعبي » ، وهو تحريف . واسمه مشتق من الترعيب ، وهو شدة

الصوت ، جاء على لفظ النسب وليس به ، وقيل منسوب إلى أرض تسمى راغب .

اللسان والقاموس .

(٤) الزيادة من س ، ل .

فمن نتاج الحمام إذا كان مركباً مشتركاً [ماهو] ^(١) كالزاعبي ^(٢) والورداني .
وعلى أن للورداني غرابة لون وظرافة ^(٣) قد ، وللزاعبي ^(٤) فضيلة في عظم
البدن والفراخ . وله من ^(٥) الهديل والقرقرة ما ليس لأبويه ، حتى صار ذلك
سبباً للزيادة في ثمنه ، وعلة للحرص على اتخاذه .

والغنم على قسمين : ضأن ومعرز ، والبقر على قسمين : أحدهما الجواميس ،
إلا ما كان من بقر الوحش . [والظلف] إذا اختلفا لم يكن بينهما تسافداً
ولا تلاقح ، فهذه فضيلة للحمام في جهة الإنسال ^(٦) والإلقاح ، واتساع
الأرحام لأصناف القبول . وعلى أن بين سائر أجناس ^(٧) الحمام من الوراثة ،
والقاري ، والفواخت ، تسافداً وتلاقحاً ^(٨) .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

ومما أشبه فيه الحمام الناس ، أن ساعات الحضن أكثرها على الأنثى ،
وإنما يحضن الذكر في صدر النهار حضناً يسيراً ، والأنثى كالمرأة التي تكفل

(١) زدتها ليلتم الكلام .

(٢) ط ، س : « كالزاعبي » ، وتصحيحه من ل . وانظر التنبيه الثالث من
الصفحة السابقة .

(٣) يقال ظرف ظرفاً ، بالفتح وظرافة . والظرافة هنا : حسن الهيئة .

(٤) ط ، س : « للزاعبي » ، وانظر ما سبق .

(٥) ط فقط : « في » .

(٦) نسل وأنسل : ولد . ط ، س : « الإنسان » ، صوابه في ل .

(٧) ل : « أصناف » .

(٨) ط ، س : « تسافد وتلاقح » ، والوجه ، أثبت من ل .

الصبيَّ فَتَفْطِمُهُ وَتَمْرُضُهُ^(١) ، وَتَتَعَهَّدُهُ بِالتَّمْهِيدِ وَالتَّحْرِيكِ . حَتَّى إِذَا ذَهَبَ
الْحَضْنَ وَانصَرَمَ وَقْتُهُ ، وَصَارَ الْبَيْضُ فِرَاخًا كَالْعِيَالِ فِي الْبَيْتِ ، يَحْتَاجُونَ
إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، صَارَ أَكْثَرُ سَاعَاتِ الزَّقِّ عَلَى الذَّكْرِ كَمَا كَانَ أَكْثَرُ
سَاعَاتِ الْحَضْنِ عَلَى الْأُنْثَى .

وَمِمَّا أَشْبَهَ فِيهِ الْحَمَامَ النَّاسَ [مَا^(٢)] قَالَ مِثْنَى بْنُ زُهَيْرٍ (وَهُوَ إِمَامُ النَّاسِ
فِي الْبَصْرَةِ^(٣)) بِالْحَمَامِ وَكَانَ جَيِّدَ الْفِرَاسَةِ ، حَاذِقًا بِالْعِلَاجِ ، عَارِفًا بِتَدْبِيرِ
الْخَارِجِيِّ إِذَا ظَهَرَتْ فِيهِ مَخِيلَةٌ الْخَيْرِ - وَ [اسْمُ] الْخَارِجِيِّ عِنْدَهُمْ : الْمَجْهُولُ -
وَعَالِمًا بِتَدْبِيرِ الْعَرِيقِ الْمُنْسُوبِ إِذَا ظَهَرَتْ فِيهِ عِلَامَاتُ الْفُسُولَةِ وَسُوءِ
الْهُدَايَةِ^(٤) . وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُفَ ابْنَ قُرَشِيَّيْنِ^(٥) [وَيَنْدُبُ^(٦)] ابْنَ خُوَزَيْ^(٧)
مِنْ نَبْطِيَّةٍ^(٨) . وَإِنَّمَا فَضَّلْنَا نِتَاجَ الْعِلْيَةِ عَلَى نِتَاجِ السَّفَلَةِ لِأَنَّ نِتَاجَ النَّجَابَةِ فِيهِمْ
أَكْثَرُ ، وَالسَّقُوطُ فِي أَوْلَادِ السَّفَلَةِ أَعْمُ . فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ أَنْ يَكُونَ السَّفَلَةُ^(٩)
لَا تَلِدُ^(١٠) إِلَّا السَّفَلَةَ^(٩) وَالْعِلْيَةُ لَا تَلِدُ^(١٠) إِلَّا الْعِلْيَةَ . وَقَدْ يَلِدُ الْمَجْنُونُ
الْعَاقِلَ ، وَالسَّخِيَّ الْبَخِيلَ ، وَالْجَمِيلُ التَّمْبِيحَ .

٥١

- (١) التمرريض : حسن القيام على المريض ، وكان الفطيم في سبيل المريض . وفي س :
« تمرخه » أي تدلكه بالدهن . وربما كانوا يفعلون ذلك بالفطيم .
- (٢) زيادة يقتضيتها الكلام . (٣) ط ، س : « في البصرة » ، وصوابه في ل .
- (٤) ماسياتي من الكلام استطراد من الجاحظ . وقول مثنى بن زهير سيبدأ في السطر
السادس من الصفحة الآتية .
- (٥) ط ، س : « قرشيين » وهما صحبختان ، يقال قرشى وقرشى . ويخلف ،
بضم اللام : يحقق .
- (٦) يندب : يكون ندبا ، أي ظريفاً نجيباً . في ل : « يندب » و س : « يندر »
ولعل الصواب فيما وجهت به .
- (٧) الخوزي : المنسوب إلى خوزستان . وفي س : « خسروي » ، وهو
تحريف ما في ل .
- (٨) الزيادة من س ، ل . (٩) ط ، س : « السفلى » ، بالنسبة إلى « السفلة » .
- (١٠) ط ، س : « يلد » .

وقد زعم الأصمعيُّ أن رجلاً من العرب قال لصاحب له : إذا تزوّجتَ امرأةً من العرب فأنظرْ إلى أخوالها ، وأعمامها ، وإخوتها ، فإنها لا تخطئُ الشبّهَ بواحدٍ منهم ! وإن كان هذا الموصى والحكيم (١) ، جعل ذلك حُكماً عاماً ، فقد أسرفَ في القول ، وإن كان ذهبَ إلى التخويفِ والزجرِ والترهيبِ ، كي يختارَ لنفسه ، [و] لأن المتخيرَ أكثرُ نجابةً (٢) فقد أحسن .

وقال مثنى بن زهير (٣) : لم أر شيئاً قطُّ في رجلٍ وامرأةٍ إلا وقد رأيتُ مثله في الذكرِ والأنثى من الحمام : رأيتُ حمامةً لا تريد إلا ذكرها ، كالمراة لا تريد إلا زوجها وسيدها ، ورأيتُ حمامةً لا تمنع شيئاً من الذكورة ، ورأيتُ امرأةً لا تمنع يدَ لأمسٍ ، ورأيتُ الحمامةَ لا تزيف إلا بعدَ طردٍ شديدٍ وشدة طلبٍ (٤) ، ورأيتها تزيفَ لأوّلِ ذكرٍ يريدُها ساعةً يقصدُ إليها ، ورأيتُ من النساء كذلك ، ورأيتُ حمامةً لها زوجٌ وهي تمكن ذكراً آخرَ لا تعدّوه ، ورأيتُ مثلَ ذلك من النساء ، [و] رأيتها تزيفُ لغيرِ ذكرها وذكرها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إلا وذكرها يطيرُ أو يحضنُ ، ورأيتُ الحمامةَ تقمطُ الحمام الذكور (٥) ، ورأيتُ الحمامةَ تقمطُ الحمامة ، ورأيتُ أنثى كانت لي لا تقمط [إلا (٦)] الإناث ، ورأيتُ أخرى تقمطُ الإناثَ فقط ، ولا تدعُ أنثى تقمطها .

(١) ل : « والمعلم » .

(٢) ط ، س : « نجاة » ، تحريف ما أثبت من ل .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٤) كذا في ل ، ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « وكثرة » .

(٥) ل : « الذكر » .

(٦) الزيادة من س .

[قال] : ورأيت ذكراً [يقمط الذكورة وتقمطه ؛ ورأيت ذكراً]
يقمطها و [لا] يدعها تقمطه^(١) ، ورأيت أنثى تزيف للذكورة ولا تدع
شيئاً منها يقمطها .

قال : ورأيت هذه الأصناف كلها في السحاقات من المذكرات
والمؤنثات ، وفي الرجال الحلقيين^(٢) واللوطيين^(٣) . وفي الرجال من لا يريد
النساء ، وفي النساء من لا يريد الرجال^(٤) .

قال : وامتنعت على خصلة ، فوالله لقد رأيت من النساء من تزني
أبداً وتساحق أبداً ولا تتزوج أبداً ، [ومن الرجال من يلوط أبداً ، ويزني أبداً
ولا يتزوج^(٥)] ، ورأيت حاماً ذكراً يقمط مالتى ولا يزوج . ورأيت حاماً
تمكّن كلّ حامٍ أرادها من ذكرٍ وأنثى ، وتقمط الذكورة والإناث ،
ولا تزوج . ورأيتها تزوج ولا تبيض ، وتبيض فيفسد بيضها ؛ كالمراة
تتزوج وهي عاقر ، وكالمراة تلد وتكون خرقاء ورهاء . ويعرض لها الغلظة^(٦)
والعقوق للأولاد ، كما يعترى ذلك العقاب

وأما أنا فقد رأيت الجفاء للأولاد شائعاً في اللواتي يحملن من الحرام .
ولربّما ولدت من زوجها ، فيكون عطفها وتحنّها كتحن^(٧) العفيفات

(١) زيادة : « لا » من س ، ل . وفي ط : « ويدعها حتى تقمطه » ، وهو تحريف .

(٢) الحلقى : الذى فسد عضوه فانعكس ميل شهوته ، وهو من ألقاظ المولدين .
شفاه الغليل ٧٠ .

(٣) ط ، س : « اللواتين » .

(٤) ل : « من لا يريد إلا » في الموضعين .

(٥) ط ، س : « من تزني أبداً ولا تتزوج وتساحق أبداً ولا تتزوج أبداً » . وإصلاح
العبارة وإكالمها من ل ، ونهاية الأرب .

(٦) كذا على الصواب في ل وفي ط ، س : « الغلظة »

(٧) ل : « وتحنّها كتحنى » . والتحنى والتحنى بمعنى ، وهو العطف .

السَّيِّرات ، فما هو ^(١) إلا أن تزني أو تَقْحُب فكَأَنَّ اللهَ لم يَضْرِبَ بينها ٥٢
وبين ذلك الولدِ [ب]شبكة رَحِمٍ ، [و] كأنها لم تَلِدُهُ .

قال مثنى بن زهير : ورأيتُ ذكراً له أنثيان وقد باضتَا منه ، وهو
يُحْضِنُ مع هذه ومع تلك ، ويزُقُّ مع هذه ومع تلك ، ورأيتُ أنثى تبيض
بيضة ، ورأيتُ أنثى تبيضُ في أكثر حالاتها ثلاثَ بيضات .

وزعم أنه إنما جَزَمَ بذلك فيها ولم يظنه بالذَّكر ، لأنَّها قد كانت قبل
ذلك عند ذكْرِ آخر ، وكانت تبيضُ كذلك .

ورأيتُ أنا حمامةً في المنزلِ لم يعْرِضْ لها ذكراً إلا اشتدَّت نحوهُ بِحَدَّةٍ
ونزاقٍ ^(٢) وتسرعٍ ، حتَّى تنقرَ أين صادفتُ منه ، حتَّى يصدَّ عنها ^(٣) كالأهارب
منها . وكان زوجها جميلاً في العَيْنِ رائِعاً ، وكان لها في المنزلِ بنون وبنو بنين
[وبنات ^(٤)] وبنات بنات ، وكان في العَيْنِ كأنه أشبُّ من جميعهنَّ ^(٥) .
وقد بَلَغَ من حظوته أني قلِّدُما رأيتُهُ أرادَ واحدةً من عَرُضِ تلك الإناثِ ^(٦)
فامتنعتَ عليه ، وقد كُنَّ يمتنعن من غيره . فبينما أنا ذاتَ يومٍ جالسٌ بحيث
أراهنَّ إذ رأيتُ تلك الأنثى قد زافتُ لبعض بنينا ! فقلت لخادمي ^(٧) :

(١) ل : « هي » ، وهما صحیحان في العربية ، أى فا الشأن أو فا القصة .

(٢) النزق : الطيش والتسرع . في ط ، ل : « تزق » محرفة . س : « تزف » أى
تسرع إسراعاً . ولا يتسجم بها الكلام .

(٣) ل : « ينقر » محرف . ط ، س : « صادفته » وأثبت ما في ل . وفي ل :
« حتَّى يصدن » محرفة .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) ط ، س : « جميع بنيه » .

(٦) ط ، س : « تلك الحمام الإناث » .

(٧) ل : « لخادم لي » .

ما الذى غيّرَها عن ذلك الخلق الكريم؟ فقال : إني رَحَلْتُ زوجها من

القَطَاوِل (١) فذهب ، ولهذا شهر (٢) . فقلت : هذا عذر !

قال مثنى بن زهير : وقد رأيت الحمامة تزوج هذا الحمام ، ثم تتحول

منه إلى آخر ، ورأيت ذكراً فَعَلَ (٣) مثل ذلك فى الإناث . ورأيت الذَّكَرَ

كثيرَ النَّسْلِ قويًّا على القمط ، ثمَّ يُصْنِي كما يُصْنِي الرَّجُلُ إذا أكثر من

النَّسْلِ والجماع (٤) .

ثمَّ عدَّدَ مَثْنَى أبواباً غيرَ ما حفظت ممَّا يُصَابُ مثله فى الناس .

(خبرة مثنى بن زهير بالحمام)

وزعموا أن مثنى كان ينظر إلى العاتق والخليف (٥) ، فيظن أنه يجيء

من الغاية [فلا يكاد ظنه يخطئ *] . وكان إذا أظهرَ ابْتِياعَ حمامٍ أغلوه عليه ،

(١) القَطَاوِل : نهر كان فى موضع ساهرا قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أول من حفر

هذا النهر . معجم البلدان . وفى ل : « خلعت » مكان « رحلت » ، وبكل

منهما يصح المعنى .

(٢) ل : « وهذا منذ شهر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « يفعل » .

(٤) أصنى الرجل : نفذ ماء صلبه . ل : « إذا أكثر من الجماع » .

(٥) تلماتق : فوق الناهض ، وذلك فى أول ما يتحسّر ريشه ونبت له ريش جلدى ، أى

شديد ، والجمع عتق . المخصص ٨ : ١٢٨ . وفى ط ، ل : « القائق »

وفى س : « العايق » ، وصوابه ما أثبت . وانظر صفحة ٢٢٤ س ٧ .

والخلف : المراد به المسن . وأصله فى الإبل ما فوق البازل : الذى فى التاسعة .

وقالوا: لم يطلببه إلا وقد رأى فيه علامة المجيء من الغاية ، وكان يدسُّ في ذلك ففطنوا له وتحفظوا منه ، فرَّبما اشترى نصفه وثلثه ، فلا يقصِّر عند الزَّجال (١) من الغاية .

وكان له خصيُّ يقال [له (٢)] خديج ، يجري مجراه ، فكانا إذا تناظرا في شأنِ طائرٍ لم تُخْلِف فراستهما .

(المدة التي يبيض فيها الحمام والدجاج)

قال : والحمام تبيض عشرة أشهرٍ من السنَّة ، فإذا صانوه وحفظوه ، وأقاموا له الكفاية وأحسنوا تعهده ، باضَ في جميع السنَّة .
قالوا : والدَّجاجة تبيض في كلِّ السنَّة خلا شهرين .

(ضروب من الدجاج)

ومن الدَّجاج ما هو عظيمُ الجثَّة ، يبيض بيضاً كبيراً ، وما أقل ما يحضنُ ،
ومن الدجاج ما يبيض ستين بيضة . وأكثرُ الدجاج العظيم الجثَّة يبيضُ
أكثرَ من الصغير الجثَّة (٣) .

(١) الزجال : إرسال الحمام كما سبق في ص ١٤٧ . ط : « الرجل » : ل :

« الرجال » ، وصوابه مما سبق ومن صفحة ٢٢٣ .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) ط ، س : « يبيض بيضاً كبيراً » .

قال : أما الدَّجَاجُ التي نسبت إلى أبي ريانوس^(١) الملك ، فهو طويلُ
البدن ويبيض في كلِّ يوم ، وهي صعبة الخلق وتقتل فراريها .
ومن الدَّجَاج الذي يربِّي في المنازل ما يبيض مرَّتين في اليوم ، ومن
الدَّجَاج ما إذا باض كثيراً مات سريعاً ، لذلك العَرَضُ^(٢) .

٥٣

(عدد مرات البيض عند الطيور)

قال : وألحطاف تبيض مرَّتين^(٣) في السنة ، وتبنى بيتها في أوثق
مكانٍ وأعلاه .

فأما الحمام والفواخت ، والأطرُّ غَلَّات^(٤) والحمام البرى ، فإنها تبيض
مرَّتين في السنة . والحمام الأهلئ يبيض عشرَ مرات . وأما القَبَج والدَّرَاج
فهما يبيضان بين العُشب ، ولا سيما فيما طال شيئاً والنوى .

(خروج البيضة)

وإذا باضَ الطَّيرُ بيضاً لم تخرُج البيضة^(٥) من حدِّ التحديد والتلطيف ،
بل يكون الذي يبدأ بالخروج الجانب الأعظم ، وكان الظنُّ يسرع إلى أن
الرأسَ المحدد هو الذي يخرج أولاً .

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « ارديسانوس » . وانظر الاستدراكات
بآخر هذا الجزء .

(٢) أي ما يعرض لها من كثرة البيض . ط : « الفرض » ل ، س : « الفرض » ،
وهما تحريف ما أثبت .

(٣) كذا في ط . وفي ل : « مرة » .

(٤) ل : « والأطرغلة » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) س : « لم يخرج بيضه » .

[قال] : وما كان من البيض مُستطيلاً محدّد الأطراف فهو للإناث ،
وما كان مستديراً عريضاً الأطراف فهو للذكور .

قال : والبيضة عند خروجها لينة القشر ، غير جاسية^(١) ولا يابسة
ولا جامدة :

(بيض الريح والتراب)

قال : والبيض^(٢) الذى يتولد من الريح والتراب أصغرُ وألطفُ ، وهو^(٣)
فى الطيب دون الآخر^(٤) . ويكونُ بيضُ الريح من الدجاج والقبج^(٥) ،
والحمام ، والطاوس ، والإوز .

(أثر حضن الطائر)

قال : وحضن الطائر وجثومه على البيض صلاح لبदन الطائر ، كما يكون
صلاحاً لبदन البيض . و [لا^(٦)] كذلك الحضن على الفراخ والفراريج^(٧)
فربما^(٨) هلك الطائر عن ذلك السبب .

(١) الجاسية : الصلبة . وفى ط : « قاسية » ، وهى صحيحة أيضاً .

(٢) فى الأصل : « والبعض » .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٤) كذا فى ل ، وهو الموافق لما فى نهاية الأرب ، والدميرى حيث يقول : « وأغذى
البيض وألطفه ذوات الصفرة ، وأقله غذاء ما كان من دجاج لاديك لها » ، يعنى بذلك
البيض الترابى . وانظر عجائب المخلوقات فى الكلام على الدجاج . فى ط ، س : « أطيب من
الآخر » ، وهو خطأ .

(٥) القبج : بالتحريك : الحجل ، وهو طائر على قدر الحمام أحمر المنقار والرجلين .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) جمع فروج ، وهو فرخ الدجاج خاصة . وفى ط : « الذراريح » ، وفى س :
« الدراريح » ، وكلاهما تحريف .

(٨) ط ، س : « والأوز وربما » ، ل : « وإلا فربما » ، وقد جملت العبارة
كما ترى .

(تكوّن بيض الريح)

وزعم ناسٌ أن بيضَ الرِّيحِ إنما تكوّن (١) من سفادٍ متقدّم . وذلك خطأ من وجهين : أمّا أحدهما فإنّ ذلك قد عُرِف (٢) من فرّاريجٍ لم يرينَ ديكاً قط . والوجه الآخر : أن بيضَ الريح لم يكن منه فرّوج (٣) قطّ إلاّ أن يسفدَ الدجاجةَ ديك ، بعد أن يمضي (٤) أيضاً خلقُ البيض .

(معارف شتى في البيض)

قال : وبيض الصّيفِ المحضون أسرعُ خروجاً منه في الشتاء ، ولذلك تحضن الدجاجة البيضة في الصّيف خمس عشرة ليلة .

قال : وربما عرّضَ غيمٌ في الهواء أو رعْدٌ ، في وقتِ حضن الطائر ، فيفسدُ البيض . وعلى كل حال ففسادُه في الصّيف أكثرُ ، والموتُ فيها في ذلك الزمان أعمّ . وأكثرُ ما يكون فسادُ البيض في الجنائب (٦) ، ولذلك كان

(١) س : « يكون » .

(٢) ط : « عرض » وهي صحيحة ، وأثبت ما في س ، ل ونهاية الأرب .
١٠ : ١٨٠ .

(٣) س : « منه » . ل : « فرخ » ، نهاية الأرب : « فروخ » : جمع فرخ ، كما في القاموس .

(٤) ل : « يم » .

(٥) س : « ثمان عشرة ليلة » .

(٦) جمع جنوب بالفتح ، وهي الريح الجنوبية .

ابن الجهم^(١) لا يطلب من نسائه الولد إلا والريح شمال . [وهذا عندي
تعرض للبلاء ، وتحكك بالشر ، واستدعاء للعقوبة] .

وقال : وبعضهم^(٢) يسمي بيض الريح : البيض الجنوبي ؛ لأن
أصناف الطير تقبل الريح في أجوافها .

وربما أفرخ^(٣) بيض الريح بسفاد كان ، [أو] لسن لونه يكون متغيراً .
وإن سفد الأنثى طائر من غير جنسها^(٤) ، غير خلق [ذلك] المخلوق الذي
كان من الذكر المتقدم . وهو^(٥) في الديكة أعم .

ويقولون : إن البيض يكون من أربعة أشياء : فإنه ما يكون من
التراب ، و [منه ما يكون] من السفاد ، ومنه ما يكون من النسيم إذا وصل إلى
أرحامهن وفي بعض الزمان^(٦) ، ومنه شيء يعترى الحجل وما شاكله
في الطبيعة ؛ فإن الأنثى ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من شق^(٧)
الذكر في بعض الزمان فتحشى من ذلك بيضاً . ولم أرهم يشكون أن النخلة
المطلة^(٨) تكون بقرب الفحال^(٩) وتحت ريجه ، فتلقح بتلك الريح وتكتفي بذلك .

(١) هو محمد بن الجهم البرمكي ، أسلفنا ترجمته في ٢ : ٢٢٦ .

(٢) ط ، س : « وقال بعضهم » .

(٣) ط : « أفرخ » ، وهو تحريف .

(٤) ل : « شكلها » .

(٥) س : « وهي » .

(٦) ل : « ومنه ما يكون من نسيم ريح إذا وصل إلى أرحامها في بعض الزمان » .

(٧) ط ، س : « جهة » وهما بمعنى .

(٨) المطعمة : التي أدركت أن تثمر . يقال : أطعمت الشجرة . وانظر الحيوان

٢ : ٢٣٨ و ٥ : ٢٠٩ والمقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٩) الفحال : ذكر النخل .

قال : وبيضُ أبقارِ الطَّيرِ أصغرُ ، وكذلك أولادُ النساءِ ، إلى أن تتسع
الأرحامُ وتنتفخ الجنوب^(١) .

(هديل الحمام)

ويكون هديلُ الحمام [الفتيُّ] ضئيلاً ، فإذا زقَّ مرَّاراً فَتَحَ الزَّقُّ^(٢)
جلدَةَ غَبِيهِ^(٣) وحوصلته ، فخرَجَ الصَّوتُ أَغْلَظَ وأجهرَ .

(حياة البكر)

وهم لا يثِقون بحياةِ البكر^(٣) من النَّاسِ^(٤) كما يثِقون بحياةِ الثَّاني^(٥)
ويرون أنَّ طبيعَةَ الشباب والابتداء لا يعطيانه^(٦) شيئاً إلاَّ أَخَذَهُ تضايقُ
مكانِهِ مِنَ الرَّحْمِ ، ويحبُّون أن تبكَّرَ بجارية ! وأظنُّ أن ذلك إنما هو
لشدَّةِ خوفِهِم على الذَّكر . وفي الجملة لا يَتِيَمُّنُون بالبكر الذَّكر^(٧) . فإن كان
البكرُ ابنَ بكرٍ تشاءموا^(٨) به ، فإن كان البكرُ ابنَ بكرينِ فهو في الشُّومِ

(١) كذا في ل. وفي ط ، س : « إلا أن تتسع الأرحام وتنتفخ الجوانب » .

(٢) الغيب : ماتحت الحنك . وفي ط ، س : « عينه » ، وهو تحريف عجيب .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « بحيات ولد البكر » ، تحريف .

(٤) ماعدا س : « النساء » .

(٥) ط : « بحيات » ، س : « أنثى » ، تحريفان .

(٦) أى يعطيان البكر . ط ، ل : « يعطيان » .

(٧) يتيمنون : من التيمن : ضد التشاؤم . ط ، س : « لا يتمنون للبكر » ، وهو

على الوجه في ل . وانظر الحيوان ٥ : ٣٣١ .

(٨) في الأصل : « تشأم » ، وإنما يقال هذه لمن انتسب إلى بلاد الشام .

مثلُ قيسِ بنِ زهير، والبسوس^(١)، فإن قيساً كان أزرق^(٢) وبكراً ابن بكرين.
ولا أحفظُ شأنَ البسوسِ حفظاً أجزمُ عليه .

(ما يعترى الحمام والإوز بعد السفاد)

قال : وأما الحمام فإنه إذا قَطَّ تَنَفَّسَ^(٣) وتكَبَّرَ ونَفَضَ ذنبه^(٤)
وضرَبَ بِجناحه ، وأما الإوز فإنه إذا سفد أكثر من السباحة ، واعتراه
في الماء من المَرَحِ مثلُ ما يعترى الحمام في الهواء .

(١) هي البسوس بنت منقذ التيمية ، قالوا : استجار بها جار لها من جرم ومعه ناقة له ،
فرماها كليب بن وائل لما رآها في حماه ، فلجأ الجري إلى البسوس ، فهيجت أهلها
للحرب ، فهاجوا واستمرت الحرب بين بكر وتقلب أربعين سنة . وسميت بحرب
البسوس - ثمار القلوب ٢٤٥ والعقد ٣ : ٣٤٧ وكامل ابن الأثير ١ : ٣١٣
وأمثال الميداني ٢ : ٣٥٩ والأغانى ٤ : ١٣٩ .

(٢) ليس المراد زرقة الجلد ، وإنما المراد زرقة العين ، يقال رجل أزرق وامرأة
زرقاء ، ويراد بذلك خضرة الحدقة . المخصص ١ : ١٠٠ . والعرب يكرهون
ذلك ويتهاجون به . قال :

لقد زرقت عينك يا ابن مكعب كذا كل ضبى من اللؤم أزرق

وجاء في القرآن : « ونحش المجرمين يومئذ زرقا » ، أى زرق العيون . وكان
شؤم قيس بن زهير في إثارة حرب داحس والغبراء ، وكان هو صاحب داحس :
فحل من الخيل ، وكان صاحب الغبراء حمل بن بدر ، وتراهننا على السباق ، وحدث
خلاف بينهما في مستحق الرهان ، أدى إلى حروب دامت أربعين سنة . العقد
٣ : ٣١٣ . وانظر كامل ابن الأثير ١ : ٣٤٣ والأغانى ٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣
وأمثال الميداني ٢ : ٥١ .

(٣) تنفس : نفص ريشه .

(٤) س : « ثوبه » .

قال : ويبيضُ الدجاجُ يتمُّ خلقه في عشرة أيام وأكثرَ شيئاً^(١) ، وأما بيض الحمام ففي أقلِّ من ذلك .

(احتباس بيض الحمامة)

والحمامة ربّما احتبَسَ البيضُ في جوفها بعدَ الوقتِ^(٢) لأمرٍ تعرّضُ لها : إمّا لأمرٍ عرضَ لِعُشِّها [وأفحوصها] ، وإمّا لتنفِ [ريشها]^(٣) ، وإمّا لعلّةٍ وجعٍ من أوجاعها^(٤) وإمّا لصوتٍ رعدٍ ؛ فإنَّ الرّعدَ إذا اشتدَّ لم يَبْقَ طائرٌ على الأرضِ واقع^(٥) إلاّ عدّاً فزعا ، وإن كان يطيرُ رمى بنفسه إلى الأرضِ^(٦) . قال علقمة بن عبدة :

رغاً فوقهم سقبُ السماءِ فداحضُ^(٧) بشكته لم يُستَلَبْ وسليبُ^(٧)
كأنهم صابت عليهم سحابةٌ صواعقها لطيرهنّ ديببُ^(٨)

(١) الواو هنا بمعنى أو ، كما جاء في قوله :

* كما الناس مجروم عليه وجارم *

(٢) أى بعد الوقت المقدر لنزوله .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « وإما لوجع من أوجاعها » .

(٥) ل : « واقماً » ، فهو نصب على الحال من النكرة الموصوفة . والرفع جائز على الوصف أيضاً .

(٦) ط ، س : « وإن كان يطير إلا رمى » ، ل : « وإن يطير رمى » ، وجعلت الكلام كما ترى .

(٧) سقب السماء ، هو ولد ناقة صالح ، قالوا : لما عقرت أمه رغا ، فنزل العذاب بقوم صالح : فجعل العرب ذلك مثلاً في الاستئصال . انظر ثمار القلوب ٢٨٢ . وفي اللسان : « داحض برجله وداحض : فحص برجله » . وروى القالى البيت في أماليه ٢ : ١٣٣ بالصناد المهملة . وقال : « وكان بعض العلماء يرويه : (فداحض) . وهذا البيت أحد ما نسب فيه إلى التحريف » . ولعله يعنى الجاحظ . والشكة : السلاح .

(٨) طير الصواعق : طيرانها ، أى سرعتها . وفي س : « للطير هن ديبب » ، أى إن تلك الصواعق التى تنزل بهم تجلب الموت فتتحرك الطير لتأكل من القتل . أى إن الصواعق سبب لديبب الطير .

(تقييل الحمام)

قال : وليس التَّيْمِيلُ إِلَّا لِلْحَمَامِ وَالْإِنْسَانِ ، وَلَا يَدَعُ ذَلِكَ ذَكَرُ الْحَمَامِ إِلَّا بَعْدَ الْهَرَمِ . وَكَانَ فِي أَكْثَرِ الظَّنِّ أَنَّهُ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ [إِلَى] ذَلِكَ التَّهْيِيجِ بِهِ عِنْدَ الْكِبَرِ وَالضَّعْفِ .

وتزعمُ العوامُّ أَنَّ تَسَاوَدَ الْغُرْبَانِ هُوَ تَطَاعُمُهَا بِالْمَنَاقِيرِ ، وَأَنَّ إِفْقَاحَهَا إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ . وَلَمْ أَرَ الْعُلَمَاءَ يَعْرِفُونَ هَذَا .

قال : وَإِذَا تَسَاوَدَتِ الْحَمَامُ إِذَا تَسَاوَدَتِ أَيْضاً قَبْلَ بَعْضِهَا بَعْضاً ، وَيُقَالُ إِنَّهَا تَبْيَضُّ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ عَنْ ذَلِكَ الْبَيْضِ فِرَاحٌ ، وَإِنَّهُ فِي سَبِيلِ بَيْضِ الرِّيحِ (١) .

(تَكُونُ الْفِرَاحُ فِي الْبَيْضَةِ)

قال : وَيَسْتَبِينُ خَلْقُ الْفِرَاحِ إِذَا مَضَتْ لَهَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بَلِيَالِهَا ، وَذَلِكَ فِي شَبَابِ الدَّجَاجِ ، وَأَمَّا فِي الْمَسَانِّ مِنْهَا فَهُوَ أَكْثَرُ . وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتُ تُوجَدُ الصُّفْرَةُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعُلْيَا (٢) مِنَ الْبَيْضَةِ ، عِنْدَ الطَّرْفِ الْمَحْدَدِ [وَ] حَيْثُ يَكُونُ أَوَّلُ نَقْرِهَا ، فَتَمَّ (٣) يَسْتَبِينُ فِي بَيَاضِ الْبَيْضَةِ مِثْلُ نَقْطَةٍ مِنْ دَمٍ ، وَهِيَ تَخْتَلِجُ وَتَتَحَرَّكُ : وَالْفِرَاحُ إِنَّمَا يُخْلَقُ مِنَ الْبَيَاضِ ، وَيَغْتَذِي

(١) سماه في ٢ : ٢٤١ « البيض الترابي » .

(٢) ط : « العليا » .

(٣) ل فقط : « فالقلب » ، وأراه تحريفاً .

الصُّفْرَةَ ، ويتمُّ خَلْقُهُ لعشرةِ أَيَّامٍ . والرَّأْسُ وَخَدَهُ يكونُ أكبرَ من سائرِ البدنِ .

(البيض العجيب)

قال : ومن الدجاج ما يبيض بيضاً له صُفْرَتَانِ في بعضِ الأحياءِ ، خبرني بذلك كم شئتَ^(١) ، من ثقاتِ أصحابنا .

وقال صاحب المنطق : وقد باضت فيما مضى دجاجةٌ ثمانىَ عشرةَ بيضةً ، لكلِّ بيضةٍ مُحْتَانٍ^(٢) ، ثمَّ سخَّنت وحَضَّنت ، فخرجَ من كلِّ بيضةٍ فرُّوجانٌ ، ما خلا البيضَ الذى كان فاسداً فى الأصل . وقد يخرج من البيضة فرُّوجان^(٣) ، ويكون أحدهما أعظمَ جثَّةً ، وكذلك الحمام . وما أقلَّ ما يغادرُ الحمامُ أن يكونَ أحدُ الفرُخَيْنِ^(٤) ذكراً ، والآخرُ أنثى .

(معارف فى البيض)

قال : وربما باضتُ الحمامةُ وأشباهاها من الفواخيتِ ثلاثَ بيضاتٍ ، فأما الأطرُغلاتُ والفواخيتُ^(٥) فإنها تبيضُ بيضتينِ ، وربما باضتُ ثلاثَ

(١) كذا فى ل ، س . وانظر ٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال ٢٦٤ .
وفى ط : « شبيث » ، تحريف .

(٢) الحمة والمخ : صفرة البيض . جاء فى س : « محان » ، وهما صحيحان .

(٣) ل : « فرخان » ، والأفضل ما أثبت من ط ، س .

(٤) فى الأصل : « الفروجين » ، وإنما يكون الفروج للدجاج خاصة .

(٥) ط ، س : « الفواخيت » ، ووجه ما أثبت من ل .

بيضات ، ولكن لا يخرج منها أكثر من فرخين ، وربما كان واحداً فقط .

قال : وبعض الطير لا يبيض إلا بعد مرور الحول عليه كمالاً^(١) ، والحمامة في أكثر أمرها يكون أحد فرخها ذكراً والآخر أنثى ، وهى تبيض أولاً البيضة التى فيها الذكر ، ثم تقيم يوماً وليلة ، ثم تبيض الأخرى ، وتحضن ما بين السبعة عشر يوماً إلى العشرين ، على قدر اختلاف طباع الزمان ، والذي يعرض لها من العلل . والحمامة أبر بالبيض ، والحمام أبر بالفراخ .

[قال] : و [أمّا] جميع أجناس الطير مما يأكل اللحم ، فلم يظهر لنا أنه يبيض ويفرخ أكثر من مرة واحدة ، ما خلا الحطاف فإنه يبيض مرتين .

(تربية الطيور فراخها)

والعقاب تبيض^(٢) ثلاث بيضات ، فيخرج لها فرخان . واختلفوا فقال بعضهم : لأنها لا تحضن إلا ببيضتين ، وقال آخرون : قد تحضن ويخرج

(١) كلا : أى كاملاً . وبالأخيرة جاءت الرواية فى ط ، س .

(٢) فى الأصل : « يبيض » . والعقاب يطلق على الذكر والأنثى ، ولكنه أراد الأنثى هنا .

لها ثلاثة أفراخ ، ولكنها ترمى بواحد^(١) استثقلاً للتكسب على ثلاثة .
وقال آخرون : ليس ذلك إلا بما^(٢) يعترها من الضعف عن الصيد ؛ كما
يعتري النفساء من الوهن والضعف ، وقال آخرون : العقاب طائر سيء
الخلق ، ردى التربية ، وليس يستعان^(٣) على تربية الأولاد إلا بالصبر .
وقال آخرون : [لا ، و] لكنها شديدة النهم والشره ، وإذا لم تكن
أم الفراخ ذات أثر لها ، ضاعت .

وكذلك قالوا في العقق ، عند إضاعتها لفراخها ، حتى قالوا : « أحق
من عقق » ، كما قالوا : « أحذر من عقق » .

وقالوا : وأما الفرخ الذي يُخرجه العتاب ، فإن المكلفة ، وهي طائر
يقال لها كاسر العظام^(٤) ، تقبله^(٥) وتربيه .

والعقاب تحضن^(٦) ثلاثين يوماً ، وكذلك كل طائر عظيم الجثة ، مثل
الإوز وأشباه ذلك ، فأما الوسط فهو يحضن عشرين يوماً . مثل الحدأ^(٧)
ومثل أصناف البزاة^(٨) كالباشق واليآي^(٩) .

(١) ط ، س : « بواحدة » .

(٢) بما : بمعنى لما . وفي ل : « ليس ذلك لما » . وهو كلام ناقص .

(٣) ل : « يقوى شيء » .

(٤) ل : « يقال لها قينا » .

(٥) تقبله : تكفله . والقبيل : الكفيل .

(٦) في الأصل : « يحضن » . والعقاب هنا مؤنثة .

(٧) هو جمع حدأة . وفي ط ، ل : « الحدأة » .

(٨) ط : « البزات » ، وصوابه في س ، ل . وهو جمع باز .

(٩) اليآي : جمع يؤيؤ ، وهو طير جارح يشبه الباشق . قال أبو نواس
في طردية :

حفظ المهيمن يؤيؤ ورعاه ما في اليآي يؤيؤ شرواه
أى شبيهه . ط : « اليآي » . س : « اليآي » ، وهما تحريف ما أثبت
وهذه الكلمة والتي قبلها ساقطتان من ل .

والحدأة^(١) تبيضُ ببيضتين . وربّما باضتُ ثلاثَ بيضاتٍ وخرَجَ منهن ثلاثَةُ فِراخٍ .

قالوا : وأما العقبانُ السُّودُ الألوان ، فإنّها تربّي وتخصن^(٢) .
وجميعُ الطيرِ المعقّفِ المخالبِ تطردُ فراخها من أعشاشها^(٣) عندَ قوّتها على الطيرِ أن . وكذلك سائرُ الأصنافِ مِنَ الطيرِ^(٤) ؛ فإنّها تطردُ الفِراخَ [ثمَّ] لا تعرفُها ، ما عدا الغداف^(٥) ؛ فإنّها لا تزالُ لولدها قابلةً ، ولحالِهِ متفقّدةً .

(أجناس العقبان)

وقال قوم^(٦) : إنّ العقبانَ والبزاة التامة ، والجهازرانك^(٧) ،
والسمنان^(٨) .

(١) س : « والحدأة » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « تبيض وتخصن » .

(٣) ط ، س : « أعششها » ، ولم أر هذا الجمع ووجدتهم يجمعون العش على عشاش ، وعششة وأعشاش . انظر المصباح .

(٤) ل : « سائر أصناف الطير » .

(٥) كذا .

(٦) ل : « وزعم غيره » .

(٧) المراد بالبزاة أو العقبان التامة : التامة الأوصاف ، وهو من تعبير البزدرية ، كتب بذلك إلينا حضرة العلامة الكبير الأب أنستاس ، كما كتب أيضاً : « الجهاز رنك » أو « الجهاز رنك » هي مركبة من « جهاز » أي أربعة ، و « رنك » أو « رانك » أي لون ، فيكون معنى الكلمة المركبة الفارسية : ذا الألوان الأربعة . وسبب تسمية هذه العقبان ، أو البزاة ذات أربعة ألوان هو وجود الأبيض والأصفر والأسود والأزرق فيها . واللونان الأولان بالتصغير ، أي الضارب إلى الأبيض والضارب إلى الأصفر ؛ لأن هذين اللونين ليسا محضين في ريش تلك الطير . وقلت : هذه الكلمة هي في الأصل محرّفة فقي ط ، س : « الجهادانك » وفي ل : « الجهادانك » . وقد اتضح الصواب بما تفضل به حضرة الأب .
(٨) كذا في ط ، س . وفي ل : « النيمات » . وقد تفضل حضرة المحقق الكبير =

والزمامج^(١) والزَّرَارِقَة^(٢) إنها كلها عقبان . وأما الشَّوَاهِينُ والصُّقُورَةُ ،
والْيَوَائِي^(٣) ، فإنها أجناسٌ أخر .

(حَضْنُ الطَّيْرِ)

[قال : وقالوا : فراخ البزاة سميئة طيِّبَةٌ جدًّا] . وأما الإوزة فإنها
[التي] تحضن دون الذكر^(٤) ، وأما الغربانُ فعلى الإناثِ الحضنُ ، والذكورة
تأتي الإناثَ بالطُّعْمَة^(٥) .

وأما الحجل فإن الزوج منها^(٦) يهيشان للبيض عشرين وثيقين^(٧)

= الأب أنستاس ، فكتب إلى : « والسمان من البزاة والجوارح : كل ماطن منها
في السن ، وهي جمع سمين . والعوام من العراقيين يسمونها : سمنان - كرغفان -
فهى إذا طمنت في السن ضخم جسمها وقعدت عن الصيد » . « والنيمات
منسوبة إلى نيم ، بالكسر ، الفارسية ، بمعنى نصف . ويشار به إلى تلك البزاة ،
أو العقبان الصغيرة الجسم ، وهي تكون في أغلب الأحيان أشد صيداً وجرأة من
نظائرهما الكبيرة الجسم أو الجففة . ويؤتى بها من البلاد الباردة ، أو من الأرجاء
الجبليّة » . وعقب حضرته على ذلك بقوله : « وكل ذلك مذكور في كتب البزرة
التي سرقت منى . وكان عندي منها ثلاث نسخ مملوءة أو مشحونة اصطلاحات » .

- (١) الزمامج : جمع زمج ، بضم الزاى وتشديد الميم المفتوحة .
- (٢) الزرارقة : جمع زرق بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة ، والمعروف زراريق . وفي
الأصل : « الزرارقة » ، وهو تحريف .
- (٣) كذا على الصواب في ل . وهو جمع يؤيؤ . ط ، س : « والبوازي » .
- (٤) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط : « وأما الأوز فإنها تحضن دون
الذكورة » ومثله في س بزيادة « التي » بعد « فإنها » .
- (٥) في اللسان : « الطعمة » ، بالضم : شبه الرزق » . وفي ل : « بالطعم » ، ومثله
في عيون الأخبار (٢ : ٩٤) وهو بالضم : الطعام .
- (٦) ل ، ط : « منها » ، وصوابه في س .
- (٧) الوثيق : المحكم . وبدلها في ط : « بيضتين » وفي س : « بيضين »
وهو تحريف عجيب .

مقسومين^(١) عليهما ، فيحضن أحدهما الذكراً ، والآخر الأنثى^(٢) ، وكذلك
هُمَا فِي التَّرْبِيَةِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَعِيشُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَلَا تَلْقَحُ
الْأُنْثَى بِالْبَيْضِ^(٣) وَلَا يُلْقِحُ الذَّكَرُ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ .

(الطَّائِسُ)

قال : وَأَمَّا الطَّائِسُ فَأَوَّلَ مَا تَبْيَضُ فَإِنَّهَا تَبْيَضُ ثَمَانِي^(٤) بِيضَاتٍ .
وَتَبْيَضُ أَيْضًا بَيْضَ الرِّيحِ . وَالطَّائِسُ يُلْقَى رِيثَهُ فِي زَمَنِ الْخَرِيفِ إِذَا بَدَأَ
أَوَّلُ وَرْقِ الشَّجَرِ يَسْقُطُ^(٥) . وَإِذَا بَدَأَ الشَّجَرُ يَكْتَسِي وَرْقًا ، بَدَأَ الطَّائِسُ
فَأَكْتَسَى^(٦) رِيثًا .

(١) ط فقط : « مقسومين » .

(٢) فضلت هذا الضبط لما جاء في نهاية الأرب نقلًا عن الجاحظ : « وإذا باضت الحجلة
ميز الذكر الذكور منها فيحضنها ، وميزت الأنثى الإناث فتحضنها ، وكذلك هما في
التربية » . ومثل هذا الكلام عند الدميري ، مع نسبه إلى التوحيدى .

(٣) ط ، س : « البيض » ، والوجه ما أثبتت كافي ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٣٣)

(٤) كذا في ل ونهاية الأرب ، وفي ط ، س : « ثلاث » .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ل : « يلقي ورقه » وفي ط « فإذا بدا » ،
وكلاهما تحريف .

(٦) ط : « يكتسى » .

(ما ليس له عُشٌّ من الطير)

قال : وما كان من الطَّير الثَّقِيل الجَثَّة فليس يهَيُّ لبيضه عُشًّا ؛ من أجل أنه لا يُجيد^(١) الطَّيرَان ، ويثقل عليه النهوض ولا يتحلَّق^(٢) ، مثل الدُّرَّاج والقَبَّج ، [وإنما يبيض على التُّراب] . وفراخ هذه الأجناس كفرايح الدَّجاج ، وكذلك فراريج البطِّ الصِّينِي ، فإنَّ هذه كلُّها تخرُج من البيض كاسية [كاسية^(٣)] تُلْقَط من ساعتها ، وتكفي نفسها .

(القبجة)

قال : [و] إذا دنا الصَّيَّاد من عُشِّ القبجة^(٤) ولها فراخٌ ، مرَّتْ بينَ يديه مرًّا غيرَ مُفِيَت^(٥) ، وأطمعته في نفسها ليتبعها^(٦) ، فتمرُّ الفراخ في رجوعها إلى موضعِ عُشِّها^(٧) . والفراخ^(٨) ليسَ معها من الهداية مامع

(١) ط ، س : « يجيد » .

(٢) يتحلَّق : لم أجدها بمعنى حلق الطائر أي طار واستدار في طيرانه ، لكن هكذا جاءت في ل . وانظر ه : ١٥٢ . وفي ط ، س : « يتحلَّق » ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة من س . .

(٤) سبق قريباً أنها ليست ذات عش . فالمراد أفحوصتها .

(٥) ط فقط : « معين » ، وهو تحريف .

(٦) ط ، س : « فيتبعها » .

(٧) ل ، س : « فتمرُّ الفراخ ولثلا تغلط في رجوعها إلى موضعِ عشها » .

(٨) ل : « فإنها » .

أمها . وعلى أن القَبَجَةَ سَيِّئَةُ الدَّلَالَةِ وَالْهِدَايَةِ ، وكذلك كلُّ طائرٍ يَعَجَّلُ له الكَيْسُ وَالْكِسْوَةُ ، وَيَعَجَّلُ له الكَسْبُ في صغره .

وهذا إنما اعتراها لقرابة ما بينها وبين الديك .

قال : فإذا أمعن الصائد خلفها وقد خرجت الفراخ من موضعها ، طارت ٥٧ وقد نَحَّتْهُ (١) إلى حيث لا يهتدى الرجوع منه إلى موضع عشها (٢) : فإذا سقطت قريباً دعتها بأصوات لها ، حتى يجتمعن إليها .

قال : وإناثُ القَبَجِ تبيضُ [خمسَ عشرة بيضة إلى ستَّ عشرة بيضة . قال : والقَبَجُ طيرٌ منكرٌ] وهي تفرُّ (٣) ببيضها من الذكر ؛ لأنَّ الأنثى تشتغل بالحضن عن طاعة الذكر في طلب السِّفاد . والقَبَجُ الذَّكَرُ يوصفُ بالقوَّة على السِّفاد ، كما يوصف الديك والحجلُّ والعصفور .

قال : فإذا شغلت عنه بالحضن ، طلبَ مواضع بيضها حتى يفسدها (٤) فلذلك ترتاد (٥) الأنثى [عشها] في مخابئ (٦) إذا أحست بوقت البيض .

وإذا قاتل بعضُ ذكورةِ القَبَجِ بعضاً فالمغلوبُ منها مسفودٌ ، والغالبُ

(١) ط : « نحت » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٢) يقال : هو لا يهتدى الطريق ، ولا يهدى — بفتح الياء والهاء وتشديد الدال المكسورة — ، ولا يهدى — بفتح الياء وكسر الهاء والدال المشددة . كل أولئك بمعنى لا يهتدى إليه . في ط : « إلى موضعها » .

(٣) س : « تشغل » .

(٤) ل : « يفسدها » ، ولها وجه .

(٥) ترتاد : تطلب . وفي ل : « توغل » ، ولا يقال أوغله .

(٦) ط ، س : « مخافي » وتصحيحه من ل .

سافد . وهذا [العرض] يعرضُ للدِّيكة ولذكور الدَّراريج ، فإذا دَخَلَ بين الدِّيكة^(١) ديكٌ غريب ، فما أكثرَ ما تجتمع عليه حتى تسفده ! .

(وثب الذُّكورة على الذكورة)

وسفادُ ذكورة هذه الأجناسِ إنما يعرض لها لهذه الأسباب ، فأما ذكورة الحمير والخنازير والحمام ، فإنَّ ذكورها تثبُّ على بعضٍ من جهة الشهوة .

وكان عند يعقوبَ بن صباح^(٢) الأشعبيُّ ، هِرَّانٍ ضخمان ، أحدهما يكومُ الآخر متى أرادهُ ، مِنْ غيرِ إكراهٍ ، ومِنْ غيرِ أن يكونَ المسفودُ يريدُ من السَّافِدِ مِثْلَ ما يريدُ منه السَّافِدُ . وهذا البابُ شائعٌ في كثيرٍ من الأجناسِ ، إلاَّ أنَّه في هذه [الأجناسِ]^(٣) أوجَدَ .

(صيد البزاة للحمام)

ثمَّ رَجَعَ بنا القَوْلُ إلى ذِكْرِ الحمام ، من غيرِ أن يشاب^(٤) بذكر غيره .

(١) ط : « الرمكة » . ولا تصح . والصواب من ل ، س .

(٢) ل : « الصباح » .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ط ، س : « انتساب » ويصح بـ « انتشاب » أى تعلق . وأثبت ما في ل .

ويشاب : يخلط .

زعم صاحبُ المنطق أنَّ البُزاةَ عشرةَ أجناس ، فمنها ما يضربُ الحمامةَ والحمامةَ جائمةً ، ومنها ما لا يضربُ الحمامَ إلا وهو يطير ، ومنها ما لا يضربُ الحمامَ في حالِ طَيْرَانِهِ ولا في حالِ جثومِهِ ، [ولا يعرض له] إلا أن يجده (١) في بعض الأغصان ، أو على [بعض] الأنشاز (٢) والأشجار . فعُدَّ أجناسَ صيدها ، ثمَّ ذَكَرَ أَنَّ الحمامَ (٣) لا يخفى عليه في أوَّلِ ما يرى البازيَ في الهواءِ أيُّ البُزاةِ هُوَ ، وأىُّ نوعِ صَيْدِهِ (٤) ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمامِ بذلك من البازي أشكال : أوَّلُ ذلك أن الحمامَ في أوَّلِ نُهوضِهِ يفصلُ بينَ النَّسرِ والعُقابِ ، وبينَ الرَّخمةِ والبازيِ ، وبينَ العُرابِ والصَّقْرِ ؛ فهو يَرى الكُرُكِيَّ والطَّبْرزِينَ (٥) ولا يستوحشُ منهما ! ويرى الزُّرَّقَ فيتضاءل . فإن رأى الشَّاهِينَ فَقَدَ رأى السَّمَّ الذعافِ الناقِعِ (٦) .

(إحصاس الحيوان بعدوّه)

والنَّعجة ترى الفِيلَ والزَّنْدَبِيلَ والجاموسَ والبعيرَ ، فلا يهزُّها (٧) ذلك ، وترى السَّبُعَ وهي لم تره قبل ذلك (٨) ، وَعَضُوْهُ من أعضاء تلك البهائمِ أعظمُ

(١) ل : « يراه » .

(٢) الأنشاز : جمع نشز ، بالتحريك ، أو بالفتح ، وهو المكان المرتفع .

(٣) ط : « صاحب الحمام » ، وللوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) ط : « ضده » ، وصوابه من ل ، س .

(٥) كذا في ل ، س . والمعروف في الطبرزين أنه الفأس التي يعلقها الفارس

في سرج جواده . انظر معرب الجواليقي ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ . وفي

ط : « الطيران » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ل : « فقد رأى السم الناقع » .

(٧) ل : « يهداها » .

(٨) ل : « التي لم تره قبل فتخافه » وفيه تحريف .

وهي أهولُ في العين وأشنعُ ، ثم ترى الأسدَ فتخافه . وكذلك الببْرُ والنمر .
فإن رأت الذئبَ [وحده] اعتراها منه وحده مثلُ ما اعتراها من تلك
الأجناسِ لو كانت مجموعةً في مكانٍ واحدٍ . وليس ذلك عن تجرِبَةٍ ،
ولا لأنَّ منظرَه أشنعُ وأعظمُ ، وليس في ذلك عِلَّةٌ (١) إلا ما طُبِعَت عليه من
تميز الحيوانِ عندها . فليس بمُسْتَنَكِرٍ أنْ تَفْصِلَ الحِمامَةَ بينَ البازي (٢)
والبازي ، كما فصلت بين البازي والكرُكيّ .

فإن زعمتَ أنَّها تعرف بالمخالب (٣) فَنَقَارُ الكُرُكيّ أشنعُ [وأعظمُ]
وأفطعُ (٤) ، وأطولُ وأعرضُ (٥) . فأَمَّا (٦) طَرَفُ منقارِ [الأبتث (٧)] فما
كانَ (٨) كلُّ سنانٍ وإن كان مذرَّباً (٩) [ليبلغه .

(١) ط : « عليه » ، وهي على الصواب في ل ، س .

(٢) أي تعرف أنواع البزاة وطريقة صيدها لها ، كما فصل ذلك في الصفحة السابقة س ٦ .

ل فقط : « الرخة » تحريف .

(٣) في الأصل : « تضرب مخالب » .

(٤) ل : « وأقطع » .

(٥) ليست في ل .

(٦) ط ، س : « فا » ، وهو تحريف .

(٧) في القاموس : أن الأبتث طائر ، ولم ينمته .

(٨) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٩) مذرَّباً ، بالذال المعجمة : محسداً . وفي الأصل ، وهو هنا ل :

« مذرَّباً » ، تصحيف .

(بلاهة الحمام وخرقه)

قال صاحب الدبّيك : وكيف يكون للحمام من المعرفة^(١) والفتنة ما تذكرون ، وقد جاء في الأثر^(٢) : « كُونُوا بُلْهًا^(٣) كَالْحَمَامِ » ؟ !

وقال صاحب الدبّيك : تقول العربُ : « أُخْرِقَ مِنْ حَمَامَةٍ » ، ومما يدل على ذلك قولُ عبيد بن الأبرص :

عَيَسُوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بِيَيْصَهَا الْحَمَامَةُ
جَعَلَتْ لَهَا عُودِينَ مِنْ نَشْمٍ وَأَخَرَ مِنْ ثَمَامَةٍ^(٤)

(١) ط ، س « الحركة » ، ووجهه ما في ل .
(٢) كذا في ل ، س . وهو الموافق لما جاء في البيان (٢ : ٢٧٥) :
« وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كونوا بلها كالحمام » . وفي ط : « وقد جاء في الحديث » كما في محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٠) . وجاء في عيون الأخبار (٢ : ٧٢) : « وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : كونوا حلما كالحيات ، وبلها كالحمام » . قلت : والنص في إنجيل متى (الأصحاح العاشر : ١٦) : « هاأنا أرسلكم كغتم في وسط ذئاب فكونوا حكاما كالحيات وبسطاء كالحمام » .

(٣) في الأصل : « بلهاء » ، وإنما هي « بلها » كما في ٧ : ٢٥٩ . وهو جمع أبله . والمراد به الغافل عن الشر المطبوع على الخير . انظر نهاية ابن الأثير (بله) .

(٤) النشم ، بالتحريك : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي . والثامة : واحدة الثمام ، وهو نبت قصير يضرب به المثل في الضعف . وذلك حمقها : أن تجمع بين ضعيف وقوى : فيتكسر عشا ويقع البيض فيتكسر . انظر عيون الأخبار (٢ : ٧٢) وثمار القلوب ٣٦٩ وأمثال الميداني (١ : ٢٣٤) وأدب الكاتب (٥٥) .

فإن كان عبيدٌ إنما عني حمامةٌ من حمامكم هذا الذي أنتم به تفخرون ،
فقد أكثرتم في ذكر^(١) تدبيرها لمواضع بيضها ، وإحكامها لصنعة
عشاشها^(٢) وأفاحيصها .

وإن قلتُم : إنه إنما عني بعضَ أجناسِ الحمامِ الوحشيِّ والبرّيِّ ، فتمدُّ
أخرجتم بعضَ الحمامِ من حُسنِ التدبيرِ . وعبيدٌ لم يخصَّ حماماً دونَ حمام .

(رغبة عثمان في ذبح الحمام)

وحدّث أسامةُ بن زيد قال : سمعتُ بعضَ أشياخنا منذُ زمانٍ ، يحدثُ
أنَّ عثمانَ بنَ عفّانَ - رضي اللهُ تعالى عنه - أراد أنْ يذبحَ الخِمامَ ثمَّ قال :
« لولا أنّها أمةٌ من الأممِ لأمرتُ بذبحهنَّ^(٣) ، ولكنَّ قُصُوهُنَّ » . [فدلَّ بقوله
قُصُوهُنَّ] على أنّها إنما تُذبحُ لرغبة^(٤) مَنْ يتخذُهنَّ ، ويلعبُ بهنَّ من
الفتيانِ والأحداثِ والشُّطار^(٥) ، وأصحابِ المراهنةِ والقيارِ ، والذين

(١) ل : « ذلك » ، وهو تحريف . والمراد بالإكثار التزويد والمبالغة .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « أعشمتها » وانظر التنبيه رقم ٣

ص ١٨١ .

(٣) ط ، س : « بذبحها » ، وأثبت ما في ل .

(٤) ل : « لسورة » ! .

(٥) الشطار : جمع شاطر ، وهو الذي أعيأ أهله ومؤدبه خبثا ، وشطر عن الطريق

السوى : أى عدل عنه . وفي ل فقط : « السطار » وهو تصحيف . واللعب بالحمام

التسابق به ، على نحو ما يفعل بالخيول . انظر صورة من ذلك في أخبار

الظراف ص ٣٨ .

يتشرَّفون^(١) على حُرْمِ الناس والجيران ، ويختدِعُونَ^(٢) بفراخ الحَمَامِ أولادِ
النَّاسِ ، ويرمونَ بِالْجَلَاهِقِ^(٣) وما أَكْثَرَ مَنْ قَدْ فَقَا عَيْنًا وَهَشِمَ أَنْفًا ، وَهَتَمَ
فَقًّا ، وهو لا يدري مَا يصنع ، ولا يَقِفُ على مقدارِ مَا رَكِبَ به القومَ .
ثم تذهب^(٤) جِنَايَتُهُ هَدْرًا ؛ ويعودُ ذلك الدَّمُ مَطْلُولًا بلا عقل ولا قوَدٍ
ولا قِصاص ولا أُرْشٍ^(٥) ؛ إذ كان صاحِبُهُ مجهولًا .

وعلى شبيهِ بذلك كان عمرٌ - رضى الله عنه - أمرَ بِذَبْحِ الدِّيَكَةِ^(٦)
وأمرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الكلابِ .

قالوا : ففيما ذكرنا دليلٌ على أنَّا أكلَ لحومِ الكلابِ لم يكنْ مِنْ دينِهِمْ
ولا أخلاقِهِمْ ، ولا مِنْ دواعي^(٧) شهواتِهِمْ . ولولا ذلك لما جاء الأثرُ عن النَّبِيِّ
- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ - رضى الله تعالى عنهما بِذَبْحِ الدِّيَكَةِ
وَالْحَمَامِ ، وَقَتْلِ الكلابِ . [ولولا أنَّ الأمرَ على ما قلنا ، لقالوا : اقتلوا
الدُّبُوكَ وَالْحَمَامَ كما قال : اقتلوا الكلابِ] . وفي تفريفِهِمْ بينها دليلٌ على
افتراقِ الحَالَاتِ عندهم .

(١) التشرَّف : التطلع . وفى ط فقط : « يشرفون » من الإشراف : أى مُلَّا ط ل اطلاق .
وما أثبت أقرب وأشبه .

(٢) ط ، س : « ويخدعون » .

(٣) الجلاهق : هو الطين المدور المدملق ، يرمى به عن القوس ، فارسي ، أصله جلاجه .
الجواليقي ٤٢ .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ذهب » .

(٥) العقل : الدية . والقود ، بالتحريك ، بمعنى القصاص ، وهو قتل النفس
بالنفس . والأرش : دية الجراحات .

(٦) كذا فى ل . وكما سبق فى الجزء الأول ص ٢٩٦ س : ١١ ، ١٦ . وفى ط ، س :
« أراد سر رضى الله عنه أن يذبح الديكة » .

(٧) ط ، س : « ولا كان فى دواعي » .

قال : حدّثني أسامة بن زيد^(١) ، وإبراهيم بن أبي يحيى ، أن عثمان شكوا إليه الحمام ، وأنه قال : « مَنْ أَخَذَ مِنْهُنَّ شَيْئاً فَهُوَ لَهُ » . وقد علمنا أن اللفظ وإن كان قد وقع على شكاية الحمام ، فإن المعنى إنما هو على شكاية أصحاب الحمام ؛ لأنه ليس في الحمام معنى يدعو إلى شكاية^(٢) .

قال : وحدّثنا عثمان قال : سئل الحسن عن الحمام الذي يصطاده الناس ، قال : لا تأكله ، فإنه من أموال الناس ! فجعله مالا ، ونهى عن أكله بغير إذن أهله . وكلُّ ما كان مالا فبيعه حسنٌ وابتياعه حسن . فكيف يجوز لشيء هذه صفته أن يُذبح ، إلا أن يكون ذلك على طريق العقاب والزجر لمن اتّخذَه لما لا يحلُّ !!

قال : ورووا عن الزُّهرى عن سعيد بن المسيّب قال : نهى عثمان عن اللّعبِ بالحمام^(٣) ، وعن رمى الجُلاهق . فهذا يدلُّ على ما قلنا .

(أمن حمام مكة وغز لانها)

والناس يقولون : « آمِنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ ، وَمِنْ غِزْلَانِ مَكَّةَ » . وهذا شائع على جميع الألسنة ، لا يردُّ ذلك أحدٌ ممن يعرفُ الأمثالَ والشواهدَ . قال عُبَيْةُ الأَسَدِيُّ^(٤) لابن الزُّبير :

(١) ل : « بدر » .

(٢) ط : « شكايته » .

(٣) ل : « عن ذكر الحمام » وهو تحريف : انظر ص ١٩٠ .

(٤) عقيبة بن هبيرة الأسدي : شاعر جاهلي إسلامي . اللآلى ١٤٩ . وانظر الأغاني ١٨ : ١٢٨ . وفي الأصل : « عقيبة » ، تحريف .

مازلت مذ حَجَجَ بِمَكَّةَ مُحْرَمًا^(١) في حيثُ يَأْمَنُ طَائِرٌ وَحَمَامٌ
فَلْتَنْهَضَنَّ الْعَيْسُ تَنْفِخُ فِي الْبُرَا يَجْتَبِنَ عُرْضَ مَحَارِمِ الْأَعْلَامِ^(٢)
أَبْنُو الْمَغِيرَةِ مِثْلُ آلِ خُوَيْلِدٍ ؟ ! يَا لِرَجَالِ لِحْفَةِ الْأَحْلَامِ^(٣) !
وقال النابغة في الغزلان وأمنها ، كقول جميع الشعراء في الحمام :

لا والذي آمن الغزلان تمسحها رُكبانُ مَكَّةَ بين الغيل والسعد^(٤)

ولو أن الطباء ابتليت ممن يتخذها بمثل^(٥) الذي ابتليت به الحمام
ثم ركبوا المسلمين في الغزلان بمثل ما ركبوهم به في الحمام ، لساروا في ذبح
الغزلان كسيرتهم في ذبح الحمام .

وقالوا : إنه كيبُلُّغُ مَنْ تعظيم الحمام لحُرْمَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ
يشهدون عن آخرهم أنهم لم يروا حماماً قطُّ سقطَ على ظهر الكعبة ، إِلَّا مِنْ

(١) كذا في ل ، وهو الوجه . . وفي ط ، س : « ملحدا » ، من الإلحاد بمعنى
الظلم في الحرم . ولا يصح لأن الشعر مدح . وقد أشار عقبة إلى ما كان من
عبد الله بن الزبير في مكة ، حيث بويغ له بمكة سنة أربع وستين ، وخلع يزيد
ابن معاوية ، وأقام بها تسع سنين وقتل في خلافة عبد الملك بن مروان على يد الحجاج
بمكة سنة ثلاث وسبعين . انظر تاريخ الاسحاق ص ٥١ .

(٢) العيس ، الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . والبرا : جمع برة ، كنية ، وهي
الحلقة في أنف البعير . يجتنين : يقطعن . والمحارم : الطرق في الأرض الغليظة .
س : « تجتنين عرض مخارج » وهو تحريف .

(٣) بنو المغيرة هم بنو مروان ؛ لأن أمهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص
ابن أمية . انظر الإصابة ٧٠٩ من قسم النساء ، والعقد ٣ : ١٤٨ . وآل خويلد
هم بنو الزبير ، وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى . انظر
المعارف ٩٦ .

(٤) ط ، س : « والمؤمن المائذات الطير » ، وما أثبت من ل هو الوجه ؛ لما سبق
من الكلام . والغيل ، بالكسر ، والسعد ، بالتحريك : أجمتان كانتا بين مكة
ومنى . شرح المعلقات للبريزي ٣٠٠ .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « بمن يتخذها مثل » .

عِلَّةٌ عَرَّضَتْ لَهُ . فَإِنْ (١) كَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ اِكْتِسَاباً مِنَ الْحَمَامِ فَالْحَمَامُ فَوْقَ
جَمِيعِ الطَّيْرِ وَكُلِّ ذِي أَرْبَعٍ . وَإِنْ كَانَ هَذَا إِتْمَاكًا [مِنْ] طَرِيقِ الْإِلْهَامِ ،
فَلَيْسَ مَا يُلْهَمُهُمْ كَمَا لَا يُلْهَمُهُمْ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ (٢) فِي أَمْنِ الْحَمَامِ :

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ بَيْتِي تَفَرَّعَ فِي الذَّوَابِ وَالسَّنَامِ -

وَإِذَا نَحْنُ أَوْلُ مِنْ تَبْتِي بِمَكَّتْهَا الْبُيُوتَ مَعَ الْحَمَامِ (٣)

وَقَالَ كَثِيرٌ - أَوْ غَيْرُهُ مِنْ (٤) بَنِي سَهْمٍ - فِي أَمْنِ الْحَمَامِ :

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا مِنْ سُوقَةِ وَإِمَامِ -

أَيَسَّبُ الْمُطَيَّبُونَ جَدُودًا (٥) وَالسُّكْرَامُ الْأَخْوَالَ وَالْأَعْمَامِ -

يَأْمَنُ الظُّبِي (٦) وَالْحَمَامُ وَلَا يَا مَنْ آلِ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ !!

رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كَلِمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامِ (٧)

٦٠

(١) ط : « فإذا » .

(٢) هو الزبير بن عبد المطلب ، كما في المؤلف ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) في المؤلف : « بمككتنا » . وفي الأصل : « من الحمام » ، صوابه في المؤلف .

(٤) ط ، س : « في » وتصحيحه من ل . والسهمى هذا ، هو عبد الله بن كثير السهمى ، قال الجاحظ في البيان ٣ : ٣٥٩ : « وقال عبد الله بن كثير السهمى وكان يتشيع لولادة كانت فالتة ، وسمع عمال خالد بن عبد الله القسرى يلعنون علياً والحسن والحسين على المنابر » . وأنشد الشعر الآتى . أو هو كثير ابن كثير السهمى كما في معجم المرزبانى ٣٤٨ ، قالها لما كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسب علي .

(٥) المطيبون : المطهرون . في ل : « أيسب المطيبين » ، وفي المعجم « أتسب المطيبين » ولكل منهما وجه . وبعد هذا البيت في المعجم وبعد البيت الذى يليه في البيان :

طبت بيتا وطاب بيتك بيتاً أهل بيت النبى والإسلام

(٦) ط فقط : « الطير » ، والصواب ما أثبت من ل ، س والبيان .

(٧) ط س ، : « الإسلام » ، وهى رواية محرفة عما أثبت من ل والبيان والمعجم .

وذكر شأن ابن الزبير وشأن ابن الحنفية^(١) ، فقال :

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى^(٢)

من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمى النبي المصطفى وابن عمه^(٣) وفكأك أغلال ونفأغ غارم-

أبي فهو لا يشري هدى بضلالة ولا يتقى في الله لومة لأئم-

ونحن بحمد الله نتلو كتابه حلولا لهذا الخيف خيف المحارم^(٤)

بحيث الحمام آمانات سواكن وتلقى العدو كالولي المسالم-

(حمالة نوح)

قال صاحب الحمام : أما العرب والأعراب والشعراء ، فقد أطبقوا على

أن الحمالة هي التي كانت دليل نوح ورائده^(٥) ، وهي التي استجملت^(٦)

(١) ابن الحنفية ، هو محمد بن علي بن أبي طالب ، وهو أخو الحسن والحسين ابني علي بيد أن والدة هذين هي فاطمة الزهراء ، وأم ذلك هي خولة بنت جعفر الحنفية ، فنسب إليها تمييزاً له . كان ابن الحنفية أحد أبطال صدر الإسلام ، وكان ورعاً واسع العلم . وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته ، ويزعم أنه المهدي ، وكانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى . ولد بالمدينة سنة ٢١ وتوفي سنة ٨١ . وفيات الأعيان (١ : ٤٤٩) وطبقات ابن سعد (٥ : ٦٦) .

(٢) الخيف بالفتح : ناحية من منى . ومنى : بليدة على فرسخ من مكة .

(٣) ليس ابن الحنفية ابن عم للرسول لحا ، بل هو ابن ابن عمه . والعرب يتجاوزون في مثل ذلك .

(٤) ط فقط : « المحارم » ، وهو تصحيف .

(٥) قالوا : أرسلها لتكشف موضعاً في الأرض يصلح مرفأ للسفينة . انظر الحيوان (٢ : ٣٢١) .

(٦) استجملت : طلبت الجمالة - كسحابة - وهي الرشوة . والرشوة : العطاء في مقابل نفع .

عليه الطُّوقَ الذي في عنقها ، وعند ذلك أعطاه الله تعالى تلك الحليّة ؛
ومنحها تلك الزيّنة ، بدعاء نوح عليه السلام ، حين رجعت إليه ومعها من
الكرّم ما معها ، وفي رجليها من الطّين والحّمأة ما برجليها ، فعوّضت من
ذلك الطّين خضاب الرّجلين ، ومن حُسن الدّلالة والطّاعة طُوقَ العنق .

(شعر في طوق الحمامة)

وفي طوقها يقول الفرزدق (١) :

فن يكُ خائفاً لأذاة (٢) شعري فقد أمن الهجاء بنو حرام-
هم قادوا (٣) سفيهم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام-
وقال في ذلك بكر بن النطّاح (٤) :

(١) يقول هذا الشعر في رجل من بني حرام ، كان قد هجا الفرزدق ، فخشي قومه من لسان
الفرزدق فجاءوا به يقودونه إليه ، فقال البيهقي . انظر العمدة (١ : ٣٨) .
والبيتان لم أجدهما في الديوان ، وقد أثبتهما الثعالبي في الثمار ٣٦٨

(٢) الأذاة : الأذى ، وفي ط فقط : « لأذات » محرّفة .

(٣) ط : « قادروا » ، وتصحيحه من ل ، س والعمدة . وبدلها في الثمار :
« منموا » .

(٤) بكر بن النطّاح : شاعر كان في زمن هارون الرشيد ، وهو بصرى نزل بغداد ،
وكان يماشر أبا العتاهية وأضرابه . وكان أبو هفان يقول : أشمر أهل الغزل من
المحدثين أربعة أولهم بكر بن النطّاح . تاريخ بغداد ٥٣٢٦ . قلت : وبكر
صاحب المقطعة الرقيقة التي تغنيها في عصرنا هذا زعيمة الغناء أم كلثوم .
وأول هذه المقطعة :

أكذب نفسي عنك في كل ما أرى وأسمع أذني منك ما ليس تسمع
وهي صوت من أصوات الأغاني (١٧ : ١٥٣) .

إذا شئتُ غنّيتي ببغدادَ قينةً وإن شئتُ غنّاني الحمامُ المطوقُ
لباسي الحسامُ أو إزارُ معصفرٌ . ودرعُ حديدٍ أو قميصٌ مخلتقٌ (١)
فذكر الطوق ، ووصفها بالغناء والإطراب . وكذلك قال حميد بن ثور :
رَقُودُ الضُّحَى لَا تَعْرِفُ الْجَيْرَةَ (٢) الْقَصَا (٣)

ولا الجيرة الأذنين إلا تجشما (٤)

وليست من اللاتي يكون حديثها أمام بيوت الحي إن وإنما
ثم قال :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامةٌ دعت ساق حُرٍّ ترحةً وترنما (٥)

٦١

(١) يقول : هو يلبس الحسام والدرع الحديد في حال الحرب ، والإزار المعصفر والقميص المخلتق في حال السلم . المخلتق : المطيب بالخلوق ، وهو بفتح الخاء : ضرب من الطيب .

(٢) الجيرة : جمع جار ، مثل قاع وقيعة . وهم يمدحون المرأة الكريمة الخفيرة بعدم زيارتها لجاراتها أو ندره ذلك . قال أبو قيس بن الأسلت :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن إتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا . تحفر

وهذان خير ما قيل في امرأة خفيرة : الأغاني (٩٥ : ١٥٩) . ل : « الجيزة » تصحيف .

(٣) القصا : جمع قصوى ، وهي البعيدة . وقد رسمت في ل : « القصى » وهي كتابة جائزة ، فا كان من المقصور ثلاثيا وكان أوله مكسوراً أو مضموماً ، جاز أن يكتب بالياء ، وإن كان أصله الواو ، كما هنا . انظر المقصور ص ٦ .

(٤) يقال : تجشم الأمر : إذا حمل نفسه عليه وتكلفه . وفي ل : « تجشما » وهو تصحيف .

(٥) ساق حر : ذكر القهارى ، أو هو صوت الحمام . وروى في ل وكذا اللسان

(حرر) : « في حمام نرنما » وأثبت ما في ط ، س ، وكذا الكامل ٥٠٣

لييسك وزهر الآداب (١ : ٢٠٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦) وأدب

الكاتب ٢٣ وثمار الأزهار ٧٨ والخزانة (٤ : ٢٩٩ بولاق) . والترحة : ضد الفرحة .

مطوّقةُ خطباء^(١) تصدَحَ كلما دنا الصَّيْفُ وانجاب الربيعُ فأنجما^(٢)

ثمّ قال بعد ذكر الطوق :

إذا شئتُ غنّني بأجزاعٍ بيّشةٍ أو النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثِ أوبيلملما^(٣)

عجبتُ لها ، أتى يكونُ غناؤها فصيحاً ولم تَفْغَرِ بِمَنْطِقِهَا فمأ

ولم أرَ محزوناً لهُ مثلُ صوتِها ولا عَرَبِيّاً شاقَهُ صوتُ أعجما

وقال في ذكر الطّوق - وأنّ الحمامةَ نواحةٌ - عبدُ الله بن أبي بكر^(٤)

وهو شهيد يوم الطائف^(٥) ، وهو صاحبُ ابن صاحب^(٦) :

(١) الخطباء : التي فيها خطبة ، أي سواد وبياض . وفي س فقط : « خضباء »

أي حمرة الساقين ، ويميز هذه ما ورد في الصفحة ١٩٦ من ٤ . وهي رواية العقدة (٤ : ٢٨) .

(٢) انجاب الربيع : ذهب . وفي ل « وانزال » وهي صحيحة ، يقال : انزال عنه : فارقه . وأنجم : أقلع وولى . وفي س : « بأنجما » تحريف .

(٣) الأجزاع : جمع جزع بالكسر ، وهو منحى الوادى . وبيّشة ، بالكسر : بلد جنوبي مكة على خمس مراحل منها . وتثليث : بلد قريب من مكة . ويللم : موضع على ليلتين جنوبي مكة . ويقال له أيضاً « ألملم » و « يرمرم » . وجاء في ل : « بينمما » ولم أر هذه اللغة . وفي س : « يتلملما » وهي تحريف .

(٤) هو عبد الله بن أبي بكر الصديق ، كان عبد الله يحضر إلى رسول الله وأبي بكر وهما في الغار ومعه أخبار قریش فيبيت عندهما ويخرج من السحر فيصبح مع قریش . وشهد فتح مكة ، وحنينا والطائف حيث أصابه حجر في حصارها ، فات شهيدا في خلافة أبيه في شوال سنة ١١ . قالوا : وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر . المعارف ٧٥ والإصابة ٤٥٥٩ .

(٥) غزوة الطائف كانت إثر غزوة حنين في السنة الثامنة من الهجرة . لما انهزمت

ثقيف في غزوة حنين سار إليهم الرسول وحاصرهم بالطائف نيفا وعشرين يوما ثم انصرف عنهم . وفي الأصل : « يوم الطف » وليس يصح ذلك ؛ فإن هذا اليوم كان في سنة ٦١ من الهجرة وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي بعد وفاة عبد الله بنحو خمسين سنة . وانظر التنبيه السابق وعيون الأخبار ٤ : ١١٤ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

فلم أرَ مثلى طَلَّقَ اليومَ مثلها ولا مثلها في غير جرمٍ تَطَلَّقُ (١)
 أعانكُ لا أنساكُ ما هبَّتِ الصِّبَا وما نأحَ قُمرِيُّ الحَمامِ المطوَّقُ
 وقال جَهْمُ بنُ خَلْفٍ ، وذكرها بالنُّوحِ ، والغناء ، والطَّوَّقِ ، ودعوةِ
 نوحٍ ؛ وهو قولُه :

وقد شاقني نَوْحُ قُمرِيَّةٍ طرُوبِ العِشِيِّ هتوفِ الضُّحَى
 من الوُرُقِ نَوَّاحَةٍ باكرتْ عَسِيبَ أشاءِ بذاتِ الغَضَا (٢)
 تَغَنَّتْ (٣) عليه بلحنٍ لها يُهَيِّجُ للصَّبِّ ما قد مَضَى
 مطوَّقةً كُسِيتْ زِينَةٌ بدعوةِ نوحٍ لها إذ دَعَا (٤)
 فلم أرَ با كِيَةً مثلها تَبَكَّى ودَمَعَتِها لا تُرَى (٥)
 أضلَّتْ فُرَيْحًا فَطَافَتْ لَهُ (٦) وقد عَلِقَتْه حبالُ الرِّدَى
 فلما بدا اليأسُ منه بَكَتْ عليه ، وما ذا يرُدُّ البُسْكا
 وقد صادَهُ ضَرِمٌ مُلْحِمٌ خفوقُ الجِناحِ حَثِيثُ النَّجَا (٧)

(١) يشير بذلك إلى زوجه ، عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، تزوجها وكانت حسناء جميلة فأولع بها وشغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، ففعل ثم تبعها نفسه وقال هذين البيتين ، فرق له أبوه وأذن له فارتجعها . الإصابة ٦٩٢ قسم النساء ، والعقد ٤ : ١٧٥ - وقد عقد بابا لمن طلق امرأته ثم تبعها نفسه - وتبعه الراغب الأصفهاني في المحاضرات (٢ : ٩٩) . وانظر أخبار الطراف ٢٠ والمستطرف (٢ : ٢٢١ ، ٢٢٨) ، وعيون الأخبار (٤ : ١١٤) .

(٢) الأشاء : صغار النخل ، أو عامته . والعسيب : الذي لم ينبت عليه الخوص من السعف .

(٣) ل : « فغنت » ، وما أثبت أجزل .

(٤) انظر لهذا المعنى ص ١٩٦ س ٢ .

(٥) هذا البيت أثبت في ط بعد البيت الآتي . والوجه ما كتبت من ل ، س .

(٦) أضلته : فقدته . ل : « فطافت به » أي من أجله أيضا .

(٧) الضرم : الشديد الجوع . والمالحم ، بكسر الحاء : الذي يطعم صاحبه لحم الصيد ، ويفتح الحاء : الذي يطعم اللحم ، بالبناء للمفعول . والحثيث النجا : السريم الطيران . وقد عني به البازي أو الصقر .

حَدِيدَ الْمَخَالِبِ عَارِي الْوَظِيهِ فِ ضَارٍ مِنَ الْوُرْقِ فِيهِ قَنَا^(١)
تَرَى الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ مِنْ خَوْفِهِ جِوَامِزَ^(٢) مِنْهُ إِذَا مَا اغْتَدَى

(نزاع صاحب الديك في الفخر بالطوق)

قال صاحب الديك : وأما قوله :

مَطْوَقَةٌ كَسَاهَا اللَّهُ طَوْقًا وَلَمْ يَخْصُصْ بِهِ^(٣) طَيْرًا سِوَاهَا

كيف لم يخصص! بالطواق^(٤) غير الحمام ، والتدارج أحقُّ بالطواق
وأحسن أطواقاً منها ، وهي في ذكورتها أعم ؟ ! وعلى أنه لم يصف بالطوق
الحمامة التي فاخرتم بها الديك ؛ لأنَّ الحمامة ليست بمطوقة ، وإنما الأطواقُ
لذكورة^(٥) الوارشين [وأشباه الوارشين ، من] نوائح الطير وهواتفها
ومغنياتها . ولذلك قال شاعرُكم ، حيث يقول^(٦) :

(١) الورق : جمع أورق ، وهو ما في لونه بياض إلى سواد . وفي ل : « الزرق »
وبما جاء في وصف الصقر بالزرقة قول ذي الرمة :

نظرت كما جلى على رأس رهوة من الطير ألقى ينفض الطل أزرق

والتنا : نتو وسط قصبية الأنف وضيق المنخرين ، وهذا في الفرس عيب ،
وفي الصقر والبازي مدح . س : « قشا » تحريف .

(٢) جوامز : من جزم إذا عدا .

(٣) في الأصل : « بها » والضمير عائذ إلى الطوق .

(٤) ل : « بالطوق » .

(٥) ط ، س : « للذكورة » وصوابه في ل .

(٦) الشعر لعبد الله بن أبي بكر كما سبق في ص ١٩٩ .

أعانتك لا أنسأك ما هبت الصبأ وما ناح قمرى الحمام المطوق^(١)
وقال الآخر^(٢) :

وقد شاقني نوح قرية طروب العشي هتوف الضحي
ووصفها فقال :

مطوقة كسيت زينة بدعوة نوح لها إذ دعا
فإن زعم أن الحمام والقمرى واليمام والفواخت والدباسي^(٣) والشفانين
والوراشين حمام كله ، قلنا : إننا نزعم أن ذكورة التدارج وذكورة
القبج ، وذكورة الحجل ديوك كلها . فإن كان ذلك كذلك ، فالفخر
بالمطوق نحن^(٤) أولى به .

قال صاحب الحمام : العرب تسمى هذه الأجناس كلها حماماً ،
فجمعوها بالاسم العام ، وفرقوها بالاسم الخاص ، ورأينا صورها متشابهة^(٥)
وإن كان في الأجسام بعض الاختلاف ، وفي الجثث بعض الائتلاف^(٦)
وكذلك المناقير . ووجدناها تتشابه^(٧) من طريق الزواج ، ومن طريق

(١) بدل هذا الشطر الأخير في كل من ط ، س كلمة : « البيتين » .

(٢) هو جهم بن خلف كما سبق في ص ١٩٩ . ل : « ثم قال الآخر » .

(٣) الدباسي : جمع دبسي بفتح الدال أو ضمها ، وهو من أنواع الحمام الوحشي
ط ، س : « الديسي » ل : « الدبسي » والوجه فيه ما كتبت .

(٤) ل : « ونحن » .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وفي الجثث كذلك » .

(٧) ط فقط : « تشابه » بحذف التاء الأولى .

الدُّعاء والغناء والنُّوح ، وكذلك هي في القُدودِ وصُورِ الأعناق ، وقصب
الريش ، وصِيفَةِ^(١) الرُّءوس والأرجل والسُّوق والبرَّائِنِ^(٢) . والأجناسُ
التي عددتم ليس يجمعها اسمٌ ولا بلدةٌ ، ولا صورةٌ ولا زواج . وليس بين
الدِّيكة وبين تلك الذُّكورةِ نسبٌ إلاَّ أنهما من الطَّيرِ الموصوفةِ^(٣) بكثرةِ
السَّفاد ، وأنَّ فراخها وفرارِ يجها تخرُج من بيضها كاسية [كاسية] . والبَطُّ
طائرٌ مثقل ، وقد ينبغي أن يجعلوا فرخَ البطة فرُّوجاً ، والأنثى دجاجةٌ
والذُّكرَ ديكاً ، ونحنُ نجدُ الحمامَ ، ونجدُ الوراشينَ ، تتسافد وتتلاقح ،
[ويجيء منها الراعيُّ والوردانيُّ ؛ ونجدُ الفواخِثَ والقماريَّ تتسافد وتتلاقح] ،
مع ما ذكرنا من التشابهُ في تلك الوجوه . وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ بعضها
من بعضٍ كالْبُخْتِ والعَرابِ ونتائج ما بينهما^(٤) ، وكالبراذين والعِناق ،
وكلها خيلٌ ، وتلك كلها لابل . وليس بين التُّدارجِ والقَبَجِ والحَجَلِ
والدُّجاجِ هذه الأمورُ التي ذكرنا .

وعلى أنَّنا قد وجدنا الأَطواقَ عامَّةً في ذواتِ الأوضاحِ مِنَ الحمامِ ،
لأنَّ فيها من الألوانِ ، ولها من الشَّياتِ وأشكالِ [و]^(٥) ألوانِ الريشِ
ما ليس لغيرها من الطَّيرِ . ولو احتججنا بالتسافدِ دونَ التَّلَاقِحِ ، لسكان
لقائل مقال ، ولكنَّا وجدناها تجمَعُ^(٦) الخصلتين ، لأنَّنا قد نجدُ سفهاءَ

(١) الصيفة ، بالكسر : الهيئة والحلقة . وفي ط ، س : « صفة » .

(٢) البرائِن : جمع برن ، وهو بمنزلة الإصبع من الإنسان .

(٣) ل : « الموصوف » .

(٤) ل : « ونتائج بينها » تحريف .

(٥) هذا الحرف ليس بالأصل .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وجدنا ما يجمع » .

النَّاسَ ، ومن لا يتقَدَّرُ (١) من الناس والأحداث (٢) ومن تشتدُّ غلمته عند احتلامه ، وَيَقِلُّ طَرُوقَهُ (٣) ، وتطول عُزْبَتُهُ (٤) ؛ كالمُعزَّب (٥) من الرِّعَاء (٦) فإنَّ هذه الطَّبَقَةَ من النَّاسِ ، لم يَدْعُوا (٧) نَاقَةَ ، ولا بقرَةَ ، ولا شاةً ، ولا أتاناً ، ولا رَمَكَةَ ، ولا حِجْرًا ، ولا كلبَةً ، إلَّا وقد وقعوا عليها .

ولوَّلا أَنَّ في نفوسِ النَّاسِ وشهواتِهِمْ ما يدعو إلى هذه القاذورة (٨) ، لما وجدتَ هذا العملَ شائعاً في أهل هذه الصِّفَةِ (٩) ، ولو جمعتهم لجمعتَ أكثرَ من أهلِ بَغْدَادَ والبصرة . ثم لم يُلقَحْ واحدٌ (١٠) منهم شيئاً من هذه الأجناسِ على أنْ بعض هذه الأجناسِ يتلقى (١١) ذلك بالشهوةِ المفرطةِ .

ولقد خبَّرَني من إخواني من لا أتهمُ خَبْرَهُ أنْ مملوكاً كان لبعض أهلِ القَطِيعَةِ - أعني قطيعة الربيع (١٢) - وكان ذلك المملوكُ يَكُومُ بغلةً

(١) ل ، س : « يتقزز » ، ومعنيهما متقاربان .

(٢) ل : « من الأحداث » .

(٣) الطروق : مصدر طرق الفحل الأثني . وفي الأصل : « تقل طروقه » والطروقة بالفتح : المرأة ، وبهذه يفسد المعنى .

(٤) العزبة ، بالضم : ألا يكون المرء أهل .

(٥) المعزب : الذي أبعد بماشيته .

(٦) الرعاء ، بضم الراء وكسرها : جمع راع ، ومثله الرعاة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في ل .

(٧) ط ، س : « لم يرعوا » ، وليست ترعى الكلبة .

(٨) القاذورة : الفعل القبيح .

(٩) ل : « في هذه الصفة » ولعل صوابهما : « في هذه الطبقة » .

(١٠) ل : « أحد » .

(١١) على بمعنى مع . وفي ط ، س : « وعلى أنها تتلقى ذلك بالشهوة المفرطة » .

(١٢) القطيعة : ما يقطعه الأمير الناس من الأرض التي لملك لأحد عليها ، ولا عمارة

توجب ملكاً لأحد . ويظهر أن أول من توسع في هذا النظام في الإسلام هو

الخليفة المنصور . معجم البلدان (قطيعة) . وقد تحدث الماوردي في الأحكام السلطانية

(١٦٨ - ١٧٥) حديثاً مسهباً في هذا النظام . والربيع هذا هو الربيع بن يونس

حاجب المنصور ومولاه ، وهو والد الفضل وزير المنصور ، وهذه القطيعة كانت

بكرخ ببغداد . معجم البلدان .

وَأَنَّهَا كَانَتْ تُوَدِّقُ وَتَتَلَمَّظُ^(١) وَأَنَّهَا^(٢) فِي بَعْضِ تِلْكَ الْوَقَعَاتِ تَأَخَّرَتْ
وَهُوَ مَوْعِبٌ فِيهَا ذِكْرَهُ تَطْلُبُ الزِّيَادَةَ ، فَلَمْ يَزَلِ الْمَمْلُوكُ يَتَأَخَّرُ وَتَتَأَخَّرُ الْبِغْلَةُ
حَتَّى أَسْنَدَتْهُ إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْإِصْطِبِلِ ، فَأَضْغَطَتْهُ حَتَّى بَرَدَ^(٣) ، فَدَخَلَ
بَعْضٌ مِنْ دَخَلِ فِرَآهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ^(٤) فَصَاحَ بِهَا [فَتَنَحَّتْ] وَخَرَّ
الْغَلَامَ مَيِّتًا^(٥) .

وَأَخْبَرَنِي صَدِيقٌ لِي قَالَ : بَلَّغَنِي عَنْ بَرْدُونَ لَزُرْقَانَ^(٦) الْمَتَكَلِّمِ ، أَنَّهُ
كَانَ يَدْرِيبُ^(٧) لِلْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ وَالْبِرَازِينَ حَتَّى تَكُومَهُ ، قَالَ : فَأَقْبَلْتُ يَوْمًا فِي ذَلِكَ
الْإِصْطِبِلِ ، فَتَنَاوَلْتُ الْمَجْرَقَةَ^(٨) ، فَوَضَعْتُ رَأْسَ عَوْدِ الْمَجْرَقَةِ^(٨) عَلَى

(١) تودق : تريد الفحل . ل : « تتودق » . تلمظ : تخرج لسانها كتلمظ الآكل .
ط س ، : « تلمظ » .

(٢) ط : « فإنها » ووجهه في ل ، س .

(٣) « اضغطته » بقلب تاء الافتعال ضادا ، شذوذ صرفي ، قياسه : اضغطته .
وحكى صاحب اللسان : « اضغط » . قال : « والقياس اضغطط » . ولم أرها
إلا متمدية بعل . وبرد : مات .

(٤) ل : « فاذا هو على تلك الحال » .

(٥) ل : « فخر العبد ميتا » . خر : سقط .

(٦) زرقان هذا هو غلام إبراهيم بن سيار النظام وتلميذه ، واسمه محمد بن شداد بن عيسى ،
كما في معجم البلدان (المسامعة) . وقد حكى زرقان عن النظام أقوالا في الفرق ٥٠ - ٥١
وقد عده المسمودي في التنبيه والإشراف ٣٤٢ . ط ، س : « لوزقان » ل : « لذرقان »
وهو تحريف .

(٧) يدربخ لها : يطاوعها فيما تطلب منه ، وأصل ذلك في الحمام . وفي ط ، س :
« يشمع » ومؤداهما واحد .

(٨) المجرقة : المكنتة وزنا ومعنى . ط ، س : « المجرقة » تصحيف
ماق ل .

مَرَّاهُ^(١) وَإِنَّهُ لِأَكْثَرُ مِنْ ذِرَاعٍ وَنَصْفِ^(٢) ، وَإِنَّهُ لَخَشِينٌ غَلِيظٌ غَيْرَ
مَحْكُوكٍ [الرأس] وَلَا مُمَلَّسِهِ^(٣) ، فَدَفَعْتَهُ حَتَّى بَلَغَ أَقْصَى الْعُودِ ، وَامْتَنَعَ مِنَ
الدُّخُولِ بِيَدِنِ الْمَجْرُفَةِ . فَحَلَفَ أَنَّهُ مَا رَأَاهُ تَأَطَّرَ وَلَا انْثَنَى
قال صاحب الحمام : فهذا فرق ما بيننا وبينكم .

(ما وصف به الحمام من الإسعاد وحسن الغناء والنوح)

وَنَذَكَرُ^(٤) مَا وُصِفَ بِهِ الْحَمَامُ مِنَ الْإِسْعَادِ^(٥) ، وَمِنْ حُسْنِ الْغِنَاءِ وَالْإِطْرَابِ
وَالنُّوحِ وَالشَّجَا^(٦) . قال الحسن بن هانئ :
إِذَا ثَنَّتْهُ الْعَصُونُ جَلَّتْني فَيَنَانُ مَا نِي أَدِيمِهِ جُوبُ^(٧)

(١) الكلام من : « فوضعت » ساقط من ل . والمراث : مخرج الروث .

(٢) ط ، س : « وهو أكثر » الخ . وما أثبت من ل أشبه بالكلام .

(٣) ط ، س : « ولا ملين » .

(٤) في الأصل : « وذكر » .

(٥) الإسعاد : المعاونة والمشاركة في البكاء والنوح . والعرب يعرفون ذلك من الحمام ، والشعر
الآتي وما بعده ناطق به . وفي الأصل : « الأشعار » وهو تحريف خفي ،
صوابه ما أثبت .

(٦) الشجا : التطريب . ل : « الشجى » ومادته واوية .

(٧) ثنته العصون ، يعني ظل العنب . جلتي : غطاني . والفينان : أصله الحسن الشعر
الطويله ، وأراد به العصون المشبهة بالشعر . والجوب : جمع جوبة بالفتح بمعنى
الفجوة . وفي ط ، س والديوان : « جرب » وما أثبت من ل أجود
وأصح . وقبل هذا الأبيات في الديوان ٢٤٢ :

قطر بل مربعي ولي بقري الكر خ مصيف وأمي العنب
ترضني درها وتلحفني بظلمها والمجير يلتهب

تبيتُ في مآتمِ حماميهُ كما تُرنُ الفواقِدُ السُّلبُ (١)
 يهبُ شوقِ وشوقهنَّ معاً كأنما يستخفُّنا طرب (٢)
 وقال آخر (٣) :

لقد هتفتُ في جنحِ ليلِ حمامةٍ على فننٍ وهناً (٤) وإني لنائمٌ
 فقلتُ اعتذاراً عند ذلكَ وإني (٥)
 كذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً لما سبقتني بالبكاءِ الحمامُ
 وقال نصيب :

٦٤

ولو قبلَ مبكَّها مبكيتُ صبايةً بسعدى شفتِ النفسِ قبلَ التندمِ
 ولكنْ بكَّتْ قبلي فهيج لي البكا بـكَّها فقلتُ الفضلُ للمتقدمِ
 وقال أعرابي :

عليكِ سلامُ اللهِ قاطعةَ القوي (٦) على أنْ قلبي للفراقِ كلِّمُ

- (١) ترن : من الإرنان ، وهو الصياح والتصويت * وفي ل : « ترني » وهي صحيحة ،
 يقال رنى الميت ورثاه ، بالتشديد : بكاه وعدد محاسنه . وفي الديوان : « ترامي »
 وهي رواية غير مقبولة . الفواقِد : جمع فاقِد ، وهي التي مات زوجها أو ولدها .
 والسلب بمعنى الفواقِد ، جمع سلوب .
- (٢) كذا في ل والديوان . وفي ط ، س : « الطرب » . وهذا البيت هو
 الثاني في ط . وصواب الترتيب ما أثبت من ل ، س والديوان .
- (٣) هو نصيب الأكبر مولى بني مروان ، كما في حماسة أبي تمام (٢ : ٩٧) .
- (٤) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وفي ط ، س : « تبكي »
 وأثبت ما في ل والحماسة .
- (٥) ط : « ذا عندك » وهو تحريف مطبعي صوابه في س والحماسة . وهذا
 البيت ساقط من ل .
- (٦) قوي الحيل : طاقاته ، جمع قوة ، . أراد أنها قطعت حبل وده .

قريحٌ بتغريدِ الحمامِ إذا بكت^(١) وإن هبَّ يوماً للجنوبِ نسيم^(٢)

[وقال [المجنونُ ، أو غيره :

ولو لم يهيجني^(٣) الرائحون لهاجني حمامٌ ورقٌ في الديارِ وقوعٌ

تجاوبنَ فاستبكيينَ من كانَ ذا هوى نوائحُ لا^(٤) تجرى لهنَّ دموعُ

[وقال الآخر :

ألا ياسيالاتِ الدحائلِ^(٥) باللوى^(٦)

عليكنَّ من بين السَّيالِ سلامٌ

أرى الوحشَ آجالاً^(٧) إليكنَّ بالضحى

لهنَّ إلى أفيائكنَّ^(٨) بغم^(٩)

(١) ل : « يقرفه نوح الحمام إذا دعا » . يقال قرف الجرح : قشره قبل أن يبرأ .

(٢) ل : « وإن هب من ريح الجنوب نسيم » . س : « أو أن يهب للجنوب نسيم » .

(٣) ل : « ترعنى » وصواب هذه الرواية : « يرعنى » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) الدحل بالفتح : نقب في الأرض ضيق فمه ، ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه ، وهو أشبه ما يكون بهذه الخابيِّ الصنعية التي يحتذى بها الناس وقت الحرب . والجمع أدحل وأدحال ودحال ودحول ودحلان . وجمع الجمع دحائل . والدحائل هنا في البيت لملها اسم موضع بعينه ، كما قال ياقوت . وجاءت محرفة في الأصل ، فهي في ط : « الأخاييل » و س : « الأحاييل » و ل : « الدخايل » . والصواب ما أثبت من معجم البلدان حيث وردت الأبيات . والسيالات : جمع سيالة ، كسحابة ، وهي واحدة السيال ، نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه شبه اللبن .

(٦) ل : « بالضحى » ووجه الرواية ما أثبت من ط ، س والمعجم .

(٧) آجال : جمع إجل ، بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . ط ، س : « اجلالا » وهو تحريف . ورواية المعجم : « أرى العيس أحادا » .

(٨) الأفياء : جمع فيء ، وهو الظل . ط فقط : « أفنانكن » تحريف يتهافت به البيت . ورواية المعجم : « أطلالكن » .

(٩) البغم : التصويت . ل : « نام » وضبطت بضم النون ، ولم أرها وجها .

ولمّني لمجلوبٌ لى الشُّوقُ كلما ترنّمَ فى أفنانكنَّ (١) حمامُ

وقال عمرو (٢) بن الوليد :

حالٍ من دونٍ أن أحلَّ به النأى وصرَفُ النوى وحربُ عقام (٣)

فتبدلتُ من مساكينِ قومي والقصور التي بها الآطامُ

كلَّ قصرٍ مشيدٍ ذى أواس (٤) تتغنى على ذراه الحمامُ

وقال آخر (٥) :

ألا يا صببا نجدٍ متى هجت من نجدٍ فقد هاج لي مسراك وجدأ على وجد (٦)

أن هتفت ورقاء في رونق الضحى على غصنٍ غضّ النبات من الرند (٧)

(١) س : « أفيانكن » تحريف .

(٢) ل : « عمر » وصوابه ما أثبت من ط ، س والأغاني (١ : ٦) ، وكذا

ذكره المرزبانى فى الشعراء ٢٤٠ فيمن اسمه « عمرو » من الشعراء . وهو عمرو

ابن الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى ، وقد غلب عليه لقب : « أبو قطيفة » .

وكان يكثر القول فى حنينه إلى وطنه بالمدينة ، لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من

أخرج من بنى أمية ونفاهم إلى الشام . وفى ذلك يقول الأبيات الآتية . وقبلها :

ليت شعرى وأين منى لبت أعلى المهد يلبن فبرام

أم كمهدى العقيق أم غيرته بعدى الحادثات والأيام

وبأهلى بدلت عكا ولحما وجذاها وأين منى جذام

(٣) ل : « أصل به النأى » محرف . والحرب العقام ، بضم العين ،

وفتحها : الشديدة .

(٤) أواس : جمع آسية ، على فاعلة : وهى الدعامة أو السارية . ويروى : « أواش »

قال أبو الفرج : كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أى منقوشة .

(٥) هو عبد الله بن المدينة الخثعمى ، كما فى الحماسة (٢ : ١٠٠) . والأبيات فى ديوان

ابن المدينة ٢٩ ثم ٢٨ .

(٦) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية . ل : « جهداً من الجهد » .

(٧) أن : أى الآن ؟ ورواية الديوان والحماسة : « على فنن » . والرند :

شجر طيب الرائحة .

بكِتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ
جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي^(١)
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَحَبَّ إِذَا دَنَا^(٢) يُمَلُّ، وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يَشْفِ مَا بَيْنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ^(٣)

(أَنَسَابُ الْحَمَامِ)

وَقَالَ صَاحِبُ الْحَمَامِ : لِلْحَمَامِ مَجَاهِيلٌ ، وَمَعْرُوفَاتٌ ، وَخَارِجِيَّاتٌ ،
وَمَنْسُوبَاتٌ . وَالَّذِي يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ دَوَاوِينُ أَصْحَابِ الْحَمَامِ أَكْثَرُ مِنْ كِتَابِ
النَّسَبِ الَّتِي تَضَافُ إِلَى ابْنِ الْكَلْبِيِّ^(٤) ، وَالشَّرْقِيِّ بْنِ الْقَطَامِيِّ^(٥) ، وَأَبِي الْيَقْظَانَ^(٦) ،
وَأَبِي عُبَيْدَةَ النَّحْوِيِّ ؛ بَلْ إِلَى دَغْفَلِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَابْنِ لِسَانَ الْحُمْرَةِ^(٧) ،
بَلْ إِلَى صُحَّارِ الْعَبْدِيِّ . وَإِلَى أَبِي السَّطَّاحِ اللَّخْمِيِّ^(٨) ، بَلْ إِلَى النَّخَّارِ

(١) الجليد : الصبور . ط ، س : « كنت لا تبدي » وأثبت رواية ل
والحماسة والديوان .

(٢) ط ، س : « نأى » وهو تحريف يفسد المعنى ، وهو على الصواب في ل
والحماسة والديوان .

(٣) بعد هذا البيت - وكان جديراً بالجاحظ أن يثبته ؛ لأنه يتم المعنى - :

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بنى ود

(٤) في الأصل : « ابن أبي اليقظان » ، والصواب ما أثبت . وانظر ترجمة أبي لليقظان
في الجزء الثاني ص ١٠ .

(٥) سبقت ترجمته في (٢ : ٢٠٠) ، و ترجمة صحار في (١ : ٩٠) .

(٦) وكذا في البيان (١ : ٣٦٢) وفي بعض نسخ البيان : « أبو الشطاح » ، وفي الفهرست
١٥٦ : « ابن النطاح » ، وذكر أن اسمه محمد بن صالح .

العذري^(١) ، وصُبح^(٢) الطائي ، بل إلى مشجور^(٣) بن غيلان الضبي ، وإلى سَطِيحِ الذئبي ، بل ابن شريّة الجُرْهُمِي^(٥) ، وإلى زيد بن السكيس النَّمْرِي ؛ وإلى كلِّ نَسَابَةِ رَاوِيَةٍ ، وكلِّ متفنن علامة .

ووصف الهذيل المازني ، مثنى بن زهيرٍ وحفظه لأنساب الحمام ، فقال : والله لو أنسب من سعيد بن المسيب ، وقتادة بن دِعامَةَ^(٦) للناس ، بل هو أنسب من أبي بكر الصّدِّيقِ رضي الله عنه ! لقد دخلت على رجلٍ

(١) النخار العذري ، هو النخار بن أوس ، قال فيه صاحب القاموس : أنسب « العرب » . وكان معاصراً لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر في الأغاني (٧ : ٩٥) وقد ذكر الجاحظ في البيان (١ : ١٠٥) علة تسميته بالنخار : قال : « كان إذا تكلم في الحملات ، وفي الصفح والاحتمال ، وإصلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التفاني والبوار - كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حمى فنخر » . وفي البيان (١ : ٢٣٧) خبر طريف له مع معاوية . وانظر تल्प معاوية معه في البيان (١ : ٣٣٣) .

(٢) ل : « صلح » وفي البيان (١ : ٣٠٤) : « صبح الحنفي » .

(٣) ط : « ميجور » س : « متجوز » وصوابه ما أثبت من ل والقاموس والبيان (١ : ٣٤١) . وفيه يقول القلاخ بن حزن المنقري :

إذا قال بذ القائلين مقاله ويأخذ من أكفائه بالمخنق
ولجرير فيه هجاه . انظر ديوانه ٢٣٣ .

(٤) سَطِيحِ الذئبي ، قال ابن إسحق في السيرة ٤٧ جوتنجن : « وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبي ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب » . وسطيح هذا هو الكاهن الجاهلي ، وهو وشق الكاهن المعاصر له ، كانا قد طلبهما ربيعة ابن نصر ملك اليمن ليعبرا له رؤيا هالته - زعموا - فاتفقا في تعبير الرؤيا وبشرا رسالة الرسول الكريم ، بأسجاع تجدها في أوائل السيرة . ط ، س : « الدليل » ، وهو تحريف صوابه في السيرة والبيان (١ : ٢٩٠) . وقد ذكر في المعمرين ص ٤ .

(٥) هو عبيد بن شرية - ويقال شرية ، ويقال سارية - الجرهمي ، أحد معمرى العرب وأدرك الإسلام فأسلم ، وقدم على معاوية بن أبي سفيان ، وجرى بينهما حديث طويل طريف تجده في معجم الأدباء (١٢ : ٧٣) والمعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب في التاريخ من المسلمين . انظر الفهرست ٨٩ لبيسك مصر . وشرية ، بوزن عطية ، كما في الإصابة ٦٣٩١ .

(٦) هو قتادة بن دِعامَةَ السدوسي البصري ينتهي نسبه إلى الحارث بن سدوس ، ولد =

أعرف بالأممات المنجيات من سُحيم بن حفص^(١) ، وأعرف بما دخلها
من الهُجنة والإقراف ، من يونس بن حبيب .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

قال : ومما أشبه فيه الحمامُ النَّاسَ في الصُّورِ والشَّمائِلِ ورقَّة الطَّبَاعِ ،
وسُرعة القَبُولِ والانقلابِ^(٢) ، أُنْكَ إِذَا كُنْتَ صَاحِبَ فِرَاسَةٍ ، فَرَّ بِكَ
رِجَالٌ بَعْضُهُمْ كُوفِيٌّ ، وَبَعْضُهُمْ بَصْرِيٌّ ، وَبَعْضُهُمْ مَدَنِيٌّ^(٣) ، وَبَعْضُهُمْ شَامِيٌّ
وَبَعْضُهُمْ يَمَانِيٌّ ، لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ أُمُورُهُمْ فِي الصُّورِ وَالشَّمَائِلِ وَالْقُدُودِ وَالنَّغْمِ
أَيُّهُمْ^(٤) بَصْرِيٌّ ، وَأَيُّهُمْ كُوفِيٌّ ، وَأَيُّهُمْ شَامِيٌّ ، وَأَيُّهُمْ يَمَانِيٌّ ، وَأَيُّهُمْ مَدَنِيٌّ .
وَكَذَلِكَ الْحَمَامُ ؛ لَا^(٥) تَرَى صَاحِبَ حَمَامٍ تَخْفَى عَلَيْهِ نَسَبِ الْحَمَامِ^(٦)
وَجَنَسِهَا وَبِلَادُهَا إِذَا رَأَاهَا .

= أعمى ، وكان تابعيا عالما كبيرا نسابا ، وكان ذا علم في القرآن والحديث والفقہ ،
أخذ عن الحسن البصرى وابن سيرين . وقد أثر عنه النسيان : قال يوما : مانسيت
شيئا قط ! ثم قال : يا غلام ناولني نعل . فقال : نعلك في رجلك !! ولد سنة ٦٠
وتوفى سنة ١١٧ في أيام هشام بن عبد الملك . وفيات الأعيان ، ومعجم
الأدباء ، والمعارف .

(١) هو أبو اليقظان الذي سبقت ترجمته في (٢ : ١٠) .

(٢) ط ، س : « للألقاب » .

(٣) كذا في ط ، س وهو الوجه . جاء في معجم البلدان : « والمشهور عندنا أن
النسبة إلى مدينة الرسول ، مدني ، مطلقاً . وإلى غيرها من المدن ، مديني ؛
للفرق لا لعلة أخرى . وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول
أيضاً مديني » . وفي ل : « مديني » .

(٤) ط ، س : « أنه » مكان « أيهم » في مواضعها الخمسة .

(٥) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « ألا » .

(٦) ط ، س ، « جماعته » .

(مبلغ ثمن الحمام وغيره)

وللحمام من الفضيلة والفخر ، أن الحمام الواحد يباعُ بخمسة دینار ، ولا يبلغ (١) ذلك بازٍ ولا شاهينٌ ، ولا بصقرٌ ولا عُقاب ، ولا طاوس ، ولا تدرجٌ ولا ديكٌ ، ولا بعيرٌ ولا حمارٌ ، ولا بغلٌ . ولو أردنا أن نحقق الخبرَ بأنَّ بردونا أو فرساً يبع بخمسة دینار ، لما قدرنا عليه إلا في حديث السمر (٢) .

وأنت إذا أردت أن تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية ، ثم دخلت بغدادَ والبصرةَ وجدتَ ذلك بلا معاناة . وفيه أن الحمام إذا جاء من الغاية يبع الفرخُ الذكرُ من فراخه بعشرين دیناراً أو أكثر ، وبيعت الأثني عشرة دنانير أو أكثر ، وبيعت البيضة بخمسة دنانير . فيقوم الزوجُ منهما [في الغلَّة] مقام ضيعة ، وحتى (٣) ينهض بمؤنة العيال ، ويقضى الدين ، وتبنى من غلاته وأثمان رقبته الدورُ الجياد (٤) ، وتبتاع الحوانيتُ المغلَّة . هذا ؛ وهي في ذلك الوقت ملهَى عجيبٌ ، ومنظرٌ أتيق ، ومعتبرٌ لمن فكر ، ودليلٌ لمن نظر (٥) .

(١) ل : « ولم » .

(٢) السمر ، أصله الحديث ليلا . ولكنه يراد به في مثل هذا الموضوع حديث الخرافة . وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين في الفهرس (المقالة الثامنة) .

(٣) ط ، س : « حتى » .

(٤) ط ، س ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧٥) : « والجنان » ، جمع جنة ، والجنان ليست بما بيني . وصوابه في ل ونثار الأزهار ٩٣ .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(عناية الناس بالحمام)

ومن دخل الحجر ورأى قصورها^(١) المبنية لها بالشامات^(٢) وكيف
 اختزان^(٣) تلك الغلات ، وحفظ^(٤) تلك المئونات ؛ ومن شهد أرباب الحمام ،
 وأصحاب الهدى^(٥) وما يَحْتَمِلُونَ فيها من الكلف الغلاظِ أيامَ الزَّجْلِ ،
 في حملانها على ظهور الرِّجال ، وقبل ذلك في بطن السفن ، وكيف تُفردُ
 ٦٦ في البيوت ، وتجمع إذا كان الجمع أمثل ، وتفرق إذا كانت التفرقة أمثل^(٦)
 وكيف تُنقلُ^(٧) الإناثُ عن ذكورتها ، [وكيف تنقلُ الذكورَ عن
 إناثها] إلى غيرها ، وكيف يُخافُ عليها الضوى^(٨) إذا تقاربت أنسابها ،
 وكيف يُخافُ على أعراقها من دخول الخارجيات فيها ، وكيف يحتاط^(٩)
 في صحة طرقها ونجلها^(١٠) ؛ لأنه لا يُؤمن^(١١) أن يقمط الأثني ذكرٌ من

-
- (١) الحجر ، بالتحريك ، هو حجر شغلان ، كسلطان : حصن في جبل اللكام قرب
 أنطاكية . والقصر : المنزل ، أو كل بيت من حجر .
- (٢) الشامات هي بلاد الشام ، وتشمل الثغور ، وهي المصيصة وطرسوس وأذنة
 وأنطاكية ، وجميع العواصم من مرعش والحدث وبفراس وغير ذلك . وط ،
 س : « بالسامان » محرف .
- (٣) ط ، س : « اقتران » ، ل : « أقدار » ، والوجه فيه ما أثبت .
- (٤) ل : « وخفة » تحريف .
- (٥) انظر ما أسلفت من تحقيق هذه الكلمة (٢ : ٧٩) في التنبيه الثالث .
- (٦) هذه الجملة ليست في ل .
- (٧) ط ، س : « تغفل » ، وصوابه في ل .
- (٨) الضوى : الهزال والدقة والضعف . ط ، س : « يَحْتال » .
- (٩) ط ، س : « يَحْتال » .
- (١٠) النجل : النسل وزنا ومعنى .
- (١١) في الأصل : « يأمن » .

عَرَضَ الحَمَام ، فيضربَ في النَّجْلِ بنصيبٍ ، فتعتريه الهُجْنَةُ - والبيضة عند ذلك تنسب إلى طَرَقِهَا (١) . وهم لا يحوطون أرحام نساءهم كما يحوطون أرحامَ المنجيات من إناثِ الحمام . [ومن شهد أصحاب الحمام] عند زَجْلِهَا من الغاية ، والذين يعلمون (٢) الحمامَ كيف يختارون لصاحب العلامات ، وكيف يتخَيَّرُونَ الثِّقَةَ وموضعَ (٣) الصِّدْقِ والأمانةِ ، والبُعدِ من الكَذِبِ والرِّشوةِ ، وكيف يتوخَّونَ ذَا التَّجَرِبَةِ والمعرفةَ اللطيفةَ ، وكيف تسخو أنفسهمُ بالجمالة (٤) الرِّفِيعَةَ ، وكيف يختارون لحملها من رجال الأمانةِ والجَلْدِ والشَّفَقَةِ والبَصَرَ وحُسْنَ المعرفةِ - لعلم عند ذلك (٥) صاحب الدِّيكِ والكلبِ أنَّهما لا يجريان في هذه الحلبَةِ ، ولا يتعاطيانِ هذه الفضيلةَ (٦) .

(بعض خصائص الحمام)

قال : وللحمام من حسنِ الاهتداءِ ، وجودةِ الاستدلالِ ، وثباتِ الحِفْظِ والدِّكْرِ ، وقوَّةِ النَّزاعِ إلى أربابه ، والإلفِ لوطنه ، [ما ليس لشيء] .

(١) طَرَقِهَا : أى طارقتها ، وهو فعل الأنتى .

(٢) ل ، ط ، « يعملون » وهو تحريف ظريف ، صوابه في س .

(٣) ط ، س : « في موضع » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٤) الجمالة ، مثلثة : ماجعل للإنسان في مقابل عمله .

(٥) لعلم : جواب : « ومن دخل الحجر . . » الخ في ص ٢١٣ . ط ، س :

« ذلك عند » وصوابه من ل .

(٦) ط ، س : « القضية » ، بمعنى الحكم .

وكفالك اهتداءً ونزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير ، يجيء من بَرْنَمَةٍ (١) ،
لَا بَلُّ من العليق ، أو من خَرَشْنَةٍ (٢) [أ] و من الصفصاف (٣) ، لَا بَلُّ
من البَغْرَاس (٤) ، ومن لَوْلُوة (٥) .

ثمَّ الدَّلِيلُ على أنه يَسْتَدِلُّ بالعقلِ والمعرفة ، والفِكرَةِ (٦) والعناية ،
أنَّهُ إنما يجيء من الغايةِ على تدرِيجٍ وتَدْرِيبٍ وتنزِيلٍ (٧) . والدليل على علم
أربابه بأنَّ تلك المقَدِّمات قد نَجَعْنَ فيه ، وعمِلن في طِبَاعِه ، أَنَّهُ إذا بلغ الرِّقَّةَ
غَمَّرُوا بِهِ بِكَرَّةٍ (٨) إلى الدَّرْبِ وما فوق الدَّرْبِ من بلاد الرُّومِ ، بل
لا يجعلون ذلك تَغْمِيرًا (٩) ؛ لمكان المقَدِّمات والترتيبات التي قد عُحِلت فيه
وَحَدَّقَتْه ومَرَّنَتْه .

(١) برغمة : مدينة من بلاد الروم . ذكرها ابن بطوطة في رحلته (١ : ٢٣١) .
وضبطت بياء موحدة مفتوحة ، وراء مسكنة وغين معجمة مفتوحة وميم مفتوحة .
ط ، س : « ركة » ل : « رعمة » . ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . معجم البلدان . وفي ط ، س :
« حوساه » .

(٣) الصفصاف : كورة من ثغر المصيصة والمصيصة . من ثغور الشام ، بين أنطاكية
وبلاد الروم . والمراد ببلاد الروم ما يعبر عنه اليوم بتركيا آسيا .

(٤) بغراس ، بالفتح : مدينة في لحف جبل اللكام — بضم اللام — بينها وبين
أنطاكية أربعة فراسخ . وفي الأصل : « النقراس » ، وهو تحريف ما أثبت
من المعجم والقاموس . وهذه الكامة وكلمة « من » بعدها ساقطتان من ل .

(٥) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٧) كذا في ل . وفي ط : « عن التدرِيج والتدرب والتنزِيل » وفي س مثل
ما في ط مع إبدال كلمة : « والتدرب » بجملها : « التدرِيب » .

(٨) غمروا به : دفعوا به . في ط ، س : « غمزوا أنه قطرة » ، وهو تحريف
صوابه في ل .

(٩) ط ، س : « تغميزا » ، وهو تصحيف ما في ل .

ولو كان الحمام ممَّا يُرْسَلُ بِاللَّيْلِ (١) ، لكان ممَّا يَسْتَدِلُّ بِالنُّجُومِ ؛
لأنَّا رأيناه يلزم بطنَ الفُراتِ ، أو بطنَ دجلة ، أو بطنَ الأوديةِ التي قد مرَّ
بها ، وهو يرى وَيُبْصِرُ ويفهمُ انحدارَ الماءِ ، ويعلمُ بَعْدَ طُولِ الجَوْلَانِ
[و] (٢) بَعْدَ (٣) الزُّجَالِ ، إذا هو أشرفَ عَلَى الفُراتِ أو دجلة ، أنَّ طريقَه
وطريقَ الماءِ واحد ، وأنه ينبغي أن ينحدرَ مَعَهُ .

وما أَكْثَرَ مَا يَسْتَدِلُّ بِالْجَوَادِّ (٤) مِنَ الطَّرِيقِ إِذَا أَعْيَتْهُ بَطُونُ الأوديةِ .
فإذا لم يَدِرْ أَمْضِعِدُّ هو أمُّ مُنْحَدِرٍ ، تَعَرَّفَ ذَلِكَ بِالرِّيْحِ ، ومواضع (٥) قُرْصِ
الشمسِ في السماءِ . وإنما يحتاج إلى ذلك كَلِّهِ إِذَا لم يَكُنْ وَقَعَ بَعْدَ عَلَى رَسْمِ يَعْمَلُ
عليه (٦) . فربَّما كَرَّ (٧) حين يزلجُ بِهِ (٨) [يميناً و] شمالاً ، وجنوباً وشمالاً ،
وصباً ودُبُوراً — الفَرَّاسِخَ الكَثيرةَ وفوقَ الكَثيرةِ .

٦٧

(١) ل : « بالليل » ، وصوابه من ط ، س ونثار الأزهار ٩٣ .

(٢) زذتها حاجة الكلام إليها .

(٣) كذا في ل ، ط . وفي س : « بقدر » .

(٤) الجواد : جمع جادة ، وهي معظم الطريق . وفي ط ، س : « بالجواد
أو » ، تحريف .

(٥) كذا في ل ونثار الأزهار . وفي ط ، س : « وبموضع » .

(٦) كلمة « على » ساقطة من س . وفي الأصل : « يعمل به عليه » ، والوجه ما أثبت
من نثار الأزهار .

(٧) كَرَّ : عطف ، أي مال في سيره . ل ، وكذا نثار الأزهار : « كسر » .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « حتى يرحل » وهذا تحريف وتصحيف .

(النُمر والمجرَّب من الحمام)

وفي الحمام النُمر والمجرَّب . وهم لا يُخاطِرون بالأغمار لوجهين : أحدهما أن يكون النُمر عريفاً^(١) فصاحبه يضمن به ، فهو يريد أن يدرِّبه ويمرِّنه^(٢) ثمَّ يكلفه بعد الشيء الذي اتَّخذه له ، وبسببه^(٣) أصطنعه [واتَّخذه] . وإمَّا أن يكون النُمر مجهولاً ، فهو لا يتعنى^(٤) ويُشقى نفسه ، ويتوقَّع^(٥) الهداية من الأغمار الجاهيل .

وخصلة أخرى : أن المجهول إذا رجَّع مع الهدى^(٦) المعروفات ، فحملة معها إلى الغاية^(٧) فجاء سابقاً ، لم يكن له كبيرُ ثمنٍ حتى تتلاحق به^(٨) الأولاد . فإنَّ أنجبَ فيهنَّ صار أباً^(٩) مذكوراً ، وصار نسباً^(١٠) يرجع إليه ، وزاد ذلك في ثمنه .

(١) العريف : المعروف ، وبه سمى عريف القوم : أى رئيسهم . وأراد به المعروف النسب . وفى ل : « عريقاً » ، من قولهم : فلان عريق النسب .

(٢) ل : « وهو على أن يدرِّبه أو يمرِّنه » .

(٣) هذه الكلمة وكذلك كلمة « اتَّخذه » قبلها ، ساقطتان من ل .

(٤) يتعنى : ينصب ، أى يتعب . ط ، س : « يبق » تحريف ما فى ل .

(٥) ط ، س : « وتتوقع » ، وهو خطأ .

(٦) انظر الجزء الثانى من الحيوان ص ٧٩ التنبيه الثالث .

(٧) فحملة ، ضمير الفاعل عائد إلى صاحب الحمام ، وضمير المفعول راجع إلى المجهول من

الحمام ، وضمير « معها » عائد إلى « الهدى » . وفى س : « معه » ويصح

فإن « الهدى » جمع هاد كما سبق فى الجزء الثانى . والأفضل ما أثبت

من ط ، ل .

(٨) ل : « له » وكلاهما جائز .

(٩) ط ، س : « أبداً » وهو تحريف ما أثبت من ل .

(١٠) ط : « نسيباً » .

فَأَمَّا الْحَجْرَبَ غَيْرَ الْعَمْرِ ، فَهُوَ الَّذِي قَدْ عَرَّفُوهُ الْوُرُودَ وَالتَّحَصُّبَ (١) ؛
لأنَّه متى لم يقدرْ عَلَى أَنْ يَنْقُضَ حَتَّى يَشْرَبَ الْمَاءَ مِنْ بَطُونِ الْأُودِيَةِ (٢)
وَالْأَنْهَارِ وَالْغُدْرَانِ ، وَمِنَاقِعِ (٣) الْمِيَاهِ ، وَلَمْ يَتَحَصَّبْ (٤) بِطَلْبِ
بُزُورِ الْبَرَارِيِّ ، وَجِاعَ وَعَطِشَ - التَّمَسَّ مَوَاضِعَ النَّاسِ . وَإِذَا
مَرَّ بِالْقُرَى وَالْعُمُرَانِ (٥) سَقَطَ ، وَإِذَا سَقَطَ أُخِذَ بِالْبَيَائِكِيِّ (٦)

(١) المراد بالورود ورود الماء . وفي ط ، س « بالورود » ولا يصح ؛ لأن
« عرف » لاتتعدى بالباء ، إلا في معنى آخر ، فيقال : عرفه يزيد ، أى سماه
زيد ، وعرفه بكذا : أى وسمه به . انظر اللسان . والتحصب ، بالحاء المهملة :
خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب ، وإنما يريدونه على ذلك ليعتاد البعد عن
المدن حتى لا يقع في أيدي الناس . ط : « والتحصب » ، س : « والتخضب »
وصوابهما في ل .

(٢) كذا في س . وفي ط : « من بطون أوساط الأودية » . وفي ل : « من
أوساط الأودية » .

(٣) المناقع : جمع منقع كجمع ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . وفي ط ، س :
« مواقع » ، وليس من لغة الجاحظ .

(٤) انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . ط : « يتحصب » س : « يتخضب »
محرفتان عما في ل .

(٥) المراد بالعمران : المواضع العامرة بالناس . ل : « العمران » ولا وجه له .

(٦) كتب إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي ، بما يأتي :

« البايكيري » بباء موحدة تحتية ، يليها ألف فياء مثناة ساكنة ، فكاف فارسية
مثلثة مكسورة ، فياء مثناة تحتية ساكنة فراه - : كلمة فارسية مركبة من : باي
وهو نوع من الطير يسمى بالعربية : بوهة ، وبالفرنسية : Effraie naine
وبالإرمية باوا . ومن « كير » ، ومعناها جاذب . وحصل اللفظين : جالب البوهة
ويراد بذلك مصيدة تحبك بالخبال عيوناً كعميون شبكة صيد السمك ، وتجعل على
شكل سلة كبيرة تقلب على فيها . وقد دبر فيها بابان : باب خارجي أو أصلي ،
وباب داخلي ، أو فرعي . فالباب الخارجي ، أو الأصلي ، يراه كل ناظر إليه . أما
الداخلي فيكون في مثل دهليز يمتد من الباب الخارج ، ويفتح على يمين الطائر
الداخل إليه أو على يساره . فيدخل الطائر من الباب الأول ، ثم إذا صار في =

وبالقفاعة (١) وبالملقف (٢) وبالتذيق (٣) وبالذشاخ (٤) ؛ ورمى أيضا
بالجلاهيق (٥) ، وبغير (٦) ذلك من أسباب الصيد .

والحمام طائرٌ مُلقى غير موقى (٧) ، وأعداؤه كثير ، وسباع الطير تطلبه
أشد الطلب . وقد يترفع مع الشاهين (٨) ، وهو للشاهين أخوف . فالحمام

= الدهليز يبحث عن الباب الآخر فيجده على يمينه ، أو يساره ، حسبما دبر في أول
صنع المصيدة ، فإذا وجده وجه ذاهبا إلى بطن السلة ليجد الطائر الذي يطلبه .
فإذا دخل ، ثم حاول الخروج عائداً إلى موطنه الأول لا يهتدى إلى الباب الداخلى
لأنه مزور عن الخارج ، فيقبض عليه أسيرا ، أو محالوا التخلص من مأزقه .
ووضعت البوهة لتكون ملواحا لسائر الطير ، فإن هذا الملواح يضطرب فتراه بعض
إخوته الطير ، فتدخل لتنقذه من ورطته ، أو لترافقه في أسره ، أو لتشاطره
طعامه ، أو لتصيب شيئاً من نعيمه . فيؤخذ المخدوع بهذه الحيلة اللطيفة الدقيقة
على فهم الطائر ، بدون أن يجرح المصيد « اه .

(١) القفاعة كرمانة : شيء يتخذ من جريد النخل ، ثم يغدف به على الطير فيصاد .
يغدف : يسبل .

(٢) آلة من آلات الصيد . ط ، س : « باللقف » .

(٣) التذيق : الاصطياد بالدبق . والدبق ، بكسر الدال : غراء يصاد به الطير .

(٤) الذشاخ : وأكثرهم يكتبونها « الدوشاخ » كلمة فارسية مركبة من (دو)
أى اثنين ، و (شاخ) أى شعبة ، أو طرف أو رأس . ومحصل معناها : ذو
الشعبتين أو ذو الرأسين أو ذو الطرفين . وأكثر ماتكون هذه الآلة من حديد ،
يصاد بها السمك ، في دجلة والفرات . واسمها معروف هناك إلى يومنا هذا .
كتب بذلك إلى حضرة المحقق الأكبر الأب أنستاس مارى الكرملى . قلت :
وهذه الكلمة هي في ط ، س : « وبالفتح » وصواب نصها من ل .

(٥) الجلاهيق : البندق الذى يرمى به الصيد . فارسي معرب . ل : « وبالرى
بالجلاهيق » .

(٦) ل : « وغيره » .

(٧) ملقى : أى يلقى عننا من الناس والطير . وغير موقى : غير مصون من الأذى .
ط ، س : « والحمام أنيس » الخ .

(٨) يترفع معه : أراد يطير معه طيراً سريعاً .

أَطِيرُ مِنْهُ وَمِنْ جَمِيعِ سَبَاعِ الطَّيْرِ ، وَلَسِكِنَّهُ يُذْعَرُ فَيَجْهَلُ بَابَ الْمَخْلَصِ
وَيَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْحَمَارَ مِنَ الْأَسَدِ إِذَا رَأَهُ (١) ، وَالشَّاةُ إِذَا رَأَتْ الذُّئْبَ ،
وَالْفَارَةَ إِذَا رَأَتْ السَّنُورَ .

(سُرْعَةُ طَيْرَانِ الْحَمَامِ)

وَالْحَمَامُ أَشَدُّ طَيْرَانًا مِنْ [جَمِيعِ] سَبَاعِ الطَّيْرِ ، إِلَّا فِي انْقِضَاضِ
وَانْحِدَارِ (٢) ، فَإِنَّ تِلْكَ تَنْحَطُّ انْحِطَاطَ الصَّخُورِ . [و] (٣) مَتَى التَّقْتِ أُمَّةٌ (٤)
مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ ، أَوْ جُفَالَةٌ (٥) مِنْ بَهَائِمِ الطَّيْرِ ، أَوْ طِرْنٌ عَلَى عَرَقَةٍ (٦) وَخَيْطٍ
مَمْدُودٍ ، فَكُلُّهَا يَعْتَرِيهَا عِنْدَ ذَلِكَ التَّقْصِيرُ عَمَّا (٧) مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، إِذَا طَارَتْ (٨)
فِي غَيْرِ جَمَاعَةٍ .

(١) قالوا : إنه يفر إلى الأسد منه .

(٢) ل : « إلا في الانقضاض والانكدار » . والانكدار بمعنى الانقضاض .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من ل ، س .

(٤) الأمة ، بالضم : الجماعة ، كما في اللسان . ل : « رامة » س : « وامة » ط :

« وامة » ، وصواب ذلك كله ما أثبت .

(٥) الجفالة ، بالجيم : الجماعة ، وفي ط ، س : « حفالة » بالحاء المهملة ،

وهي بمعنى الحثالة : الرديء من كل شيء . وليس مرادا هنا ، فهي مصحفة عما في ل .

(٦) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، جمعه عرق ، بالتحريك أيضا . وفي ط ،

س : « عرقة » ولا تصح . و « طرن » محرفة في الأصل فهي في ط ، س : « طرف »

وفي ل : « كن » ، وقد جعلتها كما ترى .

(٧) ط ، س : « عند » ، تحريف .

(٨) ل : « إذ كانت » .

ولن ترى جماعة طير أكثر طيراناً إذا كثرت من الحمام ؛ فإنهن كلما
التفنن وضاق موضعهن كان أشد لطيرانهن . وقد ذكر ذلك النابغة الذبياني
في قوله :

وَاحْكُم كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَى إِذْ نَظَرَتْ

إلى حمامٍ شراعٍ واردٍ الثَّمَدِ (١)

يَحْفَهُ جَانِباً نَيْقٍ وَيَتَّبَعُهُ

مِثْلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ (٢)

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتا ونصفه فقد (٣)

فحسبوه فالفوه كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد (٤)

فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة في ذلك العدد (٥)

٦٨

(١) احكم : كن حكيماً . وأراد بفتاة الحى : زرقاء اليمامة . و « شراع » هى رواية الأصمى
كما فى الخزنة (٤ : ٣٠٠ بولاق) . والشراع : التى شرعت فى المساء . والرواية
المعروفة : « سراع » بالمهملة ، جمع سريعة . وهذه اوجه ؛ فإن بالأولى يكون
التكرار ؛ إذ الشراع هن الواردات . والثمد : المساء القليل . والحمام وما أشبهه
من أسماء الأجناس يجوز أن يعتبر جمعاً ومفرداً .

(٢) النيق ، بالكسر : الجبل أو أعلاه . و « يتبعه » روى فيها « تتبعه » من الإتيان
كما فى الخزنة ، وشرح التبريزى للمعلقات . والفاعل فى الرواية الأولى هو كلمة :
« مثل » وفى الثانية الضمير المستكن الراجع إلى « فتاة الحى » . وأراد بـ « مثل
الزجاجه » عيني الزباء . يقول : هى صافية كما صفت الزجاجه . و « لم تكحل من
الرمد » أى لم ترمد فتكحل ، كقواه :

* على لاحب لا يهتلى بمناره *

(٣) للنحويين كلام طويل فى هذا البيت ، تجده فى مراجع النحو فى الكلام على « ليت » .

وانظر الكلام على « ونصفه » فى الخزنة . وقد بمعنى حسب .

(٤) حسبوه : عدوه .

(٥) كان الحمام الذى رأت ستا وستين ، وهو ونصفه مع حمامتها مائة .

قال الأصمعيُّ : لما أراد مَدِيحَ الحاسب وسرعة إصابته ، شدَّد الأمرَ وضيقه عليه ؛ ليكونَ أحمَدَ له إذا أصاب ؛ فجعلهُ حَزَرَ (١) طيرًا ، والطَّيرُ أخفُّ من غيره ، ثمَّ جعله حماماً والحمامُ أسرعُ الطَّيرِ ، وأكثرُها اجتهاداً في السرعة (٢) إذا كثُرَ عددُه ؛ وذلكَ أنَّه يشتدُّ (٣) طيرانه عند المسابِقةِ والمنافسةِ . وقال : يحفُّه جانبا نيقٍ ويتبعه ، فأراد أنَّ الحمامَ إذا كان في مَضيقٍ من الهواءِ كان أسرعَ منه إذا اتسعَ عليه الفضاءُ .

(غايات الحمام)

وصاحب الحمام قد كان يدرب ويتمرّن ويُنزِل في الزُّجال ، والغايةُ يومئذٍ واسط (٤) . فكيف يصنَع اليومَ بتعريفه الطَّرِيقَ وتعريفه الورو- والتحصُّب (٥) ، مع بُعد الغاية ؟ ! (٦) .

(١) الحزر ، بالزاي الساكنة : التقدير .

(٢) « وأكثرها اجتهاداً في السرعة » ساقط من ل .

(٣) ل : « وكثر العدد لأن الحمام » .

(٤) تسمى واسط الحجاج ، سميت بذلك لأنها توسطت بين البصرة والكوفة ، فيبناها وبين كل واحدة منهما خمسون فرسخاً . وبدلها في ط ، س : « أقصر » .

(٥) التحصب : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب . ط : « التحصب » ل ، س : « التحصب » ، مصحفتان .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(ما يختار للزجل من الحمام)

والبغداديون يختارون للزجال من الغاية الإناث ، والبصريون يختارون الذكور . فحجة البغداديين أن الذكر إذا سافر وبعد عهده بقمط الإناث ، وتاقت نفسه إلى السفاد ، ورأى أنثاه في طريقه (١) ، ترك الطلب إن كان بعد في الجولان ؛ أو ترك السير إن كان وقع على القصد ، ومال إلى الأثني وفي ذلك الفساد (٢) كله .

وقال البصري : الذكر أحن إلى بيته لمكان أنثاه ، وهو أشد متناً وأقوى بدناً ، وهو أحسن اهتداء . فنحن لاندع تقديم الشيء القائم إلى معنى قد يعرض وقد لا يعرض .

(نصيحة شدفويه في تربية الحمام)

وسمعت شدفويه السلاحي (٣) من نحو خمسين سنة ، وهو يقول لعبد السلام بن أبي عمار (٤) : اجعل كعبة حمامك في صحن دارك ، فإن الحمام إذا كان متى خرج من بيته إلى المعلاة لم يصل إلى معلاته إلا بجمع النفس والجناحين ، وبالنهوض ومكابدة الصعود - اشتد متنه ، وقوى

(١) ل : « في طريقه ومجيئه » .

(٢) ط فقط : « السفاد » محرف .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « سرفوحة السالحي » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « أبي العمان » .

جناحه ولحمه . ومنى أراد بيته فاحتاج^(١) إلى أن ينتكس ويجيء منقضاً -
 كان أقوى على الارتفاع في الهواء بعد أن يروى^(٢) . وقد تعلمون أن
 الباطنيين أشد [متناً] من الظاهريين^(٣) ، وأن النقرس لا يصيب الباطني
 في رجله^(٤) ليس ذلك إلا لأنه يصعد إلى العلالى^(٥) فوق الكناديج^(٦)
 درجة بعد درجة ، وكذلك نزوله . فلو درّبتم الحمام [على]^(٧) هذا الترتيب
 كان أصوب . ولا يعجبني تدرّيب العاتق وما فوق العاتق^(٨) إلا من الأماكن
 القريبة ؛ لأن العاتق كالفتاة العاتق ، وكالصبي الغرير ، فهو لا يعدمه ضعف
 البدن ، وقلة المعرفة ، وسوء الإلف . ولا يعجبني أن تتركوا الحمام حتى

(١) ط : « فاحتاج » ، تحريف ما في س ، ل .

(٢) كلمة « الهواء » هي في ط ، س : « الهوى » محرفة . وكلمة « بعد »
 ساقطة من ل .

(٣) كذا جاءت كلمتا : « الباطنيين » و « الظاهريين » في ل . وإن كان وجهه
 في العربية : « الباطنيات » و « الظاهريات » إما لأن الجاحظ أراد أن ينقل كلام
 « شذويه » كما وقع ، وإما لأنه نزل الحمام منزلة العاقل ، فجمعه جمع العاقلين .
 وفي ط : س : « الباطنتين » و « الظاهرتين » وهو لا جرم تحريف .
 والباطني : نسبة إلى الباطن ، وهو الذي تكون تربيته في باطن بيت^١ مكنون قد مهدت
 له في داخله كناديج : أي درجات يصعد عليها إلى قرموصه . والظاهري : نسبة إلى
 الظاهر ، والمراد به ما كان صموده إلى قرموصه من ظاهر البيت فيصعد إليه بالطيران
 لا بالصعود التدريجي كما يصنع الباطني .

(٤) ل : « لا يصيب الباطني في رجله » .

(٥) العلالى : جمع عليّة ، بالضم والكسر ، وهي الغرفة .

(٦) الكناديج : جمع كندجة : معرب كندة بالضم ، وهي خشبة عظيمة يستخدمها
 الباني في بناء الجدران والطيقان ، انظر الألفاظ الفارسية ١٣٨ . وضبطت :
 « الكندجة » في القاموس بفتح الكاف والذال ، ضبط قلم . والمراد بها الدرجات
 التي يصعد عليها الحمام . وفي ط : « الكساويح » ، محرفة .

(٧) ليست بالأصل .

(٨) العاتق من الحمام : فرخه ما لم يستحكم . ل : « العتق » في الموضعين .

إذا صار في عَدَدِ المسانِّ واكتهل ، وولَدَ البطونَ بَعْدَ البطونِ ، وأخذ ذلك من قوَّةِ شَبَابِهِ ، حملتموه على الزَّجَلِ ، وعلى التَّمْرينِ ، ثمَّ رميتم به أقصى غايةٍ .
لأ ، ولكنَّ التَّدريبَ مع الشبابِ ، وانتهاءَ الحِدَّةِ^(١) ، وكمالِ القوَّةِ ،
من قبل أن تأخذ القوَّةُ في التَّقْصانِ . فهو يلقن بقربه من الحداثة^(٢) ،
ويُعرِّفُ بخروجه من حدِّ الحداثة^(٣) . فابتدئوا به التَّعليمَ والتَّمْرينَ في هذه
المنزلة الوسطى .

(الوقت الملائم لتدريب فراخ الحمام)

وهم إذا أرادوا أن يمرِّنوا^(٤) الفراخَ أخرجوها وهي جائعة ، حتى إذا ألقوا إليها الحبَّ أسرعَت النزولَ . ولا تُخرَحُ والريِّحُ عاصفٌ ، فتخرج قبل المغربِ وانتصافِ النهارِ . وحذِّقهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام ؛ فإنَّ الذُّكورةَ يعترها الدُّشاطُ والطَّيرانُ والتَّباعدُ ومجاورةُ القبيلةِ . فإن طارت الفراخُ معها سقطتْ على دُورِ الناسِ . فرياضتها شديدةٌ ، وتحتاج إلى معرفةٍ وعنايةٍ ، وإلى صبرٍ ومُطاوَلَةٍ ؛ لأنَّ الذي يُراد منها إذا احتيج^(٥) إليه بعد هذه المقدمات كان أيضاً من العجَبِ العجيبِ .

(١) س : « مع انتهائه الحدة والشباب » .

(٢) كذا في ل : وفي ط ، س : « بقوته مع الحداثة » .

(٣) ل : « الحداثة » ، تحريف .

(٤) ل : « يثبتوا » .

(٥) ل : « جنن » .

(حوار يعقوب بن داود مع رجل في اختيار الحمام)

وحدّثني بعض من أتق به أن يعقوب بن داود ، قال لبعض من دخل عليه - وقد ذهب عني اسمه ونسبته ، بعد أن كنتُ عرفته - : أما ترى كيف أخلفَ ظننا وأخطأ رأينا ، حتّى عمّ ذلك ولم يخصّ ؟ ! أما كان في جميع من اصطنعناه واخترناه ، وتفرّسنا فيه الخير وأردناه^(١) به - واحد^(٢) تكفيننا معرفته^(٣) [مؤنّة] الاحتجاج عنه ، حتّى صرّت لآ أقرع^(٤) إلّا بهم ، ولا أعاب^(٥) إلّا باختيارهم ! ! قال : فقال له رجل إن الحمام يُختار من جهة النسب ، ومن جهة الخلق ، ثم لا يرضى له أربابه بذلك حتّى ترتبه وتنزله وتدرّجه^(٦) ، ثم تحمّل الجماعة منه^(٧) بعد ذلك الترتيب والتدريب إلى الغاية ، فيذهب الشطر ويرجع الشطر ، أو شبيه بذلك أو قريب^(٨) من ذلك . وأنت عمدت إلى حمام لم تنظر في أنسابها ولم تتأمل مخيلة الخير في خلقها^(٩) ثم لم ترص حتى ضربت بها بكرّة^(١٠) واحدة

(١) ط ، س ، « أردناه به » .

(٢) ط : « واحداً » ، وإنما هو اسم كان أو فاعلها .

(٣) ل : « معرفته » محرفة ، وبعد هذه الكلمة واو حذفها .

(٤) كذا في ل ، س . وهو الصواب . وفي ط : « أقرع » .

(٥) ط ، س : « أذاب » محرف .

(٦) كذا في ط ، س ، وفي ل : « حتى يرتبوه وينزلوه » .

(٧) ط ، س « معه » وتصحيحه من ل .

(٨) ط ، س : « شبيهاً » و « قديماً » والوجه الرفع كما في ل .

(٩) الخيلة : موضع الظن ، فهي كالمظنة . انظر اللسان . ط ، س : « مخيلة

موضع الخير » وفيها أيضاً : « في خلقها » .

(١٠) ط ، س : « ضربة » ، تحريف ما في ل .

إلى الغاية^(١) ، فليس بعَجَبٍ ولا مُنْكَرٍ^(٢) ألا يرجع إليك واحدٌ منها ، وإنما كان العَجَبُ في الرَّجوع ، فأما في الضَّلَالِ فليس [في] ذلك عَجَبٌ^(٣) . وعلى أنه لو رجع منها^(٤) واحدٌ أو أكثرٌ من الواحدِ لكان خطؤك موقراً عليك ، ولم ينتقصه خطأ من أخطأ ؛ لأنه ليس من الصواب أن يجيء طائراً من الغايةِ على غير [عَرَقٍ ، وعلى غير] تدريب .

بَاب

ومن كرم الحمام الإلف والأنس والنزاع والشوق . وذلك يدلُّ على ثبات العهد ، وحفظ ما ينبغي أن يُحفظ ، وصون ما ينبغي أن يَصان وإنه تُخلق صدق^(٥) في بني آدم فكيف إذا كان ذلك الخلق^(٦) في بعض الطير .

٧٠ . وقد قالوا : عمَّرَ الله البلدان بحبِّ الأوطان^(٧) .

قال ابن الزبير : ليس النَّاسُ بشيءٍ من أقسامهم^(٨) أقنعَ منهم

بأوطانهم !

(١) كذا في ط ؛ س . وفي ل : « واحدة الغايات » .
(٢) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » الخ .
(٣) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » .
(٤) ط ، س : « منهن » .
(٥) خلق صدق ، بالإضافة ، أي نعم الخلق . وبالوصف ، أي الخلق الكامل . « نجيب صدق » ، تحريف .
(٦) ل : « فكيف بذلك الحق » .
(٧) القول في الحنين إلى الأول من رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩ مع نسبه إلى عمر بن الخطاب .
(٨) أقسام : جمع قسم ، بالكسر : وهو الحظ والنصيب : ل : « لشيء » تحريف . ط ، س : « في اقتسامهم » ، ووجه ما أثبت من ل .

وأخبر الله عزَّ وجلَّ عن طبائع النَّاسِ في حبِّ الأوطان ، فقال :
 ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾^(١)
 وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ
 دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾^(٢) .

وقال الشاعر :

وكنْتُ فيهِمْ كَمَطُورٍ ببلدتهِ فسرُّ أنْ جمَعَ الأوطانَ والمطراً^(٣)
 فتجدُهُ يُرسلُ منْ موضعٍ فيجىءُ ؛ ثمَّ يخرج من بيته إلى أضيِّق موضع
 وإلى رخام^(٤) ونقان^(٥) فيرسل من أبعَد من ذلك فيجىء . [ثم يصنع به مثلُ
 ذلك المرار الكثيرة ، ويزاد في الفراسخ] ، ثم يسكون جزاؤه^(٦) أن يغمر
 به^(٧) [من]^(٨) الرِّقَّة إلى لؤلؤة^(٩) فيجىء . ويُسترقُ من منزل

(١) هذا القول حكاية عن بني إسرائيل ، وكانوا طلبوا من نبي لهم - وهو يوشع ،
 أو شمعون ، أو أشمويل - أن يعين لهم أميراً يتولى قيادتهم في حرب العمالقة ،
 وكان العمالقة قد أجلوا الإسرائيليين وسبوا أولادهم . وكان النبي قال لهم :
 « هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا » - يقول ذلك متوقفاً حينهم عن
 القتال - فأجابوه بما في هذه الآية . انظر التفاسير .

(٢) قال العسكري في ديوان المعاني (٢ : ١٨٧) تعقياً على هذه الآية : « فجعل
 خروجهم من ديارهم كفه قتلهم لأنفسهم » .

(٣) أنشده في الحنين إلى الأوطان . وأخذ ابن المولى هذا المعنى فقال (ديوان المعاني
 ٢ : ١٩٠) :

كمطور ببلدته فاضحى غنيا عن مطالعة السحاب

(٤) هو اسم موضع ، ولم أحقه . وفي ط فقط : « زحام » .

(٥) نقان ، بضم النون ويكسر : اسم جبل في بلاد أرمينية . وفي ط ، س :
 « قفار » : وفي ل : « تفاد » وهو تحريف ما أثبت .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « الحرارة » ! وفي س : « الجراوة » .

(٧) يغمر به : أى يدفع به . س : « يغمز » تصحيف .

(٨) التكلمة من ل ، س .

(٩) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

صاحبه^(١) فيقصُّ ، وَيَغْبُرُ هناك حولاً وأكثرَ من الحول ، فحينَ يَنْبِت جناحُه يحنُّ إلى إلفه وَيَنْزِع إلى وطنه ، وإن كان الموضعُ الثَّانِي أنفعَ له ، وأنعمَ لباله . فِيَهَبُ فضلَ ما بينهما لموضعِ تربيته وسكنه ؛ كالإنسان الذي لو أصاب في غير بلادِهِ الرِّيفَ لم يقعْ ذلك في قلبه ، وهو يعالجهم^(٢) على أن يُعْطَى عَشْرَ ما هو فيه^(٣) في وطنه .

ثمَّ رَبَّما باعه صاحبه ، فإذا وجدَ مَخْلَصاً رجع إليه ، حتَّى رَبَّما فَعَلَ ذلك مراراً . ورَبَّما طار دَهْرُهُ وجالَ في البلادِ ، وألفَ الطَّيرانَ والتقلَّبَ في الهواء ، والنَّظَرَ إلى الدنيا ، فيبدو لصاحبه^(٤) فيقصُّ جناحَه ويُلقِيه في دِيْماس^(٥) ، فينبثُ جناحُه ، فلا يَنْهَبُ عنه ولا يتغيَّرُ له . نَعَمَ ، حتَّى رَبَّما جَدَفَ^(٦) وهو مقصوصٌ ، فإمَّا صار إليه ، وإمَّا بلغَ عذراً .

(١) يَسْرِقُ : من الإِستِراق ، وهو السَّرقة . ل : « يسرق » وفيها أيضاً « نزل » مكان « منزل » ، وهما بمعنى .

(٢) يعالجهم : يمارسهم . وفي ل : « يصلحهم » .

(٣) ل : « عشر ذلك » .

(٤) يقال بدا له في الأمر : نشأ له فيه رأى .

(٥) الديماس بالكسر : السكن .

(٦) جَدَفَ الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين كأنه يرد جناحه إلى خلفه . وهذه

الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، س : « جسد » ، وفي ل :

« حذف » .

(قص جناح الحمام)

ومتى قصَّ أحد جناحيه كان أعجزَ له عن الطيران ، ومتى قصَّهما جميعاً كان أقوى له عليه ، ولبيكته لا يُبْعِدُ ، لأنه إذا كان مقصوفاً من شِقِّ واحدٍ اختلفَ خلقه ، ولم يَعتَدِلْ وزنه ، وصارَ أحدهما هوائياً والآخر أرضياً . فإذا قصَّ الجناحانِ جميعاً طار ، وإن كانَ مقصوفاً فقد بلغَ بذلك التعديلَ من جناحيه (١) أكثرَ مما كانَ يبلغُ [بهما] إذا كانَ أحدهما [وافياً] والآخرُ مبتوراً (٢) .

فالكلبُ الذي تدَّعون له الإلفَ وثباتَ العهدِ ، لا يبلغُ هذا . وصاحبُ الدبِّ الذي لا يفخرُ (٣) للدبِّك بشيءٍ من الوفاءِ والحفاظِ والإلفِ ، أحقُّ بالأعرضِ في هذا الباب .

قال : وقد يكونُ الإنسانُ شديدَ الحُضْر ، فإذا قُطِعَتْ إحدى يديه فأراد العَدُوَّ كانَ خطوهُ أقصرَ ، وكانَ عن ذلك القصدِ والسَّنَنِ أذهبَ ، وكانت غايةُ مجهوده أقربَ (٤) .

(١) في الأصل : « جناحه » .

(٢) ط ، س : « إذا قصَّ أحدهما وترك الآخرَ وافياً » .

(٣) أى لا يجد شيئاً من وفاء الدبِّك يستطيع أن يفخر به .

(٤) ل : « أنقص » .

(حديث نباتة الأقطع)

وخبّرني كم شئت^(١) ، أن نباتة الأقطع [وكان] من أشداء الفتيان^(٢) وكانت يده قطعت^(٣) من دوين المنكب ، وكان ذلك في شقه الأيسر ؛ فكان إذا صار إلى القتال وضربَ بسيفه ، فإن أصاب الضريبة ثبّت ، وإن أخطأ سقطَ لوجهه ؛ إذ لم يكن جناحه^(٤) [الأيسر] يُمسكه ويثقله حتى يعتدلَ بدنه .

(أجنحة الملائكة)

وقد طعن قومٌ في أجنحة الملائكة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ . وزعموا أن الجناحين كاليدين ، وإذا كان الجناح اثنين أو أربعة كانت معتدلة ، وإذا كانت ثلاثة

(١) ل ، ط : « من شئت » . وانظر ما سبق في ص ١٧٨ وكذا ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤

وكتاب البغال من رسائل الجاحظ ٢ : ٢٦٤ .

(٢) في الأصل : « من أشداء الفتيان أن نباتة الأقطع » ، وقد رددت الكلمات الثلاث

الأولى إلى موضعها ، كما زدت « وكان » لينتظم الكلام .

(٣) ل : « وكانت قطعت » .

(٤) الجناح ، ليس خاصا بالطير ، بل يقال أيضا : جناح الإنسان : أى يده ، أو عضده

أو إبطه .

كان^(١) صاحبُ الثلاثةِ كالجاذفِ^(٢) من الطَّيرِ ، الذي أحدُ جناحيه مقصوص ، فلا يستطيع الطَّيرَ أن لعدم التعديل . وإذا كان أحدُ جناحيه وافيًا والآخرُ مقصوصاً ، اختلفَ خَلْقُهُ وصارَ بَعْضُهُ يذهب إلى أسفلَ والآخر إلى فوق .

وقالوا : إنما الجناحُ مثل اليد ، ووجدنا الأيديَ والأرجلَ في جميع الحيوان لا تكونُ إلا أزواجاً . فلو جعلتمُ لكلِّ واحدٍ منهم مائةَ جناحٍ لم تُنكِرْ ذلك . وإن جعلتموها أنقصَ بواحدٍ أو أكثرَ بواحدٍ لم نجوزهُ . قيل لهم : قد رأينا من ذوات الأربع ما ليس له قرن ، ورأينا ماله قرنانِ أملسان ، ورأينا ماله قرنان لها شُعبٌ في مقاديم القرون^(٣) ، ورأينا بعضها جُمًّا ولأخواتها قرون ، ورأينا منها ما لا يقال لها جُمٌّ لأنَّها ليست لها شكلُ ذواتِ القرون ، ورأينا لبعضِ الشاءِ عِدَّةَ^(٤) قرونٍ نابتةٍ في عظم الرأسِ أزواجاً وأفراداً ، ورأينا قرُوناً جُوفاً فيها قرون ، ورأينا قرُوناً لا قرونَ فيها ، ورأيناها مُصمَّمةً ، ورأينا بعضها يتصلُّ قرْنُهُ في كلِّ سنة ، كما تسلخُ الحيةُ جلدها ، وتنفضُ الأشجارُ ورقها ، وهي قُرُونُ الأيائلِ . وقد زعموا أنَّ للحِمارِ الهنديِّ^(٥) قرنا واحداً .

(١) كذا في ط . وفي ل ، س : « صار » .

(٢) الجاذف : الذي يطير وهو مقصوص . وفي ط : « كالحاذق » وفي ل ، س : « كالجاذف » ، وصوابهما ما أثبت .

(٣) ط : « مقادير » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « لبعض الساعة » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحمار الهندي هو السكركدن ، وحيد القرن . والذي سماه بالحمار الهندي هو أرسطو في كتابه (الحيوان) . قال الجاحظ في الحيوان (٧ : ٤٠) : « وقد ذكره صاحب المنطق في كتاب الحيوان ، إلا أنه سماه بالحمار الهندي » .

وقد رأينا طائراً شديداً الطيران بلا ريشٍ كأنخفاش ، ورأينا طائراً لا يطير وهو وافي الجناح ، ورأينا طائراً لا يمشي وهو الزرُّزور . ونحن نُؤمن بأنَّ جعفرًا الطَّيَّارَ ابنَ أبي طالب ، له جناحان يطير بهما في الجنان ، جعلاً له عوضاً من يديه اللتين قطعنا على لواء المسلمين في يوم مؤتة (١) . وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق .

فقد يستقيم - وهو سهلٌ جائزٌ شائعٌ مفهوم ، ومعقولٌ قريبٌ غيرٌ بعيد أن يكون إذا وُضع طباع الطائر على هذا الوضع الذي تراه ألا يطير (٢) إلا بالأزواج . فإذا وُضع على غير هذا الوضع ، وركب غيرَ هذا التركيب صارت ثلاثة أجنحة وفوق (٣) تلك الطبيعة . ولو كان الوطواط في وضعٍ أخلاطه (٤) وأعضائه وامتزاجاته (٥) كسائر الطير ، لما طار (٦) بلا ريش .

(١) كان يوم مؤتة في الثامنة من الهجرة بين المسلمين والروم . وكان قد حمل لواء المسلمين زيد بن حارثة فقتل ، فحمله جعفر بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنها بعضديه فقتل وخر شهيداً ، فحمل اللواء بعده عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً . وكان جعفر أيضاً يلقب بذي الهجوتين : هجرة الحبشة والمدينة . وانظر الإصابة ٦١٦٢ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٨ - ٦٩ .

(٢) ط : « لا يسير » . س : « لا تطير » وتصحيحه من ل .

(٣) وفوق ، كرسول ، بمعنى ملائمة موافقة . ومثلها وفق ، بالفتح . انظر اللسان (وفق) ومعنى الكلام أن الأجنحة الثلاثة تكون موافقة لهذا التركيب الشاذ .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « وضع في أخلاطه » .

(٥) ط ، س : « وامتزاجه » .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « كان » .

(الطير الدائم الطيران)

وقد زعم البحريون أنهم يعرفون (١) طائراً لم يسقط قط ، وإنما يكون سقوطه من لبدن خروجه من بيضه [إلى] أن يتم (٢) قصب ريشه ، ثم يطير ٧٢ فليس له رزق إلا من بعوض الهواء وأشباه البعوض ؛ إلا أنه قصير العمر سريع الانحطام .

(بقية الحديث في أجنحة الملائكة)

وليس بمستنكر أن يمزج (٣) الطائر ويُعجن غير عجنه الأول (٤) [فيعيش ضعف ذلك العمر] . وقد يجوز أيضاً أن يكون موضع الجناح الثالث بين (٥) الجناحين ، فيكون الثالث للثاني كالثاني للأول ، وتكون كل واحدة من ريشة عاملة في التي تليها من ذلك الجسم (٦) ، فتستوى في القوى وفي الحصص .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقد زعم البحريون أن » . وهذا الطائر الذي حكى عنه الجاحظ ، تحدث عنه القزويني في عجائب المخلوقات ١٠٣ عند كلامه على بحر الصين ، ولم يسمه .

(٢) ط ، س : « تم » .

(٣) كذا في ل . وفي ط : « يمزج » . وفي س : « يمزج » ، محرفتان .

(٤) س : « غير عجنه الأوابد » .

(٥) ل : « من » ، تحريف .

(٦) ل : « اللبدن » .

ولعلَّ الجناح الذى أنكره الملحدُ الضيقُ العطنُ^(١) أن يكونَ مركزُ قوادِمِهِ فى حاقِّ الصُّلبِ^(٢) .

ولعلَّ ذلكَ الجناحَ أن تكونَ الريشةُ الأولى منه معينةً للجناحِ الأيمنِ والثانيةُ معينةً للجناحِ الأيسرِ . وهذا مما لا يضيِّقُ عنه الوهمُ ، ولا يعجزُ عنه الجوازُ^(٣) .

فإذا كان ذلكَ ممكناً^(٤) فى معرفة العبدِ بما أعاره الربُّ جلَّ وعزَّ ، كان ذلكَ فى قدرة الله أجوز . وما أكثرَ من يضيِّقُ صدرُهُ لقلَّةِ علمه !

(أعضاء المشى لدى الحيوان والإنسان)

وقد علموا أن كلَّ ذى أربعٍ فإنه إذا مشى قدَّم إحدى يديه ، ولا^(٥) يجوز أن يستعمل اليدَ الأخرى ويقدمها بعدَ الأولى حتى يستعمل الرجلَ المخالفةَ لتلك اليد : إن كانت اليدُ المتقدمةُ اليمنى حرَّكَ الرجلَ اليسرى ، وإذا حرَّكَ الرجلَ اليسرى لم يحركَ الرجلَ اليمنى - وهى أقربُ إليها^(٦) وأشبهُ بها - حتى يحركَ اليدَ اليسرى . وهذا كثير .

(١) الضيقُ العطنُ : الضيقُ الصدر ، السريعُ الغضب . وأصل العطنُ مريضُ الإبل

والغنمُ حول الماء . ط ، ل : « لضيقُ العطن » .

(٢) حاقُّ الصُّلبِ : وسطه .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الجواب » .

(٤) ل : « مكيفاً » ، وهو تحريف .

(٥) ل : « وقد » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

(٦) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « اليد » .

[و(١)] في طريقٍ أخرى فقد يقال : إنَّ كلَّ إنسانٍ فإنما رُكِبَتْه في رِجله ، وجميعَ ذواتِ الأربَعِ فإنَّما رُكِبها في أيديها . وكلُّ شيءٍ ذى كَفٍّ وبَنانٍ كالإنسان ، والقرد ، والأسدِ ، والضَّبِّ ، والدُّبِّ ، فكفُّه في يده . والطَّائرُ كفُّه في رِجله .

(استعمال الإنسان رجليه فيما يعمله في المادة بيديه)

وما رأيتُ أحداً ليس له يَدٌ إلا وهو يعمل برجليه ما كان [يعمل (٢)] بيديه ، وما أقف على شيءٍ من عمل الأيدي إلا وأنا قد رأيتُ قوماً يتكلّفونه بأرجلهم .

ولقد رأيتُ واحداً منهم راهنَ على أن يُفْرِغَ برجليه ما في دَسْتِجَة (٣) نبيذ في قناني رِطليّات وفُقاعِيّات (٤) ، فراهنوه ، وأزعجني أمرٌ فتركته عند ثقّاتٍ لا أشكُّ في خبرهم ، فزعموا أنه وَفَى وزاد . قلت :

(١) الزيادة من س .

(٢) التكلة من ل ، س .

(٣) الدسّيجة : واحدة الدسّيج ، وهي - كما في تاج العروس - : آنية تحمول باليد وتنقل . فارسيّ معرب : « دسّي » . وأصل « دست » في الفارسية بمعنى اليد . انظر الألفاظ الفارسية ٦٣ .

(٤) رطليات ، أي تسع للواحدة منها رطلا . والفقاعيات : ضرب من القوارير صفار ، ولم أجد لها نصّاً يفسرها .

قد عرّفتُ قولكم « وفي » فما معنى قولكم « زاد » . قالوا : هو أنه لو صبَّ من رأس الدّستيجة حوالى أفواه القناني كما يعجز عن ضبطه جميع أصحاب الكمال في الجوارح ، لما أنكرنا ذلك . ولقد فرغ ما فيها في جميع القناني فما ضيّع أوقية واحدة .

(قيام بمض الناس بعمل دقيق في الظلام)

وخبّرني الحزّامى^(١) عن خليل أخيه^(٢) ، أنه متى شاء أن يدخُل في بيت ليلا بلا مصباح ، ويفرغ [قرية]^(٣) في قناني فلا يصبُّ إستاراً^(٤) واحداً فعله .

و [لو] حكى لي الحزّامى هذا الصّنيع عن رجل وُلِدَ أعمى أو عمى في صباه ، كان يعجبني منه أقلُّ . فأما من تعود أن يفعل مثل ذلك وهو يبصر فما^(٥) أشدَّ عليه أن يفعلهُ وهو مغمض العينين . فإن كان أخوه قد ٧٣ كان يقدر على ذلك إذا غمض عينيه فهو عندي عجب . وإن كان يبصر في الظلمة فهو قد أشبه في هذا الوجه السُّورَ والفأر ؛ فإن هذا عندي عجبٌ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب ، كان معاصراً للجاحظ ، وقد أفرد له حديثاً في البخلاء ٤٧ - ٥٤ . وفي ط ، س : « الحزّامى » وفي ل :

« الحزّامى » .

(٢) ل : « ملك » .

(٣) الزيادة من س . وبدلها في ل : « قرابة » محرقة .

(٤) الإستار: ثلاثة أخماس الأوقية ؛ إذ الأوقية إستار وثلاثا إستار .

(٥) ل : « يبصره » .

آخر ، وغرائب الدنيا كثيرة عند كل من كان كلفاً بتعارفها ، وكان له في العلم أصل ، وكان بينه وبين التبيين^(١) نسب .

(اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب)

وأكثر الناس لا تجدهم إلا في حالتين : [إما في حال]^(٢) لإعراض عن التبيين وإهمال للنفس^(٣) ، وإما في حال^(٤) تكذيب وإنكار وتسرع إلى أصحاب الاعتبار وتتبع الغرائب ، والرغبة في الفوائد . ثم يرى بعضهم أن له بذلك التكذيب فضيلة^(٥) ، وأن ذلك باب من التوقي ، وجنس من استعظام الكذب ، وأنه لم يكن كذلك إلا من حاق الرغبة^(٦) في الصدق . وبئس الشيء عادة الإقرار والقبول . والحق^(٧) الذي أمر الله تعالى به ورغب فيه ، وحث عليه [أن ننكر من الخبر ضربين : أحدهما ما تناقض واستحال : والآخر ما امتنع في الطبيعة ، وخرج من طاقة الحلقة . فإذا خرج الخبر من هذين البابين ، وجرى عليه] حكم^(٨) الجواز ، فالتدبير^(٩) في ذلك التثبت

(١) التبين : التفهم . وفي ط س : « التبين » ، وتوجيه من ل . و « نسب »

هي في الأصل : « نصيب » ، والوجه ما أثبت . انظر (١ : ٣ س ٤) .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ط ، س : « النفس » .

(٤) ط : « حاله » وأثبت ما في ل ، س .

(٥) ط ، س : « فوائد » .

(٦) حاق الرغبة : شدتها . ط : « حاز الرغبة » وصوابها في ل ، س .

(٧) ط ، س : « أو تبين الشيء معاندة للإقرار وقهراً بالحق و » ، مكان :

« وبئس الشيء » . الخ ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٨) ط ، س : « ذكر » .

(٩) ط ، س : « والترتيب » ، محرفة .

وأن يكون الحقُّ في ذلك هو ضالَّتكَ ، والصدِّق هو بُغيَّتكَ ، كائناً ما كان ، وقَعَ منك بالموافقةِ ، أم وقع منك بالمكروه . ومتى لم تعلم أنَّ ثوابَ الحقِّ وثمرَةَ الصدِّقِ أُجدي عليك من تلك الموافقةِ لم تقَع (١) على أن تعطِيَ التثبِتَ حقَّه .

(تشبيه رماد الأثافي بالحمام)

قال : وهم يصفون الرَّماد الذي بين الأثافي بالحمامةِ ، ويجعلون الأثافي أظناراً لها ، للانحناء الذي في أعالي تلك الأحجار ، ولأنَّها كانت معطَّفاتٍ عليها وحانياتٍ على أولادها . قال ذو الرُّمَّة :

كأنَّ الحمامَ الورقَ في الدَّارِ جَثَّمتِ على خرقٍ بين الأثافي جَوازِلُه (٢)
شبهه الرَّماد بالفراخ قبل أن تنهض . والجثوم في الطير (٣) مثل الرُّبوض في الغنم . وقال الشماخ :

وإرثِ رَمادِ كالحمامةِ مائلٍ ونُويينِ في مَظْلومَتَيْنِ كدَاهِمَا (٤)

(١) ل : « لم تقو » .

(٢) ط : « أجثم » مكان « جثمت » ، وهو تحريف صوابه في ل ، س والديوان ٤٦٥ . وروى في أمال المرتضى ٣ : ١٢١ : « وقمت » . قال المرتضى : « شبه الأثافي بالحمام الورق ، وجعلها ظنوراً لتعطفها على الرماد . وشبه الرماد بفرخ خرق قد سقط ريشه . والجوازل : الفراخ ، واحدها جوزل » .

(٣) ل : « الخيل » ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) إرث رماد : أى أصله . والنوى بالضم : حفيرة تحفر حول الحياء يجعل ترابه حاجزاً لمنع المطر . والمظلومة : الأرض حفرت ولم تكن حفرت قبل ذلك . والسكدي : جمع كدية بالضم ، وهى الأرض الغليظة . والرواية في ديوان الشماخ : « ونويان » . وقبل البيت :

أقامت على ربيهما جارتا صفا كيتا الأعالي جونتنا مصطلاما

وبعده :

أقاما لليلي والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا طلاهما

وقال أبو حنيفة :

[مِنْ الْعَرَصَاتِ غَيْرِ نَحْدٍ نُؤَيِّ كِبَاقِي الْوَحْيِ خُطٌّ عَلَى إِمَامٍ ^(١)
وغيرِ خِوَالِدٍ لُوْحْنٍ حَتَّى بَهْنٌ عَلَامَةٌ مِنْ غَيْرِ شَامٍ] ^(٢)
كَأَنَّ بِهَا حَمَامَاتٍ ثَلَاثًا مَثَلْنَ وَلَمْ يَطْرُنْ مَعَ الْحَمَامِ

وقال العرجي :

وَمَرْبِطُ أَفْرَاسٍ وَخَيْمٌ مُصَرَّعٌ وَهَابٌ كَجُثْمَانِ الْحَمَامَةِ هَامِدٌ ^(٣)

وقال البعيث :

وَسَفْعٌ ثَوَيْنَ الْعَامَ وَالْعَامَ قَبْلَهُ وَسَخَقَ رَمَادٍ كَالنَّصِيفِ مِنَ الْعَصَبِ ^(٤)

(بعض ما قيل من الشعر في نوح الحمام ، وفي بيوتها)

وقالوا في نوح الحمام ، قال جبران العود :

٧٤ واستقبلوا وادياً نوح الحمام به كأنه صوت أنباطٍ مثا كيل ^(٥)

(١) النحد : موضع الخد ، وهو الشق . والوحى : الكتابة . والإمام : الكتاب .

وفي القرآن الكريم : « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » أى كتابهم .

(٢) لوحن : غيرتهن النار . وعنى بالخوالد الأثافي لأنهن ييقين بعد هجرة أصحابهن

ودروس ربوعهم . والشام : جمع شامة ، وهو الأثر الأسود في البدن ، أو الأرض .

(٣) الخيم : أعواد تنصب في القميط وتجعل لها عوارض وتظلل بالشجر فتكون أبرد

من الأخبية . وقبل : هى عيدان يبنى عليها الخيام . والهابي : الرقيق الدقيق المرتفع ،

وأراد به الرماد .

وقبل البيت كما في ديوان العرجي ١١٧ :

فؤادك أن يهتاج لما بدا له . ونوم المغاني والأثافي الرواكد

(٤) النصيف : ماله لوزان . والمصعب : ضرب من البرود اليمنية ، يمصب غزلهما

أى يجمع ويشد ، ثم يصيغ وينسج فيأتى موشياً ، لبقاء ما عصب منه أبيض

لم يأخذه صبيغ .

(٥) ط : « وديا » .

وقالوا في ارتفاع مواضع بيوتها وأعشاشها . قال الأعشى :

ألم تر أن العِرضَ أصبحَ بطنه نخيلاً وزرعاً نابتاً وفصافِصاً^(١)
وذا^(٢) شُرُفاتٍ يقصرُ الطرفُ دونه تَرى للحمام الورقَ فيه قرامِصاً^(٣)
وقال عمرو^(٤) بن الوليد :

فتبدلتُ من مساكنِ قومي والقصورِ التي بها الآطامُ
كلَّ قصرٍ مشيدٍ ذى أواسٍ تتغنى على ذراه الحمام^(٥)
والحمام أيضاً ربما سكن أجواف^(٦) الركايا ، ولا يكون ذلك إلا

للوحشى منها ، وفي البير التي لا تُورَد . قال الشاعر :

بدلو^(٧) غير مُكرَبَةٍ أصابت^(٨) حماماً^(٩) في مساكنه فطاراً
يقول : استقى بسُفرتِه^(١٠) من هذه البئر ، ولم يستقِ بدلوٍ . وهذه
بئر قد سكنها الحمام لأنها لا تُورَدُ .

(١) الفصافص : جمع فصفص أو فصفصة ، بكسر الفاءين من كل منهما ، وهى رطب القت .

(٢) ط ، س : « وذى » .

(٣) القرامص : جمع قرهوص ، بضم القاف ، وهو عش الحمام . وقد حذف ياء
القراميص للشعر .

(٤) ل : « عمر » ، وهو تحريف ما أثبت من ط ، س . وانظر تحقيق السابق
في التنبيه الثانى ص ٢٠٨ حيث تجد ترجمته .

(٥) سبق الكلام فى شرح الشعر وأصله ص ٢٠٨ .

(٦) ط ، ل : « أجواف » جمع جرف ، والمراد به الحفرة فى جدار الركبة .

(٧) ط : « بدلو » وصوابه فى ل ، س .

(٨) كذا فى ل : وهو الصواب . وفى ط : س : « أطابت » . والمكربة :
ذات الكرب بالتحريك ، وهو حبل الدلو .

(٩) ط : « حماما » وهو تطبيع .

(١٠) السفرة : ما يوضع فيه المسافر طعامه ، وأكثر ما يكون ذلك جلدأ مستديراً . ط :
« بملغوة » س : « بملغوة » .

وقال جهم بن خلف^(١) :

وقد هاج شوقى أن تغنت حمامةً مطوّقةً ورقاء تصدحُ في الفجر
 هتوفُ تبكى ساقَ حرٍّ ، ولن ترى لها دَمعةً يوماً على خدِّها تجرى
 تغنتُ^(٢) بلحنٍ فاستجابت لصوتها نوائِحُ بالأصياف^(٣) في فننِ السدرِ^(٤)
 إذا فترتُ كرتُ بلحنٍ شجٍ لها^(٥)
 يهيجُ^(٦) للصبِّ الحزينِ جوى الصّدرِ
 دعتهنَّ مطرابُ العشيّاتِ والضّحى بصوتِ يهيجُ المستهَامَ على الذّكرِ
 فلم أرَ ذا وجدٍ يزيدُ صبايةً عليها، ولا شكلى تبكى على بكرِ^(٧)
 فأسعدتها بالنوحِ كأنما شربنَ سُلَافاً من معتقةِ الحمرِ^(٨)
 تجاوبنَ لحناً في الغصونِ كأنها نوائِحُ ميّتِ يلتدمنَ لدى قبرِ^(٩)
 بسرةٍ وادٍ من تباله مونيقي كسا جانبيه الطلحُ واعتمَّ بالزهرِ^(١٠)

(١) جهم بن خلف المازنى : راوية عالم بالغريب والشعر في زمان خلف والأصمى ، وله شعر في الحشرات والجراح من الطير . الفهرست ٤٧ ليسك ٧٠ مصر . ط ، س : « بن ضابى » وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « فغنت » والأجزل ما أثبت من ط ، س .

(٣) الأصياف : جمع صيف . ط ، س : « بالأصناف » ل : « بالأضياف » وهما تصحيف .

(٤) السدر : شجر النبق . وقد أراد بكلمة « فنن » الأفنان : أى الأغصان ، أطلق المفرد وأراد الجمع وذلك كثير في كلامهم .

(٥) ط ، س : « شجونها » .

(٦) ط ، س : « يهيج » .

(٧) يزيد صباية ، أى تكون صبايته أشد وأعنف من صبايتها . ط ، س : « على وكر » والوجه ما أثبت من ل .

(٨) ل : « فأسعدتها بالهوج » ! وجعلهن قد شربن الحمر لما كان لهن من شدة الصوت ؛ فعل العرييد .

(٩) يلتدمن ، من الالتدام ، وهو ضرب المرأة صدرها في النياحة .

(١٠) تباله : موضع بهلاد اليمن ، حيث الشجر والنضرة . والطلح : شجر عظام . ط ، س : « الزهر » .

(استطراد لغوى)

ويقال : هدر الحمام يهدر . قال : ويقال في الحمام الوحشى من القمارى والفواخيت والدباسى وما أشبه ذلك : قد هدل يهدل هديلاً . فإذا طرب قيل غرد يغرد تغريداً . والتغريد يكون للحمام والإنسان ، وأصله من الطير .
وأمّا أصحابنا فيقولون : إنّ الجمل يهدر ، ولا يكون باللام ، والحمام يهدل ٧٥
وربّما كان بالراء .

وبعضهم يزعم أنّ الهديل من أسماء الحمام الذكر . قال الراعى وأسمه عبيد بن الحصين - :

كهداهد كسر الرّماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلاً^(١)

(ساق حرّ)

وزعم الأصمعى أنّ قوله : « هتوف تبكى ساق حرّ » إنّما هو حكاية صوت وحشى الطير من هذه النواحيات . وبعضهم يزعم أنّ « ساق حرّ » هو الذكر ، وذهب إلى قول الطرمّاح فى تشبيه الرّماة بالحمام ، فقال :
بين أظارٍ بمظلومةٍ كسراةِ السّاقِ ساقِ الحمامِ^(٢)

(١) الهداهد : الهدهد . وقد شبه بذلك الهدهد الذى كسر جناحه ، رجلاً أخذ المصدق إليه . وقبل البيت :

أخذوا حولته فأصبح قاعداً لا يستطيع عن الديار حويلا
يدعو أمير المؤمنين ودونه خرق تجر به الرياح ذيولا
وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها تسعة وثمانون ، ذكر منها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٣١ سلفية) أربعة وعشرين .

(٢) الأظار : الأثافي . والمظلومة : الأرض حفرت فى غير موضع حفر . والسراة : الظهر . ط ، س : « كسرات » تحريف . والساق : الحمام . وقصيدة البيت فى ديوان الطرمّاح ٩٥ - ١١٠ . والبيت فى ص ٩٦ . والقصيدة من بحر المديد يصح فى رويها الإسكان والكسر ، كما فى تكملة الصاغاني .

(صفة فرس)

وقال آخر^(١) يصف فرساً :

يُنْجِيهِ مِنْ مِثْلِ حَمَامٍ^(٢) الْأَغْلَالِ رَفَعُ يَدِ عَجَلِي وَرِجْلِ شِمْلَالِ
* تَنْظُمًا مِنْ تَحْتُ وَتُرْوَى مِنْ عَالٍ^(٣) *

الأغلال^(٤) : جمع غَلَلٍ ، وهو الماء الذي يجري بين ظهري الشجر^(٥)

قال : والمعنى : أن الحمام إذا كان يريد الماء فهو أسرع لها . وقوله : شِمْلَالِ
أى خفيفة .

باب^(٦)

ليس في الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح والشَّيات ، ويكون فيها
المصمّت والبهيمُ أكثرَ ألواناً ، [و] من أصناف التَّحَاسِينِ^(٧) ما يكون
في الحمام ، فما ما يكون أخضرَ مُصمّتا ، [وأحمر مصمّتا] ، وأسودَ

(١) هو دكين الراجز ، كما في اللسان (غلل) .

(٢) يقول : ينجي هذا الفرس من خيل سراع في الغارة كالحمام الواردة . ل :

« حمام » تصحيف .

(٣) تنظماً : أى تكون متوترة ليس فيها رهل ، وذلك محمود في الفرس . وفي الأصل :

« ينظماً » . وتروى : أى يكثر لحمها . من عال : من أعلى .

(٤) قبل هذه الكلمة في ط ، س كلمة : « حمام » وليس يتطلبها الكلام .

(٥) بين ظهري الشجر : وسطه . ومثله بين ظهرائيه .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، وبدلها : « وقال صاحب الحمام » .

(٧) التحاسين : جمع تحسين . وفي ط : « التحاسين » ، وهو تصحيف .

مصمتا ، [وأبيض مصمتا^(١)] ، وضروبا من ذلك ، كلها مصمتة . إلا أن الهداية للخضر والنمر^(٢) . فإذا ابيض الحمام [كالفقيع] فثله من الناس الصقلابي^(٣) ، فإن الصقلابي^(٣) فطير^(٤) خام^(٥) لم تنضجه الأرحام ؛ [إذ كانت الأرحام] في البلاد التي شمسها ضعيفة .

وإن اسود^(٦) الحمام فإنما ذلك احتراق ، ومجازة لحد النضج . ومثل [سود الحمام^(٧)] من الناس الزنج ؛ فإن أرحامهم جاوزت حد الإنضاج إلى الإحراق ، وشيئت^(٨) الشمس شعورهم فتقبضت . والشعر إذا أدنيتَه من النار تجعد ، فإن زدته تفلل^(٩) ، فإن زدته احترق .

وكما أن عقول سودان الناس وحمرانهم دون عقول السمر ، كذلك بيض الحمام وسودها دون الخضر في المعرفة والهداية .

(١) الزيادة من ل ، س . والمراد بالمصمت : الخالص .

(٢) النمر : جمع أنمر ، وهو ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

(٣) كذا جاء . والوجه « صقلابي » ، نسبة إلى صقلاب ، وهو موضع بصقلية ، وآخر بين بلغار والقسطنطينية .

(٤) فطير : لم ينضج . وفي ط : « قطر » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحام : أصل معناه الدبس الذي لم تمسه النار ، وكذلك الجلد لم يدبغ أو لم يبالغ في دبغه ، وهي كلمة معربة . ط ، س : « خاص » تحريف .

(٦) ط : « أسود » وهو خطأ .

(٧) بدل هذه الزيادة المثبتة من ل ، كلمة « به » في ط ، س .

(٨) شيطت : أحرقت . ط : « كشطت » س : « نشطت » تحريف ما أثبت من ل .

(٩) يقال شعر مفلل : شديد الجمودة . في الأصل : « تقلقل » وهو تصحيف .

(استطراد لغوى)

وأصل الخضرة إنما هو لون الرِّيحانِ والبقولِ (١) ، ثمَّ جعلوا بعدُ
الحديدَ أخضرَ ، والسماءَ خضراءَ ، حتَّى سمَّوا بذلك الكحلَّ واللَّيل .
قال الشَّامخُ بنُ ضرارٍ :

٧٦ ورُحْنٌ رَوَاحاً مِنْ زُرُودٍ فَنَازَعَتْ زُبَالَةَ جَلْبَابَا مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَا (٢)
وقال الرَّاجزُ :

حَتَّى انْتَضَاهُ الصُّبْحُ مِنْ لَيْلٍ خَضِرٍ (٣) مثلَ انْتِضَاءِ البَطَلِ السَّيْفِ الذِّكْرُ (٤)
* نَضُو هَوَى بَالٍ عَلَى نِضْوٍ سَفَرٍ (٥) *

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنْ ذُنُوبِهِمَا جَنَّاتٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ . مُذَهَّمَتَانِ ﴾ ، قال : خضروان من الرُّمى سوداوان .
ويقال : إنَّ العِراقَ إنما سمِّيَ سواداً بلون السَّعْفِ الذى فى
النَّخْلِ ، ومائه .

والأسودان : الماء والتمر . والأبيضان : الماء واللبن . والماء (٦)
أسودٌ إذا كان مع التَّمْرِ ، وأبيضٌ إذا كان مع اللَّبَنِ .

(١) ل : « إنما هو للريحان والبقول » .

(٢) بدل هذا البيت جميعه فى ط ، س : « فَنَازَعَتْ جَلْبَابَا مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَا » ، وأثبت
البيت كاملاً من ل . على أن صواب روايته : « وراحت رواحاً » لأنه فى صفة
ناقة واحدة كما فى الديوان ص ٣١ وماقبلها وكما فى رسائل الجاحظ ٧٠ . وزرود :
رمال بين الثعلبية والنزيمية . وزبالة ، بالضم : منزل بطريق مكة من الكوفة .

(٣) الرواية فى رسائل الجاحظ : « حتَّى انْتَضَانِ » .

(٤) السيف الذكْر : الجيد الحديدية الشديدها . ل : « الليل الذكْر » تحريف .

(٥) عن بالنضو البالى : الراكب . وبالنضو الآخر : مركبه من الإبل .

(٦) ل : « فالماء » .

ويقولون : سُودُ البَطُونِ وَحُمْرُ الكُلَى^(١) ، ويقولون : سود الأكبَادِ يريدون العداوة ، وأن الأحقاد قد أحرقت أكبادهم^(٢) . ويقال للحافر أسود البطن ؛ لأنَّ الحافر لا يكون في بطونها شحم^(٣) .

ويقولون : نحن بخيرٍ ما رأينا سواد فلان بين أظهرنا ، يريدون شخصه . وقالوا : بل يريدون ظلَّهُ .

فأما خضِرَ مُحَارِبٍ^(٤) ، فإنما يريدون السُّودَ^(٥) وكذلك : خُضِرَ غَسَّانٍ . ولذلك قال الشاعرُ :

إنَّ الخُضَارِمَةَ الخُضِرَ الَّذِينَ غَدَوْا أَهْلَ البَرِيصِ ثَمَانٍ مِنْهُمْ الحَكَمُ^(٦) .
ومن هذا المعنى قول القرشيِّ^(٧) في مديحِ نفسه :

(١) الكلى : جمع كلية . وفي الأصل : « سود البطن حمر الكلا » ، وذا تحريف وتشويه .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « كالأحقاد أحرقت الأكباد » ، تحريف .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « لأن الحوافر لا يكون في بطونها شحم » .

(٤) هم بنو محارب بن خصفة بن قيس عيلان .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « السود » وليس مراداً ، وجاء في الرسائل ٧٢ ساسي : « وقد فخرت خضر محارب بأنها سود ، والسود عند العرب الخضر » .

(٦) الخضارمة : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء - وهو السيد الحمول . وفي الأصل : « الخُضَلْرمة » وصوابه في رسائل الجاحظ . والبريص ، بالصاد المهملة : اسم نهر دمشق ، حيث تلك الغساسة . وفي الأصل : « البريص » بالضاد المعجمة ، خطأ تصويبه من الرسائل . وفي الرسائل : « نمانى » ، أى ارتفع نسبي إليه .

(٧) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي كما في رسائل الجاحظ ٧١ أو الفضل ابن العباس الهبسي ، كما في الرسائل أيضاً . والكامل ١٤٣ ليبسك ومعجم المرزبانى ٣٠٩ وكنائيات الجرجاني ٥١ والأضداد ٣٣٥ . وهذه الأخيرة هي النسبة الصحيحة . وابن الأنباري في الأضداد يرى أن معنى الخُضْرَة السخاء والمعطاء .

وأنا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجُلْدَةَ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ
وإذا قالوا : فلان أخضر القفا ، فإنما يعنون به أنه قد ولدته سوداء .
وإذا قالوا : فلان أخضر البطن ، فإنما يريدون أنه حائك ، لأنَّ الحائك
بطنه لطول^(١) التزاقه بالحشبة التي يطوى عليها الثوب يسود .

(عداوة العروضي للنظام)

وكان سبب عداوة العروضي^(٢) لإبراهيم النظام ، أنه كان يسميه
الأخضر البطن ، والأسود البطن ؛ فكان يكشفُ بطنه للناس - يريدُ
بذلك تكذيبَ أبي إسحاق - حتى قال له إسماعيل بن غزوان : إنما يريد
أنك من أبناء الحاكمة ! فعاداه لذلك .

(استطراد لغوى)

فإذا قيل أخضر للتواجد ، فإنما يريدون أنه من أهل القرى ، ممن
ياكل السكرات والبصل .
وإذا قيل للثور : خاضب ؛ فإنما يريدون أن البقل قد خضب أظلافه
بالخضرة . وإذا قيل للظلم : خاضب ، فإنما يريدون^(٣) حمرةً وظيفه^(٤)

(١) ل : « لأن بطن الحائك » . والحائك : النساج .
(٢) اسمه عبد الله ، كما ورد في البخلاء ص ٥٥ ، وهو من معاصري الجاحظ .
(٣) كذا في س . وفي ط ، ل : « يرون » .
(٤) الوظيف : مستدق الذراع والساق . ل : « وظيفه » . ط : « وظيفه »
وهذه تحريف .

فإنهما يَحْمَرَانِ فِي الْقَيْظِ ، وَإِذَا قِيلَ لِلرَّجُلِ خَاضِبٌ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ الْحِنَاءَ
فَإِذَا كَانَ خِضَابُهُ بِغَيْرِ الْحِنَاءِ قَالُوا : صَبَّغَ^(١) وَلَا يُقَالُ خَضِبَ .

وَيَقُولُونَ فِي شَبِيهِهِ بِالْبَابِ الْأَوَّلِ : الْأَحْمَرَانِ : الذَّهَبُ وَالزَّرْعَفْرَانُ
وَالْأَبْيَضَانِ : الْمَاءُ وَاللَّبَنُ ، وَالْأَسْوَدَانِ : الْمَاءُ وَالنَّخْرُ .

وَيَقُولُونَ : أَهْلَكَ النَّسَاءُ الْأَحْمَرَانِ^(٢) : الذَّهَبُ وَالزَّرْعَفْرَانُ ، وَأَهْلَكَ
النَّاسَ الْأَحْمَرِ : الذَّهَبُ ، وَالزَّرْعَفْرَانُ ، وَاللَّحْمُ ، وَالْحَمْرُ .
وَالجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَهُمَا الْمُلَوَّانِ^(٣) .

وَالعَصْرُ : الدَّهْرُ ، وَالعَصْرَانُ : صَلَاةُ الْفَجْرِ وَصَلَاةُ الْعِشِيِّ^(٤) ،
وَالعَصْرَانُ : الْغَدَاةُ وَالْعِشِيُّ ، قَالَ الشَّاعِرُ^(٥) :
وَأَمَطْلَهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمْلَأَنِي

وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفِ رَاغِمٌ

(١) ط ، س : « صبغ » وصوابه في ل .

(٢) كذا في ل ، وهو الصواب . وفي ط : « الأحامران » وفي س :
« الأحمر يراد » . وانظر جنى الجنتين للحمبى ١٦ - ١٧ .

(٣) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « لوانان » .

(٤) جاء في الحديث : « حافظ على العصرين » أى صلاة الفجر وصلاة العصر ، وسميا
العصرين لأنهما يقعان في طرفي العصرين ، وهما الليل والنهار . وجاء أيضا تفسيره
في الحديث : « قيل : وما العصران ؟ قال : صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل
غروبها » . وكلمة : « الفجر » هى فى الأصل « العصر » محرفة . و « صلاة
العشى » بدلها فى ط ، س : « العشاء » وهو تحريف أيضا .

(٥) هو عبيد بن الأبرص الأسدى كما فى حماسة البحترى ٤١٥ . وقبله :

ألين إذا لان الغريم والتوى إذا اشتد حتى يدرك الدين قاتل

(٦) روى : « وأنظله » فى أمالى المرتضى (٢ : ٣٨) وهى لغة . وكلمة « راغم »
هى فى ط : « زاغم » وتصحيحه من ل ، س واللسان والأضداد ١٧٥
ومحاضرات الراغب (١ : ٢٢٩) حيث تجد نظائر هذا المعنى .

ويقال : « البائعان بالخيار » وإنما هو البائع والمشتري^(١) ، فدخل
المبتاع في البائع .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَالْأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا
تَرَكَ ﴾ ، دخلت الأم في اسم الأبوة ، كأنهم يجمعون على أُنْبِهِ^(٢) الاسمين
وكقولهم : ثَيْرَيْن^(٣) ، والبَصْرَتَيْن^(٤) . وليس ذلك بالواجب ؛ وقد قالوا :
سيرة العُمَرَيْن ، وأبو بكرٍ فوقَ عمر ، قال الفرزدق :
أَخَذْنَا بَأْفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ
وَأَمَّا قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ :

وليلِ كَجَلْبَابِ العَرُوسِ اَدْرَعْتُهُ بِأَرْبَعَةٍ والشَّخْصُ فِي العَيْنِ وَاحِدٌ^(٥)
فإنه ليس يريد لونَ الجلباب ، ولكنّه يريد سُبُوغَهُ .

(١) ل : « فإنما هو بائع ومشتري » .

(٢) أُنْبِهِ الاسمين : أشهرهما وأعرفهما . وفي ط ، س : « ابنته » وصوابه في ل .

(٣) ثيران : هما ثير وحرأ كما في المزهري (٢ : ١٢٢) ، وهما جبلان متقابلان من
جبال مكة ، وفي ثانيهما الغار المشهور . وبدل ما أثبت من ل في كل من ط ،
س : « كالبحرين والمسلمين والزهديين » .

(٤) البصرتان : البصرة والكوفة ، والأولى أقدم من الثانية .

(٥) ادرعته : لبسته كما يلبس الدرع . وقد فسر ذو الرمة الأربعة التي شخصها واحد
في العين ، أي التي يراها الناظر شخصا واحداً ، بقوله بعده :

أحم علاقي وأبيض صارم وأعيس مهري وأروع ماجد

فالأحم العلاقي ، بكسر العين ، هو الرجل ، والأحم : الأسود . والعلاقي : المنسوب
إلى علاق : رجل من الأزدي صانع للرجال . والأبيض الصارم عنى به سيفه القاطع .
والأعيس : الذي خالط بياضه شقرة . وعنى جملة . والمهري : منسوب إلى مهرة بن
حيدان . والأروع : الذي يعجبك حسنه . وعنى نفسه .

وللشعر حديث في ديوان المماني (٢ : ٣٤٢) والعمدة (٢ : ٢٩)

والصناعتين ٢٢١ .

(جواب أعرابي)

قال : وكذلك قول الأعرابي حين قيل له : بأى شيء تعرف حمل شاتيك ؟ قال : « إذا استفاضت خاصرتها ، ودجت شعرتها^(١) » . فالداجي هاهنا اللابس .

قال الأصمعي ومسعود [بن فيد^(٢)] الفزاري : ألا ترونه يقول : « كان ذلك وثوب الإسلام داج » . وأما لفظ الأصمعي فإنه قال : كان ذلك منذ دجا الإسلام . يعني أنه ألبس كل شيء^(٣) .

(شيات الحمام)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر شيات الحمام .

وزعموا أن الأوصاح كلها ضعف ، قليلها وكثيرها ، إلا أن ذلك بالحصص على قدر الكثرة والقلّة ، كذلك هي في جميع الحيوان سواء مستقبلها ومستدبرها . وذلك ليس بالواجب حتى لا يغادر شيئاً ألبته ؛ لأن الكلبة السلوقية البيضاء أكرم وأصيد ، وأصبر من السوداء^(٤) . والبياض في الناس على ضروب : فالمعيب منه بياض المغرب^(٥)

(١) انظر ٥ : ٤٨٢ .

(٢) هذه الزيادة المثبتة من ل ، هي في الأصل « قيد » بالتفاد . وصوابه ما أثبت .

(٣) أى قوى وانتشر ، كما في اللسان (دجا) .

(٤) ط ، س : « السواد » ، وصوابه في ل .

(٥) المغرب بضم الميم وفتح الراء : ما كل شيء منه أبيض . ط : « البياض المغرب »

وتصحّحه من ل ، س .

والأشقرُّ والأحمرُّ أقلُّ في الضعفِ والفسادِ ، إذا^(١) كان مشتقاً من بياضِ
البهقِ والبرصِ والبرشِ [والشيبِ] .

والمغربُ عند العرب لا خير فيه ألبتة . والفقيع^(٢) لا يُنجب ، وليس
عنده إلا حسنُ بياضه ، عند من اشتبهى ذلك .

(سوابق الخليل)

وزعم ابن سلام الجُمحى أنه لم يرقطُ بقاءً ولا أبلق [جاء] سابقاً .
وقال الأصمعيّ : لم يسبق الحلبّة أهضم قطُّ ؛ لأنهم يمدحون المُجفّر^(٣) من
الخليل ، كما قال^(٤) :

٧٨ خِيطٌ على زفرةٍ فتمَّ ولم يرجعْ إلى دِقّةٍ ولا هَضَمٍ^(٥)
ويقولون : إنَّ الفرسَ بعُنقِهِ وبطنِهِ .

وخبرني بعض أصحابنا ، أنه رأى فرساً للمأمون بقاءً سبقتِ الحلبّة .
وهذه نادرةٌ غريبة .

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : : « وإذا » .

(٢) الفقيع : الأبيض من الحمام .

(٣) المجفّر ، بضم الميم وفتح الفاء : الواسع الجفرة باضم ، وهي وسط الفرس .

(٤) هو النابغة الجعدي ، كما في أدب السكاتب ٨٩ والاعتصاب ٣٣٠ .

(٥) يقول : كأنه زفر زفرة امتلاً جوفه بها ثم خيط على ذلك فلم تلحقه دقة ولا هضم .

والهضم (بالتحريك) : استقامة الضلوع وانضمام أعالي البطن . وهذا البيت ساقط

من ل . وقد أصلحته من اللسان والمصدرين السابقين . وهو في ط : س

محرف هكذا :

(نِظَافَةُ الْحَمَامِ وَنَفْعُ ذُرْقِهِ)

والحمام طائر أوفٌ مألوفٌ ومحَبَّبٌ ، موصوفٌ بالنِّظَافَةِ ، حتى إنَّ ذُرْقَهُ لا يعافُ (١) ولا تنن له ، كسُلَاحٍ (٢) الدَّجَاجِ والدَّيَّكَةِ . وقد يُعالجُ بذُرْقِهِ صاحبُ الحِصَاةِ . والفَلَّاحُونَ يجدون فيه أكثرَ المنافعِ . والخبَّازُ يُلْقِي الشَّيْءَ مِنْهُ فِي الخَمِيرِ لِيَنْتَفِخَ العَجِينُ ويعظُمَ الرغيفُ ، ثمَّ لا يَسْتَبِينُ ذلكَ فيه . ولذُرْقُهُ غَلَاتٌ ، يعرفُ ذلكَ أصحابُ الحِجَرِ . وهو يصلُحُ في بَعْضِ وُجُوهِ الدَّبْنِغِ .

بَابُ (٣)

[وقال صاحبُ الدَّيِّكِ] : الحمامُ طائرٌ لثيمٌ قاسى القلبِ ، وإنَّ برَّ بزَعْمِكُمْ (٤) ولدَ غَيْرِهِ ، وصنَعَ بِهِ كما يصنعُ بفرخه ؛ وذلكَ أَنَّهُما يَحْضَنَانِ كُلُّ بَيْضٍ ، وَيَزُقَّانِ كُلُّ فَرخٍ ، وما ذاكَ مِنْهُمَا إِلَّا فِي الفَرَطِ .

(لَوْمُ الْحَمَامِ)

فَأَمَّا لَوْمُهُ فَمِنْ (٥) طَرِيقِ الغَيْرَةِ ، فَإِنَّهُ يَرى بَعِينَهُ الذَّكَرَ الَّذِي هُوَ أضعفُ مِنْهُ ، وَهُوَ يَطْرُدُ أَنشَاءَهُ وَيَكسَحُ بِذَنبِهِ حَوْلَهَا ، وَيَتَطَوَّسُ (٦) لَهَا

(١) لا يعاف : لا يكره .

(٢) السُّلَاحُ ، بالضم : النِّجْوُ .

(٣) ليست في ل .

(٤) كذا في ط ، س . وفي ل : « وإن برعم ببره » ، وليس يستقيم هذا .

(٥) كذا في ل . وبدلها في ط س : « في » وأثبت الصواب .

(٦) التطوس : التزين . ويراد به هنا إبداء المحاسن في الشكل والحركة .

ويستميلها ، وهو يرى ذلك بعينه - ثم لم نر قط ذكراً واثباً ذكراً عند مثل ذلك .

فإذا قلت : إنه يشتد عليه ويمنعه إذا جثمت^(١) له وأراد أن يعلوها ؛ فكل ذكر وأنثى هنالك يفعل ذلك ، وليس ذلك من الذكر الغريب من طريق الغيرة ، ولكنه ضرب من البخل ومن النفاسة^(٢) . وإذا لم يكن من ذكرها إلا مثل ما يكون من جميع الحمام علم أن ذلك منه ليس من طريق الغيرة . [وأنا رأيت النواهض تفعل ذلك ، وتقطع على الذكر بعد أن يعلو على الأنثى] .

قال : وأما ما ذكرتم من أن الحمام معطوف على فراخه ما دامت محتاجة إلى الزق ، فإذا استغنت نزعته منها الرحمة ، فليس ذلك كما قلتم . الحمام طائر ليس له عهد ؛ وذلك أن الذكر ربما كانت معه الأنثى السنين ، ثم تنقل عنه وتوارى [عنه] شهراً واحداً ، ثم تظهر له مع زوج أضعف منه ، فيراها طول دهره وهي إلى جنب بيته وتماريد^(٣) فكانه لا يعرفها بعد معرفتها الدهر الطويل^(٤) ، وإنما غابت عنه الأيام اليسيرة . فليس يوجه^(٥) ذلك الجهل الذي يُعامل به فراخه بعد أن كبرت ، إلا على

(١) جثمت : لزمتم مكانها أو وقعت على صدرها . وبدلها في ط : « اجتمعت » .

(٢) النفاسة ، هنا ، من نفس عليه ، بكسر الفاء : حسده ، أو لم يره أهلاً .

(٣) التماريد : جمع تماراد بالكسر ، وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه . ط : « وبمرآه » . س : « بمرداته » وهذه محرفة .

(٤) ل : « بعد معرفة » . ل : س : « العمر الطويل » .

(٥) كذا الصواب في ل ، س . وفي ط : « يوجد » .

الغباوة وسوء الذكر ، وأن الفرخ حين استوى ريشه وأشبهه غيره من الحمام
جهل الفصل (١) الذي بينهما .

٧٩ فإن كان يعرف أنثاه وهو يجدها مع ذكرٍ ضعيف وهو مسلمٌ لذلك
وقائعٌ به ، وقليلُ الاكترات به ، فهو من لؤمٍ في أصل الطبيعة .

(قسوة الحمام)

قال : وبابٌ آخر من لؤمه : القسوة ، وهي الأمُّ اللؤمُ ؛ وذلك أن الذكر
ربما كان في البيت طائرٌ ذكرٌ قد اشتدَّ ضعفه ، فينقرُّ رأسه والآخرُ
مستخذٍ (٢) له ، قد أمكَّنه من رأسه خاضعاً له ، شديدَ الاستسلام لأمره ،
فلا هو يرحمه لضعفه وعجزه عنه ، ولا هو يرحمه لخضوعه ، ولا هو يميلُ (٣)
وليس له عنده وتر . ثمَّ ينقرُّ بأفوخه حتى ينقبَ عنه ، ثمَّ لا يزال ينقرُّ
ذلك المكانَ بعدَ النَّقْبِ حتى يُخْرِجَ دِمَاغَهُ فيموتَ بين يديه :

فلو كان ممَّا يأكل اللحمَ واشتهى الدماغَ كان ذلك له عذراً ؛ إذ لم
يَعُدْ ما طَبَعَ اللهُ عليه سِبَاعَ الطير .

فإذا رأينا من بعض بهائمِ الطيرِ من القسوةِ ما لا نرى من سِبَاعِ الطيرِ
لم يكن لنا إلا أن نقضىَ عليه من اللؤمِ على حسب مباينته لشكل

(١) الفصل بالصاد المهملة : أى الفرق . ط ، س : « الفضل » وليس بشيء .

(٢) مستخذ ، بالذال : خاضع . س فقط : « مستخز » ، وهو تصحيف .

(٣) ل : « ولا يميل » .

البهيمة ، ويزيد^(١) في ذلك على ما في جوارح الطير من^(٢)
السَّبْعِيَّة .

(أقوال لصاحب الديك في الحمام)

وقال صاحب الديك^(٣) :

زعم أبو الأصبع بن ربيع^(٤) قال : كان رَوْحُ أبو همام صاحب
المعَمَّى ، عند مثنى بن زهير ، فبينما هو يوماً وهو معه في السطح إذ جاء
جماعة فصعدوا . فلم يلبث أن جاء آخرون ، ثمَّ لم يلبث أن جاء مثلهم ، فأقبلَ
عليهم فقال : أيُّ شيءٍ جاء بكم ؟ وما الذي جمَعكم اليوم ؟ قالوا : هذا اليومُ
الذي يرجع فيه مَزَاجيلُ الحمامِ من الغايَةِ . قال : ثمَّ ماذا ؟ قالوا : ثمَّ
نَتَمَتَّعُ بالنَّظَرِ إليها إذا أقبلت . قال : لكِنِّي أتمتُّع بتغميض العين إذا أقبلت ،
وترك النَّظَرَ إليها !! ثمَّ نزل وجلس وحده .

(التلهي بالحمام)

وقال مثنى بن زهير ذات يوم : ما تَلَهَّى النَّاسُ بشيءٍ مثل الحمام ،
ولا وجدنا شيئاً مما يتخذه النَّاسُ ويُلعَبُ بهِ ويُلهَى بهِ ، يخرج من أبواب

(١) ل : « ويزيده » .

(٢) ط ، س : « مثل » وصوابه في ل .

(٣) هذه الجملة ليست في ط ، س . وبدلاً كلمة « باب » .

(٤) ماعدال : « أبو الأصبع بن ربيع » . وانظر ص ١٠٩ .

الهزل إلى أبواب الجِدِّ - كالحمام - وأبو إسحاق^(١) حاضر - فغاظه ذلك ،
وكظم على غيظه . فلمَّا رأى مثنًى سكوته عن الردِّ عليه طمِع فيه فقال :
يبلغُ واللهِ من كرمِ الحمامِ ووفائِهِ ، وثباتِ عهْدِهِ ، وحنينِهِ إلى أهله ، أنِّي
ربَّما قصَّصتُ الطَّائرَ^(٢) بعد أن طارَ عِنْدِي دهرًا ، فتى نبتَ جناحُه
كبناته الأوَّل ، لم يدعُه سوءُ صنعي إليه إلى الذَّهاب عني . ولربَّما بعثه
فيقبصُه المتباعُ حينًا ، فما هو إلَّا أن يجدَ في جناحِهِ قوَّةً على النهوضِ
[حتَّى أراه^(٣)] [أتانى جادفًا أو غير جادف^(٤)] . وربَّما فعلتُ ذلك به مرارًا
كثيرةً ، كلَّ ذلك لايزدادُ إلَّا وفاءً .

٨٠

قال أبو إسحاق : أمَّا أنت فأراك دائبًا تحمده وتدمُّ نفسك . ولئن
كان رجوعُه إليك من الكرمِ إنَّ إخراجك له من اللؤمِ ! وما يُعجبني
من الرِّجال مَنْ يَقطَعُ نفسَه لصلَّةِ طائرٍ ، وينسى ما عليه في جنبِ ماللهيمة .
ثم قال : خبرني عنك حين تقول : رجَعَ إلى مرَّةٍ بعدَ مرَّةٍ ، وكلما زهدتُ
فيه كان فيَّ أرغبَ ، وكلَّما باعدتُه كان لي أطلبُ ؛ إليك جاء ، وإليك حنَّ
أم إلى عَشَّة الذي درج منه ، وإلى وكره الذي رُبِّي فيه ؟ ! أرايت أن لو
رجَعَ إلى وكره وبيته ثمَّ لم يجدك ، وألفاك غائبًا أو ميِّتًا ، أكان يرجعُ
إلى موضعه الذي خلفه ؟ ! وعلى أنك تتعجَّب من هدايته ، وما لك فيه

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام شيخ الجاحظ .

(٢) في الأصل : « قصصت الطائر دهرًا » . وكلمة : « دهرًا » مقحمة بلا ويب .

(٣) ليست بالأصل ، وزدتها تكلمة للكلام .

(٤) جدف الطائر جدوفا : طار وهو مقصوص .

مقالٌ غيره . فأما شكرُك على إرادته لك ، فقد تبينَ خطأؤك^(١) فيه ،
وإنما بقي الآن حسنُ الاهتداء ، والحنينُ إلى الوطن .

(مشابهة هداية الحمام لهداية الرخم)

وقد أجمعوا على أن الرِّخْمَ من لثام الطير وبغائها ، وليست من عتاقها
وأحرارها ، وهى من قواطع الطير ، ومن موضع مَقَطْعِهَا إلينا^(٢) [ثمَّ]
مرجعها إليه من عندنا ، أكثرُ وأطول من مقدارِ أبعدِ غايات حمامكم . فإن
كانتْ وقتَ خُروجها من أوطانها إلينا خرجتْ تقطع الصَّحارىَ والبرارىَ
والجزائرَ والغياضَ والبحارَ والجبالَ ، حتى تصير إلينا فى كلِّ عامٍ فإن قلت
إنها ليست تخرج إلينا على سمتٍ ولا على هدايةٍ ولا دَلالةٍ ، ولا على أمارَةٍ
وعَلامَةٍ ، وإنما هربتْ من الشَّوَجِ والبرِّدِ الشديدِ ، وعلمت أنها تحتاج إلى
الطُّعمِ ، وأنَّ الثلجَ قد ألبس ذلك العالمَ ، فخرجتْ هاربةً فلا تزالُ فى هربها
إلى أن تصادفَ أرضاً خِصْباً^(٣) دفناً ، فتقيم عند أدنى ما تجد — فما تقولُ فيها
عند رجوعها ومعرفتها بانحسارِ الثلوجِ عن بلادها ؟ ! أليست قد اهتدت^(٤)
طريقَ الرُّجوعِ ! ؟ ومعلوم عند أهل تلك الأطراف ، وعند أصحاب التَّجاربِ

(١) الخطاء ، كسحاب ، مثل الخطأ .

(٢) ط ، س : « إلى » ، وصوابه فى ل .

(٣) يقال : أرض خصب وخصبة بكسرهما ، وخصبة بالفتح . بدلها فى ل :

« بيضاء » وليس بشيء .

(٤) يقال هو ويهدى الطريق ويهتدى الطريق بمعنى يعرفه .

وعند القانص ، أن طَيْرَ كُلِّ جِهَةٍ إِذَا قَطَعَتْ رَجَعَتْ إِلَى بِلَادِهَا وَجِبَالِهَا وَأَوْكَارِهَا ، وَإِلَى غِيَاظِهَا وَأَعَشَّتِهَا^(١) . فتجد هذه الصِّفَةَ فِي جَمِيعِ الْقَوَاطِعِ مِنَ الطَّيْرِ ، كِرَامِهَا كُلِّئَامِهَا^(٢) ، وَبِهَاتِمِهَا كِسْبَاعِهَا . ثُمَّ لَا يَكُونُ اهْتِدَاؤُهَا عَلَى تَمْرِينٍ وَتَوَطِينٍ ، وَلَا عَنِ تَدْرِيبٍ وَتَجْرِيْبٍ ، وَلَمْ تَلْقَنَّ^(٣) بِالْتَّعْلِيمِ ، وَلَمْ تَثْبُتْ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّقْوِيمِ . فَالْقَوَاطِعُ لِأَنْفُسِهَا تَصِيرُ إِلَيْنَا ، وَلِأَنْفُسِهَا تَعُودُ إِلَى أَوْكَارِهَا . وَكَذَلِكَ الْأَوَابِدُ مِنَ الْحَمَامِ ، لِأَنْفُسِهَا تَرْجِعُ . وَإِلْفُهَا لِلْوَطَنِ إِلفٌ مُشْتَرَكٌ مَقْسُومٌ عَلَى جَمِيعِ الطَّيْرِ . فَقَدْ بَطَلَ جَمِيعُ مَا ذَكَرْتُ .

(قواطع السمك)

ثم قال: وأعجبٌ من جميع قواطع الطير قواطع السمك، كالأسبور^(٤) والجواف^(٥) والبرستوج^(٦) ، فإنَّ هذه الأنواع تأتي دجلة البصرة من

(١) لم أر هذا الجمع لغير الجاحظ . والمعروف عشاش وعششة وأعشاش .

(٢) ط ، س : « ولثامها » وصوابه ما أثبت من ل .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « ولم تمل » .

(٤) فصيلة الأسبور ، أسماك بحرية مشهورة ، منها المرجان ، والسرغوس ، والسرب والكحلاء ، ونحوها . معجم المملوف ٢٣٢ . ولم أهد إلى ضبطه لأنه ليس من ألفاظ المعاجم المشهورة . وبدل هذه الكلمة في ط ، س : « الأسبور » وبدون إلحاق كاف التشبيه في أوله ، وهو تحريف . وجاء الكلام عليه في عجائب المخلوقات ١١٤ .

(٥) الجواف بالواو ، بوزن غراب ، كما في القاموس : شرب من السمك . وقال صاحب عجائب المخلوقات : « ووصفه مثل وصف الأسبور » . وهذه الكلمة جاءت محرفة في س وعجائب المخلوقات بلفظ « الجراف » . وفي ط بلفظ « الجوان » وصوابه في القاموس و ل .

(٦) البرستوج ، هو في القاموس : « البرشتوك كسفنقور : سمك بحري » قلت : هو =

٨٦ أقصى البحار ، تستعذبُ الماء في ذلك الإبتان ، كأنها ، تتحمّضُ بحلاوة الماء
وعذوبتته ، بعدَ مُلوحةِ البحر ؛ كما تتحمّضُ الإبلُ فتطلب الحمضَ - وهو
ملحٌ - بَعْدَ الخَلَّة - وهو ماحلا وعذب .

(طلب الأسد للملح)

والأسدُ إذا أَكَّأَتْ مِنْ حَسْرِ الدَّمَاءِ - والدَّمَاءُ حلوةٌ - وأَكَلَ اللَّحْمَ
واللَّحْمُ حلوٌ - طلبتِ المِلْحَ لتَمْلِحَ^(١) به ، وتجعله كالحمض بعد الخَلَّة .
ولولا حُسْنُ مَوْقِعِ المِلْحِ لم يُدْخِلْهُ النَّاسُ فِي أَكْثَرِ طَعَامِهِمْ .
والأَسَدُ يخرج للملح ، فَلَا يَزَالُ يَسِيرُ حَتَّى يَجِدَ مَلَّاحَةً^(٢) . وربّما
اعتاد الأَسَدُ مَكَانًا فيجده ممنوعًا ، فَلَا يَزَالُ يَقْطَعُ الفَرَاسِخَ الكَثِيرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ^(٣)
فإذا تَمَلَّحَ رَجَعَ^(٤) إِلَى مَوْضِعِهِ وَغَيْضَتِهِ وَعَرِينِهِ ، وَغَابَهُ وَعَرِيَّتَهُ^(٥) ، وَإِنْ
كَانَ الَّذِي قَطَعَ خَمْسِينَ فَرَسَخًا .

= معرب « پرستوك » ، وهو لفظ فارسي معناه الخطاف واحد الخطاطيف ،
ولعل سبب تسميته بذلك أنه يشبه الخطاف في أذنه من القواطع كما أن الخطاف
من القواطع . وفي عجائب المخلوقات ١١٤ : « وحاله كحال الخطاطيف
وغيرها من الطيور ينتقل من مكان إلى مكان » . « وذكر البحريون أن البرستوج
في الوقت الذي يوجد في البصرة لا يوجد بالزنج ، وفي الوقت الذي يوجد
في الزنج لا يوجد في البصرة » . ط : « البرستوج » تصحيف .

- (١) كذا في ل . وفي ط ، س : « تستملح » .
- (٢) الملاحه : منبت الملح أى معدنه . وأفعال هذه الجملة في س مبدوءة بالتاء ، فتقرأ
« الأسد » بهذه جمعاً ، أى بضم الهمزة وإسكان السين .
- (٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « وبعد ذلك » والواو مقحمة .
- (٤) س : « عاد » .
- (٥) الغاب : جمع غابة ، وهى الأجمة . والأوفق في هذه الكلمة أن تكون « وغابته » =

(مجيء قواطع السمك إلى البصرة)

ونحن بالبصرة نعرف الأشهر التي يقبل إلينا فيها هذه الأصناف^(١) وهي تقبلُ مرتين في كلِّ سنة ، ثمَّ نجدُها في إحداهما أسمنَ^(٢) الجنس فيقيم كلُّ جنس منها عندنا شهرين إلى ثلاثة أشهر ، فإذا مضى ذلك الأجلُ ، وانقضتُ عِدَّةُ^(٣) ذلك الجنسِ ، أقبل^(٤) الجنسُ الآخر . فهم^(٥) في جميع أقسام شهور السنَّة من الشتاء والربيع ، والصَّيفِ والخريف ، في نوعٍ من السمك غيرِ النوع الآخر . إلا أن البرستوج^(٦) يُقبِلُ إلينا قاطعاً من بلاد الزنج^(٧) ، يستعذب الماء من دجلة البصرة ، يعرفُ ذلك جميعُ الزنج والبحريين .

= بالإفراد ليتساق الكلام ، ولكن هكذا وردت في ل . وفي ط ، س : « محرابه » ، وهو تحريف ظاهر . والعريسة ، بكسر العين وتشديد الراء المكسورة : مأوى الأسد ، ومثلها « العريس » بالضبط المتقدم ، وجاءت بهذه في ط ، س .

(١) كذا في ل . وبدل الكلمتين الأخيرتين في ط ، س : « الأشبور وأصناف السمك » ، وكلمة « الأشبور » مصحفة سبق الكلام فيها ص ٢٥٩ .

(٢) بد هذا اللفظ في ط فقط كلمة « الجنس » ، وليس لها وجه .

(٣) عدته أى عدد أيامه . وفي الكتاب العزيز : « ولتكلوا العدة » ط ، س : « مدة » .

(٤) ط : « قبل » صوابه في ل ، س .

(٥) فهم : أى فاهل البصرة . س « فيهم » تحريف .

(٦) ط : « البرسبوج » ، وهو تصحيف نهبت عليه ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٧) بلاد الزنج ، يراد بها ما يعرف الآن ببلاد الصومال الإيطالي وما جاورها من الجنوب وأكبر بلادهم هي (مقدشو) كما ورد في معجم البلدان برسم (بحر الزنج) . ولا تزال هذه المدينة عامرة إلى وقتنا هذا . وهي عاصمة بلاد الصومال .

(بُعْدُ بِلَادِ الزُّنْجِ وَالصِّينِ عَنِ البَصْرَةِ)

وهم يزعمون أنّ الذي بين البصرة والزنج ، أبعدُ مما بين الصّين وبينها^(١)

ولأنما غلط ناسٌ فزعموا أنّ الصّين أبعد ، لأن بحرَ الزنج^(٢) حفرةٌ واحدة عميقة^(٣) واسعة ، وأمواجها عظام ، ولذلك البحرُ ريحٌ تهبُّ من عُمانَ إلى جهة الزنج شهرين ، وريحٌ تهبُّ من بلاد الزنج تريدُ جهة عُمان شهرين ، على مقدّارٍ واخذٍ فيما بين الشدة واللين ، إلا أنّها إلى الشدة أقرب ، فلما كان البحرُ عميقاً والريحُ قويّةً ، والأمواجُ عظيمةً ، وكان الشراعُ لا يحطُّ ، وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس^(٤) ، ولا يعرفون الخبَّ والمكلاً^(٥) ، صارت الأيامُ التي تسير فيها السفنُ إلى الزنجِ أقل .

(١) أي وبين البصرة . ط ، س : « بينهما » ، وصوابه في ل .

(٢) بحر الزنج ، هو الجانب الغربي من المحيط الهندي ، المجاور لبلاد الزنج . وانظر ٢٦١ .

(٣) ل : « عميقة » وصوابه في ط ، س .

(٤) المراد بالوتر الوتر الهندسي ، وهو الخط الذي يصل بين طرفي القوس . والوتر أبداً أقل من قوسه .

(٥) الخب ، بالكسر : اضطراب أمواج البحر . والمكلاً ، كمعظم : المرفأ .

يقول : لا يضطرب بهم الموج فيلجئهم إلى الرسو بجوار الساحل . ط : س :

« الجيب الميل » ، وهما على الصواب الذي أثبت في ل .

(البرستوج)

قال : والبرستوج^(١) سمكٌ يقطعُ أمواجَ الماء ، ويسبح^(٢) إلى البصرة من الزنج ، ثم يعودُ مفضلَ عن صيدِ الناسِ إلى بلاده وبجره . وذلك أبعدُ مما بين البصرة إلى العليق^(٣) المرارَ الكثيرة . وهم [لا]^(٤) يصيدون من البحرِ فيما بين البصرة إلى الزنج^(٥) من البرستوج^(٦) شيئاً [إلا] في إبانِ مجيئها إلينا ورجوعِها عنّا^(٧) ، وإلا فالبحرُ منها فارغٌ خالٍ .
فعامة الطيرِ أعجبُ من حمامكم ، وعامةُ السمكِ أعجبُ من الطيرِ .

(هداية السمك والحمام)

والطيرُ ذو جناحين ، يخلقُ في الهواء ، فله سرعةُ الدركِ وبلوغُ الغاية بالطيران^(٨) ، وله إدراكُ العالمِ بما فيهِ بعلاماتِ وأمارات^(٩) إذا هو ٨٢

(١) ط : « والبرستوج » وصوابه في ل ، س . وانظر التحقيق في ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) كذا في ل ، ط . وفي س : « يسبح » بالوحدة .

(٣) كذا في ل ، وانظر ماسبق في ص ٢١٥ . ط : « العين » س : « العلين » .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) في ط فقط بعد هذه الكلمة : « ولا نرى » .

(٦) ط : « البرستوج » وهو تصحيف انظر له ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٧) ل : « عنها » تحريف .

(٨) ط ، س : « والطيران » .

(٩) ل : « بعلاماته وأماراته » .

حَلَقَ (١) فِي الْهَوَاءِ ، وَعَلَا (٢) فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ . وَالسَّمَكَةُ تَسْبِجُ فِي غَمْرِ الْبَحْرِ
وَالْمَاءِ (٣) ، وَلَا تَسْبِجُ فِي أَعْلَاهُ . وَنَسِيمُ الْهَوَاءِ الَّذِي (٤) يَعِيشُ بِهِ الطَّيْرُ لَوْ
دَامَ عَلَى السَّمَكِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ لَقَتَلَهُ (٥)

وَقَالَ أَبُو الْعَنْبَرِ (٦) : قَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ الرَّاجِزُ (٧) وَذَكَرَ السَّمَكُ :

تَغْمُهُ النَّشْرَةُ (٨) وَالنَّسِيمُ فَلَا يَزَالُ مُغْرَقًا (٩) يَعْوَمُ
فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ لَهُ تَخْمِيمٌ (١٠) وَأُمُّهُ الْوَالِدَةُ الرَّءُومُ
* تَلْهَمُهُ جَهْلًا وَمَا يَرِيمُ *

(١) تحليق الطائر : ارتفاعه في طيرانه . ل : « تحلق » : ولم أجد هذه إلا في تحلق

القمر : صارت حوله دواراً ، وتحلق القوم : جلسوا حلقة حلقة .

(٢) علا : ارتفع . ط : « على » تحريف .

(٣) ل : « غمر الماء » . وتجد أني ضبطت « تسبج » من التسبيح ، وهو مراد

الجاحظ ، جاء في نقل الدميري : « قال الجاحظ : السمك يسبح الله في غمر الماء »

وانظر ما نقله عن صفوة الصفوة .

(٤) ط : « والذي » وصوابه في ل ، س والدميري .

(٥) قال الدميري معترضاً : « وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس

على إطلاقه ، فإن الغزالي قد استثنى منه نوعاً لا يضره النسيم فقال : ومن السمك

نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل » .

(٦) ط ، س : « ابن أبي العنبر » ل : « أبو العس » . وجاء في معجم المرزبانى ٥١٣ :

« أبو العنبر بن أبي نخيلة ، ويقال هو أبو العبير » .

(٧) أبو نخيلة الراجز سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٠) . في الأصل : « بن أبي نخيلة

الراجز » ، وقد أبدلته بما ترى .

(٨) ط : « النشرة » وصوابه في ل ، س واللسان (نشر) .

(٩) س : « معرقاً » وتصحيحه من ط ، ل واللسان .

(١٠) ط ، س والدميري : « حميم » ، وصوابه في ل واللسان .

يقول : النشرة والنسيم الذي يُجبي جميع الحيوانات ، إذا طال عليه
الْحُمُومُ^(١) وَاللَّخْنُ وَالْعَفْنُ ، والرُّطوباتُ الغليظة ، فذلك يغمُّ السَّمَكُ
ويكربُّه ، وأمه التي ولدته تأكله ؛ لأنَّ السَّمَكَ يأكلُ بعضه بعضاً ، وهو
في ذلك لا يَرِيمُ هذا الموضع^(٢) .

وقال رؤبة^(٣) :

والحوت^(٤) لا يكفيه شيءٌ يلهمه ^{يُصْبِحُ عَطْشَانَ} وفي الماء فقه^(٥)
يصف طباعه واتصاله بالماء ، وأنه شديد الحاجة إليه ، وإن كان
غرقاً [فيه^(٦)] أبداً .

(١) الحُموم : العفن . ط ، س : « الحُموم » وتصحيحه من ل واللسان .

(٢) رام الموضع يريمه : تركه .

(٣) في محاضرات الراغب (١ : ٣٠٤) نسبة للرجز إلى جرير والصواب ما هنا .
والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة أولها كما في ديوانه ١٤٩ ، وشرح شواهد المغني ١٢٠ :

* قلت لوزير لم تصله مريمه *

(٤) الرواية الصحيحة : « كالحوت » . انظر المحاضرات وشرح شواهد المغني . وقد
روى البكري الأرجوزة في أراجيز العرب ١٣٩ - ١٥٥ . وقبل هذا البيت :

* أنك لم يخطى به ترسمه *

يعنى نفسه . ويخاطب أبا جعفر المنصور مادحاً .

(٥) استشهد به ابن سيده في المخصص (١ : ١٣٦) على أنه اضطر فقال « فه » وقال :
« وهذا الإبدال إنما هو في الأفراد » ، أي إبدال عين الكلمة بميم ، وكان ينبغي
أن يقول : « فوه » ، ولا يصح النطق بكلمة « فم » إلا حين أفرادها
عن الإضافة . قال البكري : « يقول : إنه لا يروى حتى يلقى الممدوح » .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(شعر في الهجاء)

وأشدني محمد بن يسير لبعض المدنيين^(١) ، يهجو رجلا ، وهو قوله :
لو رأى في السقف فرجاً لنزاً حتى يموتاً^(٢)
أو رآه وسط بحرٍ صار فيه الدهر حوتاً^(٣)
قال : يقول في الغوص في البحر ، وفي طول اللبث فيه .^(٤)

(شعر في الضفدع)

وقال الذكواني ، وهو يصف الضفدع :
يُدخل في الأشداق^(٥) ماءً ينصفه كما^(٦) ينق والنقيق يُتلفه
قال : يقول : الضفدع لا يصبوت ، ولا يتهياً له ذلك حتى يكون في فيه
ماء ، وإذا أراد ذلك أدخل فكه الأسفل في الماء ، وترك الأعلى حتى
يبلغ الماء نصفه .

(١) الصواب أن الشعر لأبي نواس ، وليس في هجاء رجل ، بل في غرض آخر .
انظر الكنايات للجرجاني ٣٧ ومعاهد التنصيص (١ : ٣٤) وأخبار
أبي نواس ٣٥ .

(٢) نزاً : وثب . وفي الأصل : « لنزاً » وصوابه في أخبار أبي نواس . وفي المعاهد :
« لنزى » تحريف كتابي . وفي الكنايات : « لرق » .

(٣) ل : « صار للتغطاط » ، وصوابها « للتعاظ » . المعاهد : « صار للإنعاظ » .

(٤) هذا التفسير ساقط من ل .

(٥) في الأصل « الأشدق » ، ولم أر هذا الجمع ، وأثبت ما في الديري وعيون الأخبار
(٢ : ٩٧) .

(٦) ط ، س : « كما » ، تحريف . وانظر ٥ : ٥٣٢ .

والمثل الذى يَتَمَثَّلُ بِهِ النَّاسُ : « فلانٌ لا يستطيعُ أن يُجيبَ خُصومَهُ
لأنَّ فاهُ مَلانُ ماءً » . وقال شاعرُهُمْ^(١) :

وما نسيت مكان الأمريكِ بذا يامن هويتُ ولكن في في ماء^(٢)
ولئنما جعلوا ذلك مثلاً^(٣) ، حينَ وجدوا الإنسانَ إذا كان في فمه ماءً
على الحقيقة لم يَسْتَطِعْ^(٤) الكلام . فهو تأويلُ قولِ الذَّكوانى :

* يُدخِلُ في الأشداقِ ماءً يَنصُفُهُ *

بفتح الياء وضمَّ الصاد ، فإنه ذهبَ إلى قولِ الشاعرِ^(٥) :

وكنْتُ إذا جارى دَعَا لمضوفةٍ أشمُّ حتى يَنصُفَ السَّاقَ مِزْرَى^(٦) ٨٣
[المضوفة : الأمر الذى يشفقُ منه] .

وكقول الآخر^(٧) :

* فَإِنَّ الظَّنَّ يَنصُفُ أو يَزِيدُ *

وهذا ليس من الإنصاف الذى هو العَدْلُ ، ولئنما هو من بلوغِ
نِصْفِ السَّاقِ .

(١) هو أبو نواس من أبيات في الديوان ٣٥٩ .

(٢) كذا في ط ، س . وفي ل : « بذا * من الوشاة » . وفي الديوان : « وما جهلت
مكان لا شريك به * من الوشاة » .

(٣) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « مثله » .

(٤) ط : « يستطيع » ، وهو خطأ .

(٥) هو أبو جنذب الهذلي ، كما في اللسان (نصف) .

(٦) تكلم في هذا البيت ابن الأنباري في الأضداد ١١٣ وابن سيده في المحصن
(١٢ : ١٢٥) والبغدادى في الخزانة (٣ : ٣٢١ بولاق) .

(٧) هو أبو الفضة قاتل أحر بن شيطان ، كما سبق في ٦٥ . وصدده :

* فإلا يأتكم خبر يقين *

وأما قوله :

* كما^(١) ينقّ والنَّقِيقُ يُتَلَفُهُ *

فإنه ذهبَ إلى قول الشاعر^(٢) :

ضفادِعُ في ظِلماءِ ليلٍ تجاوبتُ فَدَلَّ عَلَيَّهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ البَحْرِ

(معرفة العرب والأعراب بالحيوان)

وقلَّ معنى سَمِعناهُ في باب مَعْرِفَةِ الحيوان من الفلاسفة ، وقرأناه في كتبِ الأطباءِ والمتكلمين - إِلَّا ونحنُ قد وجدناه^(٣) [أو] قريبا منه في أشعارِ العربِ والأعرابِ ، وفي^(٤) معرفةِ أهلِ لَعَننا ومِلَّتنا . ولولا أن يطولَ الكتابُ لذكرتُ ذلكَ أجمع^(٥) . وعلى أني قد تركتُ تفسيرَ أشعارٍ كثيرةٍ ، وشواهدِ عديدة^(٦) مما لا يعرفه إِلَّا الرَّأْيَةُ النُّحْرِيرُ^(٧) ؛ من خوفِ التطويلِ .

(١) ط ، س : « كما » ، وصوابه في ل .

(٢) هو الأخطل كما في البيان (١ : ٢٧٠) والحيوان (٥ : ١٥٤) . وللبيت قصة

طريقة في العقده (٢ : ١٤) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٩٩) والكنائيات ٧٢ .

(٣) ط ، س : « وجدنا » .

(٤) ل : « في » والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) ط ، س : « لذكرت لك الجميع » .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « مع شواهد كثيرة » .

(٧) النحرير : الحاذق الفطن البصير بكل شيء . ط ، س : « إلا الرواة للتحرز »

تحريف ما أثبت من ل .

(حمام النساء وحمام الفراخ)

وقال أفليمون^(١) صاحبُ الفِراسة : اجعل حمامَ النساءِ المسرُولاتِ العِظامَ الحِسانَ ، ذواتِ الاختيالِ والتَّبَخترِ والهديرِ ؛ واجعل حمامَ الفِراخِ ذواتِ الأنسابِ الشريفة^(٢) والأعراقِ الكريمة ، فإنَّ الفِراخَ إنما تكبَّرَ عن حُسنِ التعهّدِ ، ونظافةِ القراميصِ^(٣) والبُروجِ . واتَّخِذْ لهنَّ بيتاً محفوراً على خِلقةِ الصَّومعةِ ، محفوفاً من أسفله^(٤) إلى مقدارِ ثُلثي حِيطانه بالتماريد^(٥) ، ولتكنَّ واسعةً وليكن بينها حِجاز^(٦) . وأجودُ ذلك أن تكونَ تماريدها محفورةً في الحائطِ^(٧) على ذلك المثل ، وتعهّد البُرجَ بالكُنس والرَّشَّ^(٨) [في زمان الرشِّ] ، وليكن مخرُجُهنَّ من كَوِّ^(٩) في أعلى

(١) ط ، س : « أفليمون » بالقاف ، تصحيف ما في ل .

(٢) ط ، س : « من غير ذوات الأنساب » وكلمة « غير » تفسد الكلام . ولفظ « الشريفة » ساقط من ل .

(٣) القرموص : العش يبيض فيه الحمام . قال الأب أنستاس ماري : هي يونانية بلا أدنى ريب ، من : Kheramos,ou ومعناه الحفرة والأفحوص والقلت والوجار وهي مشتقة من فعل أصله عندهم Kha .

(٤) ط ، س : « أوله » .

(٥) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير في بيت الحمام لميوضه .

(٦) حجاز ، بالكسر : حاجز . ط فقط : « أحجاز » وهو تحريف .

(٧) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « والحائط » .

(٨) ل : « بالكسح » وهو بمعنى الكنس . وكلمة « الرش » هي في ط : « الريش » وصوابها في ل ، س .

(٩) الكو : الحرق في الحائط ، ومثله الكوة بضم الكاف وفتحها ، جمعه كوي وكواء . ط : « من كون » ولا يستقيم الجمع مع سياق الكلام .

الصَّوْمَعَةُ ، وليكن مقتصدًا في السَّعَةِ والضَّيِّقِ ، بقدر ما يدخل منه ويخرج [مند] الواحد [بعد الواحد] . وإن استطعتَ أن يكونَ البيتُ بقُربِ مزرعةٍ فافعلْ . فإن أعجزَكَ المنسوبُ منها فالتمسْ ذلك بالفِرَاسَةِ التي لا تُخطئُ .
وقلِّمًا يُخطئُ المتفرِّسُ .

قال : وليس كلُّ الهدى^(١) تقوى على الرجعة من حيثُ أرسلتُ ؛ لأنَّ منها ما تفضل قوتُهُ على هدايته ، ومنها البطيء وإن كان قويًّا ، ومنها السَّريع وإن كان ضعيفًا ، على قدر الحنين والاعتزام^(٢) . ولا بدَّ لجميعها من الصَّرامةِ ، ومن التَّعليمِ أوَّلًا والتَّوطينِ آخِرًا .

(انتخاب الحمام)

وقال : جماع الفِرَاسَةِ لا يخرج^(٣) من أربعة أوجه : أوَّلها التقطين ، والثاني المحبسة ، والثالث الشمائل ، والرابع^(٤) الحركة .

فالتقطيع : انتصاب العنق والحلقة ، واستدارة الرأس من غير عظمٍ ولا صيغرٍ ، مع عظم القرطمتين^(٥) ، واتساع المنخرين ، وانهرات الشدقين

(١) الهدى سبق الكلام عليها في (٢ : ٧٩) . ط ، س : « وقال ليس » الخ .

(٢) ط ، س : « على قدر التحقيق والاعتزام » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الجماع ، كرمان : مجتمع أصل الشيء . ط ، س : « جميع الفِرَاسَةِ لا يخرج »

(٤) في الأصح : « والرابعة » وهو خطأ . وفي س أيضاً : « والثانية » « والثالثة » وليس بشيء .

(٥) القرطمتان بكسر القاف والطاء : نقطتان على أصل منقار الحمامة .

وهذان من أعلام الكرم في الخيل ؛ للاسترواح^(١) وغير ذلك . ثم حُسْنُ
 ٨٤ خِلْقَةِ العَيْنين ، وقِصْرُ المنقار في غير دِقَّة^(٢) ثم اتساع الصدر وامتلاء
 الجَوْجُو ، وطول العنق ، وإشراف المنكبين ، وطول القوادم في غير إفراط ،
 ولحوق بعض الخوافي ببعض ، وصلابة العصب^(٣) في غير انتفاخ ولا يبس
 واجتماع الخلق في^(٤) غير الجعودة والكزازة ، وعظم الفخذين ، وقصر
 الساقين والوظيفين ، [وافتراق^(٥) الأصابع] ، وقصر الذنب وخِفَّتِه ، من
 غير تفنين وتفريق^(٦) . ثم توقُّد الحذقتين ، وصفاء اللون . فهذه أعلام
 الفِراسة في التقطيع .

وأما أعلام المجسة ، فوثاقة الخلق ، وشدة اللحم ، ومثانة العصب ،
 وصلابة القصب ، ولين الريش في غير رِقَّة^(٧) وصلابة المنقار
 في غير دقة .

وأما أعلام الشمائل ، فقلة الاختيال ، وصفاء البصر^(٨) وثبات النظر

(١) الاسترواح : التشمم . ل : « وهذان من أعلام الكرم في الاسترواح » تحريف .

(٢) ط ، س : « رقة » بالراء . وأثبت ما في ل ونهاية الأرب ١٠ : ٢٧٠
 والمخصص ٨ : ١٧٠ .

(٣) ط ، س : « القصب » وتصحيحه من ل ونهاية الأرب .

(٤) ل : « من » .

(٥) في الأصل - وهو هنا ل - : « اقتدار » وتصحيحه من نهاية الأرب .

(٦) التفنين أصله في الثوب أن يبلى فيتنزز بمضه من بعض . ل : « تفنين » وأثبت
 صوابه من ط ، س : والمصدرين السابقين .

(٧) في الأصل : « دقة » بالبدال ، وأثبت ما في المخصص والنهاية .

(٨) ط ، س : « البطن » وصوابه من ل والمرجمين السابقين .

وشدة الحذر ، وحسنُ التَّلَفْتِ (١) ، وقلةُ الرَعْدَةِ عندَ الفزَعِ ، وخفَّةُ النَّهْوِضِ إذا طار ، وَتَرْكُ المِبادِرَةِ إذا أَعَطَّ .

وأما أعلام الحركةِ ، فالطيرانُ (٢) في علوٍّ ، ومدُّ العُنُقِ في سُمُوٍّ ، وقلةُ الاضطرابِ في جوِّ السماءِ ، وضمُّ الجناحينِ في الهواءِ (٣) ، وتَدَافُعُ الركضِ في غيرِ اختلاطِ ، وحُسْنُ القَصْدِ في غيرِ دَوْرَانٍ ، وشِدَّةُ المدِّ في الطيرانِ . فإذا أصبته جَامِعاً لهذه الخصالِ (٤) فهو الطائرُ السَّامِلُ . وإلا فبقدر ما فيه من المحاسنِ تكون هدايته وفراسته .

(أدواء الحمام وعلاجها)

قال : فاعلموا أنَّ الحمامَ من الطيرِ الرقيقِ ، الذي تُسْرِعُ إليه الآفةُ ، وتَعْرُوهُ الأدويةُ (٥) ، وطبيعتهُ الحرارةُ واليُبْسُ . وأكثرُ أدوائهِ الخنَّانُ والسكبادُ ، والعطاشُ ، والسلُ ، والقملُ (٦) . فهوَ يحتاجُ إلى المسكانِ الباردِ

(١) في الأصل : « التقلب » وهو تحريف عجيب ، صوابه في المخصص والنهاية . وقد زاد المخصص في أعلام المحسة خصالا أخرى كثيرة فانظرها .

(٢) س : « فبالطيران » تحريف .

(٣) في الأصل : « في جو السماء » ، فيكون تكراراً ركيكاً . وأثبت مافي المخصص والنهاية .

(٤) ل : « الصفة » . المخصص والنهاية : « الصفات » .

(٥) ل : « تعتوره » .

(٦) الخنَّان : داء في الحلق . والسكباد ، كفراب : وجع السكيد . والعطاش ، كفراب أيضاً وبالشين المعجمة : داء لا يروى صاحبه . وهى في ط ، س : « العطاس » مصحفة . والقمل ، بالتحريك : كثرة القمل .

والنَّظِيفُ ، وإلى الحبوبِ الباردةِ كالعَدَسِ والماشِ^(١) والشَّعِيرِ المنخولِ .
والقُرْطُمُ له بمنزلة اللحم للإنسان ؛ لما فيه من قوَّة الدَّسَمِ .

فمَّا يُعالَجُ به الكَبَادُ : الزَّعْفَرانُ والسكرُ الطَّبْرَزْدُ^(٢) ، وماءُ الهِنْدِبا ،
يجعلُ في سُكَّرَجَةٍ^(٣) ، ثمَّ يُوجِرُ^(٤) ذلك أو يمجِّجُ في حلقه مجًّا وهو
على الرِّيقِ .

ومَّا يعالجُ به الخنَّانُ أنْ يلبِّنَ لسانه يوماً أو يومين بدهنِ البنفسجِ ،
ثمَّ بالرَّمَادِ والملحِ ، يُدَلِّكُ بها^(٥) حتَّى تنسلخَ الجلدة العليا^(٦) التي غشيت
لسانه^(٧) . ثمَّ يطلى بعسلِ ودُّهنِ ورد^(٨) ، حتَّى يبرأ .

ومَّا يعالجُ به السَّلُّ أنْ يُطعمَ الماشَ المقشورَ ، ويمجِّجُ في حلقه من
الأبنِ الحليبِ ، ويُقطِّعَ من وظيفيهِ عِرْقانَ ظاهرانِ في أسفل ذلك ، ممَّا
يلي المفصل [من باطن] .

(١) الماش : حب صغير أخضر اللون براق له عين كعين اللوبيا ، وشجرته كشجرة
اللوبيا . المعتمد ٣٢٦ .

(٢) السكر الطبرزد : الأبيض الصلب ، معرب تبرزد ، تبر بمعنى الفأس ، وزد بمعنى
ضرب ، لأنه كان يدقق بالفأس . الألفاظ الفارسية ١١١ . ط : « والطبرزد »
تحريف .

(٣) السكرجة : الإناء الصغير . وأكثر ما يوضح فيه الكوامخ ونحوها .

(٤) يوجر ذلك : أى يصب في حلقه ليبلعه . ط : « يوجر » ، تحريف .

(٥) عيون الأخبار : « هما » .

(٦) ط : « الجلدة العليا » ، وصوابه في ل ، س و عيون الأخبار ٢ : ٩١ .

(٧) ط ، س : « عشت على لسانه » ، وتصحيحه من ل و عيون الأخبار .

(٨) كذا في ل : و عيون الأخبار . وفي ط ، س : « الورد » .

ومَّا يَعَالَجُ بِهِ الْقَمَلَ أَنْ يُطْلَى أَصُولُ رِيشِهِ بِالزَّبَقِ الْمَحْلَلِ^(١) بَدَهْنِ
الْبِنْفَسِجِ ، يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَسْقُطَ قَلْبُهُ ؛ وَيُكْنَسُ مَكَانَهُ
الَّذِي يَكُونُ فِيهِ كَنْسًا نَظِيفًا .

(تعليم الحمام وتدريبه)

وقال : اعلم أن الحمام والطير كلها لا يصلح التغمير^(٢) به من البعد .
وهدايته على قدر التعليم ، وعلى قدر التوطين . فأول ذلك أن يخرج إلى^(٣)
ظهر سطح يعلو عليه ، ويُنصب عليه علم يعرفه ، ويكون طيرانه لا يجاوز
محلته ، وأن يكون علفه^(٤) بالغداة والعشي ، يُلقى له فوق ذلك السطح ، قريباً
من علمه المنسوب له ، حتى يألف المكان ويتعود الرجوع إليه . ولكن

(١) في مفاتيح العلوم ١٤٩ : « التحليل أن تجمل المنعقدات مثل الماء » . وهذه
الكلمة جاءت في ل : « المنحل » . وجاء في عيون الأخبار : « ودواء
القمل أن تطل أصول ريشه بالزنبق المخلوط بدهن البنفسج » . وكلمة « الزنبق »
مجرفة صوابها « الزئبق » كما ورد في النسخة الألمانية من عيون الأخبار ، يؤيد
ذلك ماورد في المعتمد ١٢٨ في الكلام على الزئبق : « وإذا قتل كان جيداً
للجرب والقمل » ، وما جاء في تذكرة داود في الكلام عليه أيضاً : « ويقتل القمل
إذا جعل في الزيت والحناء ودهن به » .

(٢) التغمير : مصدر غمر به تغميراً : دفعه وأرسله .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأول ذلك أن يخرج على » ، وما أثبت أشبه .

(٤) العلف ، أصله طعام الدواب ، ولم يعهد استعماله للطير . ل : « غلفه » تصحيف ،

كما أن كلمة « أن » ساقطة من ل .

لَيَنْظُرُ^(١) مِنْ أَىِّ شَيْءٍ يَتَّخِذُ الْعِلْمَ ؟ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَسْوَدَ ، وَلَا يَكُونَ شَيْئاً تَرَاهُ مِنَ الْبُعْدِ أَسْوَدَ . وَكَلِمَا^(٢) كَانَ أَعْظَمَ كَانَ أَدَلَّ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَطِيرَهُ وَزَوْجَتَهُ مَعاً ، وَلَكِنْ يَنْتَفِئُ أَحَدُهُمَا وَيَطِيرُ الْآخَرَ ، وَيُخْرِجَانِ إِلَى السَّطْحِ جَمِيعاً ، ثُمَّ يَطِيرُ الْوَافِي الْجَنَاحِ ؛ فَإِنَّهُ يَنْزِعُ إِلَى زَوْجَتِهِ . وَإِذَا عَرَفَ الْمَسْكَانَ ، وَدَارَ^(٣) وَرَجَعَ ، وَالْفَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، وَنَبَتَ رَيْشُ الْآخَرِ ، صُنِعَ بِهِ كَذَلِكَ .

وَأَجُودُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُخْرِجَا إِلَى السَّطْحِ وَهُمَا مَقْصُوصَانِ ، حَتَّى يَأْلِفَا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، ثُمَّ يَطِيرَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ صَاحِبِهِ ، وَيُصْنَعُ بِالثَّانِي كَمَا صُنِعَ بِالْأَوَّلِ .

وَمَا أَشْبَهَ قَوْلَهُ هَذَا بِقَوْلِ مَاسْرَجِيهِ ؛ فَإِنَّهُ وَصَفَ فِي كِتَابِهِ ، طِبَاعَ جَمِيعِ الْأَلْبَانِ ، وَشَرِبَهَا لِلدَّوَاءِ^(٤) ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الصِّفَةِ قَالَ : وَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ حَالَ^(٥) الْأَلْبَانِ فِي أَنْفُسِهَا ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى مَنْ يَسْقِيكَ اللَّبْنَ ؛ فَإِنَّكَ بَدِئاً^(٦) تَحْتَاجُ إِلَى تَنْظِيفِ جَوْفِكَ^(٧) ، وَتَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ عِلَّتِكَ مِنْ قَدْرِ اللَّبَنِ ، وَجِنْسِ عِلَّتِكَ مِنْ جِنْسِ اللَّبَنِ^(٨) .

(١) ط ، س : « ينظر » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَكَلِمَا » وَهُوَ خَطَأً .

(٣) ط ، س : « وَدَارَهُ » ، وَوَجْهَهُ فِي ل .

(٤) الْمُرَادُ بِكَامَةِ : « الدَّوَاءُ » التَّدَاوَى .

(٥) ل : « وَوَصَفْتُ لِلرِّجَالِ » ، تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط ، س .

(٦) بَدِئاً : أَىُّ أَوَّلًا . ل : « بَدِئاً » . ط : « أَبْدَأُ » وَهَذِهِ مَحْرَفَةٌ تَفْسِدُ الْمَعْنَى .

(٧) ط ، س : « ثَوْبِكَ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٨) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ عِلَّتِكَ مِنْ جِنْسِ اللَّبَنِ ، وَجِنْسِ اللَّبَنِ مِنْ جِنْسِ عِلَّتِكَ » .

(حوار مع نَجَّار)

ومثل ذلك قول نَجَّارٍ كان عندي ، دعوته لتعليقِ بابِ ثَمِينِ كَرِيمٍ
فقلت له : إنَّ إِحْكَامَ تَعْلِيقِ البَابِ شَدِيدٌ ، ولا يَحْسَنُه من مائةِ نَجَّارٍ نَجَّارٌ
واحد . وقد يُذَكَّرُ بِالْحَذَقِ فِي نِجَارَةِ السَّقُوفِ^(١) والقِبابِ ، وهو لا يَكْمُلُ
لتعليقِ^(٢) بابٍ على تَمَامِ الإِحْكَامِ [فيه . والسَّقُوفُ] ، والقِبابِ عند
العامةِ أصعب :

ولهذا أمثال : فمن ذلك أن الغلام والجارية يشويان الجدى والحمل
ويحكان الشيء^(٣) ، وهما لا يحكان شيئا جنب . ومن لا علم له يظن أن شيئا
البعض أهون من شيء الجميع !

فقال لي : قد أحسنت حين أعلمتني أنك تُبصِرُ العمل ، فإن معرفتي
بمعرفتك تمنعني من التشفيق^(٤) . فعَلَّمْتَهُ فَأَحْكَمَ تَعْلِيقَهُ ؛ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي
حَلَقَةٌ لَوْجِهِ البَابِ إِذَا أَرَدْتُ إِصْفَاقَهُ ، فقلت له : أكره أن أحبسك^(٥) إلى

(١) ط ، س : « السيوف » ، وهو تحريف .

(٢) تعليق الباب : نصبه وتركيبه ، كما في اللسان . ط ، س : « لا يكمل تعليق »
وما أثبت من ل أجزل .

(٣) ط ، س : « وهما يحكان الشيء » وأثبت ما في ل .

(٤) كذا في ل ؛ بالفاء ثم القاف بينهما ياء . وهو من شقق النسيج الملحفة تشفيقا : جعلها
شققا - بالتحريك - في النسيج . وشقق النسيج : رديته . وفي ط ، س :
« التشقيق » بقافين بينهما ياء ، وليس بشيء . وفيهما أيضا : « تمنع » .

(٥) ل : « أكره حبسك » ط ، س : « أكره أن أجلسك » ، وجعلت
القول كما ترى .

أن يذهب الغلامُ إلى السوق ويرجع . ولكن انقبُ لي موضعها^(١) . فلما ثقبهُ وأخذ حقه ولأنى ظهره للانصراف ، والتفت إلى فقال : قد جودتُ الثقب ، ولكن انظرُ أيُّ نجارٍ يدقُّ فيه الزرَّة^(٢) ؛ فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شقَّ الباب - [والشق عيب] - فعلمتُ أنه يفهمُ صناعتهُ فهماً تاماً .

(قص الحمام ونتفه)

وبعض الناس إذا أراد أن يعلمَ زوجاً قصَّهما ولم ينتفهما^(٣) . وبين النتفِ والقصِّ بونٌ بعيد . والقصُّ [كثير القصِّ] لا يُوجعُ ولا يُقرِّحُ مغاززَ قصب الرِّيش^(٤) ، والنتفُ يوهن المنكبين^(٥) . فإذا نتفَ الطائرُ مراراً لم يقوَ على الغاية ، ولم يزلْ واهنَ المنكبين . ومتى أبطأ^(٦) عليه فنتفه وقد جفت أصوله وقربت من الطَّرح كان أهونَ عليه ، وكلما كان النباتُ أطراً^(٧) كان أضراً ٨٦

(١) كذا في ط . وفي ل : « موضعه » تحريف ؛ فالضمير عائد إلى الحلقة . س : « في موضعها » .

(٢) في الأصل : « الرزة » . وجاء في لسان العرب (زرر) : « ويقال للحديدة التي تجمل فيها الحلقة التي تضرب على وجه الباب لإصفاقه : الزرة ، قاله عمرو بن بحر » .

(٣) كذا في ط ، س ، وهو الصواب . وفي ل : « إذا أراد أن يلقى زوجاً يعلبهما كتفهما » .

(٤) بدل هذا في ط ، س : « لا يرجع بالنتف » ، تحريف ونقص ظاهر .

(٥) ط ، س : « لا يوهن المنكبين » ، وهو عكس المعنى المراد لاجرم .

(٦) في الأصل : « أخطأ » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٧) أطراً : من الطروء ، وهو ظهور الشيء فجأة . وفي ل : « أطرا » بدون هز =

عليه . وإنه ليبلغ من مضرته ، أن الذكّر لا يجيدُ الإلقاحَ ، والأنثى لا تجيدُ القبول . وربما نتفت الأنثى وقد احتشت بيضاً ، وقد قاربت أن تبيضَ ، فتبطئُ بعدَ وقتها الأيامَ ؛ وربما أضرَّ ذلك بالبيض .

(زجل الحمام)

قال : وإذا بلغ الثاني مبلغ الأول في استواء الريش ، والاهتداء إلى العلم ، طيراً جميعاً ، ومُنعا من الاستقرار ؛ إلا أن يظن بهما الإعياء والكلال . ثم يُوطن^(١) لهما المزاجلُ برّاً وبحراً ، من حيث يبصران إذا هما ارتفعا في [الهواء] السمتَ ونفسَ العلم ، وأقاصى ما كانا يريانِه^(٢) منها عند التباعد في الدورانِ والجولانِ . فإذا رجعا من ذلك المكانِ مرّاتٍ زُجلا^(٣) من أبعَدَ منه . وقد كانوا مرّةً يعجبهم أن يزجلوا من جميع التوطينات ، مالم تبعُدْ ، مرتين [مرتين] - فلا يزالان كذلك حتى يبلغا الغاية ، ويكون أحدهما محتسباً إذا أرسل صاحبه ؛ ليتذكّره فيرجعَ إليه . فإن^(٤) خيفَ عليه أن

= من طرا يطرو طروا بالمعنى المتقدم ، أو من طرى كفرح : أى صار طريا غضا .

وتكون صواب كتابة ما في ل : « أطرى » .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وتوطن » .

(٢) ط ، س : « يريا » وصوابه في ل .

(٣) زجلا : أى أرسل على بعد . ط ، س : « رجعا » ، وهو تحريف ما في ل .

(٤) ط ، س : « وإن » .

يكون قد ملَّ زوجته ، عرضت عليه زوجةً أخرى [قبل الزَّجل] ؛ فإذا تسنَّها^(١) مرَّةً حِيلَ بينه وبينها يومه ذلك ، ثمَّ عرضوها عليه قبل أن يُحمَلَ^(٢) ، فإذا أطاف^(٣) بها مُحِّتٌ عنه ، ثمَّ حَمَلَ إلى الزَّجل ؛ فإنَّ ذلك أسرع له .

وقال : اعلموا أنَّ أشدَّ المَزَاجِ ما قَلَّتْ أعلامُه ، كالصَّحارى والبحار .

قال : والطيْرُ تختلفُ في الطَّباعِ اختلافاً شديداً : فمنها القويُّ ، ومنها الضعيفُ ، ومنها البطيءُ ، ومنها السريعُ ، ومنها الذَّهولُ ، ومنها الذَّكورُ ومنها القليلُ الصَّبْرِ على العطشِ ، ومنها الصَّبورُ . وذلك لا يخفى فيهنَّ عند التَّعليمِ والتَّوطينِ ، في سرعة الإجابة والإبطاء . فلا تَبْعِدَنَّ^(٤) غاية الضَّعيفِ والذَّهولِ والقَليلِ الصَّبْرِ على العطشِ ، ولا تزجَلَنَّ ما كان منشؤه في بلاد الحرِّ في بلاد البَرْدِ ، ولا ما كان منشؤه في بلاد البَرْدِ في بلاد الحرِّ ؛ إلَّا ما كان بعد الاعتیاد . ولا يصبرُ على طول الطيران في غير هوائه [وأجوائه طائرٌ] إلا بطولِ الإقامةِ في ذلك المسكانِ ، ولا تستوى حاله وحالُ من لا يَعدُو هوائه^(٥) والهوائُ الذى يقربُ من طِباعِ هوائه .

(١) تسنَّها : علاها . وفى ل : « تجنَّها » ، وهى صحيحة وبمعنى الأولى . ومنه

الحديث « فلزمها حتى تجنَّها » .

(٢) أى يحمل على الزجل . ل : « يمل » س : « تحمل » وهما تحريف ما فى ط .

(٣) أطاف بها : قاربها . ط ، س : « طاف » بمعنى دار . وما أثبت من ل أشبه .

(٤) ط : « تبعدون » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى س : « يفسدو دواء » و ط :

« يفسدو دواء » .

(تعليم الحمام ورود الماء)

قال : ولا بدَّ أن يُعَلَّمَ الورودَ ، فإذا أَرَدتَ به ذلك فأورِده العيونَ والغُدْرانَ والأنهارَ ، ثمَّ حُلِّ (١) بينه وبين النَّظْرِ إلى الماء ، حتى تكفَّ بصره بأصابعك عن جهة الماء واتَّساع المورِد ، إلَّا بقدر ما كان يشربُ فيه من المساقى ، ثمَّ أوسِعْ له إذا عَبَّ قليلاً بقدر ما لا يرُوءه ذلك المنظر (٢) وليكن معطَّشاً ؛ فإنه أجدرُ أن يشرب . تفعُلُ به ذلك مراراً ، ثمَّ تفسحُ له المنظرَ أوَّلاً أوَّلاً ، حتَّى لا يُنكر ما هو فيه . فلا تزالُ به حتَّى يعتادَ الشُّربَ بغيرِ سترة (٣) .

(امتثنامه وامتيحاشه)

قال : واعلم أنَّ الحمامَ الأهلَى الذى عايشَ النَّاسَ ، وشربَ من المساقى ٨٧ ولَقَطَ فى البيوتِ يَخْتَلُّ (٤) بالوَحدة ، وَيَسْتَوْحِشُ (٥) بالْغُربة .

(١) ط : « خل » وهو عكس المعنى المراد . وأثبت ما فى ل ، س .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « النظر » . وفى س أيضاً : « يردعه » مكان : « يروى » وهو تحريف .

(٣) كذا فى ط ، س ؛ وهى صحيحة . والسترة ، بالضم ، بمعنى الستارة ، وهو ما يستر به . وفى ل : « ستر » .

(٤) يَخْتَلُّ : يضمف . ط ، س : « بخيل » ، تصحيف ما فى ل .

(٥) ط ، س : « ومستوحش » ، صوابه فى ل .

قال : واعلم أنّ الوحشَ يستأنس ، والأهلى يستوحش^(١) .
قال : واعلم أنّه ينسى التأديبَ إذا أهملَ ، كما يتأدّب بعد الإهمال .

(ترتيب الزجل)

وإذا زَجَلْتَ فلا مُخْطَرِفَ به^(٢) من نصف الغاية إلى الغاية ، ولكن
رتّب ذلك ؛ فإنّه ربّما اعتادَ المحبىء من ذلك البُعد ، فتمى^(٣) أرسلته من
أقربَ منه تحيّرَ ، وأرادَ أن يبتدىء أمره ابتداءً . وهم اليوم لا يفعلون ذلك ؛
لأنّه إذا بلغ الرقّة أو فوقَ ذلك شيئاً [فقد] صار عُقْدَةً^(٤) ، وصار له ثمنٌ
وغلّة . فهو لا يرى أن يُخاطر بشيءٍ له قدر . ولكنّه إن جاء من هيتَ
أدرب^(٥) [به] ؛ لأنّه إن ذهب لم يذهب شيءٌ له ثمن ، ولا طائرٌ له رياسة ؛

(١) ط ، س : « يستوحش بالغبرة » ، والكلمة الأخيرة مقحمة .

(٢) خطرف : أسرع . ومثله « تخطرف » . وفى ل : « تتخطرف » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وإن » .

(٤) العقدة ، أصلها : الضيعة والعقار الذى اعتقده صاحبه ملكاً .

(٥) هيت ، بالكسر : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار . وبدلها فى

ط ، س : « حيث » ، وهو تحريف . و « أدرب » هو من أدرب القوم : إذا

دخلوا الدرب . والدرب هنا كل مدخل إلى بلاد الروم ، وإلى تلك الدورب كان

يزجل الحمام من البصرة . يريد أنه متى عرف منه الهداية من المكان القريب

أمكن أن يزجل إلى المكان البعيد . جاء فى ط ، س : « درب » . وهو

نقص وتشويه صوابه فى ل .

وليس له اسم ولا ذكر ؛ وإن جاء جاء شيء كبير وخطير^(١) ، وإن جاء من الغاية فَمَقْدُ حَوَى به ملسكاً . على هذا [هم] اليوم^(٢) .
 وقال : لا ترسل الزَّاق^(٣) حتى تستأنف [به] . الرياضة^(٤) ولا تدعْ ماتِعِدُّه للزَّجال^(٥) أن يحصن بيضاً ، ولا يجثم عليه ، فإن ذلك مما ينقضه^(٦) ويفتِّحه^(٧) ، ويعظم له رأسه ، لأنه عند ذلك يسمن وتكثر رطوبته ، فتتذفُّ الحرارة تلك الرطوبة الحادة العارضة إلى رأسه ، فإن ثقب^(٨) البيضَ وزقَّ وحضن ، احتجبت إلى تضميره واستئناف^(٩) سياسته . ولكن إن بدأ لك أن تستفرخه^(١٠) فانقلُ بيضه إلى غيره ، بعد أن تعلّمه بعلامة تعرفه بها إذا انصدع .

-
- (١) خطير : ذو خطر وشرف . ل : « فإن ذهب ذهب شيء ليس له كبير خطر » ، فيكون تكراراً لما سبق . والوجه ما أثبت من ط ، س .
 (٢) ط : « على هذا اليوم » س : « على هذا هو اليوم » . ل : « على هداهم اليوم » وصحته بما ترى .
 (٣) الزاق : الذي يزق فراخه ، أى يطعمها بمنقاره . ط ، س : « المزاق » وليس لها وجه هنا . والوجه ما أثبت من ل .
 (٤) ط ، س : « حتى تستأنف الرياضة له » .
 (٥) للزجال : للزجل . وجاء في ل : « للزجل » .
 (٦) ينقضه : بمعنى يضعف قوته . ط ، س : « ينقضه » وليست من لغة الجاحظ .
 (٧) كذا في ل . وهو بمعنى يسمنه . روى عن ابن السكيت : ناقة مفاتيح ، وأينق مفاتيح : صبان . وفي ط ، س : « يقبحه » ولست أثبتها .
 (٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « ثقب » وهما بمعنى .
 (٩) ل : « استينان » وليس بشيء .
 (١٠) تستفرخه : تطلب منه الفراخ ، يقال : استفرخ الحمام : اتخذها للفراخ . ط ، س : « تستفرغه » وصوابه في ل .

(علاج الحمام الفزع)

وإن أصاب الحمام أيضاً فزَعٌ ودُعْرٌ ؛ عن طلب شيء من الجوارح له ، فَإِيَّاك أن تُعِيدَهُ إلى الزَّجَلِ حتَّى ترضمه وتستفرخه^(١) ؛ فَإِن ذلك الدُّعْرَ لا يفارقه ولا يسكن حتى تستأنف به التَّوطين .

(طريقة امتلاك كثار الحمام)

وإن أردت أن تستكثرَ من الفِراخِ فاعزِلِ الذُّكُورَةَ عن الإناث شهراً أو نحوَه ، حتى يصول بعضها على بعض ، ثم اجمعَ بينها ؛ فَإِن بيضا سيكثرُ ويقلُّ سَقَطُهُ ومُرُوقُهُ . وكذلك كلُّ أرضٍ أثرت ، وكذلك الحِيَالُ^(٢) لما كان من الحيوان حائلاً . قال الأعشى :

مِنْ سَرَاةِ الْهَيْجَانِ صَلَّبَهَا اللَّهُ ضُرَّ وَرَعَى الْحِمَى وَطُولُ الْحِيَالِ^(٣)

(١) . ترضمه ، هكذا وردت في ط ، س . وفي القاموس : « رضمت الطير : ثبتت » فلعلها بمعنى تثبته وتقره . وبدلها في ل : « تريجه » . و « تستفرخه » هي في ط ، س : « تستفرغه » . وانظر التنبيه الأخير من الصفحة السابقة .

(٢) الحِيَالُ : مصدر حالت الناقة تحيل : لم تحمل . ل : « وكذلك الحِيَالُ من الحيوان » .

(٣) يقول : هي من خيار الإبل البيض ، قد شددها رعى الغصن — بضم العين ، وهو النوى المرضوخ ، أو القنت — وكذلك رعيها في الحمى — وهو مكان في نجد — وخلوها من الحمل زمناً طويلاً . وكلمة « الغصن » هي في الأصل : « العرض » محرفة ، وصوابها في ديوانه ٦ والمعلقات بشرح الزوزني ١٨٨ وكذا في اللسان (مادى : غصن ، حيل) .

وقال الحارث بن عبادٍ وجعل ذلك مثلاً :

قَرَّبًا مَرَبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتُ حَرْبٌ وائِلٌ عَن حِيَالٍ (١)

(حديث أقليمون عن نفع الحمام)

وقال أقليمون (٢) صاحب الفراسة ، لصاحبه : وأنا محدثك عن نفع الحمام بحديث يزيدك رغبة فيها : وذلك أن ملكين طلب أحدهما ملكاً صاحبه ، وكان المطلوب أكثر مالا وأقل رجلاً ، وأخصب بلاداً ، وكانت بينهما مسافة من الأرض بعيدة ، فلما بلغه ذلك دعا خاصته فشاورهم في أمره وشكا إليهم خوفه على ملكه ، فقال له بعضهم : دامت لك أيها الملك السلامة ، ووُقيت المسكروه ! إن الذي تآقت له نفسك قد يُحتال له باليسير من الطمع ، وليس من شأن العاقل التَّغْرِيرُ ، وليس بعد المناجزة بقيّة ، والمناجز لا يدري لمن تكون الغلبة ، والتمسك بالثقة خير من الإقدام على الغرر .

(١) النعامة : فرس الحارث بن عباد . وعنى بحرب وائل تلك الحروب السكيرة التي كانت أبداً مشتعلة بين ابني وائل وهما تغلب وبكر . وقد قال الحارث الشعر الآتي لما قتل ابنه بجير ، قتله مهلهل التغلبي ، فلما قالوا له : إن ابنك قتل ! قال : إن ابني لأعظم قتيل بركة ؛ إذ أصلح الله به بين ابني وائل . فقيل له : إنه لما قتل قال مهلهل : يؤ بشسع نعل كليب ! فعند ذلك أدخل الحارث يده في الحرب . وقال الشعر . انظر الكامل ٣٧١ لبيسك والعقد (٣ : ٣٥٢) . واليوم الذي شهدته الحارث بن عباد البكري هو (يوم قضة) . انظر خبره في العقد ومعجم البلدان .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « أقليمون » وهو تصحيف .

وقال بعضهم : دام لك العزُّ ، ومُدَّ لك في البقاء ! ليسَ في الذُّلِّ ذرْكُ
ولا في الرِّضا بالضمِّ بقِيَّة ، فالرَّأىُ اتِّخاذُ الحصون وإذكاءُ العيونِ ،
والاستعدادُ للقتال ؛ فإنَّ الموتَ في عزٍّ خيرٌ من الحياة في ذلٍّ (١) ! .

وقال بعضهم : وُقِيَتْ وكُفِّيَتْ ، وأُعْطِيَتْ فَضْلَ المزيْدِ ! الرَّأىُ طلبُ
المصاهرة له (٢) والخِطْبَةُ إليه ؛ فإنَّ الصهرَ سببُ ألفةٍ تقعُ به الحُرْمَةُ ، وتثبت
بِهِ المودَّةُ ، وَيَحُلُّ به صاحِبُهُ المحلَّ الأدنى (٣) . ومنْ حلَّ من صاحبه هذا
المحلَّ لم يخلِّه مما عراه (٤) ، ولم يمتنع من مناوأة من ناواه (٥) . فالتمس خِلَطَتَهُ ؛ فَإِنَّهُ
ليسَ بَعْدَ الخِلَطَةِ عداوَةٌ ، ولا مع الشَّرْكَه مبايَنَةٌ !

فقال لهم (٦) الملك : كلُّ قد أشارَ برأىٍ ، ولكلُّ مدَّة ، وأنا ناظِرٌ
في قولِكُمْ ، وبالله العِصْمَةُ ، وبشكره تمَّ النعمة . وأظْهَرَ الخِطْبَةَ إلى الملكِ
الذي فوقه ، وأرسل رُسلًا ، وأهدى هدايا ، وأمرهم بمصانعةِ جميعِ مَنْ يَصِلُ
إليه ، ودسَّ رجالًا من ثقاتِهِ ، وأمرهم باتِّخاذِ الحمامِ في بلاده وتوطِينِهِمْ
واتِّخاذِ أيضاً عندَ نفسه مثلَهُمْ ، فرَفَعَهُمْ من غايَةٍ إلى غايَةٍ . فجعلَ هؤلاءِ
يرسلون من بلادِ صاحبِهِمْ ، وجعلَ مَنْ عندَ الملكِ يرسلون من بلادِ (٧)

(١) ل : « فإن المحاماة عن العز خير من الحياة في ذل » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « الرأى أن تطلب مصاهرته » .

(٣) ط ، س : « محل الأولياء » .

(٤) عراه : اعتراه . والمراد أنه يخبره بكل ما يعروه ويطلعه على دخيلته . ط :

« لم يخل مما عراه » س : « لم يخل مما عراه » وأثبت ما في ل .

(٥) كذا في ل . وناواه : تسهيل ناواه . والمناوأة : المعاداة . ط ، س :

« ولم يمتنع منه بشيء امتنع منه » .

(٦) في الأصل : « له » . والوجه ما أثبت .

(٧) كذا في ل . وهو ما تقتضيه المقابلة . وفي ط ، س : « عند » .

الملك ، وأمرهم^(١) بمكاتبتيه بخبر كل يوم ، وتعليق الكتب في أصول
أجنحة الحمام^(٢) . فصار لا يخفى عليه شيء من أمره . وأطمعه الملك في التزويج
واستفرده^(٣) وطاوله ، وتابع [بين الهدايا ، ودس لحرسه رجالاً يلاطفونهم
حتى صاروا يبيتون بأبوابه معهم . فلما كتب أصحابه إليه بغرتهم وصل الخبر
إليه من يومه ، فسار إليه في جند قد انتخبهم ، حتى إذا كان على ليلة أو بعض
ليلة ، أخذ بمجامع الطُّرُق ، ثم يبيتهم^(٤) ووثب أصحابه من داخل المدينة
وهو وجنده من خارج^(٥) ، ففتحوا الأبواب وقتلوا الملك . وأصبح قد غلب
على تلك المدينة ، وعلى تلك المملكة ، فعظم شأنه ، وأعظمته الملوك ،
وذكر فيهم بالحزم والكيد .

وإنما كان سبب ذلك كله الحمام ! .

-
- (١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « وأمره » .
(٢) هذا الصواب من ل . وفي ط ، س : « في أول أذنان الحمام » ! .
(٣) ل : « استفزة » ط : « استفرة » وصوابه في س . واستفرده : أراد
أرسل إليه رسلاً ، وفي القاموس : « وأفرده : عزله ، وإليه رسولا : جهزه » .
وفي اللسان : « وأفردته : عزلته ، وأفردت إليه رسولا » .
(٤) بيتهم : أوقع بهم ليلاً .
(٥) كذا في ل . وفي ط : « وهو من خارج وجنده » س : « وهو
من الخارج وجنده » .

(حديث آخر له في نفع الحمام)

قال : وأحدّثك عن الحمام أيضاً بحديث آخر في أمر النساء والرجال وما يصاب من اللدّة فيهنّ ، والصّواب في معاملتهنّ . قال : وذلك أنّ رجلاً أتاني مرّةً فشكا إلىّ حاله في فتاةٍ علّقها فتزوّجها^(١) ، وكانت جاريةً [غراً] حسناء ، وكانت بكرأ ذات عقلٍ وحياء ، وكانت غريرةً فيما يحسن^{٨٩} النّساء من استماله أهواء الرجال ، ومن أخذها بنصيبها من لذة النساء فلما دخلَ بها^(٢) امتنعتُ عليه ، ودافعته^(٣) عن نفسها ، فزاولها بكلِّ ضربٍ كان يحسنه من لطفٍ ، وأدخل عليها من نساءه ونساءها من ظنّ^(٤) أنّها تقبلُ منهنّ ، فأعيتهنّ ، حتى همّ^(٥) برفضها مع شدّة وجده بها ، فأتاني فشكا ذلك إلىّ مرّةً ، فأمرته أن يُفردّها ويخلّيها من الناس ، فلا يصلَ إليها أحدٌ ، وأن يُضعفَ لها الكرامة في اللّطف والإقامة لما يصلحها من مطعمٍ ومشربٍ وملبسٍ وطيبٍ وغير ذلك ، مما تلهو به امرأة^(٦) وتُعجبُ به ، وأن يجعلَ خادِمها أعجميّةً لا تفهمُ عنها ، وهي في ذلك عاقلة ، ولا تفهمُها إلّا

(١) ل : « فزوجوه إياها » .

(٢) ط ، س : « عليها » .

(٣) ل : « ودفعته » .

(٤) ط ، س : « يظن » .

(٥) كذا في ل . أى عزم على ذلك . وفي ط ، س : « اهتم » ، أى أحزنه رفضها إياه .

(٦) كذا في س ، وفيه جزالة . وفي ط ، ل : « تلهو المرأة به » .

بالإيماء^(١) ؛ حتى^(٢) تستوحش^(٣) إليها وإلى كل من يصل^(٤) إليها من النساء
 [و^(٥)] حتى تشتهي^(٦) أن تجد^(٧) من يراجعها الكلام وتشكو إليه وحشة
 الوحدة ، وأن يدخل عليها أزواجاً من الحمام ، ذوات^(٨) صورة حسنة ،
 وتخيّل وهدير^(٩) فيصير^(١٠) هنّ في بيت نظيف ، ويجعل هنّ في البيت تماريد^(١١)
 وبين يدي البيت حجرة نظيفة ، ويفتح لها من بيتها باباً فيصرن نصب
 عينها فتلهو بهن وتنظر إليهنّ ، ويجعل دخوله^(١٢) عليها في اليوم دفعة
 لا يزيدا^(١٣) فيه على النظر إلى تلك^(١٤) الحمام ، والتسلى بهنّ ، والاستدعاء
 هنّ إلى الهدير ساعة ، ثم يخرج^(١٥) ، فإنها لاتلبث أن تتفكر في صنعهنّ
 إذا رأت حالهنّ ؛ فإن الطبيعة لاتلبث حتى تحرّكها ، ويكون أوفق
 المقاعد لها الدنوّ منهن^(١٦) ، وأغلب الملامى عليها النظر إليهنّ ؛ لأنّ الحواس
 لاتؤدي إلى النفس شيئاً من قبل السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم

(١) ط ، س : « بالإشارة » وهما بمعنى .

(٢) ط ، س : « ولا » وهو خطأ .

(٣) ل : « يقول » .

(٤) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٥) ط ، س : « ذات » .

(٦) التخيل هنا من الخيلاء . وفي ط ، س : « تخيل » ، وهى هنا بمعنى الخلق
 في الاستمالة .

(٧) ط ، س : « ويحمل هنّ » ، وصوابه في ل . والتماريد : جمع تماريد بالكسر
 وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه .

(٨) ط ، س : « وتجميل دخولك » .

(٩) ط ، س : « لا تزيدا » .

(١٠) كذا في ل . وفي ط ، س : « ذلك » وهما صحيحتان . والحمام يذكر ويؤنث .

(١١) ط ، س : « تخرج » .

(١٢) س : « هنّ » .

والهجسة^(١) إلا تحرك من العقل في قبول ذلك أو رده ، والاحتياي في إصابته أو دفعه ، والكراهية^(٢) له أو السرور به بقدر ماحرك النفس منه . فإذا رأيت الغالب عليها الدنوء منهن ، والتأمل لهن ، فأدخل عليها امرأة مجرّبة غزلة تأنس بها ، وتفطنها^(٣) لصنيعهن ، وتعجبها منهن ، وتستميل ففكرتها إليهن ، وتصف لها موقع اللذة على قدر ما ترى من تحريك الشهوة . ثم أخرج المرأة عنها ، وحاول الدنوء منها ، فإن رأيت كراهية^(٤) أمسكت وأعدت المرأة إليها ، فإنها لا تلبث أن تمسكك . فإن فعلت ما تحب وأمكنك بعض الإمكان ، ولم تبلغ ما تريد فأخبرني بذلك .

قال : وقلت له : مر المرأة فلتسألها عن حالها في نفسها ، وحالك . عندها ، فلعل فيها طبيعة من الحياء تمنعها^(٥) من الانبساط ، ولعلها [غر] لا يلتبس ما قبلها من الخرق^(٦) . [ففعل ، وأمر المرأة أن تكشفها عن ذات نفسها ، فشكت إليها الخرق] ، فأشارت^(٧) عليها بالمتابعة ، وقالت : اعتبرى ٩٠ بما ترين من هذا الحمام ؛ فقد ترين الزوجين كيف يصنعان ! قالت : قد

(١) ل : « من قبل سمع ، أو بصر ، أو ذوق ، أو شم ، أو مجسة » .

(٢) ط ، س : « الكراهة » ، وهما بمعنى .

(٣) تفطنها : تجملها تفطن . ط ، س : « توقظها » .

(٤) ط ، س : « كراهة » .

(٥) ط ، س : « منعها » .

(٦) ط : « لا تلتبس فاقبلها على ما قبلها من الخرق » س : « لا تلتبس ما قبلها من الخرق »

ل : « لا يلتبس ما قبلها بالخرق » ، وجعلت الكلام كما ترى . والخرق ، بالتحريك : الحياء .

(٧) ط ، س : « وأشارت » .

تَأَمَّلْتُ ذَلِكَ فَعَجِبْتُ مِنْهُ ، وَلَسْتُ أَحْسِنُهُ ! فَقَالَتْ لَهَا : لَا تَمْنَعِي يَدَهُ
وَلَا تَحْمِلِي عَلَى نَفْسِكَ الْهَيْبَةَ (١) ، وَإِنْ وَجَدْتِ مِنْ نَفْسِكَ شَيْئاً تَدْعُوكِ إِلَيْهِ
لِدَّةً فَاصْنَعِيهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَأْخُذُ بِقَلْبِهِ ، وَيَزِيدُ فِي مَحَبَّتِكَ ، وَيَجْرُّكَ ذَلِكَ مِنْهُ
أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاكَ . فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ نَالَ حَاجَتَهُ وَذَهَبَتْ الْحَشْمَةُ ، وَسَقَطَتِ الْمَدَارَاةُ (٢)
فَكَانَ سَبَبُ الصَّنْعِ لَهَا ، وَالخُرُوجُ مِنَ الْوَحْشَةِ إِلَى الْأَنْسِ (٣) ، وَمِنَ الْحَالِ
الدَّاعِيَةِ إِلَى مَفَارِقَتِهَا إِلَى الْحَالِ الدَّاعِيَةِ إِلَى مَلَازِمَتِهَا ، وَالضَّنُّ بِهَا (٤) - الْحَمَامُ (٥) .

(الخوف على النساء من الحمام)

وما أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ ، مِنْ لَيْسَ يَمْنَعُهُ مِنْ إِدْخَالِ الْحَمَامِ إِلَى نِسَائِهِ
إِلَّا هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي حَثَّ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْفِرَاسَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ تِلْكَ الرُّؤْيَا
قَدْ تَذَكَّرَ وَتَشَهَّى وَتَمَحَّنَ (٧) . وَأَكْثَرُ النِّسَاءِ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ : إِمَّا
امْرَأَةٌ قَدْ مَاتَ زَوْجُهَا ، فَتَحْرِيكُ طِبَاعِهَا خِطَارٌ (٨) بِأَمَانَتِهَا وَعَمَافِهَا . وَالْمَغْيِبَةُ (٩)

(١) ل : « له » .

(٢) ل : « وسقطت الحشمة ، وذهبت المداراة » .

(٣) ل : « الأنسة » ، وهي بالتحريك بمعنى الأنس . والأنس : ضد الوحشة .

(٤) بدل هذه العبارة الطويلة في ط ، س : « ومن حال الفرقة إلى حال الاتفاق » .

(٥) بعد هذا اللفظ في س كلمة : « باب » ، وأراها مقحمة .

(٦) س : « وتشهى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٧) تمحن : تصيب بالحننة ، أى البلية . ل : « تمحن » .

(٨) الخطار ، بالكسر : مصدر خاطر : إذا ركب الخطر . ط : « خطر » ل ، :
« إخطار » .

(٩) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب بضم الميماء ، وكسر الفين في الأوليين وإسكانها
في الثالثة : غاب عنها زوجها .

في مثل هذا المعنى . والثالثة : امرأة قد طال لُبُّها مع زوجها ؛ فقد ذهب الاستطراف ، وماتت الشهوة . وإذا رأته (١) ذلك تحرك منها كل ساكن وذكرته ما كانت عنه بمندوحة .

والمرأة سليمة الدين والعرض والقلب (٢) ، فإلم تهجس في صدرها الخواطر ، ولم تتوهم حالات اللذة وتحرك (٣) الشهوة . فأما إذا وقع ذلك فعزمتها أضعف العزم ، وعزمتها على ركوب الهوى (٤) أقوى العزم .
فأما الأبيكار الغريرات فهن إلى أن يؤخذن بالقراءة في المصحف (٥) ، ويُحتال لهن حتى (٦) يصرن إلى حال التشيخ (٧) والجن والكزازة (٨) ، وحتى لا يسمعن من أحاديث الباه والغزل قليلاً ولا كثيراً - أحوج .

(١) ل « أرادت » ولا تصح . والمراد : رأته فعل الخمام .

(٢) ل : « والصدر » .

(٣) ل : « وتخير » ، وليس بشيء .

(٤) ط : « ركوبها هوى » .

(٥) س : « مصحف » .

(٦) كذا الصواب في ط ، س . وفي ل : « إلا أن » .

(٧) التشيخ : مصدر شيخ : صار شيخاً . والمراد أن تطراً عليهن طباع الشيخوخة

وما لها من ركابة وتزمت . ل : « الشح » .

(٨) الكزازة : البخل . ط ، س : « الغرارة » ، وهي بالفتح بمعنى الغفلة

وقلة التجربة .

(نادرة لمجوز سنديّة)

ولقد ركبت عجوزٌ سنديّةٌ ظهرَ بعيرٍ ، فلما أقبلَ بها [هذا] البعيرُ
وأدبرَ وطمرَ (١) ، فمخضها مرّةً مخضَ السقاء (٢) ، وجعلها مرّةً كأنّها ترهزُ (٣)
فقالَت بلسانها - وهي سنديّةٌ أعجميّةٌ - أخزى اللهُ هذا الدّمْل (٤) ؛ فإنّه
يذكرُ بالسّرِّ (٥) ! تريد : أخزى اللهُ هذا الجمل ، فإنه يذكرُ بالشر . حدثنا
بهذه النادرة (٦) محمّد بن عبّاد بن كاسب .

(نادرة لمجوز من الأعراب)

وحدثنا ربّيعيُّ الأنصاريُّ : أن عجوزاً من الأعرابِ جَلستُ في طريق
مكة إلى فتيانٍ يشربون نبيذاً [لهم] ، فسقوها قدحاً فطابت نفسها ،

(١) طمر : وثب .

(٢) المخض : التحريك الشديد . كلمة « مرّة » ساقطة من ل . وكلمة : « مخض » جاءت
في ط ، س : بالحاء المهملة ، وتصحيحها من ل .

(٣) رهزها : حركها فارتهزت هي .

(٤) في الأصل : « الزمل » وصوابه بالذال ، كما صرح بذلك الجاحظ في البيان
(١ : ٧٤) .

(٥) ط ، س ؛ « بالشر » بالشين ، وصوابه بالمهملة كما في ل والبيان . جاء
في البيان : « فجعلت الشين سينا والجيم ذالا » . وانظر نظائر هذه اللكنة
في البيان (١ : ٧١ - ٧٤) .

(٦) ط ، س : « بهذا النادر » .

وتبسمت ؛ ثم سقوها قدحاً آخرَ فأحمرَّ وجهها وضحكت ، فسقوها قدحاً
ثالثاً فقالت : خبروني عن نسائكم بالعراق ، أيشربن من هذا الشراب ؟ فقالوا :
نعم . فقالت : زين ورب الكعبة !

(عقاب خصي)

وزعم إبراهيم الأنصاري المعتزلي أن عباس بن يزيد بن جرير دخل
مقصورة لبعض حواريه ، فأبصر حماماً قد قَطَّ حمامة ، ثم كسَحَ بِذنبه
ونفَسَ ريشه ، فقال : لمن هذا الحمام ؟ فقالوا : لفلانِ خادِمِك - يعنون^(١)
خصياً له - فقدَّه فضرَبَ عنقه .

٩١

(قول الحطيئة في الغناء)

و [قد] قال الحطيئة لفتيان من بني قريع^(٢) - و [قد] كانوا ربَّما
جلَسُوا بقربِ خيمته ، فتغنى^(٣) بعضهم غناء الركبان - فقال : يا بني قريع !
إيأى والغناء ؛ فإنه داعية الزنى^(٤) !

(١) ط ، س : « يريدون » .

(٢) بنو قريع كانوا من مدجهم الحطيئة ، فرجع شأنهم . كان يقال لهم بنو أنف الذئبة
فيغضبون ، حتى قال الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذئاب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذئبا

فصارا يتباهون بهذه النسبة . العدة (١ : ٢٥ - ٢٦) . ط : « قريع » ،

تحرير ماقبل ، س .

(٣) ط ، س . « فيغنى » .

(٤) ط ، س : « إلى الزنا » .

(أبو أحمد التمار وصاحب حمام)

وأما أبو أحمد التمار المتكلم ، فإنه شاهد صاحب حمام في يوم مجي حمامه من واسط ، وكانت واسط يومئذ الغاية ، فرآه كلما أقبل طائر من حمامه نعر^(١) ورقص ، فقال له : والله إني لأرى^(٢) منك عجباً ؛ أراك تفرح بأن جاءك^(٣) حمام من واسط ، وهو ذلك الذي كان ، وهو الذي جاء ، وهو الذي اهتدى ؛ وأنت لم تجي ولم تهتدي ؛ وحين جاء من واسط ، لم يجي معه بشيء من خبر أبي حمزة ، ولا بشيء من مقاريف^(٤) واسط ، وبزيون^(٥) واسط ، ولا جاء معه أيضاً بشيء من خطمي^(٦) ، ولا بشيء من جوز

(١) نعر نعيراً ونعارة : صاح . ط ، س : « سر » .

(٢) في الأصل : « لا أرى » .

(٣) ط ، س : « بأزجال » ، وصوابه من ل .

(٤) لم أر واحد هذه الكلمة . وفي القاموس : المقارض : أوعية الخمر ، والجرار الكبار .

(٥) في القاموس : « الزيون كجردحل وعصفور : السندس » . والسندس : ضرب من

رقيق الديباج . وهو مركب من « بز » و « يون » أي يشبه « البز » . و « يون »

لغة في « كون » بالفارسية . الألفاظ الفارسية ٢٢ . ط « بزبون » س :

« بزبوه » وهي على الصواب الذي أثبت في ل .

(٦) الخطمي بكسر الخاء وفتحها : نبت له زهر شبيه بالورد ، وتسمى شجرته

« كثيرة المنافع » . المعتمد ٩١ . واسمها العلمي Malvarotundifolia ويعرف

أيضاً بالحبازي البرية . وكتب الفقه الإسلامي تردد ذكر هذا النبت في باب الجنائز ؛

إذ أن من خواصه جودة تنظيف الشعر ، وهو بمنزلة الصابون . انظر مثلا مسكين

٤٩ - ٥٠ . ل « خطمي » مع حذف كلمة « واسط » قبلها .

ولا بشيء من زبيب^(١) . وقد مرَّ بكسكر^(٢) ، فأين كان عن جداء كسكر ،
ودجاج كسكر^(٣) : وسمك كسكر ، وصحناء^(٤) كسكر ، وربيثاء^(٥) كسكر
[وشعير كسكر؟!] أو [ذهب صحيحاً نشيطاً ، ورجع مريضاً كسلان ، وقد غرمت
ما غرمت^(٦)] ! فقل لي : ما وجه فرحك ؟ فقال : فرحى أنى أرجو أن أبيع
بخمسين ديناراً . قال : ومن يشتريه منك بخمسين ديناراً ؟ قال : فلان ، وفلان .
فقام ومضى إلى فلان^(٧) فقال : زعم فلان أنك تشتري منه^(٨) حماماً جاء
من واسط بخمسين ديناراً ؟ قال : صدق . قال : فقل لي^(٩) لم تشتريه

(١) ل : « وشيء من جوز ، وشيء من زبيب » .

(٢) دجاج كسكر سبق الكلام فيه (٢٤٨ : ٢) . وقد أبدت عجبى هناك من تقدير
ثمنه ، لكن وجدت ياقوتاً يؤيد ما ذكره في كسكر بما ذكره في (واسط)
أيضاً حيث قال : « رأيت فيها - معنى واسطاً - كوز زبد بدرهمين
واثنى عشرة دجاجة بدرهم ، وأربعة وعشرين فروجاً بدرهم » . ط ، س :
« عن دجاجها » .

(٣) الصحناء والصحناء ، ويمدان ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح .
القاموس والمعتمد ١٩٧ . قال داود : « لاتعرف إلا بالعراق ، ويعترب منها ما يعمل
بمصر ويسمى : الملوحة » . ط : « وصحنائها » تحريف وأثبت ما في ل .
وفى س : « وصحناء كسكر » . وانظر ٦ : ٨٤ - ٨٥ .

(٤) في مفاتيح العلوم ١٠٠ : « الربيثاء ، والصحناء ، والصير : السميكات تعمل
من السمك الصغار والملح » . وبدل هذه الكلمة في ط ، س : « سمير »
وهو نبت طيب الرائحة .

(٥) . ط ، س : « وقد عرفت ما عرفت » .

(٦) ط ، س : « إلى فلان وفلان » وصوابه ما أثبت من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) س : « قال فقل له » ، وصوابه ما أثبت من ل . وفى ط : « فقال له » .

بِخَمْسِينَ دِينَارًا؟ قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : فَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ فَلِمَ تَشْتَرِيهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا؟ قَالَ : لِأَنِّي أَبِيعُ الْفَرَّخَ مِنْهُ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ ، وَالْبَيْضَةَ بِدَيْنَارَيْنِ . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِي مِنْكَ؟ قَالَ : مِثْلُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ . فَأَخَذَ نَعْلَهُ وَمَضَى إِلَى فُلَانٍ ، فَقَالَ : زَعِمَ فُلَانٌ أَنَّكَ تَشْتَرِي مِنْهُ فَرَّخًا مِنْ طَائِرٍ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ ، وَالْبَيْضَةَ بِدَيْنَارَيْنِ . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : فَقُلْ لِي : لِمَ تَشْتَرِي فَرَّخَةَ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ؟ قَالَ : لِأَنَّ أَبَاهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَلِمَ تَشْتَرِيهِ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ إِذَا جَاءَ أَبُوهُ مِنْ وَاسِطٍ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَرْجُو أَنْ يَجِيءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ فَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ؟ قَالَ : [يَكُونُ أَنْ] أَيْعَهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِخَمْسِينَ دِينَارًا؟ قَالَ : فُلَانٌ . فَتَرَكَهُ وَمَضَى إِلَى فُلَانٍ ، فَقَالَ : زَعِمَ فُلَانٌ أَنَّ فَرَّخًا مِنْ فَرَاخِهِ إِذَا جَاءَ أَبُوهُ مِنْ وَاسِطٍ اشْتَرِيَتْهُ أَنْتَ مِنْهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا^(١) . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : وَلِمَ تَشْتَرِيهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا؟ [قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ لَمْ تَشْتَرِيهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا؟] قَالَ : فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِثْلَ قَوْلِ الْأَوَّلِ^(٢) . فَقَالَ : لَارْزُقِ اللَّهُ مَنْ يَشْتَرِي حَمَامًا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ، وَلَا تُرْزَقِ اللَّهُ [إِلَّا] مَنْ لَا يَشْتَرِيهِ بِقَلِيلٍ وَلَا بِكَثِيرٍ^(٣) .

(١) كلمة « أبوه » ساقطة من ل . وكذا « أنت منه بخمسين دينارًا » .

(٢) ل : « مثل قوله الأول » ، وصوابه في ط ، س .

(٣) كلمة « دينارًا » ساقطة من ل . و « يشتريه » هي في ط : « يشريه »

وشرى تكون بمعنى اشترى .

(نواذر لأبي أحمد التمار)

٩٢ وأبو أحمد هذا هو الذى قال - وهو يعظ بعض المسرفين - لو أن رجلاً كانت عنده ألف ألف دينار ثم أنفقها كلها لذهبت [كلها] . وإنما سمع قول القائل : لو أن رجلاً عنده ألف ألف دينار فأخذ منها ولم يضع عليها لكان خليقاً أن يأتى عليها (١) .

وهو القائل فى قصصه : ولقد عظم [رسول الله صلى الله عليه وسلم] [الله عليه وسلم] حق الجار ، وقال فيه قولاً أستحى والله من ذكره !

وهو الذى قال لبعضهم (٢) : بلغنى أن فى بستانك أشياء تهمنى ، فأحب أن تهب لى منه أمراً من أمر الله عظيم (٣) .
وكان زجاجاً (٤) قبل أن يكون تماراً .

وزعم سليمان الزجاج (٥) وأخوه ثابت ، أنه قبل أن يكون تماراً (٦) قال يوماً - وذكر الحمام ، حين زهد فى بيع الحمام ؛ وذكر بعض الملوك - فقال :
أما فلان فإنه لما بلغنى أنه يلعب بالحمام سقط من عينى !

(١) ط ، س : « على أكثرها » .

(٢) ل : « للهقى » .

(٣) ل : « بلغنى أن فى أرضك أشياء تهمنافهب لى منه أمراً من أمر الله عظيماً » .

(٤) الزجاج هنا : الذى يتاجر فى حمام الزاجل ، كما يظهر من الكلام . ل : « جدالاً » تحريف .

(٥) ل : « الجدال » . وما كتبت من ط ، س أوفى ؛ لما سياتى من الكلام .

(٦) التمار : بائع التمر . والكلام من مبدأ « قبل » ساقط من ل

والله سبحانه وتعالى أعلم^(١) .

[تمَّ القولُ في الحمام ، والحمدُ لله وحده] .

باب

القول في أجناس الذِّبَّانِ^(٢)

بسم الله ، وبالله [والحمد لله] ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ، وصلى الله
على سيِّدنا محمدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وعلى آله وصحبه وسلِّم ، وعلى أبرار عِتْرَتِهِ^(٣)
الطَّيِّبِينَ الأَخْيَارِ^(٤) .

أوصيك أيُّها القارئُ المتفهمُ ، وأيُّها المستمعُ المصيِّبُ المصيِّخُ^(٥) ، ألاَّ تحقِّرَ
شيئاً أبداً لصغر جثته ، ولا تستصغر قدره لقلَّةِ ثمنٍ .

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) كلمة « باب » وكذا « أجناس » ساقطتان من ل .

(٣) العترة ، بالكسر : نسل الرجل ، ورهطه ، وعشيرته الأذنون ممن مضى وغير .
ل ، ط : « عشيرته » .

(٤) يبدو أن الفقرة من أولها دخيلة على الكتاب ، فليست من أسلوب صاحبنا .

(٥) المصيِّخ : المستمع . وبدلها في ط ، س : « المتصفح » . وكيف يكون
المستمع متصفحاً ؟ ! .

(دلالة الدقيق من الخلق على الله)

ثمَّ اعلمْ أَنَّ الجبلَ ليس بأدَلَّ على الله من الحِصاة ، ولا الفلَكُ المشتمل على عالمنا هذا بأدَلَّ على الله من بدن الإنسان . وأنَّ صغيرَ ذلك ودقيقه كعظيمه وجليله . ولم تفرقِ الأمورُ في حقائقها ، وإنما افرقَ المفكِّرونَ فيا ، ومن أهملَ النَّظَرَ ، وأغفلَ مواضعَ الفَرْقِ ، وفُصِّلَ الحدودَ .

فمن قَبِلَ تركِ النَّظْرِ ، ومن قَبِلَ قطعَ النَّظَرِ ، ومن قَبِلَ النظرَ من غير وجهِ النَّظَرِ ، ومن قَبِلَ الإخلالَ ببعض المقدمات ، ومن قَبِلَ ابتداء النَّظَرِ من جهةِ النَّظَرِ ، واستتمامَ النظرِ مع انتظام المقدمات - اختلفوا .

فهذه الخصالُ هي جُماعُ هذا الباب ، إلا ما لم نذكره من باب العجز والنقص ؛ فإن الذي امتنع من المعرفة من قِبَلِ النُّقصانِ الذي في الخِلقة^(١) يابُّ على حدة .

وإنما ذكرنا بابَ الخطأ والصَّواب ، والتَّقْصِيرِ والتَّكْمِيلِ . فإياك أن تسيءَ الظَّنَّ بشيءٍ من الحيوان لاضطراب الخلق ، ولتفاوت التركيب ، ولأنه مشنوءٌ في العين ، أو لأنه قليلُ النِّفعِ والرَّدِّ ؛ فإنَّ الذي تظُنُّ^(٢) أنه أقلُّها نفعاً لعله أن يكون أكثرها رداً . فالأ يَكُنْ^(٣) ذلك من جهةٍ عاجلِ أمرِ الدنيا ،

(١) ط ، س : « الذي يابُّه في الخِلقة » . وكلمة « يابُّه » مقحمة .

(٢) ط ، س : « يظن » ، وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٣) ط : « إن لا يكون » س : « ألا يكون » وتصحيحه وفق ما في ل .

٩٣ كان ذلك في آجل أمر^(١) الدين . [وثوابُ الدين] وعقابهُ باقيان ، ومنافعُ الدنيا فانية زائلة ؛ فلذلك قدّمت الآخرة على الأولى .

فإذا رأيتَ شيئاً من الحيوانِ بعيداً من المعاونة ، وجاهلاً بسبب^(٢) المكائفة^(٣) ، أو كان مما يشتدُّ ضرره ، وتشتدُّ الحراسة منه ، كذوات الأنياب من الحيات والذئاب^(٤) وذوات الخالب من الأسد والنمور ، وذوات الإبر والشعر من العقارب والدّبر ، فاعلم أنّ مواقع^(٥) منافعها من جهة الامتحان ، والبلوى . ومن جهة ما أعد الله عزّ وجلّ للصّابرين ، ولمن فهم عنه ، و [لمن]^(٦) علم أنّ الاختيارَ والاختبارَ [لا]^(٧) يكونان والدنيا كلّها شرٌّ صرفٌ أو خيراً محضٌ ؛ فإنّ ذلك لا يكون إلاّ بالمزاوجة بين المكروه والمحبوب ، والمؤلم والمليّد ، والمحقرّ والمعظّم ، والمأمون والمخوف . فإذا كان الحظُّ الأوفراً في الاختبار والاختيار^(٨) . ربهما يتوسل إلى ولاية الله عزّ وجلّ ، وآيد^(٩) كرامته ، وكان ذلك إنّما^(١٠) يكون في الدار المزوجة من

(١) ط ، س : « ثواب » .

(٢) س : « بسبيل » ط : « لسبيل » وهذه تحريف الأولى . وأثبت ما في ل .

(٣) المكائفة ، بالنون : المعاونة . كائفه : عاونه . ل : « المكائفة » بالتاء . ولم أجدها .

(٤) ط : « الذبان » ، وهو تحريف عجيب ، صوابه في ل ، س .

(٥) ليست في ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) الزيادة من س . والكلام بعده إلى كلمة « ذلك » ساقط من ل .

(٨) ط ، س : « والاعتبار » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٩) الآيد : الدائم . وبدلها في ط ، س : « وإلى » .

(١٠) ل : « لا » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

الخبر والشر ، والمشاركة والمركبة بالنفع^(١) والضر ، المشوبة باليسر والعسر -
فليعلم موضع النفع في خلق العقرب ، ومكان الصنع في خلق الحية ، فلا
يحقرن الجرجس^(٢) والفراش والذر والذبان^(٣) ولتقف حتى تنفكر في الباب
الذي رميت إليك بجملة ، فإنك ستكثير حمد الله عز وجل ، على
خلق الهمج والحشرات ، وذوات السموم والأنياب ، كما تحمده على خلق
الأغذية من الماء والنسيم .

فإن أردت الزرابة والتحقير ، والعداوة والتصغير ، فاصرف ذلك كله
إلى الجن والإنس ، واحقر منهم كل من عمل عملاً من جهة الاختيار^(٤)
يستوجب به الاحتقار ، ويستحق به غاية المقْت من وجه ، والتصغير
من وجه .

فإن أنت أبغضت من جهة الطبيعة^(٥) ، واستثقلت من جهة الفطرة
ضربين من الحيوان : ضرباً يقتلك بسمه ، وضرباً يقتلك بشدة أسره^(٦) لم
تلم . إلا أن عليك أن تعلم أن خالقهما لم يخلقهما لأذاك^(٧) ، وإنما خلقهما لتصبر
على أذاهما ، ولأن تنال بالصبر الدرجة التي يستحيل أن تنالها [إلا] بالصبر^(٨) .

(١) ل : « ومكان النفع في صنع الحية » .

(٢) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . ويقال أيضاً : القرقس ، بوزنه .

(٣) الذر : صغار النمل . و « الذبان » بالكسر : جمع « الذباب » . وهذه جاءت
في ط ، س .

(٤) ط ، س : « الاختيار » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ل ، « فإن أنت بنية الطبيعة » وهو كلام مشوه .

(٦) الأسر : شدة الخلق والخلق . ط : « أسره » تحريف .

(٧) ط : « لذلك » . وما أثبت من س ، ل أوفق .

(٨) ط ، س : « التي تستحق أن تنالها بالصبر » ، ومؤدى العبارتين واحد .

والصبرُ لا يَكُونُ إِلَّا عَلَى حَالٍ^(١) مكروه . فسواءُ عليك [أ] كان المكروه سُبُعًا وثأبًا ، أو كان مَرَضًا قاتلاً . وَعَلَى أَنَّكَ لا تدرى ، لعلَّ النَّزْعَ ، والعلزَّ والحشْرَجَةَ^(٢) ، أن يكون أشدَّ من لذغ^(٣) حِيَّةٍ ، وضغمةٍ سبعٍ^(٤) . فإلَّا تَكُنْ له حُرْقَةٌ كحرق النار^(٥) وألم كآلم الدَّهَقِ^(٦) ، فلعلَّ هناك من الكَرْبِ ما يكون موقعه من النَّفسِ فوقَ ذلك .

وقد علمنا أن النَّاسَ يُسَمُّونَ^(٧) الانتظار لوقع السيفِ عَلَى [صليفاً^(٨)]

العُنُقِ جَهْدَ البلاءِ ؛ وليس ذلك الجهدُ من شكل لذع النار ، ولا من شكل ألم الضربِ بالعصا . فافهم فهَمَّكَ اللهُ مواقع النفع كما يعرفها أهلُ الحكمة ، وأصحاب الأَحْسَاسِ الصَّحِيحَةِ . ٩٤

ولا تَذْهَبِ فِي الْأُمُورِ مَذْهَبَ الْعَامَّةِ ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْخَاصَّةِ ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَجْعَلْ لِعِبَادٍ^(٩) ، وَلَمْ تَرْتَكِ

(١) حار ، أى حاضر . ل : « عاجل » .

(٢) النزع : قلع الحياة . والعلز بالتحريك : هلع يصيب المحتضر . والحشرجة : الفرغرة عند الموت .

(٣) ط ، س : « لذع » وصوابه في ل .

(٤) هاتان ساقطتان من ل . والضغمة : العضة . وسمى الأسد ضيغما لذلك .

(٥) كذا في ل . وفي ط : « فلا يكون حرقه كحرق السبع » وفي س : « فلا يكون لك حرقه كحرق السبع » ، محرفتان .

(٦) الدهق ، بالتحريك : خشبتان يغمز بهما الساق ، فارسيته : أشكنجه .

(٧) ل : « لا يسمون » ، وكلمة « لا » تفسد المعنى .

(٨) الصليف ، كأمير : عرض العنق .

(٩) ل : « لغوا » .

هَمَلًا . وَاصْرِفْ بُغْضَكَ إِلَى مُرِيدِ ظَلَمِكَ ^(١) ، لَا يَرِاقِبُ فِيكَ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ،
وَلَا مَوَدَّةً ، وَلَا كِتَابًا وَلَا سُنَّةً . وَكَلِمًا زَادَكَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ نِعْمَةً اِزْدَادًا ^(٢)
عَلَيْكَ حَنَقًا ، وَلَكَ بُغْضًا . وَفِرَّ كُلَّ الْفِرَارِ وَاهْرُبْ كُلَّ الْهَرَبِ ، وَاحْتَرَسْ
كُلَّ الْاِحْتِرَاسِ ، مِمَّنْ لَا يَرِاقِبُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدٍ أَمْرِينَ ،
إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ مَعَ ظُهُورِ آيَاتِهِ وَدَلَالَاتِهِ ، وَسُبُوغِ آيَاتِهِ ، وَتَتَابُعِ
نِعْمَاتِهِ ، وَمَعَ بَرَهَانَاتِ رُسُلِهِ ، وَبَيَانِ كِتَابِهِ ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِهِ عَارِفًا وَبِدِينِهِ ^(٣)
مَوْقِنًا ، وَعَلَيْهِ مَجْتَرِنًا ، وَبِحُرْمَاتِهِ مُسْتَخْفًا . فَإِنْ كَانَ بِحَقِّهِ جَاهِلًا فَهُوَ بِحَقِّكَ
أَجْهَلٌ ، وَلَهُ أَنْ تَكْفُرَ . وَإِنْ كَانَ بِهِ عَارِفًا وَعَلَيْهِ مَجْتَرِنًا فَهُوَ عَلَيْكَ أَجْرَأُ ، وَلِحَقُوقِكَ
أَضْيَعٌ ^(٤) وَلَا يَأْدِيكَ أَكْفَرُ .

فَأَمَّا خَلْقُ الْبَعُوضَةِ وَالنَّمْلَةِ وَالْفَرَاشَةِ وَالذَّرَّةِ وَالذَّبَّانِ ^(٥) وَالْجِعْلَانَ ،
وَالْيَعَاسِيْبِ وَالْجِرَادِ - فَيَاكَ أَنْ تَهَاوَنَ بِشَأْنِ هَذَا الْجُنْدِ ، وَتَسْتَخْفَ ^(٦) بِالْآلَةِ
الَّتِي فِي هَذَا الذَّرَّةِ ^(٧) ؛ فَرَبَّتْ أُمَّةٌ قَدْ أَجْلَاهَا عَنْ بِلَادِهَا ^(٨) النَّمْلُ ، وَنَقَلَهَا

(١) س : « لمن يريد ظلما » .

(٢) ط فقط : « ازدادوا » .

(٣) س : « وبذنبه » وهو تحريف .

(٤) ط ، س : « ولحقك » . و « أضيغ » تفضيل من أضع . وفي التفضيل
من أفعل مذهب ثلاثة : المنع مطلقا ، والجواز مطلقا ، والمنع إن كانت الهمزة
لغير النقل .

(٥) الذبان : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٦) ط : « تستخف » تحريف صوابه في ل ، س .

(٧) الذرة : الخلق . وفي الأصل : « الذر » .

(٨) ل : « مساكنها » .

عن مساقطِ رءوسها الذُّرُّ ، وأهليكت بالفأر^(١) ، وجُرِدَت بالجرَادِ ، وعُدِّبَت
بالبعوض ، وأفسدَ عيشها الذَّبَانُ ؛ فهي جُنْدٌ إن أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يَهْلِكَ
بها قوماً بَعْدَ طُغْيَانِهِمْ وَتَجَبُّرِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ ؛ ليعرِفُوا أو ليعرَفَ بِهِمْ أَنَّ كَثِيرَ
أمرِهِمْ ، لا يقوم بالقليلِ من أمر الله عزَّ وجلَّ . وفيها بَعْدُ مُعْتَبَرٌ لمن اعتبر ،
وموعظةٌ لمن فكَّرَ ، وصلاحٌ لمن استبصر^(٢) ، وبلوى ومحنة ، وعذابٌ
ونقمة ، وحجَّةٌ صادقة ، وآيةٌ واضحة^(٣) ، وسببٌ إلى الصَّبْرِ والفِكْرَةِ . وهما
جَمَاعُ الحَبْرِ في باب المعرفة والاستبانة^(٤) ، وفي باب الأجر وعِظَمِ المثوبة^(٥) .
وسنَدُ كُرِّ جَمَلَةٍ من حال الذَّبَانِ ، ثم نقولُ في جملة ما يحضرنَا من
شَيَانِ الغُرْبَانِ والجَمَلَانِ .

(أمثال في الفراش والذباب)

ويقال^(٦) في موضع الذَّمِّ والهجاء : « ما هُمُ إِلَّا فَرَّاشُ نَارٍ وَذِبَّانُ
طَمَعٍ » . ويقال : « أَطْيَشُ مِنْ فَرَّاشَةٍ ، وَأَزْهَى مِنْ ذِبَّانٍ » .

(١) إشارة إلى حادثة سيل العرم . زعموا أن السبب فيه فأرة ، قال الجاحظ : « لا يشك
الناس في أن أرض سبأ وجنتها إنما خربت حين دخلها سيل العرم ، وأن الذي
فجر المياه فأرة » . ثمار القلوب ٣٢٨ . ط ، س : « بالقراد » وليس بشيء .

(٢) ل : « معتبر وموعظة وصلاح » .

(٣) سقط الكلام من ل ، من مبدأ : « وحجة » .

(٤) ط : « والإبانة » .

(٥) « وعظم المثوبة » ساقطة من ل .

(٦) ل : « قالوا : يقال » .

وقال الشاعر :

كَأَنَّ بَنِي ذَوِيَّةٍ رَهْطَ سَلَمَى فَرَاشٌ حَوْلَ نَارِ يَصْطَلِينَا

يُطِيفْنَ بِحَرِّهَا وَيَقَعْنَ فِيهَا وَلَا يَدْرِينَ مَاذَا يَتَّقِينَا

والعرب تجعل الفراش والنحل والزنابير والدببر كلها من الذبان .

وأما قولهم^(١) : « أَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ » فَلَأَنَّ الذُّبَابَ يَسْقُطُ عَلَى أَنْفِ الْمَلِكِ^(٢)

الجبَّار ، وعلى موقٍ عينية^(٣) لياً كله ، ثم يطرده فلا ينطرد^(٤) .

٩٥

(معانٍ وأمثالٌ في الأنف)

والأنف هو النخوة وموضعُ التَّجْبُرِ .

وكان من شأن البطارقة^(٥) وقواد الملوك إذا أنفوا [من شيء] أن ينخروا

كما ينخِرُ الثَّورُ عِنْدَ الذَّبْحِ ، والبرذونُ عِنْدَ النَّشَاطِ .

(١) ل : « قوله » .

(٢) ل : « الملوك » ، وهو تحريف .

(٣) موق المسين : طرفها مما يلي الأنف . وللعينين موقان . ولكنه أفرد ، وذلك

جائز في العربية . ومنه قوله تعالى : « بدت لهما سواتهما » بالإفراد ، في قراءة

الحسن . انظر مع الهوامع (١ : ٥١) .

(٤) كذا في ل . وفي ثمار القلوب ٣٩٥ : « ثم يطرد فلا ينطرد » . وفي ط ، س

« فيطرده ولا ينطرد » .

(٥) البطريق ، ككبريت : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .

وهو معرب من الرومي : Patricius .

والأنف هو موضع الخنزروانة والنُّعْرَة^(١) . وإذا تكبَّرت الناقةُ بعد أن تَلْقَحَ فإِنَّهَا^(٢) تَزُمُ بأنفها .

والأصيد : الملك الذي تراه أبداً من كِبْرِهِ مائلَ الوجه . وشبَّه بالأسد فقيل أصيد ؛ لأنَّ عُنقَ الأسدِ من عَظْمٍ واحدٍ ، فهو لا يلتفتُ إلاَّ بكُلِّهِ ، فلذلك يقال لِلْمُتَكَبِّرِ : « إِنَّمَا أَنْفُهُ فِي أَسْلُوبٍ » ، ويقال : أَرغَمَ اللهُ أَنْفَهُ وأذَلَ معطِسَهُ ! و [يقال] : ستفعل ذلك وأنفك راغم ! والرَّغَام : التراب . ولولا كذا وكذا^(٣) هَشَّمْتَ أنفك . فإنما يَخْصُونُ بذلك الأنف ؛ لأنَّ الكبرَ إليه يضاف^(٤) ؛ قال الشاعر^(٥) :

يا رَبِّ مَنْ يُبْغِضُ أذوادنا رُحْنٌ عَلَى بَغْضَائِهِ واغْتَدَيْنِ^(٦)
لو نَبَتَ البَقْلُ عَلَى أَنْفِهِ لِرُحْنٍ مِنْهُ أَصْلاً قد أبين^(٧)

(١) الخنزروانة ، بالخاء والزاي مضمومتين بينهما نون ساكنة : الكبر ، و مثله النعرة ، كهزمة ، وبالتهريك .

(٢) ل : « فإنما » .

(٣) ل : « ولولا كذا » .

(٤) كذا الوجه في ل ، س . وفي ط : « يضاف إليه » .

(٥) هو عمرو بن قيسة ، كما في أمالي ابن الشجري (٢ : ٣١١) .

(٦) الأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل . وأراد بقوله : « على بغضائه »

أنهن يرعين ويرتوين ، ولا يستطيع العدو منعهن لقدرة صاحبهن وعزته .

وكلمة « بغضائه » هي في ط : « بغضائه » وفي س : « بمصائه » ، وصوابها

من ل وأمالي ابن الشجري ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٦٣) .

(٧) الأصل ، بضمين : الأصيل ، وهو العشي أي آخر النهار . وبعضهم قال : إن

الأصل جمع أصيل . وليس بشيء . وأبين ، يقول : قد أبين الطعام من كثرة

مارهين فأشبعن شهواتهن . ط ، س : « أتين » وصوابه في ل . والرواية

في المحاضرات : « رعين » . وجاء في ط ، س : « رحن إليه » وتصحيحه

من ل والمحاضرات .

ويقال « بعير مذبوب » إذا عرض له ما يدعو^(١) الذَّبَّانَ إلى السُّقُوطِ عليه . وهم يعرفون الغُدَّةَ^(٢) إذا فشت أو أصابت بعيراً بسُقُوطِ الذَّبَّانِ عليه .

(احتيال الجمالين على السلطان)

وبسقوط^(٣) الذَّبَّانِ على البعير يختال الجمال للسلطان ، إذا كان قد تسخرَ إبله^(٤) وهو لذلك كاره ، وإذا كان في جماله الجملُ النفيسُ أو الناقةُ السكريمة^(٥) ؛ فإنه يعمد إلى الخضحاض^(٦) فيصب فيه شيئاً من دبس^(٧) ثم يطلى به ذلك البعير ، فإذا^(٨) وجد الذَّبَّانَ ريحَ الدَّبْسِ تساقطنَ عليه ، فيدعى عند ذلك أن به غُدَّةً^(٩) ويجعلُ الشاهدَ له عندَ السلطانِ^(١٠) ما يوجد عليه من الذَّبَّانِ ! فما أكثر ما يتخلصون بكرائم أموالهم^(١١) بالحيل من أيدي

(١) ل : « داء يدعو » .

(٢) الغدة بالضم : طاعون الإبل . ط ، س : « العرة » ، وهى بالضم بمعنى الجرب . ولا تستقيم هذه مع بقية الكلام .

(٣) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « ولسقوط » .

(٤) يقال سخره تسخيراً ، وتسخره كذلك : كلفه عملاً بلا أجره . ط ، س : « يسخر إبله » وأثبت ما في ل .

(٥) ل : « فإذا كان فيها جمل نفيس أو ناقة كريمة » .

(٦) الخضحاض : نفض أسود رقيق تهنأ به الإبل الجربي .

(٧) الدبس ، بالكسر وبكسرتين : عسل التمر ، وعسل النحل . والأول المعنى .

(٨) ط ، س : « وإذا » .

(٩) كذا في ل . وفي ط ، س : « عرة » . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة وفي ل : « فتدعى عند ذلك أنه » . وفيه تحريف .

(١٠) كلمة : « له » ساقطة من ل .

(١١) يتخلصون : ينجون . ل : « يخاضون » وهما بمعنى . ل ، س :

السُّلْطَانُ ، وَلَا يَظُنُّ ذَلِكَ السُّلْطَانُ إِلَّا أَنَّهُ مَنِي شَاءَ أَنْ يُبِيعَ مَائَةَ
أَعْرَابِيٍّ بِدَرَاهِمَ فَعَلَّ . وَالغُدَّةُ (١) عِنْدَهُمْ تُعَدِّي ، وَطِبَاعُ الْإِبِلِ أَقْبَلُ شَيْءٌ
لِلْأَدْوَاءِ الَّتِي تُعَدِّي ، فَيَقُولُ الْجَمَّالُ عِنْدَ ذَلِكَ لِلْسُّلْطَانِ : لَوْلَمْ أَخْفِ عَلَى
[الْإِبِلِ إِلَّا] بَعِيرِي هَذَا الْمَغْدَّ أَنْ يُعَدِّيَ لَمْ أَبَال (٢) ، وَلَكِنِّي أَخَافُ إِعْدَاءَ
الْغُدَّةِ وَمُضَرَّتَيْهَا فِي سَائِرِ مَالِي ! فَلَا يَزَالُ يَسْتَعِظِفُهُ بِذَلِكَ ، وَيَحْتَالُ لَهُ بِهِ (٣)
حَتَّى يَخْلَى سَبِيلَهُ .

(نفور الذَّبَّانِ مِنْ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ)

وَيَقَالُ إِنَّ الذَّبَّانَ لَا يَقْرُبُ قَدْرًا فِيهِ كَمَاءٌ ، كَمَا لَا يَدْخُلُ سَامٌ أَبْرَصٌ (٤)
بَيْتًا فِيهِ زَعْفَرَانٌ .

(الْخَوْفُ عَلَى الْمَسْكُوبِ مِنَ الذَّبَّانِ)

وَمِنْ أَصَابِهِ عَضَّ الْكَلْبِ الْكَلْبِ حَمَّوًا وَجْهَهُ مِنْ سَقُوطِ الذَّبَّانِ عَلَيْهِ .
قَالُوا : وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ دَيْبِ الذَّبْرِ (٥) عَلَى الْبَعِيرِ .

« مِنْ كَرَامٍ » وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط .

(١) ط ، س : « وَالْعُرَّةُ » . وَانظُرِ التَّنْبِيْهَ الثَّلَاثِيَّ مِنَ الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ .

(٢) الْمَغْدُ ، هُوَ مِنْ أَغْدِ الْبَعِيرِ : أَصَابَتْهُ الْغُدَّةُ ، أَيْ الطَّاعُونُ . ط ، س : « الْمَعْرُ »

وَلَمْ أَجِدْ لَهَا وَجْهًا تَصِحُّ بِهِ وَكَلِمَةٌ « يَعْدِي » هِيَ فِي س : « يَعْرُ » وَلَيْسَتْ
مُرَادَةً . ل : « لَمْ أَبِلْ » وَهِيَ صَحِيحَتَانِ .

(٣) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « وَيَحْتَالُ لَهُ وَيَمِيلُهُ » .

(٤) ل : « كَمَا لَا تَدْخُلُ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط ، س .

(٥) الدَّيْبُ : الْمَشْيُ الْخَفِيفُ . ل : « سَقُوطُ » . وَالذَّبْرُ ، بِالْكَسْرِ ، سَيْفُورُهُ
الْجَاهِظُ بَعْدَ هَذَا .

(النَّبْر)

والنَّبْرُ دُوَيْبَةٌ إِذَا دَبَّتْ عَلَى الْبَعِيرِ ، تَوَرَّمٌ ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَلَاكِهِ .

قال الشاعر وهو يصف^(١) سَمَنَ إِبِلِهِ ، وَعِظَمَ أَبْدَانِهَا :
حمر تحققت النجيل كأنما يجلودهنَّ مدارجُ الأنبار^(٢)

(مميزات خلقية لبعض الحيوان)

وليس في الأرض ذبابٌ إلا وهو أقرح^(٣) ، ولا في الأرض بعيرٌ إلا ٩٦
وهو أعلم^(٤) ، كما أنه ليس في الأرض ثورٌ إلا وهو أفتس .

وفي أن كلَّ بعير أعلمُ يقولُ عنتره :

وحليل غانيةٍ تركتُ مجدلاً تمكو فريصته كشدق الأعم^(٥)

(١) ل : « يذكر » .

(٢) « حمر » في اللسان : « جردا » . وتحققت النجيل : امتلأت أجوافها به . ط ، س : « تحققت الحيل » ، وتصحيحه من ل واللسان . والنجيل : خير الحمض كله وألينه على السائمة . والحمض : ما ملح وأمر من النبات . والأنبار : جمع نبر بالكسر وقد مر تفسيره . ومدارجه : مواضع دروجه ، أى مشيه .

(٣) « أقرح » ، وهو من القرحة . وكل ذباب في وجهه قرحة . انظر أمثال الميداني (٢ : ٤٠٣) . ط ، ل : « أقدح » والوجه ما أثبت ؛ إذ هو الصفة الخلقية التي تسير السياق . وانظر عيون الأخبار ٢ : ٧٥ وفيه « كل ذباب أقرح » . وانظر كذلك المعقد ٦ : ٢٣٦ تأليف .

(٤) الأعم : مشقوق الشفة العليا .

(٥) حليل : بمعنى زوج . ط ، س : « جليل » والصواب في ل ، مجدلا : ملقيا على الجدالة وهي الأرض . تمكو فريصته : تصفر . والفريصة : لحمة في وسط الجنب عند منبض القلب ، وهي ترتعد عند الفزع . قال التبريزي : « كأن هذه الطلعة في سعتها شدق الأعم » . وكان الجاحظ يفهم هذا المعنى كما سيأتي بمد سطر . وأنا أقول : إنه في هذا البيت ما شبهها بشدق الأعم في السعة ، بل أراد أن صوت الدم الدافق من هذه الطلعة ، يحكى الصوت الصادر من شدق البعير . وهذا لا يمنع أن بعض الشعراء أراد في شعره هذا المعنى الذي أدركه التبريزي والجاحظ .

كأنه^(١) قال : كشدق البعير ؛ إذ كان كل بعير أعلم .
والشعراء يشبهون الضربة بشدق البعير ، ولذلك قال الشاعر^(٢) :
كم ضربة لك تحكي فأقراسية من المصاعب في أشداقه شنع^(٣)
وقال السكيت :

• مَشَافِرَ قَرَحَى أَكَلْنَ الْبَرِيرَا^(٤) •

وإذا قيل الأعم ، عُلِمَ أنه البعير ، كما أنه إذا قيل الأقرح^(٥) علم أنه
الذَّبَّان . قال الشاعر :

ولأنتَ أطيشُ ، حينَ تغدُو سادراً حذر الطعان ، من القُدُوحِ الأقرحِ^(٦)
يعني الذَّبَّان لأنه أقرح^(٧) ، ولأنه أبداً يحكُّ بإحدى ذراعيه على

(١) كذا في ل ، وهو الوجه . وفي ط ، س : « كما أنه » .

(٢) هو النمر بن تولب ، كما في البيان (١ : ٥٥) .

(٣) تحكى فاه : تماثله . والقراسية : الضخم الشديد من الإبل ، ذكراً كان أو أنثى ،
وهو في الذكور أغلب . والمصاعب ، واحداً مصعب ، وهو الفحل . في
أشداقه : أراد في شدقيه ، ومثل هذا جائز . في الأصل : « في أشداقها » ، والوجه
ما أثبت من البيان ؛ إذ أن المراد بالقراسية هنا الفحل .

(٤) قرحى : جمع قريح ، وهو هنا المصاب بالقرحة في فيه ، فيعدل لذلك مشفره . والبرير :
الأول من ثمر الأراك . وهذا عجز بيت ، صدره كما في الحيوان ٥ : ٦٠٢ :
* تشبه في الهام آثارها *

(٥) في الأصل : « الأقدح » .

(٦) السادر : الراكب رأسه . و « حذر الطعان » كذا في ط ، س ، وفي ل
« حذر العظام » ، والرواية المعروفة : « رعرع الجنان » كما في أمثال الميداني (١ :
٤٠٣) وثمار القلوب ٣٩٥ واللسان والتاج (قدح) . والجنان : القلب . والقُدُوح : الذي
يحك ذراعاً بسذراع ، يحكى فعل القساح الذي يطلب النار . والأقرح : الذي
في وجهه قرحة . وفي الأصل وكذا اللسان : « الأقدح » ، خطأ ، صوابه
في الثمار وأمثال الميداني .

(٧) في الأصل : « أقدح » . وانظر التنبيه السائف .

الأخرى كأنه يقدر بعودى مرخٍ و عفار^(١) ، أو عرجون ، أو غير ذلك مما يقدر به .

(أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض)

ولا يعلم في الأرض شاعرٌ تقدّم في تشبيهه مُصيب تامّ ، وفي معنى غريبٍ عجيب ، أو في معنى شريفٍ كريم ، أو في بديعٍ مُخترع ، إلا وكلُّ مَنْ جاء من الشعراء من بعده أو معه ، إن هو لم يعد^(٢) على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره ، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى ، ويجعل نفسه شريكاً فيه ؛ كالمعنى^(٣) الذى تنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم ، وأعاريضُ أشعارهم ، ولا يكون أحدٌ منهم أحقّ بذلك المعنى من صاحبه . أو لعله [أن] يجحد أنه سمع بذلك المعنى قطّ ، وقال إنه خطرَ على بالى من غير سماع ، كما خطرَ على بال الأوّل . هذا إذا قرّعه به . إلا ما كان من عنتره في صفة الذباب ؛ فإنه وصفه فأجاد صفته^(٤) فتحامى معناه جميعُ الشعراء

(١) المرخ ، بالفتح : شجر من العضاة خشبه كثير الورى سريعه . والعفار ، كسحاب : شجر خوار . ومن المرخ يتخذ الزندة ، وهى السفلى ، ومن العفار يتخذ الزند وهو الأعلى ، ويقدر بهما . قال :

إذا المرخ لم يور تحت العفار وذن بقدر فلم تعقب

ط : « بعود من مرخ ، أو عفار » ، س : « بعود فى مرخ أو عفار » وتصحيحه من ل .

(٢) كذا الصواب فى ل . وفى ط ، س : « يقدر » .

(٣) ل : « وكالمعنى » .

(٤) ط ، س : « وصفه » .

فلم يعرض له أحد منهم^(١) . ولقد عرّض له بعضُ المحدثين ممن كان يحسنُ القول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ، ومن اضطرابه فيه ، أنه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر^(٢) . قال عنتره :

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةً فتركن كلَّ حديقةٍ كالدرهم^(٣)
فترى الذبابَ بها يغني وحده هزجاً كفعل الشارب المترنم
غرداً يحك ذراعَه بذراعِه فَعَلَ المكبُّ على الزنادِ الأجدم .
قال : يريد فعل الأقطع المكبُّ على الزناد . والأجدم : المقطوع

٩٧ اليدين . فوصف الذباب إذا كان واقعاً ثمَّ حكَّ إحدى يديه بالأخرى ، فشبهه عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين ، يقدحُ بعودين . ومتى سقط الذبابُ فهو يفعل ذلك .

ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنتره .

(قولٌ في حديث)

وقد كان عندنا في بني العديّة^(٤) شيخٌ منهم مُسكر^(٥) ، شديد العارضة [فيه توضيح] ، فسمعتني أقول : قد جاء في الحديث : « إنَّ نَحْتَ جَنَاحِ

(١) ط ، س : « فلم يعرضوا له » .

(٢) لست أدري الآن من عني الجاحظ بقوله ، ولم أجد الشعر الذي أشار إليه .

(٣) أراد بالعين الثرة : السحابة الغزيرة المطر ، وجعل الحديقة كالدرهم في استدارته لإقترانه .

(٤) ط : « العروبة » والأشبه ما أثبت من ل ، س .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التوضيح : التخنيث . وفي الحديث : « إن رجلاً من خزاعة يقال له هيت ، فيه

توضيح « أي تخنيث .

الذباب اليمين شفاءً وتحت جناحه الأيسر^(١) سماً . فإذا سقط في إناء أو في شراب أو في مرق فاغمسوه فيه ؛ فإنه يرفع عند ذلك الجناح الذي تحته^(٢) الشفاء ، ويحط [الجناح] الذي تحته السم . فقال : بأبي أنت وأمي هذا يجمع العداوة والمكيدة !

(قصة لتميمي مع أناس من الأزد)

وقد كان عندنا أناس من الأزد ، ومعهم ابن حزن^(٣) ، وابن حزن هذا عدوى من آل عموج^(٤) ، وكان يتعصب^(٥) لأصحابه من بني تميم وكانوا على نبذ ، فسقط ذباب في قدح بعضهم ، فقال له الآخر : غط التميمي ، ثم سقط آخر في قدح بعضهم ، فقال الباكون^(٦) : غط التميمي ! فلمّا كان في الثالثة قال ابن حزن : غطه فإن كان تميمياً رسب ، وإن كان أزدياً طفا . فقال صاحب^(٧) المنزل : مايسرني أنه كان نقصكم حرفاً^(٨) . وإنما عني أن أزد عمان ملاحون .

(١) س : « اليمنى » و « اليسرى » . والجناح مذكر .

(٢) ل : « فيه » .

(٣) ط ، س : « حذر » في المواضع الثلاثة . وأثبت ما في ل .

(٤) ط ، س « عدوى » : نسبة إلى عدوى ، بفتح أوله وثانيه وفتح اللام والقصر ، وهي قرية بالبحرين تنسب إليها السفن . وأثبت ما في ل . وهو منسوب إلى بني العدوية السالف ذكرهم ، وهم من تميم ، كما في المعارف ٣٥ . و « آل عموج » هي في ط ، س : « أهل تنوخ » .

(٥) في الأصل : « يتعصب » .

(٦) ل : « بعضهم » .

(٧) ل : « رب » .

(٨) كذا في ل . وفي ط : « كان قال بعضهم مرقا » ، محرف . وفي س : « كان قال بعضكم حرفاً » .

(ضروب الذبّان)

والذبّان^(١) ضروبٌ سوى ما ذكرناه^(٢) من الفَرَّاشِ والنَّحْلِ والزَّنَابِيرِ .
فمنها الشَّعْرَاءُ^(٣) ، وقال الراجز :

* ذبّان شعراءٍ وبيت ماذل^(٤) *

وللكلاب ذبابٌ على حِدَةٍ يَتَخَلَّقُ منها ولا يُريدُ سِوَاهَا^(٥) . ومنها
ذبّان^(٦) الكلابِ والرِّياضِ . وكلُّ نوعٍ منها يَأْلَفُ ما خُلِقَ منه . قال
أبو النّجم :

مُستأسِد ذبّانه في غَيْطَلٍ يَقْلَنَ للرَّائِدِ أَعْشَبَتْ انزَلِ^(٧)

(١) الذبّان بالكسر : جمع ذباب . ط ، س : « والذبّان » .

(٢) ل : « ما ذكر » .

(٣) الشعراء ، بفتح الشين وكسرهما ، وبالعين المهملة الساكنة : ذباب أزرق ،
أو أحمر ، يقع على الإبل ، والحمير ، والكلاب ، فيؤذيها أذى شديداً ، واسمه العلمي :

. Hippodoscidae

(٤) « بيت ماذل » كذا في الأصل وسيأتي في ص ٣٩٠ : « وصيف ماذل » . وفي
نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٩) : « ونبت مائل » . وقبله :

* تذب عنها بأثيث ذائل *

(٥) ط ، س : « يخلق منها ولا يريد سواها » .

(٦) ط ، س : « ذباب » .

(٧) مستأسد : هو من استأسد النبات : إذا بلغ وقوى واثق ، أراد كثرته وتكاثفه .
ويروى : « مستأسداً » . والفيطل : الشجر الكثير الملتف ، وكذلك المشب . وأرجوزة
أبي النجم هذه طويلة نادرة ، عدة أخطارها ١٩١ شطرا .

وقد نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٨ : ٤٧٢ - ٤٧٩)

سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها : أم الرجز .

(شعرٌ ومثل في طنين الذباب)

والعربُ تسمي طنينَ الذَّبَّانِ والبعوضِ غِنَاءً . وقال الأخطلُ
في صفة الثَّورِ :

فَرَدًا تَغْنِيهِ ذَبَّانُ الرِّيَاضِ كَمَا غَنَّى الغَوَاةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أُسْوَارِ (١)
وقال حَضْرَمِيُّ بنِ عامِرٍ في طنينِ الذبابِ :

ما زالَ إهداءُ القَصَائِدِ بَيْنَنَا شَتَمَ الصَّدِيقِ وكثُرَةَ الألقابِ
حَتَّى تَرَكْتَ كَأَنَّ أَمْرَكَ بَيْنَهُمْ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ طِينُ ذُبَابِ (٢)
ويقال : « ما قولي هذا عندك إلا طنينُ ذُبَابِ (٣) » .

(سَفَادُ الذَّبَابِ وَأَعْمَارُهَا)

وللذُّبابِ وقتٌ تَهِيجُ فِيهِ للسَّفَادِ (٤) ، مع قصرِ أعمارِها . وفي الحديثِ :
« أنْ مُعْمِرَ الذَّبَابِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا » ، ولها أيضاً وقتٌ هَيْجٍ في (٥) أَكْلِ النَّاسِ

(١) ط : « فرد » . والصنج ، بالفتح : آلة موسيقية وترية . ط ، س :
« بصيح » ، وهي تصحيف ما أثبت من ل . والأسوار : واحد الأسورة ، وهم
قواد القرس ، أو قوم من المعجم نزلوا بالبصرة قديما .

(٢) ط وثمار القلوب ٣٩٧ : « في كل مجتمع » .

(٣) طنين الذباب ، يضرب المثل به للكلام يستهان ولا يبالي به . ثمار القلوب . في ل :
« كطين ذباب » .

(٤) ل : « وقت هيج السفاد » .

(٥) ل : « حل » .

وعضّهم ، وشرب دماهم . و [إنما يعرض هذا] الذبّان في (١) [البيوت عند
قرب أيّامها ؛ فإنّ هلاكها يكون بعد ذلك وشيكا . والذبّان] في وقتٍ من
الأوقات من حتوف الإبل والدوابّ .

(علة شدّة عضّ الذباب)

والذبّاب والبَعوضُ من ذوات الخراطيم ؛ ولذلك اشتدّ عضّها وقويتْ
٩٨ على خرق الجلودِ الغلاظ . وقال الراجز [في وصف البعوضة] :
مثل السّفاةِ دائمٌ طنينُها (٢) ركبّ في خرطومها سكينُها

(ذوات الخراطيم)

وقالوا : ذوات الخراطيم من كلّ شيء أقوى عضّاً وناباً وفكّاً ؛
كالذيب والخنزير ، والكلب . وأمّا الفيل فإنّ خرطومَه هو أنفه ، كما أنّ
لكلّ شيءٍ من الحيوان أنفاً ، وهو يده ، ومنه يُغني (٣) وفيه يجرى الصّوت ،
كما يجرى الزّامرُ الصّوتَ في القصبةِ بالنّفخ . ومتى تضاعطَ الهواءُ صوّتَ
على قدر الضّغطِ ، أو على قدر الثّقب (٤) .

(١) زدت هذه الكلمة لحاجة الكلام لإيها .

(٢) السّفاة : واحدة السفا ، وهو شوك البهي والسنبل ، أو كل الشوك . والرجز
رواه أبو علي في الأملّ (٣ : ١٢٩) . وجاءت روايته عند الديميري : « مثل

السفاة دائماً طنينها » . وانظر ٥ : ٤٠٢ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « يضني » .

(٤) ل : « المسبب » ، وصوابه في ط ، س .

(أمثال من الشعر في الذباب)

والذباب : اسم الواحد ، والذَّبَّان : اسم الجماعة . وإذا أرادوا التصغير
والتقليلَ ضربوا بالذَّبَّان المثل . قال الشاعر (١) :
رَأَيْتُ الخَبْرَ عَزًّا لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الخَبْرَ فِي جَوْ السَّحَابِ
وَمَا رَوَّحْتَنَا لَتَذْبَّ عَنَّا وَلَكِنْ خِفْتُ مَرَزِيَةَ الذُّبَابِ (٢)
وقال آخر (٣) :

لَمَّا رَأَيْتَ القَصْرَ أُغْلِقَ بَابُهُ وَتَعَلَّقْتُ هَمْدَانُ بِالأَسْبَابِ (٤)
أَيَقَنْتُ أَنَّ إِمَارَةَ (٥) ابْنِ مِضَارِبِ (٦)

لَمْ يَبْقَ مِنْهَا قَيْسُ أَيْرٍ (٧) ذَبَابِ

(١) هو أبو الشمقمق كما في عيون الأخبار (٢ : ٣٦ و ٣ : ٣٤٧) . وجاء في البخلاء
٥٩ : « وكان أبو الشمقمق يعيب في طعام جعفر بن أبي زهير ، وكان له ضيفا ، وهو
مع ذلك يقول » ، وأنشد البيهقي ، كما أعادهما في ١٠٦ . وقد نسب البيت الثاني مع سابق
له غير المروي هنا ، إلى أبي الشيص . انظر محاضرات الراغب (١ : ٣١٨) . وإلى
أبي نواس كما في المحاسن والأضداد ٥٠ . والمحاسن والمسامى (٢ : ٢٠٣) . وهو بدون
نسبة في العقد (٦ : ١٩١ تأليف) .

(٢) المرزئة ، بفتح الميم والراء الساكنة بعدها زاي مكسورة ؛ من رزأه : أي أصاب
منه شيئا . سهلت الهمزة هنا ، وجاءت بالهمز في البخلاء وديوان المعاني (١ :
١٨٧) . ورويت في العقد (٤ : ٢٢٥) : « من دب الذباب » . والدب
بالفتح : مصدر دب : مشى على هيئته .

(٣) هو عبد الله بن همام السلولى ، كما سيأتى في (٦ : ٧٦) .

(٤) همدان : قبيلة يمنية . ط ، س : « بالأسلاب » وأثبت ماقى ل والجزء
السادس وثمان القلوب ٣٩٨ .

(٥) ط ، س : « إثارة » ، وتصحيحه من ل والجزء السادس وثمان القلوب .

(٦) كذا في ل والجزء السادس . ط ، س : « مجرب » وفي الثمار : « ابنى مقرب » .

(٧) قيس ، بالكسر : قدر . والكلمة التي بعدها هي في ط : « بن » س :
« ابن » وتصحيحه من ل والجزء السادس والثمار .

قال بعضهم : لم يذهب إلى مقدار أثره^(١) ، وإنما ذهب إلى مثل

قول ابن أحر :

ما كنت عن قومي بمهتضم^(٢) لو أن معصياً له أمرٌ
كلفتنى مَخَّ^(٣) البعوضِ فقد أقصرت لأُنْجَحُ ولا عُذْرُ^(٤)

(ما يَلْبَغُ من الحيوان وما لا يَلْبَغُ)

قال : وليس شيء مما يطيرُ يَلْبَغُ في الدَّم ، وإنما يلبغ في الدماء من

السَّباع ذوات الأربع . وأما الطَّيرُ فإنها تشربُ حَسَوًا ، أو عِبَّةً بعد عِبَّةً .

ونُغْبَةٌ بعد نُغْبَةٍ . وسباع الطَّيرِ قليلة الشُّرب للماء ، والأسد كذلك . قال

أبو زُبَيْد الطائى^(٥) :

تذبُّ عنه كَفُّ بها رَمَقٌ طيراً عكوفاً كزورِ العُرْسِ^(٦)

(١) ط ، س : « أثره » ، وصوابه في ل والثمار .

(٢) ل : « بذاهلة » .

(٣) ط ، س : « متخ » وصوابه من ل والثمار . و « كلفتنى مخ البعوض » مثل

يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة . أمثال الميداني (٢ : ٨٤) .

(٤) النجح ، بالضم : النجاح : ط : « ولا عُذْر » وتصحيحه من ل والثمار .

(٥) تقدمت ترجمته في (٢ : ٢٧٤) .

(٦) يقول : إن كفه التي بها بقية من حياة ، تدفع الذباب التي تحاول أن تظل عاكفة

عليه مقيمة ؛ لتأكل منه . وهي في تجمعها كأنه زور العرس قد اجتمعوا له .

والعرس : ونومة الزواج ، وقد ضم الراء للشعر . والزور : جمع زائر . وهذا تمثيل

جيد بارع . ط : « كذود » وأراها تصحيفا . والبيتان في صفة أسد صريع ،

كما في الأغاني (١١ : ٢٦) حيث تجد القصيدة . وأنشدها ابن الشجري في

حماسه ص ٢٧٣ .

إذا ونى ونيةً دلّفن له فهنّ من والغِ ومُنْتَهِسٍ^(١)
قال : والطير لاتلغ ، وإنما يلغ الذباب . وجعله من الطير ، وهو وإن
كان يطير فليس ذلك من أسمائه . فإذا قد جاز أن يستعير له اسم الطائر ،
جاز أن يستعير للطير ولغ السباع فيجعل حسوها ولغا ، وقال الشاعر :
سراع إلى ولغ الدماء رماحهم وفي الحرب والهيجاء أسدُضراغم^(٢)

(خصلتان محمودتان في الذباب)

قال وفي الذباب خصلتان من الخصال المحمودة : أمّا إحداها فقرب الحيلة
لصرف أذاها ودفع مكروها^(٣) ؛ فمن^(٤) أراد إخراجها من البيت فليس بينه
وبين أن يكون البيت على المقدار الأول من الضياء والسكن^(٥) [بعد
إخراجها] مع السلامة من التأذى بالذبان - إلا أن يغلق الباب ، فإنهم
يتبادرن إلى الخروج ، ويتسابقن في طلب الضوء والهرب من الظلمة ، فإذا
أرخى الستر وفتح الباب عاد الضوء وسلم أهله من مكروه الذباب . فإن
كان في الباب شق^(٦) ، وإلا جافى المغلق أحد البابين عن صاحبه^(٧)

(١) ونى : أبطأ ، أى عن ذب تلك الطيور ودفعها . دلف : مشى مشية المقيد .

(٢) ل : « سريع » س : « سود ضراغم » ويصح إذا قصرت « الهيجاء »
وتكون صحة كتابتها على هذا الوجه : « والهيجا أسود ضراغم » .

(٣) ط : « مكروها » وصوابه في ل ، س .

(٤) ل : « لمن » .

(٥) الكن بالكسر : الستر . ط ، س : « ولكن » ، والوجه ما أثبت من ل

(٦) لم يذكر الجواب .

(٧) ط ، س : « وإلا جاء في المغلق أحد - س : إحدى - البابين من صاحبه »
وتصحيحه من ل . وجافى : أبعد .

ولم يطبقه [عليه^(١)] إطباقاً . وربما خرجن من الفتح الذى يكون بين أسفل الباب والعتبة . والحيلة فى إخراجها والسلامة من أذاها يسيرة^(٢) ، وليس كذلك البعوض ؛ لأن البعوض إنما يشتدُّ أذاه ، ويقوى سلطانه ، ويشتدُّ كلبه^(٣) فى الظلمة ، كما يقوى سلطان الذبان^(٤) فى الضياء ، وليس يمكنُ الناسَ أن يُدخلوا منازلهم من الضياء ما يمنعُ عملَ البعوض ؛ لأنَّ ذلك لا يكون إلا بإدخال الشمسِ ، والبعوض لا يكون إلا فى الصيفِ ، وشمسُ الصيفِ لا صبرَ عليها . وليس فى الأرضِ ضياءٌ انفصلَ من الشمسِ إلا ومعه نصيبه من الحرِّ ، وقد يفارق الحرُّ الضياء^(٥) فى بعضِ المواضع ، والضياءُ لا يفارقُ الحرَّ فى مكانٍ من الأماكن .

فإمكان الحيلة فى الذباب يسير ، وفى البعوض عسير !

والفضيلة الأخرى : أنه لولا أن الذبابة تأكل البعوضة [و] تطلبها وتلتمسها

على وجوه حيطان البيوت ، وفى الزوايا ، لما كان لأهلها فيها قرار !

(الحكمة فى الذباب)

وذكر محمد بن الجهم - فيما خبرنى عنه بعضُ الثقات - أنه قال لهم

ذاتَ يوم : هل تعرفون الحكمة التى استفدناها فى الذباب^(٦) ؟ قالوا : لا .

(١) الزيادة من س .

(٢) ط ، س : « يسير » وتصحيحه من ل .

(٣) كلبه ، بالتحريك : شدة رغبته فى الغص .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الذباب » .

(٥) ط : « أيضاً » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ل « الخبر الذى استفدناه فى الذباب » .

قال : بلى ، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتفنيه^(١) : وذلك
أنى كنت أريد القائلة^(٢) ، فأمرت بإخراج الذباب وطرح الستر وإغلاق
الباب^(٣) قبل ذلك بساعة . فإذا خرجن حصل في البيت البعوض ، في سلطان
البعوض^(٤) و [موضع] قوته . فسكنتُ أدخلُ إلى القائلة فيأكلني
البعوضُ أكلاً شديداً . فأتيتُ ذاتَ يومٍ المنزلَ في وقتِ القائلة ، فإذا
ذلك البيتُ مفتوحٌ ، والستُّ مرفوعٌ ، وقد كان الغلمانُ أغفلوا ذلك
في يومهم ، فلما اضطجعتُ للقائلة لم أجد من البعوض شيئاً^(٥) وقد كان
غضبي اشتدَّ على الغلمان^(٦) ، فتمتُ في عافية . فلما كان من الغد عادوا
إلى إغلاقِ الباب وإخراجِ الذباب ، فدخلتُ ألتبسُ القائلة ، فإذا البعوضُ
كثير . ثمَّ أغفلوا^(٧) إغلاقَ البابِ يوماً آخر ، فلما رأيته مفتوحاً شتمتهمُ
فلما صرتُ إلى القائلة لم أجد بعوضةً واحدةً ، فقلت في نفسي [عند ذلك] : ١٠٠
أراني قد نمتُ في يَوْمِي [الإغفالِ وَ التَّضْيِيعِ] وامتنعَ منِّي النومُ في أَيَّامِ
التَّحْفُظِ والاحتراسِ . فلمَ لا أجربُ تركَ إغلاقِ البابِ في يومى هذا . فإن نمتُ^(٨)

(١) كذا في ل ، س . وفى ط : « وتصيدها وتلقطها وتفنيه » ، وهما صحيحتان .

(٢) القائلة : النوم في القائلة ، وهو نصف النهار .

(٣) ط : « فأغلاق الباب » ، وهو تحريف . والإشارة بكلمة « ذلك » الآية إلى القائلة .

(٤) ط ، س : « وقوى سلطانه » .

(٥) ل : « لم أجد البعوض كثيراً » .

(٦) ط ، س : « وقد كان الغضب يشتد على الغلمان » .

(٧) في الأصل « أغلقوا » ، والوجه ما أثبت . وانظر ماسياتي بعد سطر .

(٨) كذا على الصواب في ل ، س . وفى ط : « تمت » .

ثلاثة أيام^(١) لا ألتى من البعوضِ أذى مع فتح الباب ، علمتُ أن الصَّراب
في الجمع بين الذَّبَّانِ و [بين^(٢)] البعوض ؛ فإنَّ الذَّبَّانِ [هي التي]
تُغْنِيهِ^(٣) ، وأنَّ صلاحَ أمرنا في تقريبِ ما كُنَّا نباعد . ففعلتُ ذلك ، فإذا
الأمر قد تمَّ . فصرنا إذا^(٤) أردنا إخراجَ الذَّبَّانِ أخرجناها بأيسرِ حيلة ،
وإذا أردنا إفناء البعوضِ أفينناها [على أيدي الذَّبَّانِ بأيسرِ حيلة] .
فهاتانِ خصَّلتانِ من مناقبِ الذَّبَّانِ .

(طبَّ القوابلِ والعجائزِ)

وكان محمد بن الجهم^(٥) يقول : لانتهاونوا بكثيرٍ ممَّا تروُن^(٦) من
علاجِ القوابلِ والعجائزِ ، فإنَّ كثيراً من ذلك إنما وقع إليهنَّ^(٧) من قدماءِ
الأطباءِ ؛ كالذَّبَّانِ يُلتقى في الإثمِدِ ويسحقُ معه ، فيزيد [ذلك^(٨)] في نور
البصرِ ، ونفاذ^(٩) النظرِ ، وفي تشديد^(١٠) مراكز [شعر^(١١)] الأشفار^(١٢)
في حافاتِ الجفونِ .

(١) ل : « يومين » .

(٢) من س .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « يغنيه » .

(٤) ط ، س : « إن » .

(٥) ل : « وكان ابن الجهم » .

(٦) ط : « تزيلون » وتصحيحه من ل ، س و عيون الأخبار (٢ : ١٠٤)
والعقد (٦ : ٢٤٥) .

(٧) ط ، س : « إليهم » ، وهي على الصواب في ل و عيون الأخبار .

(٨) من ل و عيون الأخبار .

(٩) كذا في ل و عيون الأخبار . وفي ط ، س : « ويقوى » .

(١٠) ط ، س : « ويشد » .

(١١) من ل ، س .

(١٢) الأشفار جمع شفر بالضم ، ويفتح ، وهو أصل منبت الشعر في الجفن .

(نفع دوام النظر إلى الخضره)

وقلت له مرّة : قيل لمسرجويه : ما بال الأكرة^(١) وسكّان
البساتين ، مع أكلهم الكراث والتمر ، وشربهم ماء السّواقي على المالح^(٢)
أقلّ الناس خُفْشانا [وعميانا] ومُعْشانا^(٣) وعورا؟ قال : إني فكّرت في ذلك
فلم أجد له علّة إلا طول وقوع أبصارهم على الخضره .

(من لا يتقرّز من الذّبان والزناير والدّود)

قال ابن الجهم : ومن أهل السّفالة^(٤) ناسٌ يأكلون الذّبان ، [وهم]
لا يرمدون . وليس لذلك أكلوه^(٥) وإنما هم كأهل خراسان الذين يأكلون فراخ
الزّناير ، والزّناير ذبان ، وأصحاب الجبن الرّطب يأخذون الجبنة التي قد
نغلت^(٦) دوداً ، فيسكتها [أحدهم^(٧)] حتّى يخرج ما فيها من الدّود في راحته ،
ثمّ يقمّحها كما يقمّح السّويق^(٨) . وكان الفرزدق يقول : ليت أنّهم دفعوا إلىّ

-
- (١) الأكرة : جمع أكار ، وهو الحراث .
(٢) كذا . وفي ميون الأخبار (٢ : ١٠٨) : « وشربهم الماء الحار على
السك المالح » .
(٣) الأخفش : الضيق العينين ، أو الذي ضعف بصره خلقة ، أو الذي فسد جفنه
بلا وجع . ط ، س : « خفشانا وعشيانا » . والأعشى : الذي لا يبصر ليلاً .
(٤) السّفالة ، بالضم من بلاد الزنج .
(٥) ط : « أكلوا » .
(٦) نغلت : فسدت .
(٧) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .
(٨) قح السويق ، كفرج : استفه . والكلام من : « يأخذون » إلى هنا ، ساقط من ل .

نصيبى من الذبان ضربة واحدة ، بشرط أن آكله لراحة الأبد منها^(١) . وكان كما زعموا^(٢) شديد التقدر لها [والتفزز]^(٣) منها .

(دعوتان طريفتان لأحد القصاص)

وقال ثمامة : تساقط^(٤) الذبان فى مرق بعض القصاص وعلى وجهه فقال : كثر الله بكن القبور !
وحكى ثمامة عن هذا القاص أنه سمعه بعبادان^(٥) يقول فى قصصه :
اللهم من علينا بالشهادة ، وعلى جميع المسلمين !

(قصة فى عمر الذباب)

وقال لى المكي مرة : إنما عمر الذبان أربعون يوماً . قلت^(٦) : هكذا جاء فى الأثر . وكنا يومئذ بواسط فى أيام العسكر^(٧) وليس بعد أرض

(١) ضمير « آكله » للنصيب ، وضمير « منها » للذبان . ل : « منه » والتذكير والتأنيث جائزان .

(٢) ل : « وكان زعموا » .

(٣) هذه من س . وكلمة « لها » ساقطة من ل .

(٤) كذا فى ل والبيان (٢ : ٣١٧) وفى ط ، س والعقد (٤ : ٢٠٠) :
« وقع » .

(٥) عبادان : جزيرة فى دجلة ، قرب مصبها . وفى العقد : « ببغداد » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أربعين » ، ولا تصح هذه إلا بجمل
« عمر » فعلا .

(٧) ل : « الماسكر » . وانظر ماورد فى ص ٣٤٧ .

الهند أكثر ذباباً من واسط ، ولرأيت الحائط وكان عليه مسحاً^(١)
شديد السواد من كثرة ما عليه من^(٢) الذبان . فقلت للمكي : أحسب الذبان
يموت^(٣) في كل أربعين يوماً ، وإن شئت ففي^(٤) أكثر ، وإن شئت ففي أقل .
ونحن كما ترى ندوسها بأرجلنا ، ونحن ها هنا مقيمون من أكثر من أربعين
يوماً^(٥) ، بل منذ أشهر [وأشهر] ، وما رأينا ذباباً واحداً ميتاً . فلو كان ١٠١
الأمر على ذلك لرأينا الموتى كما رأينا الأحياء . قال : إن الذبابة إذا أرادت أن
تموت ذهبت إلى بعض الحرات^(٦) . قلت : فإننا قد دخلنا كل خربة^(٧)
في الدنيا ، ما رأينا فيها قط ذباباً ميتاً .

(المكي)

وكان المكي طيباً^(٨) طيب الحجاج ، ظريف الحيل^(٩) ، عجيب العلل
وكان يدعى كل شيء على غاية الإحكام ، ولم يُحكِم شيئاً قط ، [لا] من

-
- (١) المسح ، بالكسر : الكساء من الشعر ، جمعه أمساح ومسوح . قال أبو ذؤيب :
ثم شرب بنيط والجمال كأن الرشح منهن بالآباط أمساح
(٢) ط ، س : « من كثرة الذبان الذي عليه » .
(٣) ل : « أحسب أن الذبابة تموت » .
(٤) ط ، س : « في » .
(٥) ط ، س : « منذ أربعين يوماً » .
(٦) الحرات : جمع خربة ، كفرحة ، وهي موضع الحراب . ط ، س : « الحزاب »
وصوابه ما أثبت . ل : « الحرابات » ، ولم أر هذا الجمع ولا مفرده .
(٧) ط ، س : « خربة » ، وهي على الصواب في ل .
(٨) طيبا ، أي ظريفاً فكها . وانظر هذا الجزء ص ٦ . س : « طيبيا » .
(٩) ل : « كثير الحيل » .

الجليل ولا من الدقيق . وإذ قد جرى ذكره فسأحدثك ببعض أحاديثه ،
وأخبرك عن بعض عله ؛ لتلهمي^(١) بها ساعة ، ثم نعود إلى [بقية]
ذكر الذبان .

(نَوَادِرُ لِلْمَكِّيِّ)

ادعى هذا المكّي البَصَرَ بالبراذين ، ونظر إلى برذونٍ واقف ، قد
ألقي صاحبه [في] فيه اللجام ، فرأى فأسَ اللجام^(٢) وأين بلغ منه ، فقال
لي: العجب ! كيف لا يذرعُه التواء ، وأنا لو أدخلت إصبعي [الصغرى]
في حلقى لما بقيَ في جوفى شيءٌ إلا خرج ؟ ! قلت : الآن علمتُ أنك
تُبصر^(٣) ! ثم مكث البرذون ساعةً يلوكُ لجامه ، فأقبل عليّ فقال لي :
كيف لا يبرُدُ أسنانه ؟ ! قلت : إنما يكون [علم هذا] عند البصراءِ مثلك !
ثم رأى البرذونَ كلّمًا لآك اللجامَ والحديدة^(٤) سال لعابُه علي الأرض
فأقبل عليّ وقال : لولا أن البرذونَ أفسدُ الخلقَ عقلاً لكان ذهنه قد
صفا^(٥) ! قلت له : قد كنت أشكُ في بصرك بالدوابِّ ، فأما بعد هذا فلستُ
أشكُ فيه !

(١) ل : « لتلهمي » ، وحذف التاء في مثل هذا جاز .

(٢) فأس اللجام : الحديدة القائمة في الحنك .

(٣) ل : « بصير » .

(٤) لآكه يلوكه لوكا : عضه . ل : « كلما لآك الحديدة » .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « فقال لي إن البرذون أفسد الخلق عقلا ، ولو لا

ذلك لكان ذهنه قد صفا » .

وقلت له مرةً ونحن في طريق بغداد: ما بال الفرسخ في هذه الطريق يكون
فرسخين ، والفرسخ يكون أقلّ من مقدار نصف فرسخ ؟ ! ففكر طويلاً ثمّ
قال : كان كسرى يُقَطِّعُ للناس الفراسخ ، فإذا صانعٌ صاحب القطيعة
زادوه ، وإذا لم يصانع نقصوه !

وقلت له مرّةً : علمتُ أنّ الشاري^(١) حدّثني أنّ المخلوع^(٢) بعث إلى
المأمونٍ بجرابٍ فيه سمّيمٌ ؛ كأنّه يخبرُ أنّ عنده من الجند بعدد ذلك [الحبّ]
وأنّ المأمون بعث إليه بديكٍ أعورٍ ، يريد أن طاهر بن الحسين^(٣) يقتل هؤلاء
كلّهم ، كما يلقط الدّيك الحبّ ! قال : فإنّ هذا الحديث أنا ولّدته . ولكن
انظر كيف سار في الآفق ؟ !
وأحاديثه وأعاجيبه كثيرة .

(١) ل : « السيارى » .

(٢) المخلوع هو محمد الأمين بن هارون الرشيد ، وهو أخو المأمون .

(٣) طاهر بن الحسين ، كان الساعد الأيمن للمأمون . ولما خلع المأمون بيعة أخيه
الأمين أرسل طاهراً إلى محاربته ، فوجه الأمين على بن عيسى لملاقاته طاهر ، فلقيه
بالرى فقتله طاهر سنة ١٩٥ وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد
وحاصر بغداد والأمين بها ، فقتله سنة ١٩٨ ، وحل رأسه إلى خراسان ووضع
بين يدي المأمون ، وعقد للمأمون على الخلافة . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة
٢٠٧ . وكانت له عين واحدة ، ففى ذلك يقول عمرو بن بانه :

ياذا البيتين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائده

(معارف في الذباب)

ثمَّ رجع بنا القولُ إلى صلة كلامنا في الإخبار عن الذَّبَّانِ .

فأمَّا سكَّان بلاد الهند فإنهم لا يطأُبُخون قِدرًا ، ولا يعملون حَلْوَى^(١) ولا يكادون يأكلون إلَّا ليلًا ؛ لِمَا يتهافت من الذَّبَّانِ في طعامهم . وهذا يدلُّ على عفنِ التُّربةِ ونَحْنِ الهواءِ .

وللذَّبَّانِ يعاسيبٌ وجِحْلانٌ^(٢) ، ولكن ليس لها قائدٌ ولا أمير .

ولو كانت هذه الأصناف التي يحرسُ بعضها بعضاً ، وتتخذ رئيساً يدبُّرها

ويحوطها ، لَمَّا أُخرج^(٣) ذلك منها العقلُ دونَ الطَّبعِ ، وكالشيءِ يَخْصُ

١٠٢ به البعض دون الكل^(٤) - لكان الذرُّ [وَالْتَمَلُ] أحقُّ بذلك من

الكراكيِّ والغرائيقِ^(٥) والثَّيرانِ ، ولسكان الفيلِ أحقُّ به من البعيرِ ؛

لأنه ليس للذرِّ قائدٌ ولا حارسٌ ، ولا يعسوبٌ يجمعها ويحميها بعضَ المواضعِ ،

ويوردها بعضاً .

(١) في الأصل: « الحلوا » ، وإنما هي « الحلوى » تقصر وتمد .

(٢) الجحْلان ، بتقديم الجيم المكسورة على الحاء : جمع جحل بالفتح ، وهو العظيم

من اليعاسيب . واليعاسيب هي كبار الذباب كما نقل الدميري عن الجاحظ . ونُفِظ

« الجحْلان » جاء في الأصل بتقديم الحاء ، وهو تصحيف .

(٣) ل ، س : « خرج » .

(٤) ل : « دون البعض » ، ومؤدى العبارتين واحد .

(٥) الغرائيق : جمع غرنيق ، بضم الغين وفتح النون ، وهو طائر أبيض طويل العنق

من طير الماء . ويطلق في العراق على ما يسمى بالإوز العراقي .

وكلُّ قائدٍ فهو يعسوبٌ ذلك الجنسِ المَقُودِ . وهذا الاسمُ مستعارٌ من
فحل النَّحْلِ وأمير العَسَّالَاتِ (١) .

وقال الشاعر (٢) وهو يعنى الثور :

كَمَا ضَرَبَ الْعَسُوبُ إِذْ عَافَ بِأَقْرٍ وَمَا ذَنْبُهُ إِذْ عَافَتِ الْمَاءَ بِأَقْرٍ

وكما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فى صلاح الزَّمان (٣) وفساده :

« فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعُوبُ الدِّينَ بِذَنْبِهِ (٤) » .

وعلى ذلك المعنى قال حين مرَّ بعبد الرحمن بن عتَّاب [بن أسيد] (٥)

قتيلاً يوم الجمل : « لَهْفَى عَلَيْكَ يَعُوبُ قَرِيشٍ ! جَدَعْتَ أَنْفِي وَشَفَيْتَ
نَفْسِي ! » .

قالوا : وعلى هذا المعنى قيل : « يعسوب الطُّفاوة (٦) » .

(١) العسالات : النحل التي تخرج العسل .

(٢) هو الهيبان الفهمى ، كما سبق فى (١ : ١٩) .

(٣) ط ، س : « الذبان » ، وهو تحريف طيب ، صوابه فى ل .

(٤) يعسوب الدين : سيد الناس ورئيسهم فى الدين . وضرب ، أى ضرب فى الأرض
مسافراً أو مجاهداً . وذنبيه أى أتباعه الذين يتبعونه على رأيه . وللعبارة معانٍ آخر
تكفل بها صاحب اللسان .

(٥) عبد الرحمن بن عتَّاب ، أحد الرواة الذين ولدوا فى آخر عهد الرسول . وقد شهد

وقعة الجمل مع عائشة ، والتقى هو والأشتر فقتله الأشتر ، وقيل قتله جندب بن زهير

ورآه على وهو قتيل فقال ما قال . الإصابة ٦٢٢٠ والمعارف ١٢٣ . و « أسيد » ضبط

فى الإصابة ٥٠٣٨٣ والاشتقاق ٧٨ بتحقيقنا بفتح الهمزة . قال ابن دريد : « وأسيد : فاعل من

قولهم أسد بأسداً إذا صار كالأسد . وفى اللسان (عسب) بضمها على هيئة التصغير ، تحريف .

(٦) الطفاوة ، بالضم ؛ حى من قيس عيلان . وليت شعرى من سمى بهذا اللقب .

(أقدر الحيوان)

وزعم بعض الحكماء أنه لا ينبغي أن يكون في الأرض شيء من الأشياء أنتن من العذرة ، فكذلك لا شيء أقدر من الذبّان والقمل . وأمّا العذرة فلولا أنها كذلك لكان الإنسان مع طول رؤيته لها ، وكثرة شمّه لها من نفسه في كلّ يوم صباحاً ومساءً ، لقد كان ينبغي أن يكون قد ذهب تقدره له على الأيام (١) ، أو تمحق (٢) ، أو دخله (٣) النقص . فبئسها ستين عامّاً وأكثر وأقلّ على مقدار واحد [من النتن] في أنف الرجل ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك (٤) ، وقد رأينا الميران (٥) والعادات وصنيعها في الطبائع ، وكيف تهون الشديد ، وتقلل الكثير . فلولا أنها فوق كلّ شيء من النتن ، لما ثبتت هذا الثبات ، ولعرض لها ما يعرض لسائر النتن . وبعد فلو كان إنّما يشم شيئاً خرج من جوف غيره ولم

(١) ط ، س « أن يكون ذلك قد ذهب تقدره له على الأيام » . ل : « أن يكون

ذلك قد ذهب على الأيام » ، وقد عدلت القول بما ترى

(٢) تمحق : امحى وذهب . ط ، س : « يمحق » ، وأثبت ما في ل .

(٣) ط ، س : « يدخله » .

(٤) ل : « في أنف من وجده ألف عام كذلك » .

(٥) لم أر الميران بمعنى التعود والإلف . ووجدته مصدراً لما رنت الناقة مرانا ، إذا ظهر

أنها قد لقمحت ولم يكن بها لقاح . وأما المعنى الأول فلفظه المرون والمرونة والمرانة .

ط ، س : « المرات » تحريف .

يخرجُ من جوفِ نفسه ، لكان ذلك أشبهه . فإذا قد ثبت في أنفه على هذا المقدار^(١) ، وهو منه دونَ غيره ، وحتى صار يجده أثنانَ من رَجِيع [جميع] الأجناس - فليس ذلك إلا لما قد خصَّ به من المكره .

وكذلك القول في القمل الذي إنمَّا يُخلق من عَزَقِ الانسان ، ومن رائحته ، ووسخِ جلده ، وبخارِ بدنه . وكذلك الذَّبَّانُ المخالطةُ لَهُمْ في جميع الحالات ، والملايسةُ لَهُمْ دُونَ جميعِ الهوامِّ والهمجِ والطَّيرِ والبهائمِ والسَّبَّاعِ حتى تكون أُلزَمَ من كلِّ ملازم ، وأقربَ من كلِّ قريب ؛ حتى ما يمتنعُ عليه شيءٌ من بدنِ الإنسانِ ، ولا من ثوبه ، ولا من طعامِهِ ، ولا من شرابه ، [حتى لزمه لزوماً] لم يلزمه شيءٌ^(٢) قطُّ كلزومه ، حتى إنه يسافر السَّفَرَ البعيدَ من مواضعِ الحِصْبِ ، فيقطعُ البراريَّ والقفارَ التي ليس فيها ولا بقربها نباتٌ ولا ماءٌ ولا حيوانٌ ، ثمَّ مع ذلك يتوخى عند الحاجة إلى الغائطِ في تلك البرِّيَّة أن يفارق أصحابه ، فيتباعدُ في الأرض ، وفي صحراءِ ١٠٣ خلقاء^(٣) ، فإذا تبرَّزَ فتى وقع بصره على بَرَاذِهِ رأى الذَّبَّانَ ساقطاً عليه . فقَبَلَ ذلك ما كان يراه . فإن كان الذَّبَّابُ شيئاً يتخلَّق له في تلك الساعة فهذه أعجبُ مما رآه ومما أردنا^(٤) ، وأكثرُ مما قلنا . وإن كان قد كان ساقطاً على الصُّخُورِ المُنْسِ ، والبقاعِ الجُرْدِ ، في اليومِ القاطِظِ ، وفي الهاجرةِ

(١) ط ، س : « على هذا المقدار من التَّن » .

(٢) ط ، س : « ولا من شرابه لم يلزم شيئاً » وله وجه .

(٣) الخلقاء : المصنعة التي لا نبات فيها ، الملساء . ل : « صخرة ملساء » .

(٤) ط فقط : « أردناه » . ل : « أعجب مما أردنا » .

التي تشوي كل شيء ، وينتظر مجيئه - فهذا أعجب مما قلنا . وإن كانت قد تبعته من الأمصار ، إما طائراً^(١) معه ، وإما ساقطة عليه ، فلما تبرز انتقلت عنه إلى برازه ، فهذا تحقيق لقولنا إنه لا يلزم الإنسان شيء لزوم الذباب ؛ لأن العصافير ، والخطاطيف ، والزرراير ، والسنانير ، والكلاب وكل شيء يألف الناس ، فهو يقيم مع الناس . فإذا مضى الإنسان في سفره ، فصار كالمستوحش^(٢) ، وكالتازل بالقفار ، فكل شيء أهلي يألف الناس فإنما هو مقيم على [مثل] ما كان من إلفه لهم ، لا يتبعهم من دور الناس إلى منازل الوحش ؛ إلا الذبان .

قال : فإذا كان الإنسان يستقدر الذبان في مرّقه وفي طعامه هذا الاستقدار ، ويستقدر القمل مع محله من القرابة والنسبة هذا الاستقدار فعلم أن ذلك لم يكن إلا لما خص به من القدر . وإلا فبدون هذه القرابة وهذه الملابسة ، تطيب الأنفس عن كثير من المحبوب .

(إلاح الذباب)

قال : وفي الذبان خبر آخر : وذلك أنهم ربّما تعودن المبيت على خصوص فسيلة وأقلابها^(٣) من فسائل الدور ، أو شجرة ، أو كلة^(٤) ، [أو]

(١) ط ، س : « سائرة » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) المستوحش : ضد المستأنس . ط س : « كالمستوحش » .

(٣) الفسيلة ككريمة : النخلة الصغيرة . والأقلاب : جمع قلب ، وهو شحمة النخلة أو أجود خصوصها .

(٤) الكلة ، بالكسر : السر الرقيق ، والغشاء الرقيق يتوقى به من البعوض . ط ، س : « أو بلة » .

باب ، أو سقف بيت ، فَيُطْرَدْنَ إِذَا اجتمعن لوقتهنَّ عند المساء^(١) ليلتين أو ثلاث ليالٍ ، فيتفرقنَ أو يهجرنَ ذلك المكان في المُسْتَقْبَلِ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمَكَانُ قَرِيبًا ، وهو لهنَّ معرَّضٌ ، ثمَّ لا يدعُنَ أن يلتَمِسْنَ مبيتاً غيره . ولا يعرض لهنَّ من اللجاجِ في مثل ذلك ، مثلُ الذي يعرض لهنَّ من كثرة الرجوعِ إلى العينين والأنف بعد الذبِّ والطرد ، وبعد الاجتهادِ في ذلك .

(أذى الذباب ونحوها)

وقال محمد بن حرب^(٢) : ينبغي أن يكونَ الذَّبَّانُ سُمًّا نَاقِعًا ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَشْتَدُّ إِذَا هُ انْمَسَّ بِاللَّمْسِ مِنْ غَيْرِهِ ، فهو بالمداخلة والملابسة أجدرُّ أن يؤذى . وهذه الأفاعى والثعابينُ والجرارات^(٣) قد تمسُّ جلودَها ناسٌ فلا تضرُّهم^(٤) إلاَّ بأن تلابسَ إبرةَ العقربِ ونابُ الأفعى الدَّم . [ونحن] قد نجد الرَّجُلَ يَدْخُلُ فِي خَرْقِ أَنْفِهِ ذَبَابٌ ، فيجولُ في أوله من غير أن يجاوزَ [ما حاذى]

(١) ط ، س : « العشاء » .

(٢) هو أبو علي محمد بن حرب الهلالي ، كان من أعلام متكلمي الخوارج ، وكان من البلغاء الأبيناه ، وكتب للأمين : انظر الفهرست ٢٥٨ ، ١٨٢ . وقد روى عنه الجاحظ في غير ما موضع من البيان .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صغار تجرر أذناها ، وهن أشد العقارب فتكا . ط ، س : « والجرار » ، وهى على الصواب في ل .

(٤) ط : « ولا تضرهم » محرفة .

روثة أنفه وأرنبته^(١) فيخرجه الإنسان من جوف أنفه بالنفخ وشدة النفس ولم يكن له هنالك لُبْتُ ، ولا كان منه عضو ، وليس إلا ما مس^(٢) بقوائمه ١٠٤ وأطراف جناحيه ، فيقع [في^(٣)] ذلك المكان من أنفه ، من الدغدغة والأكال^(٤) والحسكة ، ما لا يصنع الخردل^(٥) وبصل الترجس ، ولبن التين . فليس يكون ذلك منه إلا وفي طبعه من مضادة طباع الإنسان ما لا يبلغه مضادة شيء وإن أفرط .

قال : وليس الشأن في أنه لم ينخس^(٦) ، ولم يجرح ، ولم ينخز^(٧) ولم يعض ، ولم [يغمز] ، ولم يخذش . وإنما هو على قدر منافرة الطباع للطباع ، وعلى قدر القرابة والمشاكله .

(١) روثة الأنف : طرف الأرنبة . والأرنبة : طرف الأنف . ط ، س : « روث أنفه » ، وصحته في ل .

(٢) ط : « بما » ، وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) الأكال ، بالضم : الحسكة .

(٥) الخردل : نبت يسمى بمصر (الكبر) بالتحريك ، يخرج كثيراً مع البرسيم ، وله بذر حار . ومن طريق ماروي داود ، أن أهل مصر يأكلونه مع الشواء في عيد الأضحى . وبديل هذه الكلمة في ل : « الحرب » ، صوابها « الحرف » كقفل ، وهو حب الرشاد .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « يغمش » .

(٧) ط ، س : « يغمز » .

(الأصوات المكروهة)

[و] قد نجدُ الإنسانَ يغمُّ بِتَنَقُّضٍ^(١) الفتيلة وصوتها عندَ قربِ انطفاءِ النارِ ، [أ] ولبعضِ البللِ يكونُ قد خالطَ الفتيلة ، ولا يكونُ الصوتُ بالشَّديدِ^(٢) ، ولكنَّ الاغتمامَ به ، والتكرُّهَ له ، ن في مقدارٍ ما يعتريه من أشدِّ الأصواتِ . ومن ذلكِ المكروهُ الذي يدحُلُ على الإنسانِ من غَطِيظِ النَّأَمِ ، وليست تلكِ الكراهةُ لعلَّةِ الشَّدَّةِ والصَّلابةِ ، ولكن من قِبَلِ الصُّورَةِ والمقدارِ ، وإن لم يكن من قبلِ الجنسِ^(٣) . وكذلك صوتُ احتكاكِ الآجرِّ الجديديِّ بعضه ببعضِ ، وكذلك شجرِ الآجامِ على الأجرافِ^(٤) ؛ فإنَّ النَّفسَ تكرهه كما تكره صوتَ الصَّاعقةِ . ولو كان على ثقةٍ من السَّلامةِ من الاحتراقِ ، لما احتفلَ بالصَّاعقةِ ذلكِ الاحتفالَ . ولعلَّ ذلكِ الصوتُ وحدهُ ألا يقتله^(٥) . فأما الذي نشاهدُ اليومَ الأمرَ عليه ، فإنه متى قرب منه قتله . ولعلَّ ذلكَ إنما هو لأنَّ الشَّيْءَ إذا اشتدَّ صَدْمُهُ^(٦) فَسَخَّ القوَّةَ

(١) تنقضت الفتيلة : صوتت . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط :

« بتنقض » ، وفي س ، ل : « بتنفض » .

(٢) ط : « بالشر » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « إذا لم يكن من قبل الجنس » .

(٤) الآجام : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف . والأجراف : جمع جرف بالضم

وبضمتين ، وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادي والنهر .

(٥) ل : « ولعل ذلك الصوت أن لو خالطة لم يقتله » .

(٦) ط ، س : « صوته » .

أو لعلَّ الهواء الذي فيه ^(١) الإنسان والمحيط [به] أن يحمى ويستحيل ناراً ^(٢) ؛
للذي قد شارك ذلك الصَّوت من النَّار . وهم لم يجدوا الصَّوت ^(٣) شديداً جداً
إلا ما خالطَ منه النَّار .

(ما يقتات بالذباب)

وقال ابن حرب : الذَّبَّان قوتُ خلقٍ كثيرٍ من خلق الله عزَّ وجلَّ ،
وهو قوتُ الفراريج ، والحفافيش ، والغنكبوت ، وأنخلد ^(٤) ، وضروبٍ
كثيرةٍ من الهمج ، همج الطير ، وحشرات السَّبَاع ^(٥) . فأما الطير والسُّودَانِيَّات ^(٦) ،
والحصَانِيَّات ^(٧) ، والشاهمُرُكات ^(٨) ، وغير ذلك من أصنافِ الطير ؛ وأما
الضَّبَاع - فإنَّها تأكل الجيف ، وتدع في أفواهاها فضولاً ، وتفتحُ أفواهاها

(١) ل : « في » .

(٢) كذا في ل واللسان (ص ٦٧) . وفي س : « يستحر » وفي ط : « ويستخر » .

(٣) ط ، س : « وهم لم يجدوا الصوت من النار » . والوجه ما أثبت مز .

(٤) الخلد ، بالضم ويفتح : دابة عمياء صماء ، سيحدث عنها الجاحظ في (٦ : ٤١١)

(٥) كذا .

(٦) السودانيات : الزراير . ل : « وكالسودانيات » تحريف .

(٧) في القاموس : « الحصانيات : طير » . ط س : « الحصانيات » ، تصحيف

صوابه في ل .

(٨) الشاهمرك ، ويقال الشاهمرك كما ورد في المخصص (٨ : ١٥٢) : كل طائر طويل

الساقين . بدأ فسرهُ شيخ المحققين الأب أنستاس ماري في رسالة إلى . وقال : « هو بالفرنسية :

Echassier ، وبالمعنى المتقدم في الفارسية » . قلت : قد ضبطت هذه الكلمة

وتفسرت خطأ في (١ : ٢٨) . وقد عده الجاحظ من الحيوان آكل الحيات

(١ : ٢٨ ، ٦ : ١٢٤) .

للذَّبَّانِ ، فإذا احتشَّتْ ضَمَّتْ عليها . فهذه إنما تصيد الذَّبَّانَ بنوعٍ واحدٍ ، وهو الاختطافُ والاختلاسُ ، وإعجالها عن الوثوب إذا تَلَقَّطته بأطراف المناقير ، أو كبعض ما ذكرنا من إطباق الفم عليها .

(صيد اللَّيْثِ للذَّبَّابِ)

فَأَمَّا الصَّيْدُ الَّذِي لَيْسَ لِلْكَلْبِ ، وَلَا لِعَنَاقِ الْأَرْضِ ^(١) ، وَلَا لِلْفَهْدِ ، وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِثْلَهُ فِي الْحَذْقِ وَالْخِتْلِ وَالْمَدَارَاةِ ، وَفِي صَوَابِ اللَّوْثَبَةِ ، وَفِي التَّسَدُّدِ وَسُرْعَةِ الْخَطْفِ ، [فليس ^(٢)] مِثْلَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ اللَّيْثُ وَهُوَ الصَّنْفُ الْمَعْرُوفُ مِنَ الْعِنَاكِبِ بِصَيْدِ الذَّبَّانِ ^(٣) ؛ فَإِنَّكَ تَجِدُهُ إِذَا عَايَنَ الذَّبَّانَ سَاقِطاً ، كَيْفَ يَلْطَأُ ^(٤) بِالْأَرْضِ ، وَكَيْفَ يَسْكُنُ جَمِيعَ جَوَارِحِهِ لِلْوْثَبَةِ ، وَكَيْفَ يُؤَخَّرُ ذَلِكَ إِلَى وَقْتِ الْغِرَّةِ ، وَكَيْفَ يَرِيهَا أَنَّهُ عَنْهَا لَاهٍ ؛ ١٠٥ فَإِنَّكَ تَرَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً لَمْ تَرِ مِثْلَهُ مِنْ فَهْدٍ قَطُّ ، وَإِنْ كَانَ الْفَهْدُ مَوْصُوفاً مَنَعُوتاً .

(١) عناق الأرض : دابة نحو الكلب الصغير تصيد صيداً حسناً . الحيوان (٦ : ٣٥٢)
في الأصل : « لعناق » بالناء ، وهو خطأ .
(٢) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .
(٣) ل : « وهو صنف من العناكب » .
(٤) لطاء بالأرض ، كنع وفرح : لصق . ط ، س : « يلتطى » .

واعلم أنه قد ينبغي ألا يكون في الأرض شيء أصيد منه ؛ لأنه لا يطير ،
ولا يصيد إلا ما يطير ! ويصيد طائراً شديداً الحذر ، ثم يصيد صياداً ! لأن
الذباب يصيد البعوض . وخذيعتك للخداع أعجب ، ومكرك بالماكر أغرب !
فكذلك يكون صيد هذا الفن ^(١) من العنكبوت .

(صيد الوزغ والزناير للذباب)

وزعم الجرداني ^(٢) أن الوزغ تختل الذبان ، وتصيدها صيداً حسناً
شبيهاً بصيد الليث .

قال : والزنبور حريص على صيد الذبان ، ولكنه لا يطعم فيها إلا أن
تكون ساقطة على خرء ، دون كل تمر وعسل ؛ لشدة عجبها بالخرء ، وتشاغلها
به ! فعند ذلك يطعم فيه الزنبور ويصيده .

وزعم الجرداني ^(٣) وتابعه كيسان : أن الفهد إنما أخذ ذلك عن الليث . ومتى
رآه ^(٤) الفهد يصيد الذبان حتى تعلم منه ؟ ! فظننت أنهما قلداً في ذلك بعض
من إذا مدح شيئاً أسرف فيه .

(١) الفن : الضرب والنوع . ل : « الفز » ، وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلها في س : « الجرداني » .

(٣) س : « الجرداني » . ل : « الجردى » .

(٤) ل : « وحتى » ، وهو تحريف .

(تقليد الحيوان للحيوان وتعلمه منه)

ويزعمون أنّ السَّبَّعَ الصَّيُودَ إذا كان مع سَبْعٍ هو أصْبَدُ منه ، تَعَلَّمَ مِنْهُ وَأَخَذَ عَنْهُ . وهذا لم أَحَقَّهُ . فأما الذي لا أشكُّ فيه فأنَّ الطَّائِرَ الْحَسَنَ الصَّوْتِ الْمَلْحَنَ ، إذا كان مع نواحيح [الطَّيْرِ] ^(١) ومغنياتها ، فكان بقربِ الطَّائِرِ ^(٢) من شِكْلِهِ ، وهو أَحذقُ مِنْهُ [وأكرز] ^(٣) وأمهر ، جاوبه وحكاه ، وتعلَّم مِنْهُ ، أو صنع شيئاً يقوم مقامَ التعلُّمِ .

(تعليم البراذين والطيور)

والبرذونُ يُراضُ فيعرفُ ما يرادُ مِنْهُ ، فيعينُ على نفسه . وربما استأجروا للطَّيْرَ رجلاً يعلمُها . فأما الذي رأيتُه أنا في البلابل ، فقد رأيتُ رجلاً يُدعى لها فيطارحُها من شكلِ أصواتها .

(ما يخترع الأصوات واللحون من الطيور)

وفي الطَّيْرِ ما يخترع الأصواتَ واللحونَ التي لم يُسمعَ بمثلها قطُّ من المؤلِّفِ للحنونِ مِنَ النَّاسِ ؛ فإنه ربما أنشأ لحناً لم يمرَّ على أسماع ^(٤) المغنين قطُّ .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ط : « يقرب » .

(٣) أكرز بمعنى أحذق .

(٤) ط : « سماع » .

وأكثر ما يجدون ذلك من الطير في القمارى ، وفي السودانيات (١) ، ثم في الكرازة (٢) . وهي تأكل الذبان أكلاً ذريعاً .

(الأجوج من الحيوان)

ويقال إن اللجاج في ثلاثة أجناس من بين جميع الحيوان : الخنفساء ، والذباب ، والدودة الحمراء ؛ فإنها في إبان ذلك تروم الصعود إلى السقف ، وتمرّ على الحائط الأملس شيئاً قليلاً فتسقط وتعود ، ثم لا تزال تزداد شيئاً ثم تسقط ، إلى أن تمضي إلى باطن السقف ، فربما سقطت ولم يبق عليها إلا مقدار إصبع ، ثم تعود .

(لجاج الخنفساء واعتقاد المفاليس فيها)

والخنفساء تُقبِلُ قبِلَ الإنسان فيدفعها ، فتبعد بقدر تلك الطردة والدفعة ثم تعود أيضاً ، فيصنع بها أشدّ من تلك ثم تعود ، حتى ربما كان ذلك سبباً لغضبه ، ويكون غضبه سبباً لقتلها .

(١) السودانيات : الزراير .

(٢) الكرازة : جمع كرز ، كقبر ، وهو البازي . ط ، س : « الكرازة » وهو تحريف .

وما زالوا كذلك ، وما زالت كذلك ، حتى سقط إلى المفاليس^(١) أن ١٠٦
الحنافس تجلب الرزق . وأن دنوها دليل على رزقٍ حاضر : من صِلَةٍ
أو جائزة ، أو ربحٍ ، أو هديّةٍ ، أو حظٍّ . فصارت الحنافسُ إن دخلتْ
في قَمُصهم ثمَّ نفذتْ إلى سراويلاتهم لم يقولوا لها قليلاً ولا كثيراً . وأكثرُ
ما عندهم اليومَ الدَّفْعُ لها ببعض الرِّفق . ويظنُّ بعضهم أنه إذا دفعها^(٢)
فعدتْ ، ثمَّ دفعها ، فعدتْ ، ثمَّ دفعها فعدتْ - أن ذلك كلما كان
أكثرَ ، كان حظُّه من المال الذي يؤمّله عند مجيئها أجزَلَ^(٣) .
فانظرْ ، آية واقيةٍ ، وآية حافظة^(٤) ، وأى حارسٍ ، وأى حصنٍ أنشأه
لها هذا القول^(٥) ! وأى حظٍّ [كان] لها حين صدّقوا [بهذا الخبر]
هذا التصديق^(٦) ! والطَّمعُ هو الذي أثارَ هذا الأمرَ من مدافنه^(٧) ، والفقيرُ
هو الذي اجتذب^(٨) هذا الطَّمعَ واجتلبه . ولكن الويل لها إن ألحَّتْ على
غنيٍّ عالمٍ ، وخاصةً إن كان مع جدِّته وعلمه حديداً عجولاً^(٩) .

(١) المفاليس : جمع مفلس . ط ، س : « المقاييس » ولا تصح .

(٢) ل : « دفعها » في مواضعها الثلاثة .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س « أكثر » .

(٤) كذا في ل ، س . وفي ط : « آية واقية دائمة حافظة » .

(٥) القول هنا بمعنى الاعتقاد . ط ، س : « وأى حصن إن شاء الله تعالى لها بهذا القول » ، ووجهه من ل .

(٦) كذا في ل . س : « بهذا القول ذلك التصديق » .

(٧) ل : « مواقيه » .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « سبب » .

(٩) هذه العبارة ساقطة من ل . والجدّة ، كعمدة : الغنى واليسار . وفي الأصل :
« مع حلوته » .

(اعتقاد العامة في أمير الذبّان)

وقد كانوا يقتلون الذبابَ الكبيرَ الشديدَ الطنين (١) الملحَّ في ذلك ،
الجهيرَ الصوت ، الذي تسميه العوامُ : « أمير الذبّان » ، فكانوا يحتالون
في صرفه (٢) وطرده [وقتله] ، إذا أكرههم بكثرةِ ظنينه وزجله وهماهم (٣)
فإنه لا يفتّر (٤) . فلما سقط إليهم أنه مبشّرٌ بقدمِ غائبٍ وُبرءٍ سقيمٍ ، صاروا (٥)
إذا دخل المنزلَ وأوسعهم شراً ، لم يهجه أحدٌ منهم .

وإذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ أن يُنسىَ في أجلِ شيءٍ من الحيوانِ هيئاً لذلك
سبباً ، كما أنه إذا أرادَ أن يقصرَ عمره [ويحينَ يومه] هيئاً لذلك (٦) سبباً .
فتعالى الله علواً كبيراً !

ثمَّ رجع بنا القولُ إلى إلحاحِ الذبّانِ .

(١) كلمة « الكبير » ساقطة من ل . ولفظ « الطنين » هي في ط ، س :

« البطش » وتصحيحه من ل .

(٢) ل : « ضربه » وليس بشيء .

(٣) هماهم : جمع هممة ، والمراد بها الطنين .

(٤) أي لا يسكن ولا ينقطع عن الطنين . ط : « يغير » وصوابه في ل ، س .

(٥) ل : « صار » .

(٦) ط ، س : « له » .

(عبد الله بن سوار وإلحاق الذباب)

كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبدُ الله بنُ سوار^(١) ، لم يرَ النَّاسُ حاكماً قطُّ ولا زِمِيّاً ولا رَكِيناً^(٢) ، ولا وقوراً حليماً ، ضَبَطَ من نفسه ومَلَكَ من حركته مثلَ الذي ضَبَطَ ومَلَكَ . كان يصليُّ الغداةَ في منزله ، وهو قريب الدَّار من مسجده ، فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتسكى ، فلا يزالُ منتصباً لا يتحرك له عضوٌ ، ولا يلتفت ، ولا يحلُّ حَبَوته^(٣) ولا يحولُ رجلاً عن رجل^(٤) ، ولا يعتمد على أحدٍ شقيقه ، حتَّى كأنه بناءٌ مبنىٌ ، أو صخرةٌ منصوبةٌ . فلا يزال كذلك ، حتَّى يقوم إلى صلاة الظهر ثمَّ يعودُ إلى مجلسه فلا يزال كذلك^(٥) حتَّى يقوم إلى العصر ، ثمَّ يرجع لمجلسه ، فلا يزال كذلك حتَّى يقوم لصلاة المغرب ، ثمَّ رُبما عاد إلى محله ، بل كثيراً ما كان يكون ذلك إذا بقي عليه من قراءة العهود والشُّروط والوثائق ، ثمَّ يصليُّ العشاء [الأخيرة^(٦)] وينصرف . فالحق يقال : لم يقم

(١) هو عبد الله بن سوار (بالتشديد) بن عبد الله بن قدامة المنبزي البصرى . وسبقت ترجمة ولده سوار بن عبد الله بن سوار في ٢ : ١٨٧ . والقصة رواها المرتضى في في أماليه ٤ : ٢٢ .

(٢) كلمة : « قط » ساقطة من ل ، كما سقطت « ولا » من ط ، س . والزيمت كسكيت : العظيم الوقار . والركين الرزين .

(٣) الحبوة ، بالفتح وتضم : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

(٤) ط ، س : « ولا يحلُّ رجلاً على رجل » وأثبت ما في ل ونمار القلوب ٣٩٦ .

(٥) الكلام من مبدأ « حتَّى يقوم » ساقط من ل ، والنمار . .

(٦) الزيادة من نمار القلوب . والعشاء الأخيرة خلاف الأولى ، والأول هي المغرب .

١٠٧ في طول تلك المدّة والولاية مرّةً واحدةً إلى الوضوء ، ولا احتاجَ إليه ، ولا شربَ ماءً ولا غيره من الشراب . كذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها ، وفي صيفها وفي شتائها^(١) . وكان مع ذلك لا يحرك يده ، ولا يُشيرُ برأسه . وليس إلا أن يتكلمَ [ثمَّ يوجز ، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة] ^(٢) : فيينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه ، وفي السّماطين^(٣) بين يديه ، إذ سقطَ على أنفه ذبابٌ فأطال المسكث ، ثمَّ تحوّل إلى مؤقٍ عينه^(٤) ، فرام^(٥) الصبر في سقوطه على المؤق ، وعلى عضه ونفاذِ خرطومه كما رام^(٦) من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته ، أو يغضن^(٧) وجهه ، أو يذبّ بإصبعه . فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه ، وقصدَ إلى مكانٍ لا يحتمل التّغافل ، أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهضه فدعاه ذلك إلى أن والى^(٨) بين الإطباق والفتح ، فتنحّى ريثماً سكن جفنه ، ثمَّ عاد إلى مؤقه بأشدّ من مرّته الأولى فغمسَ خرطومهُ في مكان كان قد أوهاهُ قبلَ ذلك ، فكان احتمالُه له

(١) كلمة : « في » ساقطة من ل في الموضعين .

(٢) الزيادة من ل ، وثمار القلوب .

(٣) السماط ، بالكسر : الصف .

(٤) في الأصل : « عينيه » ، وأثبت ما في الثمار . والمؤق : طرف العين مما يلي الأنف .

(٥) ل فقط : « فدام » ، وبكل من العبارتين يتجه المعنى .

(٦) ل فقط : « ودام » وأنظر التبييه السابق .

(٧) غضن وجهه : جعل به غضونا ، وذلك بأن يقبض جلده . ط ، س : « يفض »

بمعنى يخفض . وفي الثمار : « بعض » .

(٨) والى : تابع . ط ، س : « يوالى » وأثبت ما في ل والثمار .

أضعف ، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى^(١) ، فحرك أجنانه وزاد في شدة الحركة وفي فتح العين^(٢) ، وفي تتابع الفتح والإطباق ، فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده . فلم يجذبداً من أن يذب عن عينيه بيده ، ففعل ، وعيون القوم إليه ترمقه ، وكأنهم لا يرونه^(٣) ، فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ، ثم ألجأه إلى أن ذب عن وجهه بطرف كفه ، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك ، وعلم أن فعله كله بعين من حضره من أمثاله وجلسائه . فلما نظروا إليه قال : أشد أن الذباب ألح^(٤) من الخنفساء ، وأزهى من الغراب ! وأستغفر الله ! فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً ! وقد علمت أنني عند الناس من أزمتم الناس^(٥) ، فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه ! ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ .

(١) ط ، س : « وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل » ، وصوابه في ل . ونحو منه ما في الثمار .

(٢) ط ، س : « وألح في فتح العين »

(٣) كلمة : « إليه » ليست في الثمار . وليس ما يمنع بقاءها . و « يرونه » هي في الأصل « يريدونه » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) كذا في الأصل : « الح » بالحاء كما في أمثال الميداني ٢ : ١٨٠ . ويروى بالميم ، كما في الثمار وكما سيأتي في ص ٥٠٠ .

(٥) أزمتم الناس : أي أشدهم وقاراً وسكوناً . ط : « أضعف » ووجهه في س ، ل . وفي الثمار : « أرزن » ، وكلمة « الناس » الأولى هي في ط ، س فقط : « نفس » . كما أن كلمة « من » ساقطة من س .

وكان بين اللسان ، قليلَ فضولِ الكلام ، وكان مهيباً في أصحابه ،
وكان أحد من لم يطعن عليه في نفسه ، ولا في تعريض أصحابه للمنالة (١) .

(قصة في إلحاح الذباب)

فأما الذي أصابني أنا من الذبان ، فإنني خرجتُ أمشي في المبارك (٢)
أريد دَيْرَ الربيع ، ولم أقدر على دابةٍ ، فررتُ في عشبٍ [أشب] (٣)
ونباتٍ ملتفٍّ كثيرٍ الذبان ، فسقط ذبابٌ من تلك (٤) الذبان على أنفي ،
فطردته ، فتحول إلى عيني (٥) [فطردته ، فعاد إلى موقِ عيني] ، فزدتُ
في تحريكِ يدي فتتحنى عني بقدر شدة حركتي (٦) وذبتُ عن عيني - ولذبان
الكلا والغياض والرياض وقع ليس لغيرها - ثم عاد إلى فعدت عليه ، ثم
١٠٨ عاد [إلى] فعدتُ بأشد من ذلك ، فلما عاد استعملتُ كمي فذبتت به عن
وجهي ، ثم عاد ، وأنا في ذلك أحث السير ، أوئل بسرعتي انقطاعه عني (٧)
فلما عاد نزعتُ طيلساني (٨) من عنقي فذبيب به عني بدل كمي ؛ فلما

(١) المنالة : مصدر نلت أنال .

(٢) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفروه خالد بن عبد الله القسري . ويمشى فيه :

أى في شاطئه . ط ، س : « من عند ابن المبارك » .

(٣) أشب : أى ملتف . وكلمة « عشب » ساقطة من ل .

(٤) ط ، س : « ذلك » .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « فطردته فلم أقدر فتحول إلى عيني » .

(٦) ل : « فتتحنى على قدر شدة حركتي » .

(٧) ل : « أحث السير » وقد سقط منها « أوئل بسرعتي » .

(٨) الطيلسان : كساء مدور أخضر ، لحمته أو سدهاء من صوف ، يلبسه
الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ، وهو لفظ معرب
من تالسان الفارسية .

عاوَدَ ولم أجدُ له حيلةً استعملتُ العدوَّ ، فعدوتُ منه شوطاً [تآمماً] لم
أتكلفُ مثله مذُ كنتُ صبيّاً ، فتلقاني الأندلسيُّ فقال لي : مالك يا أبا عثمان !
هل منْ حادثةٌ ؟ قلتُ : نعم ، [أكبر الحوادث] ، أريدُ أنْ أخرجَ منْ موضعٍ
للذَّبَّانِ عَلَيَّ فيه سلطانٌ ! فضحك حتى جلس . وانقطع عني ، وما صدقتُ
بانقطاعه عني حتى تباعد (١) جدّاً .

(ذبَّان العساكر)

والعساكرُ أبدأ كثيرة الذَّبَّانِ . فإذا ارتحلوا لم يرَ المقيمُ بعدَ الظَّاعنِ
منها إلا اليسيرَ .

وزعم بعضُ النَّاسِ أنَّهم يتبعن العساكرَ ، ويسقُطنَ على المتاعِ ، وعلى
جِلالِ (٢) الدَّوابِّ ، وأعجاز البراذين التي عليها [أسبابها (٣)] حتى تؤدِّي إلى
المنزل الآخر .

[و] قال المكيُّ : يتبعوننا ليؤذونا ، ثمَّ لا يركبون إلا أعناقنا
ودوابِّنا (٤) !

(١) ل : « تباعدت » .

(٢) الجلال : جمع جل بالضم وبالفتح ، وهو ما تلبسه الدابة لتسان به .

(٣) كذا في س . وبدلها في ل : « أربابها » .

(٤) هذا حكاية من الجاحظ لفظ المكي . وفيه استعمال ضمير العاقل لغيره .

(تَخْلُقُ الذَّبَابَ - ١ -)

ويقول بعضهم: بل إنما يتخلَّق من تلك العُفوناتِ والأبخرَةِ والأنفاسِ،
فإذا ذهبت فَنيتُ مع ذهابها^(١) ويزعمون أنَّهم يعرفون ذلك بكثرتها
في الجنائبِ، وبقلتها في الشمائِلِ^(٢).

قالوا: ورَبِّمَا سدَدْنَا فَمَ الآنيةِ التي فيها الشَّرَابُ بالصَّمامَةِ، فإذا
نزَعْنَاها وجدنا [هناك] ذباباً صغاراً.
وقال ذو الرِّمَّةِ^(٣):

وأيقنَّ أن القنec صارت نطافه^(٤) فرَاشاً وأنَّ البَقْلَ ذاو ويابسُ
[القنec: الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء^(٥)]. والفراش: الماء الرقيق
الذي يبقى في أسفل الحياض].

وأخبرني رجلٌ من ثقيف، من أصحاب التَّبِيدِ أنَّهم [رُبَّمَا] فلقوا السَّفَرَجلةَ
أيَّامَ السَّفَرَجِلِ للنَّقْلِ^(٦) والأكل، وليس هناك من صغار الذَّبَابِ شيءٌ ألبتَّةَ

(١) كذا في ل. وفي ط، س: «فإذا ذهب ذلك خف».

(٢) الجنائب: جمع جنوب. وهي الريح الجنوبية. والشمائِل: جمع شمال، بالفتح، وهي
الريح الشمالية. ل: «في الشمال».

(٣) يصف الحمر الوحشية. ديوانه ٣١٣.

(٤) النطاف: جمع نطفة، وهي هنا الماء الكثير. وتقال أيضاً للماء القليل،
بل هو الأكثر. ط، س: «نطافة» ووجهه في ل.

(٥) النقران: جمع نقيير. و«يجتمع» هي في الأصل: «يجمع»، والتفسير بعده مخالف
للاستشهاد. وانظر ماسياً في ٥: ٤٠٤.

(٦) النقل بالفتح: ما ينتقل به على الشراب، وهو ما يهبط به الشارب على شرابه.

ولا يُعَدُّمَهُمْ أَنْ يَرَوْا عَلَى مَقَاطِعِ السَّفَرِ جَلِبُذُباباً صَغَاراً . وَرَبَّمَا رَصَدُوهَا
وَتَأَمَّلُوهَا ، فَيَجِدُونَهَا تَعْظُمُ حَتَّى تَلْحَقَ بِالسَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ .

(حَيَاةُ الذُّبَابِ بَعْدَ مَوْتِهِ)

قال : وفي الذُّبَابِ طَبِيعٌ كَطَبِيعِ الْجِعْلَانِ ، فَهُوَ طَبِيعٌ غَرِيبٌ عَجِيبٌ . وَلَوْلَا
أَنَّ الْعِيَانَ قَهَرَ أَهْلَهُ لَكَانُوا خَلْقَاءَ أَنْ يَدْفَعُوا الْخَبَرَ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ الْجَعَلَ إِذَا دُفِنَ
فِي الْوَرْدِ^(١) مَاتَ فِي الْعَيْنِ ، وَفَنِيَتْ حَرَكَاتُهُ كُلُّهَا ، وَعَادَ جَامِداً تَارِزاً^(٢) .
وَلَمْ يَفْصِلِ النَّاطِرُ إِلَيْهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَعْلِ الْمَيِّتِ ، مَا أَقَامَ عَلَى تَأْمَلِهِ^(٣) . فَإِذَا
أُعِيدَ إِلَى الرُّوْثِ عَادَتْ إِلَيْهِ حَرَكَةُ الْحَيَاةِ مِنْ سَاعَتِهِ^(٤) .

وَجَرَّبْتُ أَنَا [مِثْلَ] ذَلِكَ فِي الْخَنْفَسَاءِ ، فَوَجَدْتُ الْأَمْرَ فِيهَا قَرِيباً مِنْ
صِفَةِ الْجَعْلِ ، وَلَمْ يَبْلُغْ كُلَّ ذَلِكَ [إِلَّا^(٥)] لِقَرَابَةِ [مَا] بَيْنَ الْخَنْفَسَاءِ وَالْجَعْلِ .
وَدَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى ابْنِ أَبِي كَرِيمَةَ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُخْرِجَ إِجَانَةً^(٦) .
كَانَ فِيهَا مَاءٌ مِنْ غُسَالَةِ أَوْسَاخِ الثِّيَابِ ، وَإِذَا ذُبَابٌ كَثِيرَةٌ قَدْ تَسَاقَطْنَ
فِيهِ مِنَ اللَّيْلِ فَوَتَّنَ^(٧) . هَكَذَا كُنَّ^(٨) فِي رَأْيِ الْعَيْنِ . فَغَبَّرْنَا كَذَلِكَ

(١) ط : « المورد » وصوابه في ل ، س . وانظر ما سبق في (٢ : ١١٢) .

(٢) التارز : اليايس الذي لا روح فيه .

(٣) ل : « تأملها » ، ولكل وجه .

(٤) ل : « عاد إليه حركة الحيوان من ساعته » .

(٥) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٦) الإجانة : الوهاء يغسل فيه الثياب . في الأصل : « من إجانة » ، والوجه حذف

« من » .

(٧) يقال موتت الدواب تمويتا : كثر فيها الموت . انظر اللسان . ط ، س :

« قتن » .

(٨) كذا في ل ، س . وفي ط : « كان » أي كان الأمر .

١٠٩ عَشِيَّتَهُنَّ وَلَيْلَتَهُنَّ ، وَالغَدَّ إِلَى انْتِصَافِ النَّهَارِ ، حَتَّى انْتَفَخْنَ وَعَفِنَ^(١)
وَاسْتَرْخَيْنَ ؛ وَإِذَا ابْنُ أَبِي كَرِيمَةَ قَدْ أَعَدَّ أَجْرَةَ جَدِيدَةً^(٢) ، وَفُتَاتَ أَجْرَةَ
جَدِيدٍ ، وَإِذَا هُوَ يَأْخُذُ الْخَمْسَ مِنْهُنَّ^(٣) وَالسَّتْ ، ثُمَّ يَضَعُهُنَّ عَلَى ظَهْرِ الْأَجْرَةِ
الْجَدِيدَةِ ، وَيَذَرُهُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ ذِقَاقِ ذَلِكَ الْأَجْرِ الْجَدِيدِ الْمَدْقُوقِ بِقَدْرِ مَا يَغْمُرُهَا
فَلَا تَلْبَثُ أَنْ يَرَاهَا^(٤) قَدْ تَحَرَّكَتْ ، ثُمَّ مَشَتْ ، ثُمَّ طَارَتْ ؛ إِلَّا أَنَّهُ
طَبَرَ أَنْ ضَعِيفٌ .

(ابن أبي كريمة وعود الحياة إلى غلامه)

وكان ابن أبي كريمة يقول : [لا] والله ، لادفنتُ ميتاً أبداً حَتَّى يَنْتُنَّ !
قلت : وكيف [ذاك] قال : إن غلامي هذا نُصِيراً ماتَ ، فَأَخْرَتُ دَمًا
لبعضِ الأمرِ ، فَقَدِمَ أَخُوهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَقَالَ : مَا أَظُنُّ أَخِي مَاتَ ! ثُمَّ أَخَذَ
فَتِيلَتَيْنِ ضَخْمَتَيْنِ ، فَرَوَّاهُمَا دُهْنًا ثُمَّ أَشْعَلَ فِيهِمَا النَّارَ ، ثُمَّ أَطْفَأَهُمَا وَقَرَّبَهُمَا
إِلَى مَنْخَرِيهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَحَرَّكَ . وَهِيَ هِيَ ذَا قَدْ تَرَاهُ ! قلت له : إن أصحاب
الحروب [و]الذين يغسلون الموتى ، والأطباء ، عندهم في هذا دَلَالَاتٌ وَعِلَامَاتٌ
فَلَا تَحْمَلُ عَلَى نَفْسِكَ فِي وَاحِدٍ مِنْ أَوْلِيكَ إِلَّا تَسْتُرُهُ بِالْدَفْنِ حَتَّى يَجِيفَ .

(١) ل : « وعفن » .

(٢) ل : « أجراً جديداً » .

(٣) ل : « منها » .

(٤) س : « تراها » ل : « تراها » .

والمجوس يقربون الميت من أنف الكلب ، ويستدلون بذلك على أمره .
فعلمت أن الذي عايناه (١) من الذبان قد زاد في عزمه .

(النُعر)

والنُعر : ضرب من الذبان ، والواحدة نُعرة . وربما دخلت في أنف
البعير أو السبع ، فيزَّمُ بأنفه (٢) ؛ للذي يلقي من المكروه بسببه . فالعربُ
تشبّه ذا الكبر من الرجال إذا صعر خده ، وزمَّ بأنفه - بذلك البعير في تلك
الحال . فيقال عند ذلك : « فلان في أنفه نُعرة » ، وفي أنفه خنزوانة (٣) .
وقال عمر (٤) : « والله لا أقلعُ عنه أو أطير (٤) نُعرتَه » .

ومنها القمّع ، وهو ضرب من ذبان الكلاب . وقال أوس (٥) :
ألم تر أن الله أنزل مُزَنه (٦) وغفرُ الطباء في الكناسِ تَقمّع (٧)
وذلك مما يكون في الصيف وفي الحرّ .

(١) ل : « عاينه » .

(٢) زم البعير بأنفه : رفع رأسه لألم به . ط ، س : « فتورم أنفه »
وليس هنالك .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٤) لا أقلع عنه : لا أتركه . س : « اطر » وصوابه في ط ، ل ونهاية ابن الأثير .

(٥) هو أوس بن حجر . ديوانه ١١ .

(٦) المزن بالضم : السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو الماء منه . والقطعة منه مزنة . وبهذه
الأخيرة جاءت الرواية في الديوان .

(٧) الغفر : جمع أعفر ، وهو الطيبى يعلو بياضه حمرة . والكناس مأواه . والتقمّع :
أن تحرك رءوسها لتطرّد القمّع .

(أذى الذبّان للدوابّ)

والذبّان جُنْدٌ من جنّد الله شديدُ الأذى. وربما كانَ أضرَّ من الدبّير^(١) في بعضِ الزمان ، وربما أتت على القافلة بما فيها ؛ وذلك أنّها تغشى^(٢) الدوابَّ حتّى تضربَ بأنفسها الأرض - وهي في المفاوز - وتسقط ، فيهلك أهل القافلة ؛ لأنهم لا يخرجون من تلك المفاوز على دوابهم . وكذلك تُضرب الرعاء^(٣) بإبلهم ؛ والجمالون بجمالهم عن تلك الناحية ، ولا يسدّكها^(٤) صاحبُ دابّة ، ويقول بعضهم لبعض : بادروا قبلَ حركةِ الذبّان ، وقبل أن تتحرك ذبّان^(٥) الرّياضِ والسكّال !

والزنابير لا تسكّادُ تذي^(٦) إذا لسعت بأذنانها . والذبّان تغمس خراطيمها في جوفِ لحوم الدوابّ ، وتخرق الجلودَ الغلاظ حتى تنزفَ الدّمَ نزفاً . ولها مع شدّة الوقعِ سمومٌ . وكذلك البعوضة ذاتُ سمٍّ ، ولو زيدَ في بدن البعوضة وزيدٌ في حرقة لسعها إلى أن يصيرَ بدنها كبदन الجرّارة^(٧) - فإنها أصغرُ العقارب^(٨) - لما قام له شيءٌ ، ولكانَ أعظمَ بليّةً من الجرّارة

(١) الدبّير ، بالفتح : جماعة النحل والزنابير . ويقال بالكسر أيضاً .

(٢) س : « تمش » محرفة .

(٣) ل : « ولذلك ينصرف الرعاة » .

(٤) س : « يستلكها » .

(٥) جاء في ط ، س : « الذباب » و « ذباب » .

(٦) ط ، س « ترمي » وصوابه في ل .

(٧) الجرّارة سبق تفسيرها في ص ٣٣٣ . ط : « الجرادة » وصوابها في ل ، س .

(٨) كذا الصواب في ل . وفي ط ، س : « أصغر من العقارب » .

النصيبيَّة (١) أضعافاً كثيرة . وربما رأيت الحمار وكأنه مُنغَّر (٢) أو معصفر .
ولأنهم (٣) مع ذلك ليجلِّلون حمَّهم ويُبْرِقِعونها ، وما يدعون موضعاً إلا
ستروه بجهدهم ، فربما رأيت الحمير وعليها الرِّجال [فيما بين عبْدَسَى (٤)
والمذار (٥)] بأيديهم المناخس والمذاب (٦) ، وقد ضربت بأنفسها الأرض (٧)
واستسلمت للموت . وربما رأيت صاحب الحمير (٨) إذا كان أجيراً يضربها
بالعصا بكلِّ جهده ، فلا تنبث .

وليس لجلد البقرة والحمار والبعير عنده خطر . ولقد رأيت ذُباباً سقط
على سالفة (٩) حمار كان تحتي ، فضرب بأذنيه ، وحرك رأسه بكلِّ

(١) ط : « الجرادة النصيبية » ، وتصحيحها من ل ، س . والنصيبيَّة : نسبة إلى نصيبين ، وهي مدينة من بلاد الجزيرة ، كما ذكر ياقوت . قالوا : « وسبب كثرة العقارب بها أن كسرى أنوشروان كان حاصرها فاستعصت عليه ، فأمر أن تجمع له العقارب من قرية تسمى طيرانشاه ، فرماهم بها في العرادات والقوارير ، فتبدأ القارورة وتدفع بالعرادة ، فإذا وقعت انكسرت فتخرج العقارب ، حتى ضج أهلها وأسلموا له الأمر .

(٢) منغر : مصبوغ بالمنغرة ، وهي بالفتح وبالتحريك : صبغ أحمر طينياً ، وأجوده ما كان من مصر . ط ، س : « منعر » ، ل : « منغر » وصوابه ما أثبت .

(٣) ط : س : « فإنهم » .

(٤) عبْدَسَى ، كما في معجم البلدان : اسم مصنعة كانت برستاق كسكر ، خربها العرب وبقى اسمها على ما كان حولها من العمارة .

(٥) المذار ، بالذال : مدينة بين واسط والبصرة .

(٦) ما بعد المعقفين ساقط من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) ل : « المسكارى » . والمسكارى : الذى يكريك دابته . والكراء : الأجرة .

(٩) السالفة : ماتقدم من العنق .

جهده^(١) ، [و^(٢)] أنا أنأمّله وما يقلع عنه ، فعمدتُ بالسوطِ لأنجيه به^(٣) فزادته ، ورأيت مع نزوهٍ عنه الدّم^(٤) وقد انفجر ؛ كأنه كان يشرب الدّم وقد سدّ المخرج بفيه ، فلمّا نجاه طلع .

(ونيم الذباب)

وتزعمُ العامّةُ أنّ الذبّانَ يخرأ [على] ماشاء^(٥) قالوا : لأنّا نراه يخرأ على الشيء الأسود أبيضاً ، وعلى الأبيض أسود .

ويقال قد ونمّ الذباب - في معنى خرى الإنسان - وعرّ الطائر^(٦) ، وصام النعام ، وذرق الحمام . قال الشاعر^(٧) :

وقد ونمّ الذبابُ عليه حتى كأنّ ونيمه نقطُ المداد^(٨)

وليس طولُ كَوْمِ البعير إذا ركب الناقة ، والخنزير إذا ركب الخنزيرة ، بأطول ساعة من لبثِ ذكورة^(٩) الذبّانِ على ظهور الإناثِ عند السّفاد .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وحك رأسه بكل جهة » .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ل : « وما يقلع عنه الذباب فلما طراد ذلك يطرده عنه قصدت بالسوط لأنجسه » .

(٤) كذا في ط ، س . وبدله في ل : « فع نزوعه عنه نزا الدم » . نزا : وثب .

(٥) ل : « على ماشاء » ، فتكون « ما » مصدرية .

(٦) كذا على الصواب في ل ، س . وفي ط « عرا » .

(٧) هو الفرزدق ، ذكر ذلك أبو العباس المبرد . الاقتضاب ٣٤٩ .

(٨) يروى : « لقد ونم » كما في المخصص (٨ : ١٨٦) ، وأدب الكاتب ١٣٤ والاقتضاب .

(٩) الذكورة : الذكور . ط : « ذكور » .

(تحقيق الذباب - ٢ -)

والذباب من الخلق الذى يكون مرةً من السّفاد والولاد^(١) ، ومرةً من تعفن الأجسامِ والفسادِ الحادثِ فى الأجرامِ .

والباقلاء^(٢) إذا عتقَ شيئاً فى الأنبار^(٣) استحال كُله ذباباً^(٤) ، فرّبما أغفلوه فى تلك الأنبار فيعودون إلى الأنبارِ وقد تطاير من الكوى والحروقِ فلا يجدون فى الأنبار إلا القشور .

والذباب الذى يخلق من الباقلاء يكون دوداً ، ثمّ يعود ذباباً . وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقبا فى داخله شئ ككأته مسحوق ، إذا كان الله قد خلق منه الذبّان وصيره^(٥) . وما أكثر ما تجده فيه تامّ الخلق . ولو^(٦) تمّ جناحاه لقد كان طار .

(١) الولاد - بالكسر - أحد مصادر ولد يلد . ط ، س : « والولادة » .

(٢) الباقلى ، بكسر القاف وتشديد اللام وتخفيف ، والباقلاء مخففة ممدودة هى الفول . هذه هى الباقلاء النبطية ، وأما الباقلاء المصرية فهى الترمس . والأولى هى المرادة ؛ لارتباط العراقيين بالأنباط .

(٣) الأنبار : بيوت الطعام التى يحتزن فيها ، واحدها نبر بالفتح ؛ سميت بذلك لأن الطعام إذا وضع فيها انتبر : أى ارتفع . ومنه المنبر لارتفاعه . ط ، س : « الأقباء » فى كل موضع ترد فيه هذه الكلمة .

(٤) ل : « ذباناً » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « خلق فيه الذباب وطيره منه » .

(٦) ل : « ولم » تحريف .

(حديث شيخ عن تخلق الذباب)

وحدثني بعض أصحابنا عن شيخ من أهل الحريية^(١) قال : كنت أحبُّ الباقلاء ، وأردت ، إمَّا البصرة وإمَّا بغداد - ذهب عني حفظه - فصرتُ في سفينةٍ حملها باقلاء ، فقلت في نفسي : هذا والله من الحظِّ وسعادة الجَدِّ ، ومن التوفيق والتسديد ، ولقد أربح من وقَع له مثل هذا^(٢) الذي [قد] وقع لي : أجلسُ في هذه السفينة على هذا الباقلاء ، فأكلُ منه نبيًّا^(٣) ومطبوخًا ، ومقلوًّا ، وأرضُ بعضه وأطحنه^(٤) ، وأجعلُه مرقًا^(٥) وإدامًا ، وهو يغذو^(٦) غذاءً صالحًا ، ويُسمنُ ، ويزيد في الباه^(٧) . فابتدأتُ فيما أمَلته ، ودفَعنا السفينة ، فأنكرتُ كثرة الذبَّان . فلما كان الغدُ جاء منه ما لم أقدرُ معه على الأكلِ والشربِ . وذهبت القائلة وذهب الحديث ، وشُغِلت بالذَّبِّ . على أنهم لم يكن يبرحنَ بالذَّبِّ ، وكن^(٨)

(١) الحريية بالتصغير : موضع بالبصرة . ط ، س : « الجزيرة » وليس بشيء .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وأربح : أخصب . ط ، س : « ربح » .

(٣) مسهل « نيتا » . والنهء ، بالكسر : الذي لم ينضج .

(٤) الرض : الدق . س : « أصحنه » موضع « أطحنه » ، ولم أجده بمعنى الطحن ،

وإن كان معروفًا في عاميتنا المصرية بمعنى الطحن .

(٥) س : « مذا » .

(٦) كذا في س . وفي ل ، ط : « يغذى » .

(٧) يقال الباه والباة : وفي الحديث : « من استطاع منكم الباهة فليتزوج » . جاء

في س : « الباهة » ، وفي ل : « يزيدني الماء » .

(٨) ط : « ولن » وتصحيحه من ل ، س .

أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أَكُونَ أَقْوَى عَلَيْهِنَّ ، لِأَنِّي كُنْتُ لَا أُطْرِدُ مِائَةَ حَتَّى يَخْلِفَهَا مِائَةُ مَكَانِهَا . وَهُنَّ فِي أَوَّلِ مَا يَخْرُجْنَ مِنَ الْبِاقِلَاءِ كَأَنَّ بَيْنَ زَمَانَةٍ (١) فَلَمَّا كَانَ طَيْرَانَهُنَّ أَسْوَأَ [كَانَ أَسْوَأَ] (٢) لِحَالِي ، فَقُلْتُ لِلْمَلَّاحِ : وَيْلَكَ ! أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ حَتَّى صَارَ الذَّبَانُ يَتْبَعُكَ ! قَدْ وَاللَّهِ أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ ! قَالَ : [أ] وَلَيْسَ تَعْرِفُ الْقِصَّةَ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَ : [هِيَ وَاللَّهِ] مِنْ هَذِهِ الْبِاقِلَاءِ ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْبَلِيَّةُ لَجَاءَنَا (٣) مِنَ الرُّكَّابِ كَمَا يَجِيئُونَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ الْحَمُولَاتِ (٤) . وَمَا ظَنَنْتَهُ (٥) إِلَّا مِنْ قَدْ اغْتَضَرَ [هَذَا] لِلْبَيْنِ الْكِرَاءِ ، وَحَبُّ التَّفَرُّدِ بِالسَّفِينَةِ . فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَقْرِبَنِي إِلَى بَعْضِ الْفُرُصِ (٦) ، حَتَّى أَكْتَرِيَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى حَيْثُ أُرِيدُ ، فَقَالَ لِي : أَتَحِبُّ أَنْ أَرْوِدَكَ مِنْهُ ؟ قُلْتُ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَلْتَقِيَ أَنَا وَالْبِاقِلَاءَ فِي طَرِيقٍ أَبَدًا !

(مِنْ كَرِهِ الْبِاقِلَاءِ)

وَإِذَلِكَ كَانَ أَبُو شَمْرٍ (٧) لَا يَأْكُلُ الْبِاقِلَاءَ ، وَكَانَ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ مَعْلَمِهِ مَعْمَرِ أَبِي الْأَشْعَثِ (٨) . وَكَذَلِكَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ مَحَارِبٍ وَالْوَكَيْعِيُّ ، وَمُعَمَّرٌ ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ ، بَرَهَةٌ مِنْ دَهْرِهِمْ .

(١) الزمالة ، بالفتح : العاهة والآفة .

(٢) التكمأة من ل ، س .

(٣) ط : « لجأنا » وصوابه في ل ، س .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « إلى أصحابنا » .

(٥) ط ، ل : « وما أظنك » .

(٦) الفرض : جمع فريضة بالضم ، وهي محط السفينة . ل : « القرى » .

(٧) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . وآراؤه في الفرق بين الفرق ١٩٠ - ١٩٤ .

قال فيه الجاحظ : « وكان شيخا وقورا وزميثا ركيئا ، وكان ذا تصرف في العلم ،

ومذكورا بالفهم والحلم . البيان (١ : ٩١) . وضبطه السمعاني ٣٣٨ بكسر الشين وسكون

الميم ، ومرة أخرى بكسر الشين وتشديد الميم المفتوحة .

(٨) معمر هذا أحد أئمة الاعتزال ، وكان من تلاميذه أبو الحسن المدائني ، وحفص الفرد =

وكان يقول : لولا أن الباقلاء عفن فاسد الطبع ، ردىء يختر الدم ويغلظه ويورث السوداء وكل بلاء - لما ولد الذبان . والذبان أقدر ما طار ومشى ! وكان يقول : كل شئ ينبت منكوساً فهو ردىء للذهن ، كالباقلاء والباذنجان .

وكان يزعم أن رجلاً هرب من غرمائه فدخل في غابة باقلاء ، فتستر عنهم بها ، فأراد بعضهم إخراجهم والدخول فيها لطلبه ، فقال : أحكمهم وأعلمهم : كفاكم له بموضعه شراً !

وكان يقول : سمعت ناساً من أهل التجربة يحلفون بالله : إنه (١) ما أقام أحد أربعين يوماً في منبت باقلاء وخرج منه إلا وقد أسقمه سُقماً لا يزائل جسمه .

وزعم أن الذى منع أصحاب الأذهان (٢) والتربية بالسَّمْسِم من أن يربوا السَّمْسِم (٣) بنور الباقلاء ، الذى (٤) يعرفون من فساد طبعه (٥) ، وأنه (٦) غير

= ومعمر ، وأبو شمر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . فهرست ابن النديم ١٤٧ مصر ١٠٠ ليبسك . وذكر فيه باسم معمر بن الأشعث . لكن اتفاق نسخ الحيوان على أنه أبو الأشعث ، ووروده ثلاث مرات في الجزء الأول من البيان برسم أبي الأشعث ، يرجح كتابته كما أثبت .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأذهان » . والذهن بكسر الهمزة : الشحم .

(٣) السَّمْسِم ضبط في نسخ القاموس بضم السين ، وفسره بأنه طائر . قال شارحه : « كذا هو بالضم في النسخ وصوابه بالفتح » . قلت : يظهر أنها هي « السَّمْسِم » واحدة سمامة ، وهو طائر من الخطاطيف ، ومن أسمائه عصفور الجنة . انظر معجم المملوك ٢٤١ .

(٤) س : « الذين » ، تحريف .

(٥) ل : « طباعه » والطباع والطبع بمعنى ، يقال : هو ذو طباع حسن .

(٦) س : « فانه » .

مأمون على الدماغ وعلى الخيشوم والسماخ^(١) ، ويزعمون أن عمله [الذى عمله هو^(٢)] القصد إلى الأذهان بالفساد^(٣) .

وكان يزعم أن كلَّ شيء^(٤) يكون رديئاً^(٥) للعصب فإنه يكون رديئاً للذهن ، ، وأن البصل [إنما كان] يفسد الذهن ؛ إذ كان رديئاً للعصب ، [وأن البلادر^(٦)] إنما صار يُصلح العقل ويورث الحفظ ؛ لأنه صالح للعصب [.

وكان يقول : سواءً على أكلت الذبان أو أكلت شيئاً لا يولد إلا الذبان ، وهو لا يولد [إلا هو] . والشئ لا يلد الشئ إلا وهو أولى الأشياء ١١٢ به ، وأقربها إلى طبعه^(٧) ، وكذلك جميع الأرحام ، وفيما ينتج أرحام الأرض^(٨) وأرحام الحيوان ، وأرحام الأشجار ، وأرحام الثمار ، فيما يتولد منها وفيها^(٩) .

(١) السماخ بالكسر : خرق الأذن . جاء فى ط : « السماخ » ، وهما لفتان .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ل : « الفصد » بدل « القصد » ، وهو تصحيف . وفيها أيضا : « إلى الذهن بالإفساد له » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أن كل شيء ردىء » .

(٥) ط ، س : « رديا » بالتسهيل .

(٦) البلادر ، ويقال البلاذر ، لفظه هندي . وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب وفى داخلها مادة إسفنجية بها شئ شبيه بالدم . ومن أسمائه : تمر الفؤاد ، وحب الفهم ، وثمر الفهم . وذكروا أنه يقوى الحفظ ، ولكن الإكثار منه يؤدى إلى الجنون . وانظر قصة تتعلق به فى الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ٢٥ .

(٧) ل : « من طبعه » .

(٨) ل : « فيما تنتج من أرحام الأرض » .

(٩) « وأرحام الثمار . . الخ ساقط من ل .

(حديث أبي سيف المروزي)

وبينما أنا جالسٌ يوماً في المسجدِ مع فتيةٍ من المسجديين^(١) مما يلي أبواب بني سليم ، وأنا يومئذٍ حدث السن^(٢) إذ أقبلَ أبو سيف^(٣) المروزي - وكان لا يؤذي أحداً ، وكان كثير الظرفِ من قومِ سِراة - حتى وقف علينا ، ونحن نرى في وجهه أثر الجِدِّ ، ثمَّ قال مجتهداً : والله الذي لا إله إلا هو إن الخبزَ حلوا . ثمَّ والله الذي لا إله إلا هو [إنَّ الخبزَ حلوا . ثمَّ والله الذي لا إله إلا هو إنَّ الخبزَ حلوا] ، يميناً بآئته^(٤) يسألني الله عنها يوم القيامة ! فقلت له : أشهد أنك لا تأكله ولا تذوقه ، فمن أين علمت ذلك ؟ فإن كنتَ علمت أمراً فعلمنا ممَّا علمك الله . قال : رأيت الذبَّانَ يسقط على النبيذ^(٥) الحلوا ، ولا يسقط على الحازر^(٦) ، ويقع على العسل ولا يقع^(٧) على الخلل ، وأراه على الخبزِ أكثرَ منه على التَّمْرِ . أفتريدون حُجَّةً أبين من

(١) المسجديون : طائفة كانت تلتزم المسجد الجامع بالبصرة والكوفة . انظر حواشي البيان

١ : ٢٤٣ .

(٢) ل : « وأنا يومئذٍ حدث » .

(٣) ل ، س : « أبو يوسف » ، وما أثبت من ط أشبه بأنباز المروزي .

(٤) بآئة : قاطعة . ط ، س : « ثانية » ، وهو تحريف .

(٥) ط : « النبيذ » ، وتصحيحه من ل ، س . وفي س : « تسقط » فهذه

الجملة ولاحقها .

(٦) الحازر : الحامض الشديد الطعم . ط ، س : « الحاز » محرف .

(٧) س : « تقع » ، في الموضعين .

هذه (١) ؟ فقلت : يا أبا سَيْفٍ (٢) بهذا وشبهه يُعرفُ فضلُ الشَّيْخِ
عَلَى الشَّابِّ .

(تخلق بعض الحيوان من غيرِ ذكرٍ وأنثى)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القول إلى (٣) ذِكْرِ خَلْقِ الذُّبَانِ مِنَ الْبَاقِلَاءِ . وقد أنكر ناسٌ
من العوامِّ وأشباهِ العوامِّ أن يكونَ شَيْءٌ من الخلقِ كانَ من غيرِ (٤) ذَكَرٍ
وأنثى . وهذا جهلٌ بشأنِ العالمِ ، وبأقسامِ الحيوانِ . وهم يظنُّونَ أنَّ على الدِّينِ
من الإقرارِ بهذا القولِ مضرَّةٌ . وليس الأمرُ (٥) كما قالوا . وكلُّ قولٍ
يكذِّبُه العِيَانُ فهو أفحشٌ (٦) خطأً ، وأسخَفُ مذهباً ، وأدلُّ على معاندةٍ
شديدةٍ أو غفلةٍ مفرطةٍ .

وإن ذهب الذَّاهِبُ إلى أن يقيس ذلك (٧) على مجازِ ظاهرِ الرأى ،

(١) ل : « هذا » .

(٢) كذا في س ، ط . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة . وفي ل :

« أبا يوسف » .

(٣) ط : س : « في » .

(٤) ل : « نحن » ، وهو تحريف .

(٥) ط ، س : « القول » .

(٦) كلمة : « فهو » ساقطة من ل . و « أفحش » هي في ط ، س :

« فحش » تحريف .

(٧) س : « على أن يقيس ذلك » . ط : « إلى أن يقيس ذلك » ،
والأخيرة محرفة .

دُونَ الْقَطْعِ عَلَى غَيْبِ حَقَائِقِ الْعِلَلِ ، فَأَجْرَاهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ - قَالَ قَوْلًا^(١) يَدْفَعُهُ الْعِيَانُ أَيْضًا ، مَعَ انْكَارِ الدِّينِ لَهُ .

وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ ، وَلَيْسَ فِيهِمَا حَيَّةٌ وَلَا دَوْدَةٌ ، فَيُخْلَقُ مِنْهَا^(٢) فِي جَوْفِهِ أَلْوَانٌ مِنَ الْحَيَّاتِ ، وَأَشْكَالٌ مِنَ الدُّيْدَانِ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أَنْثَى . وَلَكِنْ لَا بَدَأَ لَذَلِكَ الْوِلَادِ وَاللَّقَّاحِ . مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَنَاقُحِ طِبَاعِ^(٣) ، وَمَلَاقَاةِ أَشْيَاءٍ تُشْبِهُ بِطِبَاعِهَا الْأَرْحَامَ ، وَأَشْيَاءٍ تُشْبِهُ فِي طِبَائِعِهَا مَلَقَّجَاتِ^(٤) الْأَرْحَامِ .

(استطراد لغوي بشواهد من الشعر)

وقد قال الشاعر :

فَاسْتَنْكَحَ اللَّيْلَ الْبُهَيْمَ فَأَلْقَحَتْ^(٥) عَنْ هَيْجِهِ وَاسْتَنْتَجَتْ أَحْلَامًا^(٦)

وقال الآخر :

وَإِذَا الْأُمُورُ تَنَاقَحَتْ فَالْجُودُ أَكْرَمُهَا نَهْتَا

(١) « قال قولاً » هو جواب الشرط . وفي ط ، س : « وقال قولاً » ، والوجه حذف الواو .

(٢) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « منها » .

(٣) ل : « طبائع » .

(٤) ط : « ملاقات » محرفة . ل : « في طباعها » .

(٥) الليل البهيم : الشديد الظلمة . ل ، س : « وألقحت » .

(٦) ل : « واستفتحت » ، والوجه ما أثبت من ط ، س . والمراد بالأحلام الرؤى .

وقال ذو الرِّمَّة :

وإني لمِلاجٍ إذا ماتنا كَحَتَّ مَعَ اللَّيْلِ أَحلامُ الْهَدَانِ الْمُثَقَّلِ (١) ١١٣

وقال علي بن مُعَاذ (٢) :

كَلْبَدْرُ طِفْلٌ فِي حِصَانِ (٣) الْهَوَا مُسْتَزَلِقٌ مِنْ رَحِمِ الشَّمْسِ (٤)

وقال دُكَيْنُ الرَّاجِزِ (٥) ، [أو أبو محمد الفقعسي] :

وقد تعلتُ ذميلُ العُنسِ (٦) بِالسَّوِطِ فِي دِيمومةٍ كَالترسِ (٧)

* إِذْ عَرَّجَ اللَّيْلَ بِرُوجِ الشَّمْسِ (٨) *

وقال أمية بن أبي الصلت :

وَالأَرْضُ نُوخَهَا إِلَاهُ طَرُوقَةٌ لِلْمَاءِ حَتَّى كُلُّ زَنْدٍ مُسْفَدٌ (٩)

(١) الهدان ، بالكسر : الأحمق الثقيل .

(٢) علي بن معاذ : أحد شعراء الدولة العباسية ، وروى عنه الجاحظ في البيان والتبيين .

(٣) الحصان : مصدر حَضَنَ الطَّائِرُ بَيْضَهُ . ط ، ل : « حصان » بالمهملة ، صوابه في س . والهوا أصله الهواء وقصر للشعر . وكتب في الأصل بالياء ، « الهوى » وصواب كتابته بالألف .

(٤) مستزلق : من أزلقت الفرس : إذا ألقته ولدها تاما . ط : « متزلق » س : « مسترق » .

(٥) تقدمت ترجمته في ٧٤ من هذا الجزء .

(٦) س : « تغلت » ! وانظر تحقيق هذا البيت في ص ٧٤ .

(٧) الديمومة : الفلاة الواسعة . ط : « كالتنس » وصوابه في ل ، س . والترس هو ذلك الذي يتوق به المحارب . وجعل الفلاة كالترس في صلابتها .

(٨) انظر ما سبق في ص ٧٤ .

(٩) نوخها : أي أبركها . ولطروقة ، بالفتح : أنثى الفحل . والزند : هو قرين الزندة ، ومنهما تقندح النار . فالأول لافجوة فيه ، وفي الزندة فجوة يدار فيها الزند فيظهر الشرر . والمسفد بفتح الفاء : الذي طلب السفاد فناله . وضبطت في اللسان بكسر الفاء ، وصوابه ما ذكرت . يقول : إن نظام التلاقي ليس خاصا -

والأَرْضُ مَعْقِلِنَا وَكَانَتْ أُمَّنَا فِيهَا مَقَابِرُنَا وَفِيهَا نَوْلِدُ^(١)
وَذَكَرَ أُمِّيَةَ الْأَرْضِ فَقَالَ :

وَالطُّوْطُ نَزْرَعُهُ فِيهَا فَنَلْبَسُهُ وَالصُّوْفُ نَجْتَزُهُ مَا أَرْدَفَ الْوَبْرُ^(٢)
هِيَ الْقَرَارُ فَمَا نَبْغِي بِهَا بَدَلًا مَا أَرْحَمَ الْأَرْضَ إِلَّا أَنَّنَا كُفْرُ^(٣)
وَطَعْنَةُ اللَّهِ فِي الْأَعْدَاءِ نَافِذَةٌ تُعَيِّ الْأَطِبَاءَ لَا تَشْوِي لَهَا السُّبْرُ^(٤)
ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ :

مِنْهَا خُلِقْنَا وَكَانَتْ أُمَّنَا خُلِقَتْ وَنَحْنُ أَبْنَاؤُهَا لَوْ أَنَّنَا شُكْرُ^(٥)

= بالأحياء ، بل نراه أيضاً بين الأرض والماء حيث يتغلغل فيها ، ونجده أيضاً بين
الزبد والزبدة اليابسين . وهو معنى شعري بارع . ط ، س : « زبد » تصحيف .
س : « مفسد » ، تحريف . وهذا البيت في ل هو الثاني في الترتيب .

(١) كذا في ل والجزء الخامس ص ٤٣٧ والمخصص (١٣ : ١٨٠) . وفي ط ،
س : « نوود » .

(٢) الطوط ، بالضم : القطن ، أو قطن البردى خاصة . وأردف الوبر : توالى وتتابع
ط ، س : « أدفا » . ورواية البيت في اللسان هكذا :

والطوط نزرعه أغن جراؤه . فيه اللباس لكل حول يمضد

(٣) الكفر ، بضمين : جمع كفور بمعنى كافر ، وهو يقال للمذكر والمؤنث . ط :
« لها بدلا » .

(٤) السبر : جمع سبار بالكسر ، وهو ما يقدر به غوز الجراحات ، وهو أيضاً الفتيلة
تجعل في الجرح . والمعنى يتجه بكل منهما . وتشوى : تقيم وتستقر . ط ، س :
« يلوى » يقال لوى يلوى : انتظر وتحبس . وكل منهما متجه ؛ فإن المعنى
أن تلك الطعنة لشدة ما يتدفق منها من دم تدفع بما يوضع فيها دفعا . ومثله
قول الآخر :

* ترد على السابري السباوا *

وقوله :

* نرد السبار على السابر *

(٥) الشكر ، بضمين : جمع شكور بالفتح .

(ما تستنكره العامة من القول)

وتقول العرب : الشمسُ أرحمُ^(١) بنا ! فإذا سمع السامعُ منهم أنَّ
جالينوسَ قال : عليكم بالبقلةِ الرحيمة - السُّلق^(٢) - استشنعه السامع ، وإذا
سمع قولَ العرب : الشمسُ أرحمُ بنا ، وقولَ أمية :
* ما أرحمَ الأرضَ إلا أننا كُفِرُ *

لم يستشنعه ، وهما سواء . فإذا سمع أهل الكتاب يقولون : إنَّ عيسى
ابن مريم أخذَ في يده اليمنى غُرْفَةً^(٣) ، وفي اليسرى كِسْرَةَ خبز^(٤) ، ثم
قال : هذا أبي ، للماء ، وهذه أمي ، لكسرة الخبز^(٥) . استشنعه ، فإذا سمعَ
قولَ أمية^(٦) :

والأرضُ نوَّخَهَا الإله طرُوقَةً للماءِ حتَّى كلَّ زَنْدٍ مُسْفَدٌ
لم يستشنعه . والأصل في ذلك أنَّ الزنادقة أصحابُ ألفاظٍ في كتبهم ،
وأصحابُ تهويل ؛ لأنَّهم حينَ عديموا المعاني ولم يكن عندهم فيها طائل ،
مألوا إلى تكلف ما هو أخصرُ وأيسرُ وأوجزُ كثيراً .

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٠٢ .

(٢) ط ، س : « السلق » .

(٣) الغرفة ، بالضم : مقدار ما يغرَف المرء بيده . ل : « أخذ في يده
كسرة خبز » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « هذا أبي وهذه أمي لكسرة الخبز والماء » .

(٦) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت ، في ص ٣٦٣ .

(حُظُوة طوائفَ من الألفاظ لَدَى طوائف من النَّاسِ)

ولكلِّ قَوْمٍ أَلْفَاظٌ حَظِيَّتْ عِنْدَهُمْ . وكذلك كلُّ بليغٍ في الأرض
١١٤ وصاحبِ كلامٍ منثور ، وكلُّ شاعرٍ [في الأرض ^(١)] وصاحبِ كلامٍ
موزون ؛ فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظاً بأعيانها ؛ ليديرها في كلامه
وإن كان واسعَ العلمِ غزيرَ المعاني ، كثيرَ اللفظ . فصار حظُّ الزنادقةِ من
الألفاظ التي سبقت إلى قلوبهم ، واتَّصلت بطبائعهم ، وجرت على ألسنتهم
التناكح ، والنتائج ^(٢) ، والمزاج ، والنُّور والظلمة ، والدِّفاع والمَناع ^(٣) ،
والساتر والغامر ، والمنحل ^(٤) ، والبُطلان ، والوَجْدان ، والأثير والصدِّيق ^(٥)
وعمود السبح ^(٦) ، وأشكالاً من هذا الكلام . فصَارَ ^(٧) وإن كان غريباً

(١) الزيادة من ل ، س . وانظر لنحو هذا البحث سر الفصاحة ٩٨ - ٩٩ .

(٢) ل : « والنتائج » .

(٣) ط ، س : « والبقاع » .

(٤) هذه ساقطة من ل .

(٥) الصديق يعنون به المؤمن الخالص الإيمان ، وفي اعتقاد المثلوية أن الصديق حين
يحتضر تحضره أربعة آلهة ، ومعهم ركوة ولباس وعصاة وتاج وإكليل النور ،
فيلبسونه التاج والإكليل ويعطونه الركوة بيده ، ويمرجون به في عمود السبح
إلى فلك القمر . وانظر بقية الكلام في الفهرست ٤٦٩ مصر ٣٣٥ ليبسك .
ط : « الصداق » س : « الصدا » وصوابهما ما أثبت . وهذه الكلمة وسابقتها
ساقطتان من ل . وسبق في الجزء الأول ، ص ٧٥ برسم « الصنديد » وهذه
أيضا من كلمات الزنادقة . انظر لها الفهرس ٤٦٣ مصر ، ٣٣١ ليبسك .

(٦) السبح : يراد به العروج والصعود إلى السماء . وفي ذلك العمود الوهمي ترتفع
التساييح والتقاديس والكلام الطيب وأعمال البر . ذلك ما قاله ماني . انظر الفهرست
٤٦١ مصر ٣٣٠ ليبسك . في الأصل : « الصبح » وسبقت في الجزء الأول ص ٥٧
برسم « السنخ » ، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « نصا » وتصحيحه من ل .

مرفوضاً^(١) مهجوراً عند أهل ملتنا ودعوتنا ، وكذلك هو عند عوامنا وجهورنا ، ولا يستعمله إلا الخواص^(٢) وإلا المتكلمون .

(اختيار الألفاظ وصوغ الكلام)

وأنا أقولُ في هذا قولاً ، وأرجو أن يكون مرضياً . ولم أقلُ « أرجو » لأنني أعلمُ فيه خللاً^(٣) ، ولكنني أخذتُ بآدابِ وجوهِ أهلِ دعوتي وملتي ، ولغتي ، وجزيرتي ، وجيرتي ؛ وهم العرب . وذلك أنه قيل لصُحَّارٍ^(٤) العبدى : الرجل يقول لصاحبه ، عند تذكيره أياديه وإحسانه^(٥) : أما نحنُ فإننا نرجو أن نكونَ قد بلغنا من أداءِ ما يجبُ علينا مبلغاً مرضياً . وهو يعلمُ أنه قد وفاه حقه الواجب ، وتفضل [عليه] بما لا يجب . قال مُحَّار : كانوا يستحبون أن يدعوا للقول متنفساً ، وأن يتركوا فيه فضلاً ، وأن يتجافوا عن حقِّ إن^(٦) أرادوه لم يمنعوا منه .

فلذلك قلتُ « أرجو » . فافهمْ فَهَمَّكَ اللهُ تعالى .

(١) ط : « من فوضى » ، وصوابه في ل ، س .

(٢) ط ، س : « والخاص » . والكلام من كلمة « عند » الأولى ، إلى « هو » ساقط من ل .

(٣) ل : « لأنني لا أعلم » .

(٤) صحار العبدى تقدمت ترجمته في (١ : ٩٠) .

(٥) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « ما يقول الرجل لصاحبه عند تذكيره أياديه وإحسانه قال » .

(٦) ل ، « منى » .

فإن رأيت في هذا الضرب من هذا اللفظ ، أن أكون ما دمت في المعاني التي هي عبارتها ، والعادة^(١) فيها ، أن ألفظ بالشئ العتيد^(٢) الموجود ، وأدع التكلف^(٣) لما عسى ألا يسلس ولا يسهل إلا بعد الرياضة الطويلة .

وأرى أن ألفظ بألفاظ المتكلمين ما دمت خائضاً في صناعة الكلام مع خواص^(٤) أهل الكلام ؛ فإن ذلك أفهم [لهم] عنى^(٥) ، وأخف لمؤنهم^(٦) على .

ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة .

وقبيح بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة ، أو رسالة ، أو في مخاطبة العوام والتجار^(٩) ، أو في مخاطبة أهله وعبيده وأمه ، أو في حديثه إذا تحدث^(١٠) ، أو خبره إذا أخبر .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « والعبادة » .

(٢) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « التكليف » .

(٤) ط ، س : « خاص » .

(٥) كذا على الصواب في س ، ل . وفي ط : « عندي » .

(٦) ط ، ل : « لمؤنهم » .

(٧) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « بضاعتهم » .

(٨) ط : « وبين تلك المعاني الصناعة » ، والوجه حذف « المعاني » كما في ل ، س .

(٩) ط : « الجار » تحريف .

(١٠) ط : « حدث » . ل : « أو في مجاوبة أهله » .

وكذلك [فإنه]^(١) من الخطأ أن يجلب^(٢) ألفاظ الأعراب ، وألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل . ولكلِّ مقامٍ مقال ، ولكلِّ صناعة شكل .

(خلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثم رجع بنا القول إلى ما يحدث الله عزَّ وجلَّ من خلقه من غير ذكرٍ ولا أنثى . فقلنا : إنه لا بدَّ في ذلك من تلاقى أمرين يقومان مقامَ الذكر والأنثى ، ومقامَ الأرضِ والمطر . وقد تقرب الطَّبائعُ من الطَّبائعِ ، وإن لم ١١٥ تتحوَّل في جميع معانيها ، كالنطفة^(٣) والدَّم ، وكاللبنِ والدَّم . وقد قال صاحبُ المنطقِ : أقول بقولِ عامِّ : لا بدَّ لجميع الحيوان من دم ، أو من شيء^(٤) يشاكل الدَّم . ونحن قد نجد الجيفَ يخلق^(٥) منها الدَّيدان ، وكذلك العذرة . ولذلك المجوسىُّ كلما تبرَّز ذرَّةً على بُرازه شيئاً من التراب ؛ لتلا يخلق منها

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « يجلب » .

(٣) النطفة : ماء الرجل . ط ، س : « كالنطفة » ، وصوابه في ل .

(٤) ط ، س : « شكل » .

(٥) ل : « تخلق » .

ديدان^(١) . والمجوسى^(٢) لا يتغوّط في الآبار والبلاليع لأنه بزعمه يُكرم بطن الأرض عن ذلك ، ويزعم أنّ الأرضَ أحدَ الأركان التي بُنيتِ العوالمُ الخمسةُ عليها^(٣) بزعمهم : أبرسارس^(٤) وأبرمارس^(٥) وأبردس^(٦) وكارس^(٧) وحريرة أمنة^(٨) . وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد أسرس^(٩) ، ولذلك لا يدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ، ويضعونهم في النواويس وضعا . قالوا : ولو استطعنا أن نخرج تلك الجيف من ظهور الأرضين وأجواف الأحراز ، كما أخرجناها من بطون الأرضين^(١٠) . لفعلنا . وهم يسمّون يوم القيامة روز رستهار^(١١) ، كأنه يوم تقوم الجيف .

فمن بغضهم لأبدان الموتى سمّوها بأسمج أسمائهم^(١٢) . قالوا : وعلى هذا المثال أعظمنا النار والماء^(١٣) ، وليسا بأحقّ بالتعظيم من الأرض .

-
- (١) « ولذلك المجوسى » . الخ ، ساقط من س . وفى ط : « وكذلك » .
(٢) ل : « ولذلك المجوسى » .
(٣) كذا فى س . وفى ط : « تنبت » محرفة . ل : « عليها يثبت العوالم الخمسة » .
(٤) ط : « البرسارس » وفى رسائل الجاحظ ١٠٨ ساسى : « ابرشارش » .
(٥) ط : « البرمارس » وفى رسائل الجاحظ : « ابربارش » .
(٦) ابردس هى فى الرسائل : « ايددش » :
(٧) س : « كاومرة » .
(٨) كذا .
(٩) الكلام من مبدأ « ابرسارس » ساقط من ل . وانظر الاستدراكات .
(١٠) الأرضين : جمع أرض . ط ، س : « الأرض » فى الموضعين . والأحراز : جمع حرز ، وهو المكان الحصين . ط . « الأحرار » س : « الأحرا » ل : « الأجواء » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .
(١١) س : « روز سرهار » ، ط : « روز سهرهار » .
(١٢) ل : « أسمائها » .
(١٣) ل : « عظمنا الماء فالنار » .

وبعد فنحن ننزِع الصَّمامة من رعوس الآنية التي يكونُ فيها بعضُ
الشراب ، فنجد هنالك من الفراش ما لم يكن عن (١) ذكر ولا أنثى ، وإنما
ذلك لاستحالة بعضِ أجزاءِ الهواءِ وذلك الشرابِ إذا انضمَّ عليه ذلك
الوعاء (٢) . وهذا قولُ ذى الرِّمَّة وتأويلُ شعره ، حيث يقول :

وأبصرنَ أن القِنعَ صارتَ نِطافُهُ فَرَاشاً وأنَّ البَقْلَ ذاوٍ ويابسٌ (٣)
وكذلك كلُّ ما تخلُق من بُجَّارِ النَّخلة وفيها (٤) ، من ضروب الخلقِ
والطَّير ، وأشباه [الطير] ، وأشباه (٥) بناتِ وِردان ، والذي يسمَّى بالفارسية
فاذو (٦) ، وكالسُّوس ، والقوادح (٧) ، والأرضة (٨) ، [وبناتِ وِردان اللاتي
يخلقن من الأجداع والخشب والحشوش (٨) . وقد نجد الأزج (٩) الذي
يكبس فيه اليخ (١٠) بخراسان ، كيف يستحيل كله ضفادِعَ . وما الضَّفدعُ
بأدَلَّ على الله من القِراش .

(١) ط ، س : « عند » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وإنما ذلك استحالة » . - ط : « إذا انضم » ، و صواب الأخيرة
في ل ، س .

(٣) سبق شرح البيت في ص ٣٤٨ من هذا الجزء . وصدر البيت محرف في ط هكذا :
* وأبصرت أن النقع صارت لطفة *

(٤) ل : « وكذلك ما يخلق » . الخ .

(٥) ط ، س : « وأشباه ذلك » .

(٦) ط ، س : « وأن الذي » ، والوجه حذف « أن » كما في ل . و « فاذو »
هي في ط ، س : « تارداد » .

(٧) القوادح : جمع قاذحة ، وهي الدودة . ل : « القوارح » محرفة .

(٨) الجشوش : جمع حش بالضم ، وهو بيت الخلاء .

(٩) الأزج . بالتحريك : بيت يبنى طولاً .

(١٠) اليخ : الثلج بالفارسية .

ولمَّا يستحيل ذلك الثلجُ إذا انفتح فيه كقدر منخر الثور ، حتى
تدخله الريح التي هي اللاقحة ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ
لَوَاقِحَ ﴾ ، فجعلها لاقحةً ولم يجعلها ملقحة .

ونجد وسط الدهناء - وهي أوسع من الدوِّ ومن الصَّمان (١) - وعلى
ظهر مسجد الجامع (٢) في غبِّ المطر من الضَّفادِعِ ما لا يُحصى عدده . وليس
أنَّ ذلك كان عن ذكرٍ وأنثى ، ولكنَّ اللهَ خلقها تلك الساعةَ من طِبَاعِ
تلك التُّربةِ وذلك المطرُ وذلك الهواءُ المحيطُ بهما ، وتلك الريحُ المتحرِّكةُ .
وإنَّ زعموا أنَّ تلك الضَّفادِعَ كانت في السَّحابِ ، فالذي أقرُّوا به أعجبُ
من الذي أنكروه . ولَمَّا تقيم الضَّفادِعُ وتربِّي وتتوالدُ في منافع المياه ،
وفي أرض تلاقى ماءً . والسَّحابُ لا يوصف بهذه الصفة . قد نجد الماء يزيد
في دجلةَ والفراتِ فتنزُّ البطون والحفائر التي تليها من الأرض ، فيُخلق
من ذلك الماءِ السمكُ الكثير ، ولم يكن في تلك الحفائر الحدث (٣) ، ولا
في بحر تلك الأرضين شيءٌ من بيض السمك .

ولم نجد أهلَ القاطول (٤) يشكُّون في أنَّ الفأرَ تخلق من أرضهم ، وأنهم
ربَّما أبصروا الفأرةَ من قبل أن يتمَّ خلقها . فنسبوا بأجمعهم خلقَ الفأرِ إلى
الذكر والأنثى ، وإلى بعض المياه والتُّربِ والأجواء والزمان ، كما قالوا
في السمك ، والضَّفادِعِ ، والعقارب .

(١) الدهناء : اسم لواد في بادية البصرة . والنو : أرض ملساء بين البصرة ومكة .
والصمان : بفتح الصاد ، أرض غليظة فيها ارتفاع قريبة من الدهناء
(٢) يقال المسجد الجامع ومسجد الجامع ، كما في القاموس . والمراد به مسجد البصرة .
(٣) الحدث : واحد الأحداث ، وهي الأمطار الحادثة في أول السنة .
(٤) قال ياقوت : نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر .

(ضعف اطراد القياس والرأى فى الأمور الطبيعية)

فإن قاس ذلك قانسٌ فقال [(١)] : ليسَ بين [الذَّبَّانِ و] بنات وردان
و [بين] الزَّنَابِيرِ فرق ، ولا بين الزَّنَابِيرِ والدَّبَّرِ والخنافس (٢) فرق ، [ولا بين
الزَّرَازِيرِ والخفافيش] ولا بين العصافير والزَّرَازِيرِ فرق : فإذا فرغوا من
خشاش الأرض صاروا إلى بغائها ثم إلى أحرارها ، ثم إلى الطواويس
والتَّدارج (٣) والزمامج (٤) حتى يصعدوا إلى الناس . قيل لهم : ليس ذلك
كذلك ، [و] ينبغى لكم بدياً أن تعرفوا الطَّبيعة والعادة ، والطبيعة
الغريبة (٥) من الطبيعة العامية (٦) ، والممكن من الممتنع ، وأنَّ
الممكن على ضربين : فنه الذى لا يزال يكون ، ومنه الذى لا يكاد
يكون ، وما علة الكثرة والقلة ، وتعرفوا (٧) أنَّ الممتنع أيضاً على
ضربين : فنه ما يكون لعله موضوعة يجوز دفعها ، وما كان منه لعله
لا يجوز دفعها (٨) ، [وفصل ما بين العلة التى لا يجوز دفعها] وهى على كل
حالٍ علة ، وبين الامتناع الذى لا علة له إلا عينُ الشيء وجنسه (٩) .

-
- (١) إلى هنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من ص ٣٧١ س ٨ .
(٢) ل : « وعين الزنابير والخفافيش » ، والكلمة الأخيرة محرفة .
(٣) التدارج : جمع تدرج ، وهو طائر مليح مغرد . ط ، س : « التداريج » .
(٤) الزمامج : جمع زمج ، وهو من أنواع البزاة ، وفارسيته « دوبرادران » كما
فى القاموس .
(٥) بدل هاتين الكلمتين فى ط ، س : « الغريزة » تحريف .
(٦) المراد بالعامية العامة ، التى لا غرابة فيها ولا شذوذ .
(٧) ط ، س : « يعرفون » ل : « يعرفوا » ووجهه ما أثبت .
(٨) هذه ساقطة من ل وفى ط : « للعلة التى » .
(٩) ط ، س : « الذى لا علة له غير الشيء وجنسه » .

وينبغي أن تعرفوا فرّق ما بين الحال [و] الممتنع ، وما يستحيل كونه
 ١١٦ من الله عزّ وجلّ ؛ وما يستحيل كونه من الخلق .

وإذا عرفتم الجواهرَ وحظوظها من القوى ، فعند ذلك فتعاطوا الإنكارَ
 والإقرار ، وإلا فكونوا في سبيل المتعلم ، أو في سبيل [من ^(١)] آثرَ
 الرّاحة ساعةً على ما يورث كدّ التعلّم من راحة الأبد . قد يكون أن يجيء
 على جهة التوليد شيء ^(٢) يبعد في الوهم [مجيئه ، ويمتنع شيء هو أقرب
 في الوهم ^(٣)] من غيره ؛ لأنّ حقائق الأمور ومغيّبات الأشياء ، لا تُردُّ إلى
 ظاهر الرّأي ، وإنما يردُّ إلى الرّأي ما دخل في باب الحزم والإضاعة ^(٤)
 وما هو أصوب وأقرب إلى نيل الحاجة . وليس عند الرّأي علمٌ بالنّجح
 والإكداء ^(٥) ؛ كنحو مجيء ^(٦) الزّجاج من الرّمّل ، وامتناع الشّبّه والزّبئق
 من أن يتحوّل في طبع الذهب والفضّة ^(٧) . والزّبئق أشبهُ بالفضّة المايعة
 من الرّمّل بالزجاج الفرعوني ^(٨) . والشّبّه الدمشقي بالذهب الإبريز أشبه من
 الرّمّل بفلق ^(٩) الزّجاج النقي الخالص الصافي .

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « قد يكون أو يجيء على جهة التوليد وشيء » ، تحريف .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) كذا في ل ، س . وفي ط : « الجزم والإضافة » محرف .

(٥) النجح بالضم : النجاح . ط ، س : « بالنصح » محرفة . والإكداء : الحية .

(٦) ط : س : « مخارج » ، وصوابه في ل .

(٧) الشبه نوعان : أحدهما طبيعي يكون بجمال أصبهان . والآخر صناعي يؤخذ جزء
 من النحاس وعشرة من التوتيا يطعمها بالسبك بعد التنقية . عن تذكرة داود .

(٨) الزجاج الفرعوني : ضرب من الزجاج الصناعي ، تجدد صفته في تذكرة داود . وانظر
 الاستدراكات .

(٩) فلق : جمع فلقة ، وهي القطعة .

ومن العجب أن الزُّجاجَ - وهو مولدٌ - قد يجرى مع الذهب في كثيرٍ
مفاخرِ الذهب ؛ إذ كان لا يغيّرُ طبعَهُ ماءً ولا أرضاً ؛ والفضة التي ليستُ
بمولدة^(١) إذا دفنت زماناً غير طويلاً استحالتُ أرضاً . فأما الحديد فإنه
في ذلك سريعٌ غير بطيء .

وقد زعمَ ناسٌ أن الفرقَ الذي بينهما إنما هو أن كلَّ شيءٍ له في العالمِ
أصلٌ وخميرةٌ ، لم يكن كالشيء الذي يكتب^(٢) ويحتلب ويلفّق ويلزّق ،
وأن الذهب لا يخلو من أن يكون ركناً من الأركان فأما منذ كان الهواء
والماء والنار والأرض . فإن كان كذلك فهو أبعد شيءٍ من أن يولد للناسُ
مثله^(٤) . وإن كان الذهب إنما حدث في عمق الأرض^(٥) ، بأن يصادف
من الأرض جَوْهراً^(٦) ، ومن الهواء الذي في خلالها جوهراً . ومن
الماء الملابس لها جوهراً ، ومن النار المحصورة فيها جوهراً ، مع مقدار
من طول مُرور الزمان ، ومقدارٍ من مُقابلات البروج . فإن كان الذهب إنما
هُوَ نتيجة [هذه] الجواهرِ على هذه الأسباب^(٧) ، فواجب ألا يكون
الذهب أبداً إلا كذلك .

(١) ط ، س : « ليست بمولدة » ، ل : « والفضة مولدة » وجعلتها كما ترى .

(٢) ط : « يكتب » ، وصوابه في ل ، س .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « قديماً » .

(٤) ل : « فهو أبعد للناس من أن يؤلفوا مثله » .

(٥) س : « في عين الأرض » .

(٦) ط : « جواهر أو » في المواضع الأربعة . وصوابه في ل ، س .

(٧) ل : « الأصناف » ! .

فيقال لهؤلاء : أرأيتم الفأرة التي خُلِقَتْ من صُلْبِ جُرَذٍ ورحم فأرة ، وزعمتم أنها فأرة على (١) مقابلة من الأمور السَّماويَّة والهوائيَّة والأرضيَّة ، وكانت نتيجة هذه الحِصَال ، مع استيفاء هذه الصِّفَات (٢) ؟ أَلَسْنَا قَدْ (٣) وجدنا فأرة أخرى تهيأ لها من أرحام الأَرْضِيَّين ، ومن حِصَانَةِ الهَوَاءِ ، ومن تَلْقِيحِ المَاءِ ، ومن مُقَابِلَاتِ (٤) السَّماويَّات والهوائيَّات ، فالزَّمانُ أَصَارَ (٥) جميع ذلك سبباً لفأرة [أخرى] مثلها . وكذلك كلُّ ما عددناه (٦) ١١٧ فن إن يستحيل أن يخلط الإنسان (٧) بين مائيَّة طبيعيَّة ومائيَّة جوهريَّة (٨) ؟ إمَّا من طريق التبعيد والتقريب ، ومن طريق الظُّنون والتجريب ، [أ] و من طريق أن يقع ذلك اتِّفَاقاً ، كما صنع النَّاطِفُ السَّاقِطُ من يد الأجير في مُذَابِ الصُّفْرِ (٩) حتى أعطاه ذلك اللَّونَ ، وجلب ذلك النَّفْعَ (١٠) ، ثم إن

(١) س : « عن » .

(٢) ط : « مع استيفاء هذه صفات » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « التصادف » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « المقابلات » .

(٥) أصار : جعل . ل : « من الزمان ما صار » .

(٦) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « كلما عددنا » .

(٧) ط : س : « يخلها إنسان » ، وصوابه في ل .

(٨) ط ، س : « مائة » ، وصوابه في ل .

(٩) الناطف : ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفتق ، ويسمى أيضاً

القبيطى والقباطى والقبيط — بضم القاف وتشديد الباء فيهن — والقبيطاء كحميراء .

انظر القاموس واللسان مع الألفاظ الفارسية ١٢٣ وحاشية الصبان على شرح

الأشعري للألفية (٤ : ٨٨) وحواشي تهذيب الصحاح (نطف) . والصفر :

بالضم : النحاس .

(١٠) ل : « البقع » .

الرِّجَالِ دَبْرَتَهُ وَزَادَتْ وَنَقَصَتْ ، حَتَّى صَارَ شَبَهًا ذَهَبِيًّا . هَذَا مَعَ النَّوْشَاذِرِ
الْمَوْلُودِ مِنَ الْحِجَارَةِ السُّودِ (١) .

فَلَوْ قَلْتُمْ : إِنَّ ذَلِكَ قَائِمٌ الْجَوَازِ فِي الْعَقْلِ (٢) مَطَّرِدٌ فِي الرَّأْيِ ، غَيْرِ
مُسْتَحِيلٍ فِي النَّظَرِ (٣) . وَلَكِنَّا وَجَدْنَا الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ مِنَ النَّاسِ مِنْذُ كَانَ
فَإِنَّ النَّاسَ يَلْتَمِسُونَ [هَذَا] وَيَنْتَصِبُونَ لَهُ (٤) ، وَيَكْلَفُونَ بِهِ . فَلَوْ كَانَ هَذَا
الْأَمْرُ يَجِيءُ مِنْ وَجْهِ الْجَمْعِ وَالتَّوْلِيدِ (٥) وَالتَّرْكِيبِ [وَالتَّجْرِبِ ، أ (٦)] وَ
مِنْ وَجْهِ الْإِتْفَاقِ ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَدْ ظَهَرَ مِنْ أَلُوفِ سِنِينَ
وَأَلُوفٍ ؛ إِذْ كَانَ هَذَا الْمَقْدَارُ أَقْلًا مَاتَوْرِّخًا بِهِ الْأُمَمَ ، وَلَكَانَ (٧) هَذَا مَقْبُولًا
غَيْرَ مَرْدُودٍ . وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَنَا مِنْهُ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الذَّهَبُ إِلَّا
مِنْ حَيْثُ وَجَدَ (٨) . وَلَيْسَ قُرْبُ كَوْنِ الشَّيْءِ فِي الْوَهْمِ بِمَوْجِبٍ لِكَوْنِهِ ،
وَلَا بَعْدَهُ فِي الْوَهْمِ بِمَوْجِبٍ لِامْتِنَاعِهِ .

وَلَوْ أَنَّ قَائِلًا قَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ (٩) [إِذْ] قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَهَيَّأَ لَهُ
طَبَاعُ الْأَرْضِ ، وَطَبَاعُ الْمَاءِ ، [وَطَبَاعُ الْهَوَاءِ] ، وَطَبَاعُ النَّارِ ، وَمَقَادِيرُ حَرَكَاتِ

(١) للنوشاذر ، كذا جاء بالذال المعجمة . وانظر ما سيأتي في ٥ : ٣٤٩ ط ، س :

« والحجارة السود » .

(٢) ل : « القائم الجواز » . ط ، س : « قائم الجوهر في العقل » ، وجمعت بينهما .

(٣) ل : « العقل » .

(٤) ل : « وينصبون له » .

(٥) ط ، س : « والتفريق » ، والأشبه ما أثبت من ل .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) ط ، س : « وكان » .

(٨) ل : « وجه » ، محرفة .

(٩) ل : « الأصل » .

الفلك ، ومقداراً من طول الزمان . فنتى لم تجتمع هذه الخصالُ وتكُمُل هذه الأمور لم يتمَّ خلق الذهب . وكذلك قد يستقيم أن يكون قد تهيأً لواحدٍ أن يجمع بين [مائتى] شكلٍ [من] الجواهرِ ، فزجها على مقاديرَ ، وطبخها على مقاديرَ ، وأغبها مقداراً^(١) من الزمان ، وقابلت مقداراً من حركات الأجرام السماوية ، وصادفت العالم بما فيه على هيئة^(٢) ، وكان بعضُ ماجرى على يده اتفاقاً وبعضه قصداً ، فلما اجتمعت جاء منها ذهبٌ فوقَ ذلك فى خمسة آلاف سنة مرةً ، ثمَّ أراد صاحبه المعاوذة فلم يقدرُ على أمثال مقادير طبايع تلك الجواهرِ ، ولم يضبط مقاديرَ ما كان قصداً إليه فى تلك المرة^(٣) ، وأخطأ ما كان وقعَ له اتفاقاً^(٤) ، ولم يقابل من الفلك مثل تلك الحركات ، ولا من العالم مثل تلك الهيئة ، فلم يُعدْ له ذلك .

فإن قال لنا هذا القول [قائل] وقال : بيّنوا^(٥) لى موضع إحالته ، ولا تحتجوا بتباعد [اجتماع] الأمور فيه ، فإننا نقر لكم بتباعدها . هل كان عندنا فى ذلك قولٌ مقنع ، والدليل الذى تشلج به الصدور ؟! وهل عندنا فى استطاعة الناس أن يولدوا مثل ذلك^(٦) ، إلا بأن يُعرض هذا القول على العقول

(١) أغبها : جعلها تغب ، أى تمكث . ط ، س : « وأعانها مقدار » .

(٢) س : « هيئته » .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المدة » .

(٤) ل : « وأخطأ ما وقع له اتفاقاً » .

(٥) ط ، س : « أثبتوا » .

(٦) ل : « أن يولدوا ناساً » ، وهو تحريف .

السليمة ، والأفهام التامة وزدّه إلى الرسل^(١) والكتب ؟ ! فإذا وجدنا هذه الأمور كلها نافية له^(٢) كان ذلك عندنا هو المقنع . وليس الشأن فيما يظهر اللسان من الشك فيه والتجوز له ، ولكن ليردّه إلى العقل^(٣) ؛ ١١٨ فإنه سيجد منكرًا ونافياً [له] ، إذا^(٤) كان العقل سليماً من آفة المرض ، ومن آفة التخيل .

(ضروب التخيل)

والتخيل ضروب^(٥) : تخيل من المرار^(٦) ، وتخيل من الشيطان ، وتخيل آخر كالرجل يعمد إلى قلب رطب لم يتوقّع ، وذهن لم يستمر^(٧) ، فيحمله على الدقيق وهو بعد لا يني بالجليل ، ويتخطى المقدمات متسكماً^(٨) بلا أمارة ، فرجع حسيراً^(٩) بلا يقين ، وغبر زماناً لا يعرف إلا [الشكوك و]

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) كذا على الصواب في ل ، وفي ط ، س : « باقية » .

(٣) ل : « ذهنه » .

(٤) في الأصل : « فإذا » .

(٥) ل : « ضربان » ، وإنما هي « ضروب » .

(٦) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهي مزاج من أمزجة البدن إذا قوى اختل معه التفكير .

(٧) يتوقّع : يصلب . يستمر : يقوى .

(٨) متسكماً : متحيراً . ط ، س : « متكشفاً » محرّفة عن « متكسماً » . يقال تسكع وتكسع .

(٩) الحسير : المتعب المميس . ط : « حيران » .

الخواطرَ الفاسدة ، التي متى لاقَت القلبَ على هذه الهيئة ، كانت ثمرتها^(١) الحيرة . والقلبُ الذي يفسدُ في يومٍ لا^(٢) يداوى في سنة ، والبناءُ الذي يُنقَضُ في ساعةٍ لا يبنى^(٣) مثله في شهر .

(قولهم : نبيذٌ يمنعُ جانبه)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الذبان

قيل لعلويه كلبِ المطبخ : أي شيءٌ معنى قولهم : « هذا نبيذٌ يمنعُ جانبه » ؟ قال : يريدون أن^(٣) الذبان لا يدنو منه . وكان الرقاشي حاضراً ، فأشدد قول ابن عبدل^(٤) :

عَشَرَ الْعَنْكَبُوتُ فِي قَعْرِ دَنِي إِنَّ ذَا مِنْ رَزِيَّتِي لِعَظِيمٍ
لَيْتَنِي قَدْ غَمَرْتُ دَنِي حَتَّى أَبْصِرَ الْعَنْكَبُوتَ فِيهِ يَعْوَمُ^(٥)
غَرَقاً لَا يُغِيثُهُ الدَّهْرُ إِلَّا زَبْدٌ فَوْقَ رَأْسِهِ مَرْكُومٌ^(٦)

(١) س : « نمرته » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا » والوجه حذف الواو كما في ل ، س .

(٣) ط ، س : « يريدان » .

(٤) هو الحسك بن عبدل الأسدي تقدمت ترجمته في (٢ : ١٥٤) . وانظر أبياتاً من هذه القصيدة في ٥ : ٢٩٧ . وهي مقيدة الروي ، أي ساكنته .

(٥) غمرته : ملأته حتى نهايته . وفي الأصل : « عمرت » . والذن ، بالفتح : الراقود

العظيم . ط : « ذني » وصوابه في ل ، س . وفي ل : « تعوم »
والعنكبوت مؤنثة وتذكر قليلاً ، وابن عبدل قد جعلها هنا مذكرة بقرائن كثيرة .

(٦) الزبد : ما يعلو الخمر ونحوها . س : « وبزه محرفة . والمركوم : المتجمع .

مُخْرَجاً كَفَّهُ ينادى ذُبَاباً أَنْ أَغْنِي فَإِنِّي مَغْمُومٌ^(١)
 قال : دَغْنِي فَلَنْ أُطِيقَ دُنُوءاً مِنْ شَرَابٍ يَشْمُهُ الْمَرْكُومُ^(٢)
 [قال] : وَالذَّبَّانُ يَضْرَبُ بِهِ الْمَثْلُ فِي الْقَدَرِ وَفِي اسْتِطَابَةِ النَّتْنِ ، فَإِذَا
 عَجَزَ الذَّبَابُ عَنْ شَمِّ شَيْءٍ فَهُوَ الَّذِي لَا يَكُونُ أَنْتَنُ مِنْهُ .

ولذلك حين رَمَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَّانَ بْنِ سَعْدٍ^(٣) بِالْبَخْرِ ، قَالَ :
 وَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذَبَابٌ وَلَوْ طَلَيْتُ مَشَافِرَهُ بِقَنْدٍ^(٤)
 يَرَيْنَ حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتاً وَشِيكاً إِنْ هَمَّ مَنْ لَهُ بَوْرَدٌ^(٥)

(أَبُو ذَبَّان)

ويقال لكلُّ أُنْجَرٍ : أَبُو ذَبَّانٍ ، وَكَانَتْ فِيمَا زَعَمُوا كُنْيَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ^(٦)
 وَأَنْشَدُوا^(٧) قَوْلَ أَبِي خُرَابَةَ^(٨) :

- (١) ط ، س : « مخرج » . ل : « مظلوم » .
 (٢) لا يشم المَرْكُومُ إِلَّا مَا كَانَ غَايَةً فِي ظَهْرِ الرَّائِحَةِ . ل : يَقَطُرُ الْمَرْكُومُ .
 (٣) ط ، س : « سعيد » والصواب ما أثبت من ل والأغاني (٣ : ١٤٥)
 والبيان (٣ : ٧٤) ونهاية الأرب (١٠ ، ٣٠٠) وعيون الأخبار (٤ :
 ٦٢) حيث يوجد الشعر .
 (٤) ل : « فا » . ومشافره أراد بها شفتيه ، ولكنه تهكم . والقند بالفتح : عسل
 قصب السكر إذا جمد ، معرب : « كند » .
 (٥) ط : « يرون » وصوابه في ل ، س . ل : « ذعافا » بدل : وشيكا
 وقد تقدمت أبيات من هذه القصيدة في (٢ : ٢٥٠ - ٢٥٣) .
 (٦) قالوا : كنى بذلك لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه . ويحكي أنه عض
 يوما تفاحة ورمى بها إلى بعض نساته ، فدعت بسكين فقطعت موضع عضته ، فقال
 لها : ما تصنعين ؟ قالت : أميط عنها الأذى ! فطلقها من وقته . انظر ثمار
 القلوب ١٩٧ .
 (٧) ط ، س : « وأنشد » :
 (٨) ط ، س : « ابن خرابة » ، وتصحيحه من ل . وقد تقدمت ترجمته في
 (١ : ٢٥٥) .

أمسى أبو ذبيانَ مخلوعَ الرِّسَنِ^(١) خَلَعَ عِنانِ قَارِحٍ مِنْ الحُصْنِ^(٢)
• وقد صَفَتْ بَيَعَتْنَا لابنِ حَسَنِ^(٣) •

(شعر فيه هجاء بالذباب)

١١٩

وقال رجلٌ يهجو هلالَ بنَ عبد الملك الهنأى^(٤) :

ألا مَنْ يَشْتري مَنِي هِلالاً مَوَدَّتَه وخَلَّتَه بفَلَسِ
وأبرأ للذي يبتاعُ مِني هِلالاً مِنْ خِصالٍ فيه خَمْسِ^(٦)
فهنَّ النِّغانِغُ والمِكاوى وآثارُ الجروحِ وأكُلُ ضِرْسِ^(٧)
ومن أخذِ الذِّبابِ بإصْبِغِيهِ وإن كانَ الذِّبابُ برأسِ جَعْسِ^(٨)

- (١) ل : « أضحى » . والرسن ، بالتحريك : الزمام للدابة يوضع على الأنف .
(٢) س : « خلع عناق » ، وهو تحريف صوابه في ل ، ط . والقارح : الذي انتهت أسنانه ، وإنما تنتهى في خمس سنين . والحصن : جمع حصان . ط ، س : « الرش » تحريف .
(٣) ط ، س : « لابن الحسن » ، وهما وجهان جائزان في العربية . جاء في المخصص (٧١ : ٤٦) في الكلام على إدخال (أل) ونزعها من الأعلام التي كانت في أصلها صفات : « والعرب قد تفعل هذا ؛ لأنهم ربما قالوا : العباس وعباس ، والحسن وحسن » .
(٤) الهنأى : نسبة إلى هناة ، كئامة ، وهى قبيلة يمنية . انظر المعارف ٤٩ . ط ، س : « الهنأى » ، ل : « الهنأى » ، ووجهه ما كتبت .
(٥) ل : « وخلطته » .
(٦) ل : « ويشترط الذى » ، تحريف .
(٧) النغانغ : جمع نغغ ، كبرقع ، وهو لحمه فى الحاق . أراد أنه يمرض بها أبداً . والمسكاوى : جمع مكواة ، التي يعالج بها الجروح ونحوها . ل : « والمسكاوى » ولا تصح . و : « آثار » بدلها فى ل : « آلات » . وأكل الضرس : أراد به فساده .
(٨) الجعس ، بالفتح : الرجيع . ل : « ولو كان » .

(قولٌ في آية)

قالوا: وضرب الله عزَّ وجلَّ لضعف النَّاسِ وعجزهم مثلاً، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ فقال بعضُ النَّاسِ: قد سَوَّى بين الذَّبَّانِ والنَّاسِ في العجزِ . وقالوا: فقد يولِّد النَّاسُ من التَّعْفِينِ الفَرَاشَ [وغيرَ الفَرَاشِ (١)] وهذا خلقٌ ، على قوله: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ ، وعلى قوله: ﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ، وعلى قول الشاعر (٢) :

وَأَرَاكَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعَّ

نَضُّ الْقَوْمِ يَخْلُقُ نَمَّ لَا يَفْرِي (٣)

قيل لهم : إنما أراد الاختراع ، ولم يرد التقدير (٤) .

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) هو زهير ، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان . في ديوانه ص ٦٠ - ٦٤ .

(٣) تفرى : تقطع . خلقت : قدرت وهيات . يقول : إذا تهيأت لأمر أمضيته وأنفذته .

(٤) أى إن المراد من الخلق في الآية الأولى هو الاختراع لا التقدير . وأما في الآيتين بعدها والشعر فالمراد التقدير ، لا الاختراع والابتداع .

(قولٌ في شعر)

وأما قول ابن ميادة :

ألا لانبألى أن تُخندِفَ خندِفٌ ولسنا نُبألى أن يَطنَّ ذُبأبها^(١)
فإنَّما جعل الذُّباب هاهنا مثلاً ، وقد وضعه^(٢) في [غير] موضع
تحقير [له] و [موضع] تصغير . وهو مثل قوله :

بني أسدٍ كونوا لمن قد علمتم موالِي ذلتُ للهوانِ رِقابُها^(٣)
فلو حاربتنا الجنُّ لم نرفع العصا عن الجنِّ حتى لاتهرَّ كلابُها^(٤)
وليس يريد [تحقير^(٥)] الكلاب .

(استطراد لغوى)

ويقال : هو ذباب العين ، وذباب السيف . ويقال تلك أرضٌ مذبَّبة ،
أى كثيرة الذُّباب .

(١) تخندف : تمشى مشية كالمهرولة ، ومن ذلك ما سميت القبيلة خندفا . ل : « تخندق »

س : « تجيد » ، والوجه ما في ط . وفي س : « تطن ذبابها » ، والذباب يذكر
ويؤنث ؛ إذ كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء فإنه يذكر ويؤنث .

(٢) ط ، س : « وصفه » ، وصوابه في ل .

(٣) ل : « كن » ، ويتجه بها المعنى أيضاً .

(٤) ط ، س : « ولو » ط : « القنا » وهو جمع قناة .

(٥) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إلى مثلها .

وقال أبو الشَّمَقَمَقِ فِي هِجَائِهِ لِبَعْضِ مَنْ ابْتَلَى بِهِ :

أَسْمَحُ النَّاسِ جَمِيعاً كُلَّهُمْ كَذُبَابٍ سَاقِطٍ فِي مَرَقِهِ
[وَيُقَالُ إِنَّ اللَّبْنَ إِذَا ضُرِبَ بِالسَّكَنْدَسِ ^(١) وَنُضِحَ بِهِ بَيْتَ لَمْ
يَدْخُلْهُ ذُبَّانٌ] .

(أبو حكيم وثمامة بن أشرس)

وَسَمِعْتُ أَبَا حَكِيمِ السَّكِيمِيَّ ^(٢) وَهُوَ يَقُولُ لثَمَامَةَ بْنِ أَشْرَسَ : قُلْنَا لَكُمْ
إِنَّا نَدْلِكُمْ عَلَى الْإِكْسِيرِ ^(٣) ، فَاسْتَقْلَمْتُمُ الْغَرْمَ ، وَأَرَدْتُمُ الْغَنَمَ بِلا غُرْمٍ .
وَقُلْنَا لَكُمْ : دَعُونَا نَصْنَعُ هَذِهِ الْجُسُورَ [صِنْعَةً لَا تَنْتَقِضُ أَبَدًا ، فَأَيْتُمْ . وَقُلْنَا
لَكُمْ : مَا تَرْجُونَ مِنْ هَذِهِ الْمَسْنِيَّاتِ ^(٤)] الَّتِي تَهْدِمُهَا الْمُدُودُ ^(٥) ، وَتُخَرَّبُهَا
الْمَرَادِيُّ ^(٦) ؟ ! نَحْنُ نَعْمَلُ لَكُمْ مَسْنِيَّاتٍ ^(٧) بِنِصْفِ هَذِهِ الْمَثُونَةِ ، فَتَبْقَى لَكُمْ

(١) الكندس ، كقنفذ : عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

(٢) ط : « الكيماوى » . س : « السكيمائى » .

(٣) فى مفاتيح العلوم ١٥٠ : « ملح الإكسیر : هو الدواء الذى إذا طيخ به الجسد

المذاب جعله ذهباً أو فضة ، أو غيره إلى البياض أو الصفرة » .

(٤) المسنيات : الأحباس تبنى فى الأودية .

(٥) المدود : جمع مد ، بالفتح ، وهو السيل أو كثرة الماء .

(٦) المرادى : جمع مردى ، كشرطى ، وهو خشبة تدفع بها الصنينة . ويسمى عوام

مصر « المردى » بكسر الميم والقصر . ط : ل : « المذارى » وصوابه فى س .

(٧) المسنيات قد فسرت . ط : « مسنيات » س : « مسنات » وصوابه فى ل .

أبدأ . ثمَّ قولوا للمُدود أن تجتهد جهدها ، وللمرَادِيَّ (١) أن تبلغ غايتها [فأبيتم] . وقولوا لى : (٢) الذُّباب ما ترجون منها (٣) ؟ و [ما] تشتهون من البَعُوض ؟ وما رَغِبْتُمْكُمْ في الجرجس (٤) ؟ لم لاتَدَعُونِي أخرجها من بيوتكم بالْمَثُونَةَ اليسيرة ؟ وهو يقول هذا القولَ وأصحابنا يضحكون ، وابن سافرى جالسٌ يسمع (٥) ، فلما نزلنا أخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فغداه وكساه وسقاه ، ثمَّ قال له : أحببتُ (٦) أن تخرج البَعُوضَ من دارى . فأما (٧) الذُّباب فإني أحتمله . قال : ولم تحتمل الأذى وقد أتاك الله بالفرج (٨) ؟ قال : فافعل . قال : لا بدَّ لى من أن أخلط أدوية [وأشترى أدوية] . قال : فكم تريد ؟ قال : [أريد] شيئاً يسيراً . قال : وكم ذاك (٩) ؟ قال : خمسون ديناراً (١٠) . قال : ويحك ! خمسون يقال لها يسير (١١) ؟ ! قال :

(١) المرادى سبق تفسيرها في ٣٨٥ . ط ، ل : « للمدارى » وصوابه في س .

(٢) كذا على الصواب في ل . وفى ط ، س : « إلى » .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) الجرجس : لغة في القرقس ، وهو البعوض الصغار . ط ، س : « رغبتكم » .

(٥) ابن سافرى ، هو كذلك في ل والبخلاء ١٧٦ . وفى ط ، س :

« ابن مسافر » . وفيهما أيضاً : « يستمع » .

(٦) ل : « أحب »

(٧) ط فقط : « وأما » .

(٨) كذا في ل . وفى ط ، س : « قد جاءك الله بالفرج » .

(٩) كذا في ل . وفى ط ، س : « فكم مبلغه » .

(١٠) ط ، س : « أريد خمسين ديناراً » .

(١١) ل : « وخمسون يسير » .

أنت ليس^(١) تشتهي الراحة من قدر الذبّان ولسع البعوض ! ثمّ لبس نعليه^(٢) وقام على رجليه . فقال له : اقعدي . قال : إن قعدتُ قبل أن آخذها ثمّ اشتريت دواءً بمائة دينار لم تنفع به^(٣) ؛ فإنّي لست أدخنُ هذه الدُّخنة^(٤) ، إلّا للذين إذا أمرتهم بإخراجهنّ أخرجوهن . ولا أكتمك ما أريدُ ؛ إنّي لست أقصدُ إلّا إلى العُمار^(٥) . فما هو إلّا أن سمعَ بذكر العُمار^(٦) حتى ذهب^(٧) عقله ، ودعا له بالكيس [وذهب]^(٨) ليزن الدنانير ، فقال له : لا تشقّ على نفسك ! هاتها بلا وزنٍ عددًا^(٩) ، وإنّما خاف أن تحدثَ حادثَةً ، أو يقعَ شغلٌ ، فنفوت . فعدها وهو زميعٌ^(١٠) فغلط بعشرة دنانير ، فلما انصرف وزنها وعدّها فوجدَ دنانيرَه^(١١) تنقص ، فبكرَ عليه يقتضيه الفضل^(١٢) ، فضحك أبو حكيم حتى كاد يموت ، ثمّ قال :

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : « لست » .

(٢) ل : « خفه » .

(٣) ط ، ل : « تنفع » .

(٤) ط : « أدخل » ل : « الدخن » .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن فيما يزعمون . ط ، س : « القمار » وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « فا هو إلا صك سمه بذكر القمار » ، وفيه تحريف .

(٧) ط ، س : « فذهب » .

(٨) هذه من س .

(٩) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « وعدد » .

(١٠) زمع : دهش . ل : « فيعدها وهو زيع » ، تحريف .

(١١) ط : « فوجدنا دنانير » ، محرف .

(١٢) بكر عليه ، جاء إليه بكرة في أول النهار . ط ، س : « فكتب إليه » ، محرف والفضل : الفرق .

تسألني عن الفرع وقد استهلك الأصل ؟ ! [ولم يزل] يختلفُ إليه ويدافعهُ حتى قال له ثمامة : ويلك أجنونٌ^(١) أنت ؟ ! قد ذهب المالُ والسُّخريه مستورة . فإن نافرته فضحتَ نفسك ، وربحتَ عداوةَ شيطانٍ هُوَ والله أضرُّ عليكَ من عُمَارِ بيتِكَ ، الذين ليسَ يخرجونَ عنكَ^(٢) الذبابَ والبعوضَ بلا كُلفة ، مع حقِّ الجوار . قال : هم سكَانِي وجِيرَانِي . قالوا : لو كان سمع منك أبو حكيم هذه الكلمة لكانت الخمسون ديناراً مائة ديناراً !!

(شعر في أصوات الذباب وغنائها)

ومما قيل في أصوات الذباب^(٣) وغنائها ، قال المثقَّب العبدى^(٤) :

وتسمعُ للذبابِ إذا تغنى كَتغريد الحمامِ على الغُصونِ

وقال آخر :

حُوَّ مَسَارِبُهُ تَغْنَى فِي غَيَاطِلِهِ ذِبَابُهُ^(٥)

(١) ط ، س : « ويلك يا مجنون » .

(٢) ط : « ليسوا يخرجون عنه » .

(٣) س : « الذبان » .

(٤) المثقَّب العبدى : شاعر جاهلي من شعراء البحرين ، مسكن قبيلة عبد القيس .

واسم محسن ، بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الصاد المهملة . وأبوه ثعلبة

ابن وائلة بن عدى . والمثقَّب : اسم فاعل من ثنَّب ، سمي بذلك لقوله :

رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

خزانة البغدادى (٤ : ٤٣١ بولاق) ومعجم المرزبانى ٣٠٣ والشعراء ٨٨ .

(٥) حو : جمع أحوى ، وهو الضارب إلى السواد لشدة خضرته . والمسارب : المراعى

والغيطل : الشجر الملتف .

وقال أبو النجم :

أنفٌ ترى ذبابها تَعَلَّه^(١) من زهرِ الرُّوضِ الذي يَكَلُّه^(٢)
وقال أيضاً :

[والشيخ تهديه إلى طحمانه] ^(٣) فالرُّوضُ قد نورٌ في عَزَائِه^(٤)
مختلفَ الألوان في أسمائه^(٥) نوراً تخال الشمسَ في حرَّائِه^(٦)
مكلاً بالوردِ من صفرائِه يجابو المسكَّاء من مَكَّائِه^(٧)
صوتُ ذبابِ العُشبِ في دَرَمَائِه^(٨) يدعُو كأنَّ العَقْبَ مِنْ دُعَائِه^(٩)
صوتُ مُغْنٍ مَدَّ في غِنَائِه

١٢١

وقال الشماخ :

يكلفها ألا تخفضَ صَوْتَهَا أَهَازِيحُ ذِبَّانٍ عَلَى عُوْدِ عَوْسَجٍ^(١٠)
بعيدُ مَدَى التَّطْرِيْبِ أَوَّلُ صَوْتِه سَحِيْلٌ وَأَعْلَاهُ نَشِيْبُ المَحْشَرِجِ^(١١)

- (١) أنف : أى روضة أنف بضمين ، وهى التى لم يرعها أحد . وأسكن النون للشعر .
ط : « أتعترى » وصوابه فى ل ، س ، واللسان (أنف) . وتعله : من علله
بالطعام : شغله به . وضمير « ذبابها » عائد إلى الروضة الأنف . ط ، س :
« ذبابة » محرفة . وفى اللسان : « ذبانها » .
(٢) يكلله : يحفه من كل جانب . ل : « من زهر النور » ، تحريف .
(٣) فى هذه الزيادة تحريف .
(٤) العزاء : الأرض التى لبدها المطر فشددها . انظر اللسان . ط : « عزائه »
وتصحيحه من س . ل : « حوائه » .
(٥) ل : « من أسمائه » .
(٦) أى تخال أنت الشمس فى أزهاره الحمراء ، فلونهما واحد . ل : « تحار الشمس » .
(٧) المسكاء بضم الميم والتشديد : ضرب من القنابر له صفيح حدن .
(٨) الدرمام : نبت ليس بشجر ولا عشب ، ينبت على هيئة الكبد .
(٩) العقب ، بالفتح : بمعنى التوالى والملاحقة . ط ، س : « كنى العقب من
بكائه » ، صوابه من ل .
(١٠) أهازيج : جمع أهزوجة ، وهو هنا صوت طيران الذباب . ط : « أهازيج »
بالراء وصوابه فى س . والبيتان ساقطان من ل . ولم أجد هذا البيت
فى ديوان الشماخ ، وبدله فى صفة امرأة :
منعمة لم تلق بؤس معيشة ولم تغتزل يوماً على عود عوسج
(١١) مدى التطريب : غاية ترجيع الصوت . والسحيل : أشد نفاق الحمار . ط : =

(المغنيات من الحيوان)

والأجناس التي توصف بالغناء أجناسُ الحمام والبعوض ، وأصناف الذبَّان من الدُّبُر ، والنَّحْلِ ، والشَّعْرَاء ، والقَمَع (١) والنُّعْر (٢) . وليس لذبَّان الكلب غِنَاء ، ولا لما يخرجُ من الباقلاء . قال الشاعر :

تذبَّ عنها بأثيثِ ذَائِلِ ذِبَّانِ شَعْرَاءِ وَصَيْفِ مَادِلِ (٣)

(ألوان الذبَّان)

وذِبَّانُ الشَّعْرَاءِ مُحْمَرٌ . قال : والذبَّان التي تُهْلِكُ الإِبِلَ زُرْقٌ . قال الشاعر (٤) :

رَبَّعْتُ وَالذَّهْرُ ذُو تَصْفُقٍ (٥) حَالِيَةً بَدَى سَبَبٍ مَوْنِقٍ (٦)
إِلَّا مِنْ أَصْوَاتِ الذَّبَّابِ الْأَزْرَقِ (٧) أَوْ مِنْ نِقَانِقِ الْفَلَا الْمُنْقَنِقِ (٨)

= « سيحل » س : « سجل » وصوابه في الديوان ١٤ . والنشيج : الصوت

يتردد في الصدر . والمحشرج : الذي يفرغر عند الموت . والبيت في صفة حمار .

(١) القمع بالتحريك : ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر .

(٢) النعر : ذباب أزرق يلسع الدواب . س : « النعر » ل : « النغر » وهما

تصحييف ماق ط .

(٣) الأثيث : الكثير الشعر . والذائل : الطويل . وقد عني به : الذيل . وانظر ص ٣١٤ .

(٤) الأولى أن يقول : الراجز . والكلام من « قال الشاعر » إلى نهاية الرجز ساقط من ل .

(٥) تربعت : يعني الإبل أكلت الربيع . والتصفق : التقلب والتحول .

(٦) حالية : مزينة ، أراد روضة . والسبيب واحدة سببية ، وهي العضاه تكثر في

المكان . أو أراد بالسبيب : ذوائب الأشجار . والمونق : المعجب .

(٧) ط : « الأزق » ، تطبيع صوابه في س .

(٨) « نقانق » بدلها في س : « تفانق » . وأحسبها محرفتين .

والذَّبَّانَ الذي يسقط على الدواب صُفْرًا^(١) .

وقال أرطاة بن سُهَيْبَةَ ، لزُمَيْلِ بن أمِّ دينار^(٢) :

أزْمِيلُ إِنِّي إِنْ أَكُنْ لَكَ جَازِيَا أَعْكِرُ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرُخْ لِاتَسْبِقِ^(٣)

لِإِنِّي أَمْرُوٌّ تَجِدُ الرَّجَالَ عِدَاوَتِي وَجَدَ الرَّكَّابَ مِنَ الذَّبَابِ الْأَزْرَقِ

وَإِذَا مَرَّ بِكَ الشَّعْرُ الَّذِي يَصْلِحُ لِلْمِثْلِ وَاللِّحْفِظِ^(٤) ، فَلَا تَنْسَ حَفْظَكَ

مِنْ حِفْظِهِ .

وقال المتلمس :

فَهَذَا أَوْأَنَّ الْعَرِضَ حَيَّ ذَبَابُهُ زَنَايِرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَلَمَّسُ^(٥)

وَبِهِ سُمِّيَ الْمُتَلَمَّسُ .

(١) ط : « أصفر » .

(٢) زميل بن أم دينار : أحد بنى مازن بن فزارة ، أحد بنى عبد مناف . وأبوه أيبير بالتصغير ، أو ويير ، أو دبير ، وهو قاتل ابن دارة في خلافة عثمان ، وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . المؤتلف والمختلف ١٢٩ ، والإصابة ٣٩٧٣ ، والخزانة ٢ : ١٢٨ سلفية . ط ، س : « بن أم زبير » ، وصوابه في ل ، والخزانة . وأرطاة بن سهبة : هو ابن زفر بن عبد الله الغطفاني المزني ، شاعر مشهور . وسهبة أمه . أدرك الجاهلية - وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان . وكان يكنى أبا الوليد ، وهي أيضاً كنية عبد الملك . فقال من شعر :

وَمَا تَبَغَى الْمَنِيَةَ حِينَ تَأْتِي عَلَى نَفْسِ ابْنِ آدَمَ مِنْ مَزِيدٍ

وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَكْرُ حَتَّى تَوَفِّي نَذْرَهَا بِأَبِي الْوَلِيدِ

فارتاع عبد الملك وظن أنه أراد . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما عنيت نفسي فسكت . ونسب في الحماسة ١ : ١٤٩ إلى سالم بن دارة .

(٣) ل : « يازمل » و : « جازيا » بدلها في ل : « حاديا » ، وهذه الأخيرة لاتصح

وأعكر عليك : أغلبك أو أكر عليك . و « ترخ » هي في ط : « ترع » .

(٤) ل : « يصلح لمكانه ، ولأن تحفظه » .

(٥) بهذا البيت سمي المتلمس . وهو شاعر جاهل اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي كما في

الشعراء . والعرض - بالكسر - : كل واد فيه شجر . وحى ذبابه : من الحياة

والمراد هنا الانتعاش ، ويروى : « جن ذبابه » وجنونه : كثرة طنينته . ط :

« ذبابه » صوابه في ل ، س . س : « حتى » وهي تحريف .

وقال ابن ميادة :

بَعَثَرِيْسِرْ كَأَنَّ الدَّبْرَ يَلْسَعُهَا إِذَا تَغَرَّدَ حَادٍ خَلْفَهَا طَرْدُ^(١)

(ما يسمّى بالذَّبَّان)

والدليل على أنّ أجناس النحل والدبّر كلّها ذبّان ، ما حدث [به]
عبّاد بن صهيب ؛ وإسماعيل المسكّي^(٢) عن الأعمش ، عن عطية بن سعيد
العوفى^(٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلُّ ذبّابٍ في النارِ
إلا النحلة » .

وقال سليمان : سمعت مجاهدًا يكره قتل النحل وإحراق العظام .
يعنى في الغزو .

وحدثنا عنبسة قال : حدثنا حنظلة السدّوسىّ قال : أنبأنا^(٤) أنسُ
ابن مالك ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عمر الذبّابِ أربعون
يوماً . والذبّاب في النار » .

(١) العنتريس : الناقة الصلبة القوية الجريئة . وانظر الأغاني ٢ : ١٠٢ .

(٢) ل : « عن إسماعيل المسكّي » .

(٣) ل : « العوفى » وصوابه في ط ، س كما في تقريب التهذيب . قال ابن حجر :
عطية بن سعد بن جنادة - بضم الجيم بعدها نون خفيفة - العوفى الجدلى - بفتح الجيم
والمهملة - ، الكوفى ، أبو الحسن . صدوق يخطى كثيراً . مات سنة إحدى عشرة
يعنى بعد المائة . وترى أنه جعل أياه سعداً لاسعيدا .

(٤) ل : « حدثنا » .

(بحث كلامي في عذاب الحيوان والأطفال^(١))

وقد اختلف الناس في تأويل قوله : « والذباب في النار » وقال قوم :
الذباب خلقٌ خلقٌ للنار ، كما خلق الله تعالى ناساً كثيراً للنار ، وخلق
أطفالاً للنار . فهؤلاء قومٌ خلعوا عُذْرَهُمْ^(٢) فصارَ أحدهم إذا قال : ذلك ١٢٢
عَدْلٌ من الله عزَّ وجلَّ ؛ فقد بلغ أقصى العذر ، ورأى أنه إذا أضاف إليه
عذابَ الأطفال فقد مجَّده . ولو وجد سبيلاً إلى أن يقول إنَّ ذلك ظلم لقاله^(٣)
ولو وجد سبيلاً إلى أن يزعم أن الله تعالى يخبرُ عن شيءٍ^(٤) أنه يكون
وهو لا^(٥) يكون ، ثم يقول إلاَّ^(٥) أن ذلك صدق لقاله . إلاَّ أنه^(٦) يخاف
السيف عند هذه ، ولا يخاف السيف عند تلك . وإن كانت تلك أعظمَ
في الفرية من هذه .

وبعضهم يزعم أن الله عزَّ وجلَّ إنما عذبَ أطفالَ المشركين ليغمَّ بهم
آبائهم^(٧) . ثم قال المتعاقلون منهم : بل عذبهم لأنه هكذا شاء ، ولأنَّ هذا
له . فليت شعري [أ] يحتسب بهذا القول في باب التمجيد لله تعالى ؛ لأنَّ

(١) انظر مثل هذا البحث في الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) جمع عذار ، وهو من اللجام ماسال على خد الفرس . وخلع العذار كناية عن التشاطر
كما في الأساس .

(٣) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) ط : « الشيء » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) بدلها في ل : « ولكن » .

(٧) كلمة : « بهم » ساقطة من ل . و « آباءهم » رسمت في ط ، س :

« آباؤهم » خطأ .

كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود ، وكل من لم يخف سوط أمير فأتى (١)
قبيحاً فالذى يحسن (٢) ذلك القبيح أن صاحبه كان في [موضع] (٣) آمن ،
أو لأنه آمنٌ يمتنع (٤) من مطالبة السلطان . فكيف وكون الكذب والظلم
والعبث واللهو والبخل (٥) كله محالٌ ممن لا يحتاج إليه ، ولا تدعوه (٦)
إليه الدواعي !!

وزعم أبو إسحاق أن الطاعات إذا استوت استوى أهلها في الثواب ،
وأن المعاصي إذا استوت استوى أهلها في العقاب . وإذا لم يكن منهم طاعة
ولا معصية استووا في التفضل (٧) .

وزعم أن أجناس الحيوان [وكل شيء] يحس ويألم ،
في التفضل (٧) سواء .

وزعم أن أطفال المشركين والمسلمين كلهم في الجنة . وزعم أنه
ليس بين الأطفال ولا بين البهائم والمجانين فرق ، ولا بين السباع في ذلك وبين
البهائم فرق .

(١) ط : « أتى » تحريف .

(٢) ط : « يحسن » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) من ل ، س :

(٤) ل : « أم لأنه يمتنع » و « أم » تحريف .

(٥) ط ، س : « والضحك » .

(٦) ط ، س : « تدعو » .

(٧) أي تفضل الخالق بالثواب . ط ، س : « بالتفضيل » محرف .

وكان يقول : إنَّ هذه الأبدان السُّبعِيَّة والبهيمية لا تدخل الجنة ،
ولسكنَّ الله عزَّ وجلَّ ينقلُ تلك الأرواحَ خالصةً من تلك الآفات ؛
فيركِّبها في أيِّ الصُّور أحبَّ (١) .

وكان أبو كلدة (٢) ، ومعمَّر ، وأبو الهذيل ، وصحَّح (٣) ، يكرهون هذا
الجواب ، ويقولون : سوائُ عند خواصِّنا (٤) وعوامِّنا ، أقلنا : إنَّ أرواحَ كلابنا
تصير إلى الجنة ، أم قلنا : إنَّ كلابنا تدخل الجنة (٥) . ومتى ما اتَّصل كلامنا
بذكر الكلب على أيِّ وجهٍ كان ؛ فكأنَّا عندهم قد زعمنا أنَّ الجنة فيها
كلاب . ولسكنَّا نزعم أنَّ جميع ما خلقَ الله تعالى مِنَ السُّباع والبهائم
والحشرات والهمج [فهو] قبيح المنظر مؤلم ، أو حسن المنظر (٦) مُلِدٌّ ؛ فما كان
كانخيل والظباء ، والطواويس ، والتدارج (٧) فإنَّ تلك [في] الجنة ، ويلدُّ (٨)
أولياءُ الله عزَّ وجلَّ بمناظرها . وما كان منها قبيحاً في الدنيا مؤلمَ النظر

(١) ط ، س : « الصور الحسان أحب » . وكلمة « الحسان » مقحمة .

(٢) أبو كلدة : سبق له حديث في الجزء الأول ص ٢٣٤ .

(٣) كان صحَّح ذا مذهب غريب في « تفضيل النسيان على كثير من الذكر ، وأن
الغباء في الجملة أنفع من الفطنة ، وأن عيش اليهائم أحسن موقفاً في النفوس من
عيش العقلاء » . وتجد حجته لذلك في البخلاء ص ٥ .

(٤) ل : « خصوصتنا » .

(٥) ط ، س : « تدخل » بدل : « تصير إلى » . والكلام من « أم » ساقط من س :
وبدلها في ط : « أو » ، والوجه « أم » كما في ل .

(٦) المنظر : المنظر ، وبهذه الأخيرة جاءت في ط ، س .

(٧) التدارج : جمع تدرج ، وهو ضرب من الطير . ط ، س : « التدارج » .

(٨) ط ، س « وتلك » وصوابه في ل .

جعل الله عذاباً إلى عذاب أعدائه في النَّار . فإذا^(١) جاء في الأثر : أنَّ الذَّباب في النَّار ، وغير ذلك من الخلق ، فإنَّما يراد به هذا المعنى .

وذهب بعضهم إلى أنها تكون في النَّار ، وتلذُّ ذلك^(٢) ، كما أنَّ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ والذين يتولَّون من الملائكة التَّعذيبَ ، يلدُّون موضعهم من النار .

وذهب بعضهم إلى أنَّ الله تعالى يطبَّعهم على استلذاذ النَّار والعيش فيها ، كما طبع ديدان^(٣) الثلج والحلَّ على العيش في أماكنها .

وذهب آخرون إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ يحدث لأبدانها علةً لاتصل النَّار إليها ، وتنعم قلوبها وأبدانها من وجه آخر كيف شاء^(٤) . وقالوا: [و] قد

وجدنا النَّاسَ يَحْتالون لأنفسهم في الدُّنيا حِيلاً ، حتى يدخل أحدهم بعض الأتاتين^(٥) بذلك الطلاء ، ولا تضرُّه النار ، وهو في معظمها ، وموضع

الجماحم^(٦) منها . ففضل ما بين قدرة الله وقدره عباده أكثر من فضل ما بين حرِّ نار الدنيا والآخرة^(٧) .

(١) ل ، ط : « إذ » ، ووجهه من س .

(٢) ط ، س : « تلذُّ بذلك » وأثبت ما في ل . وهما صحیحتان . قال الزبير بن العوام رقص ابنه عروة (البيان ١ : ١٨٠) :

أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
ألذ كما ألذ ريق

(٣) ط : « حيوان » ، وصوابه : في ل ، س . وديدان الخلل سبق الكلام عليها في ٢ : ١١١ .

(٤) ط ، س : « كما شاء » . وجاءت الضمائر في ط ، س للعاقل ، أي « لأبدانهم » و « قلوبهم وأبدانهم » وصوابه في ل .

(٥) الأتاتين : جمع أتون ، كتنور ، وهو : أخدود الحجاز والجصاص ونحوه . ط ، س « الناس » وصوابه في ل .

(٦) الجماحم : التوقد والالتهاب . ط ، س : « الجماجم » وتصحيحه من ل .

(٧) كذا في ل . والفضل : الزيادة . ط ، س : « كفضل ما بين قوة حر نار الدنيا والآخرة » .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنْ سَبَّلَهَا^(١) فِيهَا كَسْبِيلَ نَارِ إِبْرَاهِيمَ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قُدِّفَ فِيهَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا يُقَالُ لَهُ [مَلِكٌ] الظِّلُّ ، فَكَانَ يَحْدُثُهُ وَيُؤَنِّسُهُ ؛ فَلَمْ تَصِلْ النَّارُ إِلَى أَذَاهُ ، مَعَ قُرْبِهِ مِنْ طَبَاعِ ذَلِكَ الْمَلِكِ .

وَكَيْفَمَا دَارَ الْأَمْرُ^(٢) فِي هَذِهِ الْجَوَابَاتِ ؛ فَإِنْ أَحْسَسَهَا وَأَشْنَعَهَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَذِّبُ بِنَارِ جَهَنَّمَ مَنْ لَمْ يَسْخِطْهُ وَلَا يَعْقِلُ كَيْفَ يَكُونُ السَّخَطُ . وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا عَذَّبَهُ لِيَغْمَّ أَبَاهُ^(٣) . وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُوصِلَ إِلَيْهِمْ ضَعْفَ الْإِغْتِمَامِ ، وَضَعْفَ الْأَلْمِ^(٤) الَّذِي يَنَالُهُمْ بِسَبَبِ أُنْسَائِهِمْ . فَأَمَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى إِيْصَالِ ذَلِكَ الْمَقْدَارِ إِلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ ، فَكَيْفَ يُوَصِّلُهُ وَيُصْرِفُهُ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ ؟ ! وَكَيْفَ يَصْرِفُهُ عَمَّنْ أَسْخَطَهُ إِلَى مَنْ لَمْ يُسْخِطْهُ^(٥) ؟ ! [هَذَا] وَقَدْ سَمِعُوا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ . كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ . وَكَيْفَ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ مَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ ؟ !

ثُمَّ رَجِعْ بِنَا الْقَوْلِ إِلَى الذَّبَّانِ وَأَصْنَافِ الذَّبَّانِ .

(١) ط ، س : « سبَّلَهُمْ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) ط ، س : « وَكَيْفَ دَارَ الْأَمْرُ » .

(٣) ط : « أَبَاهُ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل ، س .

(٤) ل : « ضَعْفَ إِغْتِمَامِهِمْ وَالْأَلْمِ » .

(٥) ط : « إِلَى مَنْ لَا يَسْخِطْهُ دُونَ مَنْ أَسْخَطَهُ » س : « إِلَى مَنْ اسْتَحَقَّهُ » ، وَهِيَ تَحْرِيفٌ مَا أُثْبِتَ مِنْ ل .

(جهل الذَّبَّان وما قيل فيها من الشعر)

والذَّبَّانُ أَجْهَلُ الْخَلْقِ ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّارَ مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِهَا حَتَّى تَحْتَرِقَ .

وقال الشاعر :

خَتَمْتُ الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا كَذَاكَ الصَّحِيفَةَ بِالْخَاتَمِ (١)
هَوَتْ بِي إِلَى حُبِّهَا نَظْرَةً هَوِيََّ الْفَرَاشَةَ لِلْجَاحِمِ

وقال آخر :

كَأَنَّ مَشَافِرَ النَّجْدَاتِ مِنْهَا إِذَا مَامَسَّهَا قَمْعُ الذُّبَابِ (٢)
بِأَيْدِي مَاتَمٍ مَتَسَاعِدَاتٍ نَعَالِ السَّبْتِ أَوْ عَذَبِ الثِّيَابِ (٣)

(نقد بيت من الشعر)

١٢٤

وقال بعض الشعراء (٤) ، يهجو حارثة بن بدر الغداني :

زَعَمْتُ غُدَانَةَ أَنْ فِيهَا سَيِّدًا ضَخْمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدُبِ (٥)

(١) كذا في ط ، س : وثمار القلوب ٣٩٩ . وفي ل : « على حبها كختم » . وكانوا يختمون الرسائل بالخاتم على طين خاص ، يسمى طين الختم .

(٢) النجدات : جمع نجدة ، وهي الناقة تكون نجدة على صاحبها . والقمع : ذباب الإهبل .

(٣) الماتم : جماعة النسوة في الحزن . ط : « بأيد متاتم » صوابه في ل ، س . والعداب : جمع عذبة ، وهي خرقة للناحثة . ط ، س : « عرب » محرف . أما « نعال السبت » فلم أجد لها علاقة بالكلام . وماذا عسى تفعل النوائح بنعال السبت ؟ ل : « فعال السبت » ! .

(٤) هو الأبيرد الرياحي ، كما في الأغاني (١٢ : ١٠) . وانظر (٦ : ٣٥١) .

(٥) غدانة بالضم : قبيلة . يواريه : يستره . ط ، س : « يوازنه » ، أي يماثله ويساويه . وأثبت ما في ل وثمار القلوب ٣٢٥ .

وزعم ناسٌ أنه قال :
يُرْوِيهِ مَا يُرْوَى الذَّبَابَ فَيَنْتَشِي سُكْرًا ، وَتُشْبِعُهُ كُرَاعُ الْأَرْنَبِ (١)
قالوا : لا يجوز أن يقول : « يرويه ما يروى الذباب » و « يواريه جناحُ
الجنذب (٢) » ثم يقول : « ويشبعه كراع الأرنب » :
وإنما (٣) ذكر كراع الأرنب ؛ لأن يد الأرنب قصيرة ، ولذلك تسرع
[في] الصُّعود ، ولا يلحقها من الكلاب إلا كلُّ قصير اليد (٤) . وذلك
محمودٌ من الكلب . والفرس تُوصَف (٥) بقصر الذراع .

(قصة في الهرب من الذباب)

وحدثني الحسنُ بن إبراهيم العلويُّ قال : مررتُ بخالي ، وإذا هو وحده
يضحك ، فأنكرتُ ضحكهُ ؛ لأنني رأيتُهُ وحده ، وأنكرته (٦) ؛ لأنه كان
رجلاً زَمِيئًا رَكِينًا (٧) ، قَلِيلَ الضَّحِكِ . فسألته عن ذلك فقال : أتاني فلانُ

(١) ط ، س : « ويشبعه كراع الجنذب » . والكراع بالضم : قائمة الدابة . وتجمع
على أكرع ثم على أكارع . وهي مؤنثة يصح في فعلها التذكير والتأنيث . لكن
كلمة « الجنذب » تحريف صوابه من ل والثمار ومن سياق الكلام .
(٢) الجنذب : ضرب من الجراد . ط ، س : « يواريه جناح الجنذب » .
(٣) قيل هذا في ط ، س : زيادة لا حاجة إليها ، وهو : « وأما سماعي فهو
الرواية الأولى :

يرويه ما يروى الذباب فينتشي سُكْرًا وتُشْبِعُهُ كُرَاعُ الْأَرْنَبِ

(٤) ل : « اليدين » .

(٥) ط ، س : « يوصف » .

(٦) ط س : « فأنكرته » .

(٧) الزميت : العظيم الوقار . والركين : الرزين . ل : « سكتيا » .

يعني شيخاً مدينيّاً^(١) - وهو مذعورٌ فقلت له : ما وراءك ؟ فقال : أنا والله هاربٌ من بيتي ! قلت ولم ؟ قال : في بيتي ذبابٌ أزرق ، كلما دخلتُ ثاراً^(٢) في وجهي ، وطار حولي وطنٌّ عند^(٣) أذني ، فإذا وجد مني غفلةً لم يُخطئْ موقَ عيني . هذا والله دأبه ودأبي دهرأ معه^(٤) . قلت له : إن شبه الذباب بالذباب كشبه الغرابِ بالغرَابِ ؛ فلعلَّ الذي آذاك اليومَ أن يكونَ غيرَ الذي آذاك أمسِ ، ولعلَّ الذي آذاك أمسِ غيرُ الذي آذاك أوَّل [من^(٥)] أمسِ ، فقال : أعتقُ ما أملك إن لم أكن أعرفه [بعينه] منذُ خمسَ عشرة سنة^(٦) . فهذا هو الذي أضحكني !

(قصة في سفاذ الذباب)

وقال الخليلُ بن يحيى : قد رأيت الخنزيرَ يركبُ الخنزيرةَ عامَّةً نهاره ، ورأيتُ الجملَ يركبُ الناقةَ ساعةً من نهاره^(٧) . وكنت قبل ذلك أغبِطُ

(١) ل : « مدينيا » وانظر ما أسلفت من التحقيق في (٢ ، ٢٩٢) .

(٢) ط : « دار » وهو تحريف .

(٣) ط : « على » .

(٤) ل : « منذ دهر » .

(٥) من ل ، س .

(٦) ل : « حجة » ، وهي بالكسر : السنة .

(٧) ل : « من نهار » .

العصفور والعصم^(١) - فَإِنَّ الذَّكَرَ وَإِنْ كَانَ سَرِيعَ النَّزُولِ عَنِ الظَّهِيرِ الْأَيْمَنِ فَإِنَّهُ لِسُرْعَةِ الْعُودَةِ ، وَلِكثْرَةِ الْعَدَدِ ، كَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْخَنْزِيرِ وَالْجَمَلِ - حَتَّى رَأَيْتِ الذُّبَابَ وَفَطِنْتَ لَهُ ، فَإِذَا هُوَ يَرْكَبُ الذُّبَابَةَ عَامَّةً نَهَارِهِ . فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْبَكْرَاوِيِّ^(٢) : لَيْسَ ذَلِكَ هُوَ السَّفَادُ^(٣) . قَالَ : أَمَّا الَّذِي رَأَيْتِ الْعَيْنَانَ فَهَذَا حَكْمُهُ . فَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَطِيبَ نَفْسَكَ بِإِنْكَارِ مَا تَعْرِفُ مِمَّا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ خَلْقِهِ ، مِنْ فَضُولِ اللَّذَّةِ^(٤) ، فَدُونِكَ .

(سفاد الورل)

ويزعمون أن للورل في ذلك ما ليس عند غيره .

(١) كذا في ط ، س . ولم أجد « العصم » مفرداً أو جمعا ، فيما لدى من مراجع الحيوان ، ووجدت « المصع » كصرد وقفل جمعا . ل : « مصعة » كهزمة وغرفة . وهو طائر أخضر ، كما في القاموس . وانظر المحقق (٨٠ : ١٤٣) . وفي ل : « الصعو والخنزير » ، وكلمة : « الخنزير » خطأ . وأما الصعو فهو هضرب من صغار العصافير .

(٢) البكراوى : نسبة إلى بكرا باذ . وانظر ما سبق في ٣٤ . قال الإصطخرى : « جرجان قطعان : إحداهما المدينة ، والأخرى بكرا باذ ، وبينهما نهر يجرى يَحْتَمِلُ أَنْ تَجْرَى فِيهِ السَّفِينُ » . كذا في معجم البلدان . قال ياقوت : « ينسب إليه البكراوى والبكرا باذى » . ل : « محمد ابن عمرو النكراوى » . وفي النسبة تصحيف كما رأيت .

(٣) ل : « لعل ذلك ليس هو للسفاد » .

(٤) ط : « فضل الله » س « فضول الله » وأثبت ما في ل .

(٥) الورل : دابة على خلفة الضب ، لكنه أعظم منه ، وهو من أكثر الحيوان سفاداً ط ، س : « للولى » وصوابه في ل .

(قصة آكل الذبان)

١٢٥

وأشده ابن داحة في مجلس أبي عبيدة ، قول السيد الحميري :

أترى ضهاكا وابنها وابن ابنها^(١) وأبا قحافة آكل الذبان
كانوا يرون ، وفي الأمور عجائب يأتي بهن تصرف الأزمان
أن الخلافة في ذؤابة هاشم فيهم تصير وهيبة السلطان^(٢)

وكان ابن داحة رافضياً ، وكان أبو عبيدة خارجياً صُفرياً ، فقال له :

مامعناه في قوله : « آكل الذبان » ؟ فقال : لأنه كان يذب عن عطر
ابن جدعان^(٣) . قال : ومتى احتاج العطارون إلى المذاب ؟ ! قال : غلظت
إنما كان يذب عن حيسة ابن جدعان . قال : فابن^(٤) جدعان وهشام

(١) ل : « أترى ضهاكا وابنها وأب ابنها » .

(٢) س : « من ذؤابة » . ل : « من وراثة » ، وفيها أيضا : « فيهم تكون » .

(٣) ابن جدعان ، هو عبد الله بن جدعان ، وكان من أشرف قريش في الجاهلية ومع
وفد على كسرى . وهو صاحب الجرادتين : المغنيتين المشهورتين في الجاهلية .
ومدحه أمية بن أبي الصلت بقصيدته التي أولها :

أذكر حاجق أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

قأطاهما إياه . وكان مشهوراً بالكرم . قالوا : كان سمي بحاسي الذهب ؛ لأنه
كان يشرب في إناء من الذهب ، فقالوا في المثل : « أقرى من حاسي الذهب » .
الأغاني (٨ : ٢ - ٤) وبلوغ الأرب (١ : ٨٧) . س : « جدعان » وفي المواضع
الثلاثة ، تصحيف .

(٤) ل : « فإن ابن » .

ابن المغيرة ، كان يُحاسُّ لأحدهما الحَيْسَةَ على عِدَّة أنطاع^(١) ، فكان يأكلُ منها الرَّاكِبُ والقائمُ والقاعدُ^(٢) فأين كانت تقعُ مِدْبَةُ أَبِي قَحَافَةَ من هذا الجبل؟! قال : كان يذبُّ عنها ويدورُ حوالَيْهَا . فضحكوا منه ، فهجر مجلسهم سنة^(٣) .

(تحقير شأن الذبابة)

قال : وفي باب تحقير [شأن] الذبابة وتصغير قدرها ، يقول الرسول^(٤) :
« لو كانت الدنيا تُساوى عند الله تعالى جناحَ ذبابةٍ^(٥) ما أعطى الكافر منها شيئاً »

(١) الحيسة : المرة من الحيس ، وهو أن يخلط التمر بالسمن والأقط فيمجن ثم يندر نواه ، وربما جعل فيه سويق . والأنطاع : جمع نطع ، بالكسر ، وبالفتح ، وبالتحريك وكنب ؛ وهو بساط من الجأد المدبوغ .

(٢) قالوا أيضاً : « كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، بل كانت جفنة يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي ففرق ومات » . بلوغ الأرب (١ : ٨٩) . وقد يبدو هذا الخبر غريباً ، لكننا نجد تعريزاً له من الحديث ، جاء في غريب الحديث لابن قتيبة أن الرسول قال : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى » ، يعنى في الهاجرة .

(٣) ط ، س : « مجلسه » . س : « ثم هجر » .

(٤) هذا الحديث الآتي ، حديث صحيح رواه الترمذي ، ونقله عنه السيوطي في الجامع الصغير ٧٤٨٠ ولفظه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . في الأصل : « يقول الرجل » . وهو تحريف كما رأيت

(٥) ط ، س : « ذباب » ، ووجه ما أثبت من ل .

(أعجوبة في الذبان بالبصرة)

وعندنا بالبصرة في الذبان^(١) أعجوبة، لو كانت بالشامات^(٢) أو بمصر لأدخلوها في باب الطلسم؛ وذلك أن التمر يكون مصبوباً في بيادر التمر في شقّ البساتين، فلا ترى على شيء منها ذبابة لآفي الليل، ولا في النهار، ولا في البرد^(٣) . ولا في أنصاف النهار . نعم وتكون هناك المعاصر^(٤)، ولأصحاب المعاصر ظلال، ومن شأن الذباب الفرار من الشمس إلى الظل . وإنما تلك المعاصر بين ثمرة [و] رطوبة، ودبس [وثجير]^(٥)، ثم لا تكاد ترى في تلك الظلال والمعاصر، في انتصاف^(٦) النهار، [ولا] في وقت طلب الذبان الكين، إلا دون ما تراه في المنزل الموصوف بقلة الذبان .

وهذا شيء يكون موجوداً في جميع الشقّ الذي فيه البساتين . فإن تحوّل^(٧) شيء من [تمر] تلك الناحية^(٨) إلى جميع ما يقابلها في نواحي البصرة، غشيه من الذبان ما عسى ألا يكون بأرض الهند أكثر منه

(١) ط : « الذباب مائة » .

(٢) الشامات : هي بلاد الشام . وانظر ما سبق في حواشي ١ : ٧٣ .

(٣) البردان : الغداة والعشي . ط ، س : « البرد » وتصحيحه من ل .

(٤) المراد بالمعاصر هنا معاصر التمر، وكانوا يصبرونه لاستخراج الدبس، وهو عسل التمر .

(٥) الثجير : نفل كل شيء يعصر . وهو فارسي معرب، كما في المعرب للجواليقي ٤١ .

(٦) ل : « أنصاف »، كما سقطت كلمة « تكاد » .

(٧) ل : « حول » .

(٨) ط ، س : « البادية »، والوجه ما أثبت من ل .

وليس بين جزيرة نهر دُبَيْس^(١) ، وبين موضع الذَّبَّانِ إلا فيض البصرة ، ولا بين ما يكون من ذلك نهر أذرب^(٢) وبين موضع الذَّبَّانِ ممَّا يقابله ، إلا سيحان^(٣) ، وهو ذلك النهر وتلك المعصرة ، ولا تكون تلك المسافة إلا مائة ذراع أو أزيدَ شيئاً أو أنقصَ شيئاً .

(نوم عجيب لضروب من الحيوان)

وأعجوبة أخرى ، وهى عندى أعجبُ من كلِّ شىءٍ صدَّرتنا به جملة القول في الذباب . فمن العجب أن يكون بعض الحيوان لا ينام كالصافر^(٤) والتَّنُوْطُ^(٥) ؛ فإنَّهما إذا كان اللَّيْلُ فإنَّ أحدهما يتدلَّى من ١٢٦ غصن الشَّجرة ، ويضمُّ عليه رجليه ، وينكسُّ رأسه ، ثمَّ لا يزال يصبِحُ حتَّى يبرُقَ النَّورُ . والآخِرُ لا يزالُ يتنقَّلُ في زوايا بيته ، ولا يأخذه القرار ، خوفاً على نفسه ، فلا يزال كذلك . وقد نتفَّ قبلَ ذلك ممَّا على ظهور

(١) نهر دبيس ، بالتصغير ، نهر بالبصرة . ودبيس : مولى لزياد ابن أبيه . كما في معجم البلدان .

(٢) كذا في ط . س : « أذرب » ، ل : « أردر » .

(٣) قال البلاذرى : سيحان نهر بالبصرة ، كان للبرامكة وهم سموه سيحان . وقد سمى العرب كل ماء جار غير منقطع : سيحان . معجم البلدان . ط ، س : « فرسخان » وصوابه في ل .

(٤) الصافر : طائر من أنواع المصافير ، وسيكل الجاحظ نعته . ط : « كالمصافر » ووجهه ما أثبت من ل ، س .

(٥) التَّنُوْطُ : طائر شبيه بالمصافر المتقدم ذكره . وانظر ما سياتى .

الأشجار مما يشبه الليف^(١) فنفسه ، ثم فتل منه حبلاً ، ثم عمل منه كهيئة القفة ، ثم جعله مدلىً بذلك الحبل ، وعقداه بطرف غصن من تلك الأغصان ؛ إلا أن ذلك برصيع ونسج ، ومداخله عجيبة ؛ ثم يتخذ عشه فيه ، ويأوى إليه مخافة على نفسه .

والأعراب يزعمون أن الذئب شديد الاحتراس ، وأنه يراوح بين عينيه ، فتكون واحدة مطبقة^(٢) نائمة [وتكون] الأخرى مفتوحة حارسة . ولا يشكون أن الأرنب تنام مفتوحة العينين .

وأما الدجاج والكلاب فإنما تعزب^(٣) عقولهما في النوم ، ثم ترجع إليهما بمقدار رجوع الأنفاس . فأما الدجاج فإنها تفعل ذلك من الجبن^(٤) وأما الكلب فإنه يفعل ذلك من [شدة] الاحتراس .

وجاءوا كلهم يخبرون أن الغرائق والكراكى لاتنام أبداً إلا في أبعده المواضع من الناس ، وأحرزها من صغار سباع الأرض ، كالثعلب وابن آوى . وأنها لاتنام حتى تقلد أمرها رئيساً وقائداً ، وحافظاً وحارساً ، وأن الرئيس إذا أعيارفع إحدى رجليه ؛ ليكون أيقظ له .

(١) ط ، س : « يشبه باليف » .

(٢) ل : « منطبقة » .

(٣) تعزب : أى تبعد وتغيب . ل ، ط : « تعرف » س : « يعرف » وصوابه

ما أثبت مطابقاً لما سيأتى ص ٤٠٨ س ٦ .

(٤) ط ، س : « فإنه يفعل » ، والوجهان جائزان .

(سلطان النوم)

وسلطان النوم معروف . وإن الرَّجُلَ مِنْ يَغْزُو^(١) فِي الْبَحْرِ ، لِيَعْتَصِمُ
بِالشُّرَاعِ وَبِالْعُودِ ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ النَّوْمَ مَتَى خَالَطَ عَيْنَيْهِ اسْتَرَخَتْ
يَدُهُ ، وَمَتَى اسْتَرَخَتْ يَدُهُ بَايَنَهُ الشَّيْءُ الَّذِي كَانَ يَرْكَبُهُ وَيَسْتَعَصِمُ بِهِ^(٢) ، وَأَنَّهُ
مَتَى بَايَنَهُ^(٣) لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَمَتَى عَجَزَ عَنِ اللَّحَاقِ [بِهِ] فَقَدْ عَطِبَ^(٤) . ثُمَّ هُوَ
فِي ذَلِكَ لَا يَنْجَلُو ، إِذَا سَهَرَ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ ، مِنْ أَنَّ يَغْلِبُهُ النَّوْمُ وَيَقْهَرُهُ ، وَإِنَّمَا
أَنْ يَحْتَاجَ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ الَّتِي يَرِيهِ الرَّأْيِ الْخَوَّانُ ، وَفَسَادُ الْعَقْلِ الْمَغْمُورِ بِالْعِلَّةِ
الْحَادِثَةِ ، أَنَّهُ قَدْ يُمَكِّنُ^(٥) أَنْ يُغْفِي وَيَنْتَبِهَ فِي أَسْرَعِ الْأَوْقَاتِ ، وَقَبْلَ
أَنْ تَسْتَرْخِيَ يَدُهُ كُلَّ الاسْتِرْحَاءِ ، وَقَبْلَ أَنْ تَبَايَنَهُ الْخَشْبَةُ إِنْ
كَانَتْ خَشْبَةً .

(١) ط ، س : « يفرق » وصوابه في ل . وفي س أيضاً « فأى رجل » تحريف .

(٢) كذا في س . وفي ط : « يركبه واستعصم به » ل : « مركبه واستعصم به » .

(٣) باينه : فارقه ، وبعد عنه . ط : « يأتيه » وصوابه في ل ، س .

(٤) عطب : هلك . ط ، س : « ومن عجز » وصوابه في ل .

(٥) « يريه » هي في ط ، ل : « يريه » محرفة . و « الخوان » هي في ل :

« الفاسد » . و « يمكن » هي في ط ، س : « تمكن » محرفة .

(للمجبية في نوم الذباب)

وليس في جميع ما رأينا وروينا ، في ضروب نوم الحيوان ، أعجبُ
من نوم الذَّبَّانِ ؛ وذلك أنها ربما جعلت مأواها [بالليل] دَرَوْنْدَ الباب (١)
وقد غشوه ببطانةٍ ساجٍ أملسٍ كأنه صفاةٌ ، فإذا كان اللَّيْلُ لَزَقَتْ (٢) به ،
وجعلت قوائمها مما يليه ، وعلقت أبدانها إلى الهواء . فإن كانت لا تنام البتَّةَ
ولا يخالطها عُرُوبٌ (٣) المعرفة فهذا أعجب (٤) : أن تكون أمةٌ من أمم الحيوانِ
لا تعرف النَّوْمَ ، ولا تحتاج إليه . وإن كانت تنام ويعزُب عنها ما يعزُب (٥)
١٢٧ عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا ، فما تخلو من أن تكون قابضةً على
مواضع قوائمها (٦) ، ممسكة (٧) بها ، أو تكون مرسلَةً لها [مخلية عنها] . فإن
كانت مرسلَةً لها فكيف لم تسقط وهي أثقلُ من الهواء ؟ ! وإن كانت
ممسكةً لها فكيف يجامع التشدُّد والتثبيت (٨) النَّوْمَ ؟ !

(١) الدرونْد كلمة فارسية . وفي اللسان (نجف) : « ابن الأعرابي : النجاف هو الدرونْد والنجران .
وقال ابن شميل : النجاف الذي يقال له الدوارة ، وهو الذي يستقبل الباب من أعلى
الأسكفة » . وانظر نهاية الأرب ١ : ٣٧٦ ومعجم البلدان (سد يأجوج ومأجوج)
ط : « دورة » تحريف .

(٢) ط : « لزمت » .

(٣) المزوب : البعد . وفي ل : « غروب » .

(٤) ل : « عجب » .

(٥) ل : « يذرب » في الموضعين .

(٦) في الأصل : « قائمها » .

(٧) ل : « متمسكة » .

(٨) س : « والتثبت » .

(بعض ما يمتري النائم)

ونحن نرى كلَّ مَنْ كان في يده كيس أو (١) درهم أو حبلٌ ، أو عصا
فإنه متى خالط عينيه (٢) النومُ استرخت يده وانفتحت أصابعه (٣) . ولذلك
يتشاءب المحتال للعبد الذي في يده عنان دابة مولاة ، ويتناوم له وهو جالس ؛
لأنَّ من عادة الإنسان إذا لم يكن بحضرته من يشغله ، ورأى إنساناً (٤)
[قبالتة] يتشاءب أو ينعس ، [أن يتشاءب وينعس مثله (٥)] . فمتى استرخت
يده أو قبضته عن طرف العنان ، وقد خامره سُكْرُ النوم ، ومتى صار
إلى هذه الحال - ركب المحتالُ الدابةَ ومرَّ بها .

باب

القول في الغربان

اللهم جنبنا التكلفَ ، وأعدنا من الخطأ ، وأحمنا العُجبَ بما يكون منه ،
والتُّقَّةَ بما عندنا ، واجعلنا من المحسنين .

(١) ط ، س : « كيس دراهم » .

(٢) ط ، س : « عينه » .

(٣) ط فقط : « وتفتحت أنامله » .

(٤) س : « من » . وفي ل : « ينود » بدل : « يتشاءب » . ينود : يتجامل

من النعاس .

(٥) هذه التكلة من س .

نذكر على اسم الله يُجَمَلُ القولُ في الغربان ، والإخبار عنها ، وعن
غريبٍ ما أُودِعَتْ من الدلالة ، واستُخزِنَتْ من عجيب الهداية (١) .
وقد كُنَّا قَدَّمْنَا ما تقول العربُ في شأنِ منادمةِ الغرابِ الديكَ
وصداقتهِ له ، وكيف رهنه عند الحمار ، وكيف خاسَ به وسخِر منه وخدعه (٢)
وكيف خرج سالماً غيرَ غارم ، وغائماً غيرَ خائب (٣) ، وكيف ضربت به
العربُ الأمثالَ ، وقالت فيه الأشعار ، وأدخلته في الاشتقاقِ لجزرها عند
عبافتها وقيافتها ، وكيف كان السبب في ذلك (٤) .

(ذكر الغراب في القرآن)

فهذا إلى ما حكى الله عزَّ وجلَّ من (٥) خبرِ ابْنِ آدَمَ ، حينَ قَرَّباً قَرَّبَاناً
فحَسَدَ الذي لم يُتَقَبَّلْ منه المُتَقَبَّلَ منه ، فقال عند ما همَّ به من قتلِهِ ، وعند
إمساكِهِ عنه ، والتَّخْلِيفِ بَيْنَهُ وبين ما اختارَ لنفسه : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ
بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .
ثمَّ قال : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ .

(١) الكلام من مبدل : « اللهم » ساقط من ل .

(٢) خاس به : غدر به وخانه .

(٣) « وغائماً غير خائب » ساقطة من ل .

(٤) انظر لمثل هذا الكلام (٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠) . والكلام من : « وقالت »

ساقط من ل .

(٥) ل : « عن » .

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَثِي سَوْعَةَ أَخِيهِ ﴿١﴾
حَتَّى قَالَ الْقَائِلُ ، وَهُوَ أَحَدُ ابْنَيْ آدَمَ مَا قَالَ . فَلَوْلَا أَنَّ لِلْغُرَابِ (١) فَضِيلَةً
وَأَمُورًا مَحْمُودَةً ، وَآلَةً وَسَبِيًّا لَيْسَ (٢) لغيره من جميع الطَّيْرِ لَمَّا وَضَعَهُ
اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعِ تَأْدِيبِ النَّاسِ ، وَلَمَّا جَعَلَهُ الْوَاعِظَ وَالْمَذَكَّرَ بِذَلِكَ .
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ ۙ ١٢٨
كَيْفَ يُورَثِي سَوْعَةَ أَخِيهِ ﴾ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ ، وَأَنَّهُ هُوَ اخْتَارَهُ لِذَلِكَ مِنْ
بَيْنِ جَمِيعِ الطَّيْرِ .

قال صاحب الدِّيكِ : جَعَلْتَ الدَّلِيلَ عَلَى سُوءِ حَالِهِ وَسَقُوطِهِ (٣) الدَّلِيلَ
عَلَى حُسْنِ حَالِهِ وَارْتِفَاعِ مَكَانِهِ . وَكَلِمَا كَانَ ذَلِكَ الْمَقْرَعُ بِهِ أَسْفَلَ كَانَتْ
الْمَوْعِظَةُ فِي ذَلِكَ أَبْلَغَ . أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ
مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورَثِي سَوْعَةَ أَخِي فَأَصْبِحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ .

ولو كان في موضع الغُرَابِ رَجُلٌ صَالِحٌ ، أَوْ إِنْسَانٌ عَاقِلٌ ، لَمَّا حَسُنَ
بِهِ أَنْ يَقُولَ : يَا وَيْلَتَى أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْعَاقِلِ الْفَاضِلِ الْكَرِيمِ
الشَّرِيفِ . وَإِذَا (٤) كَانَ دُونَاً وَحَقِيراً فَقَالَ : أَعْجَزْتُ وَأَنَا إِنْسَانٌ أَنْ أَحْسِنَ
مَا يَحْسِنُهُ هَذَا الطَّائِرُ ، ثُمَّ طَأَّرُ مِنْ شِرَارِ الطَّيْرِ . وَإِذَا أَرَادَ (٥) ذَلِكَ

(١) ل : « في الغراب » ..

(٢) ط ، س : « وأشياء ليست » .

(٣) ط : « وسقوط » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « إذ » وصوابه في ل ، س .

(٥) ط : « أراد » .

في طائرٍ أسودٍ محترقٍ^(١) ، قبيحِ الشَّمالِ ، ردىءِ المشيَّة^(٢) ، ليس من بهائم الطير المحمودة ، ولا من سباعها الشريفة ، وهو بعدُ طائرٌ يتنكَّد به ويتطيرُ منه ، آكلُ جيف^(٣) ، ردىءِ الصَّيدِ . وكلما كان أجهلاً وأنذَلَ^(٤) كان أبلغَ في التَّوبيخِ والتَّقريعِ .

وأما قوله : ﴿ فَاصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فلم يكنْ به على جهة الإخبار أنَّه كان قتاهُ ليلاً ، وإنما هو كقوله : ﴿ وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ . ولو كان المعنى وقع على ظاهر اللفظ دون المستعملِ في الكلامِ من عادات الناس ، كان من فرَّ من الزَّحفِ ليلاً لم يلزمه وعيد^(٥) . وإنما وقع الكلامُ على ما عليه الأغلبُ من ساعاتِ أعمالِ الناس ، وذلك هو النَّهارُ دون اللَّيْلِ .

وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن^(٦) ، حين دفعوا إليه جواباً^(٧) الخارجيَّ ليقْتله ، وقالوا : إن قتله برئت الخوارجُ منه ، وإن ترك قتله فقد

(١) ل : « محرق » .

(٢) للغراب مشية رديئة . وفي القصص التمثيل أنه أعجبه مشية المصفور أو القطة فرام تقليدها ففعل . ثم أراد الرجوع إلى مشيته الأولى فسمى ، فلا هو حافظ على مشيته الأولى ، ولا هو أدرك مشية المصفور . انظر شعراً في ذلك بطراز المجالس ١٩٩ . ط : « الشبه » وصوابه في ل ، س .

(٣) ط ، س : « الجيف » .

(٤) ل : « أخمل وأنزل » .

(٥) ل : « وعيده » .

(٦) صالح بن عبد الرحمن هو كاتب الوليد بن عبد الملك .

(٧) ط ، س : « خواتنا » .

أبدى لنا صفحته . فتأول صالحٌ عند ذلك تأويلاً مستنكراً^(١) : وذلك
 أنه قال : قد نجدُ التَّقِيَّةَ تَسْبِيغَ الكُفْرِ^(٢) ، والكفر باللسان أعظمُ من
 القتل والقذفِ بالجراحة . فإذا جازت التَّقِيَّةُ^(٣) في الأعظم كانت
 في الأصغر أجوزاً . فلما رأى هذا التأويل يطرد له ، ووجد على حالِ بصيرته
 ناقصة ، وأحس^(٤) بأنه إنما التمس عُذراً ولزق الحجة تذييقاً [فلماً عزمَ على
 قتل جواب ، وهو عنده واحدُ الصُّفْرِيَّةِ في النُّسك والفضل] قال : إني^(٥) يومَ
 أقتل جواباً على هذا الضربِ من التأويلِ لحريص^(٦) على الحياة ! ولو كان
 حين قال إني^(٥) يومَ أقتل جواباً إنما عني النهارَ دون الليل ، كان عند
 نفسه إذا قتله تلك القِتلة ليلاً لم يَأْثُمَ به . وهذا أيضاً كقولهِ تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ
 لشيءٍ إني فاعِلٌ ذلك غداً إلا أن يشاءَ اللهُ ﴾ .

ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللفظ دون المستعملِ بين الناس ،
 لسكان إذا قال من أوَّل الليل : إني فاعِلٌ ذلك غداً في السَّحَر ، أو مع الفجر ١٢٩
 أو قال الغداة^(٧) : إني فاعِلٌ يومى كلِّه ، وليلتي كلها ، لم يكن عليه حنث ،
 ولم يكن مخالفاً إذا لم يستثن^(٨) ، وكان إذن لا يكون مخالفاً إلا فيما وقع عليه

(١) ل : « مستكرها » .

(٢) التقيّة : الخوف والحشية من الهلاك . تسبيغ للكفر : تبجيحه . أى إن من هدد
 بالقتل إن لم يكفر ، ساغ له الكفر ظاهراً . ل : « أجد البقية تسع في الكفر »

ط ، س : « نجد التقيّة تسبيغ بالكفر » . والوجه في العبارة ما ذكرت .

(٣) ل : « البقية » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) ط ، س : « وأخبر » وصوابه في ل .

(٥) ط : « أى » وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ط : « الحريص » وله وجه .

(٧) ل : « بالغداة » .

(٨) المراد بالاستثناء هنا ، قول : « إن شاء الله » . ط : « يستثنى » محرفة .

اسمُ غد . فأما كلُّ (١) ما خالفَ ذلك في اللفظ فلا . وليس التأويل كذلك لأنه جلٌّ وعلا وإنما ألزَمَ عبده أن يقول : إن شاء الله ؛ لِيَتَّقِيَ عَادَةَ التَّأْلِى (٢) ولئلا يكونَ كلامُه وانفطه يشبه لفظَ المستبَدِّ والمستغنى ، وعلى أن يكونَ عند (٣) ذلك ذاكرَ الله ؛ لأنه عبدٌ مدبِّرٌ ، ومقلِّبٌ ميسِّرٌ (٤) ، ومصرفٌ مسخرٌ .

وإذا كان المعنى فيه ، والغاية التي جرى إليها اللفظ ، إنما هو على ما وصفنا ، فليس بين أن يقولَ أفعلُ ذلك بعدَ طرفَةٍ ، وبين أن يقولَ أفعلُ ذلك بعدَ سنةٍ فرقٌ .

وأما قوله : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فليس أنه كان هنالك ناسٌ قتلوا إخوانهم وندموا فصارَ هذا القاتلُ واحداً منهم ؛ وإنما ذلك على قوله لآدمَ وحواءَ عليهما السلام : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، على معنى أن كلَّ من صنعَ صنيعكما فهو ظالمٌ .

(الاستثناء في الحلف)

وعجبت من ناسٍ ينكرون قولنا في الاستثناء ، وقد سمعوا الله عزَّ وجلَّ يقولُ : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاكُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلَا

(١) ط ، ل : « كلما » ، وصوابه في س .

(٢) التقي : الحذر . ط ، ل : « لبقى » س : « لتقى » ، ووجهه بما ترى . والتألى : الحلف . ل : « التألى » ط ، س : « المتألى » ، والوجه ما ذكرت . والمعنى : ليحذر تعود الإنسان الحلف واستعماله .

(٣) ط ، س : « عنده » وصوابه في ل .

(٤) انظر الاستدراكات .

يَسْتَثْنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ
كَالصَّرِيمِ ﴿١﴾ ، مع قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

(تسمية الغراب ابن دأية)

والعربُ تسمى الغرابَ ابنَ دأية ؛ لأنه إذا وجدَ دَبْرَةً (١) في ظهر
البعير ، أو في عنقه قرحة سقط عليها ، ونقره وأكله (٢) حتى يبلغ الدآيات (٣) .
قال الشاعر (٤) :

نَجِيبةٌ قَرْمٌ شَادَهَا القَتُّ والنَّوَى بيثربَ حَتَّى نَيْهَا متظَاهر (٥)
فقلتُ لها سِيرِي فما بِكَ عِلَّةٌ منامِكِ ملمومٌ ونابُكِ فاطر (٦)
فإنَّكَ أو خيراً تَرَكَتُ رذِيَّةً تقلبُ عينيها إذا مرَّ طائر (٧)

- (١) الدبرة ، بالتحريك : القرحة .
(٢) ط ، س : « وعقره » وهي فحيجة أيضاً ، يقال عقر الكلاء : أكله ، ويقال
أيضاً : عقره : جرحه .
(٣) جاءت هذه الكلمة ومفردها في السطر السابق خالية من الهمز ، وأصلها الهمز .
وللدآيات : فقر الكاهل والظهر .
(٤) هو أبو الربيع الثعلبي ، أو الجون المحرزي . خزانة الأدب (٢ : ٥٣٢) حيث
قصة الشعر .
(٥) نجيبة قرم : يقول : هذه الناقة قد أنجها قرم من الإبل ، وهو بالفتح والراء :
الفحل الكريم . ط ، س : وكذا أصل البيان (٣ : ٣٠٦) : « قوم » ، وصوابه
ما أثبت من ل . شادها القمت والنوى : أي نماها تناول هذا العلف . والنوى
المتظاهر : الشحم الذي ركب بعضه بعضاً .
(٦) ملموم : مجتمع . وفطر ناب الناقة : انشق وظهر .
(٧) الرذية ، بالذال : الناقة المهزولة من السير . وإنما تقلب عينيها خوف أن
تنقرها الطير . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩ .

ومثله قول الراعي :

فلو كنت معذوراً بنصرك طيَّرت صقورِيَّ غَرْبانَ البَعيرِ المقيدِ
هذا البيت لعنتره ، في قصيدة له (١) . ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيد
ذى المدبِّر ، إذا وقعت عليه الغرْبان .

(غرز الريش والحرق في سنام البعير)

وإذا كان يظهر البعير دَبْرَةً غرزوا في سنامه إمَّا قوادِمَ ريش (٢) أسود
وإمَّا خرَقاً سوداً (٣) ؛ لتفزع الغرْبانُ منه ، ولا تسقط عليه . قال الشاعر ،
وهو ذو الحرق الطهوي (٤) :

لما رأتُ إيلي حطت حولتها هزلي عجافاً عليها الريشُ والحرقُ (٥)

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) قوادِم الريش : أربع أو عشر في مقدم الجناح . ط ، س : « قوادِم »
وانظر ما سيأتي .

(٣) كذا في ل . وفي ط « خرقة سوداء » . وفي س : « خرقاء سوداء »
وهذه الأخيرة محرفة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . وذو الحرق قائل هذا الشعر : اسمه خليفة بن حمل
ابن عامر بن حمير ؛ فإن من لقب بهذا اللقب من بني طهية ثلاثة شعراء أحدهم
هذا ، والثاني قرط بن قرط ، والثالث شمير بن عبد الله بن هلال . انظر الخزانة
(١ : ٥٠ - ٥١ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ثم ١١٩ . وجاء في الخزانة
أن الآمدي لم يذكر الشعر الذي منه البيت الآتي . وقدسها البغدادي ؛ فإن الشعر
مذكور في ص ١٠٩ من المؤتلف والمختلف ، في غير مظهره .

(٥) للعجاف : جمع أعجف وعجفاء على الشذوذ ؛ لأن أفعل وفعلاء لا يجعلان على
فعال . والأعجف : الذي ذهب سمه . وقيل البيت :

ما بال أم حبيش لاتكلمنا لما افترقنا وقد نثرى فننتفق

١٣٠ قالتُ ألا تبتغي عيشاً نعيشُ به عمّا نلقى ، فشرّ العيشة الرنقُ
[الرنق ، بالراء المهملة ، وبالنون ، هو الكدرُ غير الصافي] .

وقال آخر (١) :

كأنها ريشةٌ في غاربٍ جرّزٍ في حيثما صرفته الرّيح ينصرف (٢)
[جرّز : عظيم . قال رؤبة :

* عن جرّزٍ منه وجوزٍ عارٍ* (٣)]

(غرز الريش في أسنمة إبل الملوك وخرائطهم)

وقد توّضع (٤) الرّيش في أسنمتها وتغرّز فيها لغير ذلك ؛ وذلك أن
الملوك كانت تجعل الرّيشَ علامةً لحبائب الملك (٥) ؛ تحميتها بذلك
وتشرّف صاحبها (٦) .

(١) ل : « وفي ذلك يقول الآخر » .

(٢) الغارب : أعلّ مقدم السنام . ل : « غارز » وليس له وجه . والجرز بالتحريك
سيفسر . ط ، س : « جرد » تحريف ما في ل . ط ، س : « ضربته
الريح » ، وأثبت ما في ل .

(٣) الجوز : الوسط . والبيت في صفة جمل سمين فضخه الحمل الثقيل . وقد نسب في
اللسان (جرز ، وري) إلى المعجاج لارؤية . وقد روى البيهقي الأرجوزة في أراجيز
العرب ١٥٧ منسوبة إلى المعجاج كما في اللسان . وقبل البيت :

* وأنهم هاموم السديف الواري *

(٤) ط : « يوضع » ، والأولى للتوحيد في التأنيث كما أثبت من ل ، س .

(٥) كذا في ل . والحباء ، بالكسر : العطاء . ط ، س : « لجمالها » .

(٦) ط : « تحميتها بذلك بشفرة أصحابها » . ل : « تحميتها بذلك ويشدن صاحبها » .

قال الشاعر :

يَهَبُ الْجِلَادَ بَرِيْشِهَا وَرِعَائِهَا كَاللَّيْلِ قَبْلَ صَبَاحِهِ الْمَتْبَلِّجِ (١)
ولذلك (٢) قالوا في الحديث : فرجع النَّابِغَةُ من عند النُّعْمَانِ وَقَدْ وَهَبَ
له مائةً من عَصَافِيرِهِ (٣) بَرِيْشِهَا :
وللرَّيشِ مَكَانٌ آخِرٌ : وَهُوَ أَنَّ الْمَلُوكَ إِذَا جَاءَتْهَا الْخِرَائِطُ بِالظَّفَرِ (٤)
غَرَزَتْ فِيهَا قِوَادِمَ رِيْشِ سُودِ .

(غربان الإبل)

وقال الشاعر :

سَأْرَفَعُ قَوْلًا لِلْحُصَيْنِ وَمَالِكٍ تَطِيرُ بِهِ الْغِرْبَانُ شَطْرَ الْمَوَاسِمِ (٥)

(١) الجِلَاد من الإبل : الغزيرات اللبن . والرواية في البيان (٣ : ٩٦) :
« الهجان » . والرعاة بالضم والرعاة بالضم ويكسر : جمع راع . وقد روى البيت بالوجه
الأول في ط ، س . وبالثاني في ل ، والبيان . وجعلها كالليل لما فوق أسنمتها من
الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام . وهو خيال ركب تركيبا
بارعا . أو جعلها كالليل لأنها سود ، كما في الشعراء ١١٠ . وفيها أيضا : « ولم
يكن بأرض العرب يعير أسود إلا له » : أي للنعمان .

(٢) س : « وكذلك » .

(٣) هي إبل نجبية كانت له ، وقال ابن سيده : أظنه أراد من فتايا نوقه . قالوا :
كان النعمان غاضبا على النابغة لقصيدته المشهورة التي وصف فيها المتجردة ، ثم
ذهب غضبه عليه عند ماغنت النعمان قينة بشعر النابغة ، ووهب له العصافير . انظر
الأغاني (٩ : ١٦٥) والتنبية السابق وما سيأتي في (٥ : ٢٢٣) .

(٤) الخرائط : جمع خريطة ، وهي وعاء من آدم وغيره يشرح على ما فيه ، أي يشد .

(٥) رواية اللسان عن ابن الأعرابي : « للحصين ومنذر » . والمواسم : أسواق العرب
في الجاهلية حيث كانوا يجتمعون .

وتروى به الهيمُ الظَّمَاءُ ، وَيَطْبِي بِأَمْثَالِهِ الْغَازِينَ سَجْعُ الْحَمَائِمِ (١)
يعنى غَرْبان الإبل (٢) . وأما قوله : « وتروى به الهيمُ الظَّمَاءُ » فمثل
قول الماتح (٣) :

عَلِقْتَ يَا حَارِثَ عِنْدَ الْوَرْدِ بِجَادِلٍ لَارِفِلٍ التَّرْدَى (٤)
• وَلَا عَيٌّْ بِابْتِنَاءِ الْمَجْدِ (٥) •

(١) يطبيهم سجع الحمام : يستميلهم غناء الحمام الذى يسجع بهذا الشعر . و « الغازين »
هنا بمعنى القاصدين . ط ، س : « بأمثالها » ، وإنما الضمير راجع إلى القول .
ل : « الغاوين » .

(٢) فى الأصل : « الليل » ، وإنما هى غربان الإبل ، وغراب البعير هو حد الورك الذى
يلى الظهر . أى إن هذا الشعر يذهب به على الإبل إلى المواسم . ومعنى تطير : تفرع .
وإنما خص الأوراك لأنهم كانوا يعملون الرسائل فى حقيبة تحتقب ، وتشد على
عجز البعير . كما قال الآخر :

وإن عتاق العيس سوف يزورك
ثناء على أعجازهن معلق

(٣) الماتح ، بالتاء : الذى ينزع الدلو وهو بجوار البئر . والماتح ، بالهمز : الذى ينخل
البئر فيما للدلو . ط : « الماتح » ل : « المايح » والأولى تحريف ، والثانية
ليست مرادة . والرجز فى البيان (١ : ٤) مسبوقة بعبارة : « وقان الراجز
وهو يمتح بدلوه » . ووجه المثلية أن كلا منهما خاطب نفسه ، قال الأول
« وتروى » يخاطب نفسه ، وكذا الثانى : « علقت » .

(٤) الجاذل : الواقف مكانه لا يبرح ، شبه بالجذل الذى ينصب فى المعادن لتحتك به الإبل
الجربى . ومثله « الجاذى » ، وهذه الأخيرة جاء فى س مع الهمز أى « جاذى »
وفى البيان : « بجابى » . والجابى ، الذى يطلع فجأة . وقد عنى رجلا . والرقل :
الذى يجر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء . وفى الأصل : « لاوجل التود »
وصوابه من البيان . وجاء بعد هذا البيت فى ل :

• فجافى لارفل التردى •

وأقول : إنه مقحم وإن به تصحح نهاية هذا البيت .

(٥) العيسى : العاجز . ط : « عيسى » س : « عيسى » ، وصوابه ما أثبت من البيان .
وفى ل : « عيسا » .

(شعر في تعرض الغربان للإبل)

وقالوا في البعير إذا كان عليه حملٌ من تمرٍ أو حَبٍّ ، فتقدَّم الإبلَ
بفضل قُوَّته ونشاطه (١) ، فعرض ما عليه للغربان (٢) . قال الرَّاجز :
قد قلتُ قولاً للغرابِ إذ حَجَلُ عليكَ بالقودِ المسانيفِ الأوَّل (٣)
تَغَدُّ ما شئتَ على غيرِ عَجَلٍ (٤) .

ومثله (٥) :

يقدمُها كلُّ أُمونٍ مظعان (٦) حمراءَ من مُعرَّضاتِ الغربان (٧)

(١) ط : « فيقدم » . ل : « لفضل » : مكان « بفضل » .

(٢) س : « الغربان » .

(٣) القود : الطوال الأعناق . ط ، س : « بالعود » وصوابه في ل والمخصص (١٠ : ١٦٧) وتنبية البكري ٤٨ والمحاسن للبيهقي (٢ : ٨٤) . وفي مجالس ثعلب ١٣٦ : « عليك بالإبل » . والمسانيف : المتقدمة ، جمع مسانف . س ، ط : « المسانف » .

(٤) ط ، س : « من بعد ما مشت على غير عجل » ، وتصحيحه من المراجع المتقدمة . قال الكسائي - وقد سأله الرشيد عن هذا الشعر - : « إن العير إذا فصلت من خيبر وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق . يقول هذا ، تقدم إلى أوائل العير فكل على غير عجل » . المحاسن للبيهقي . وللرجز بقية في تنبيه البكري ، فراجع .

(٥) الرجز الآتي يروى للأجلح بن قاسط ، كما في اللسان (عرض) . وقال ابن بري : « وهذان البيتان في آخر ديوان الشياخ » . قلت أنا : هما في آخرياته ص ١١٦ منسوبان إلى الجليح بن شميذ رفيق الشياخ . ونسبا في مشارف الأقاويز ٢٠٨ - ٢٠٩ إلى الجميل . وجاء قوله في آخر الرجز يخاطب نفسه :

* يا ابن جليح كن دليل الركبان *

ويظهر أنه اجتلب كلمة : « ابن » تحسناً للكلام ، وضبطاً للوزن .

(٦) ل : « تقسمها » . والأمون : الوثيقة الخلق . س : « أموق » تصحيف . ل : « علا » ، وهي رواية القالي والبكري . والعلاة : الشديدة الصلابة ، مشبهة بالعلاة وهي السندان . والمظعان ، المهلة السير . ل : « مدعان » ، صوابه « مدعان » بالذال ، وهي المتقادة لقائدها .

(٧) قال البكري : « الحمر أجلد الإبل » . والمعروضات : التي تقدم الإبل فتقع الغربان عليها فتأكل مما حملته ، كأنها عرضت ماتحملة للغربان .

(أمثال في الغراب)

ويقال : « أصبحُ بدناً من غُراب » ، و « أبصرُ من غُراب » ، و « أصنى عينا من غراب » .

وقال ابن ميادة :

ألا طرَقْتَنَا أمُّ أوسٍ ودونها حِرَاجٌ من الظلِّماءِ يعشى غُرابُها^(١)
فبتنا كأننا بَيْننا لَطْمِيَّةٌ من المِسكِ ، أو دارِيَّةٌ وعِبابُها^(٢)
يقول : إذا كان الغراب لا يبصر في حِرَاجِ الظلِّماءِ^(٣) . وواحد الحِرَاجِ
حَرَجةٌ ، وهى هاهنا مثلاً ، [حيث^(٤)] جعلَ كلُّ شَيْءٍ التَّفَّ وكَثَّفَ من
الظلامِ حِرَاجاً ، وإنَّما الحِرَاجُ من السِّدْرِ وأشباهِ السِّدْرِ .
يقول : فإذا لم يبصرْ فيها الغرابُ مع حِدَّةِ بَصَرِهِ ، وصفاه مُقلِّته فإِ
ظَنُّكَ بغيره ؟ !

١٣١

وقال أبو الطَّمَحانِ القَيْنِيُّ^(٥) :

إذا شاء راعِها استقى مِنْ وَقِيعةٍ كَعِينِ الغُرابِ صَفْوُها . لم يكْدِرِ

(١) س : « جراح من الظلِّماءِ يعشى » ، وصوابه في ط ، ل .

(٢) اللطية : العبرة لطمت بالمسك فتفتقت به . ل وكذا في كتاب الصيدنة ص ٦ :
« بيتنا لطية » . واللطية : العير تحمل الطيب . والتببيت أصله من بيت العنق :
أوقع بهم ليلاً . والدارية : منسوبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين كان يحمل إليها
المسك من ناحية الهند . وعنى بها المطور ، أو العير . والعياب : جمع عيبة ، وهى
وعاء من آدم يوضع فيه الثياب ونحوها . ط ، س ، وكذا كتاب الصيدنة :
« كماها » ولم أر لها وجها .

(٣) ط : « الظلِّماءِ » ، وصوابه في ل ، س ، وثمار القلوب ٣٦٤ .

(٤) الزيادة من ثمار القلوب .

(٥) من أبيات في الأغاني (١١ : ١٢٨) .

(استطراد لغوى)

والوقية : المكان الصلب الذى يمسك الماء ، والجمع الوقائع . قال :
وأنشدنا أبو عمرو^(١) بن العلاء ، فى الوقائع :
إذا ما استبالوا الخيل كانت أكفهم وقائع للأبوال والماء أبرد
يقول : كانوا^(٢) فى فلاة فاستبالوا الخيل فى أكفهم ، فشرّبوا أبوالها
من العطش .

ويقال شهد الوقية والوقعة بمعنى واحد . قال الشاعر^(٣) :

لعمري لقد أبت وقية راطه على زفر داء من الشرر باقيا^(٤)
وقال [زفر بن^(٥)] الحارث :

لعمري لقد أبت وقية راطه لمروان صدعاً بيننا متنايياً^(٦)

(١) أبو عمرو بن العلاء تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٢٥) . ط ، س : « وأنشد أبو محمد » وصوابه فى ل . وانظر الاشتقاق ١٧٧ من تحقيق .

(٢) ط ، س : « إذا كانوا » ، والوجه حذف « إذا » كما فى ل .

(٣) هو جواس بن القمطل الكلبى . المؤلف والمختلف ٧٤ والتنبيه والإشراف ٢٦٨ .

(٤) وقعة راطه هى المعروفة بوقعة مرج راطه . انظر لها الأغاني (١٧ : ١١١ -

١١٤) والعقد (٣ : ١٤٥) ومروج الذهب (٢ : ١٠٧ هـ) . ط ، س :

« على دفر » ، وصوابه فى ل ، والعقد (٣ : ١٤٧) والمؤلف ٧٤ .

(٥) هذه الزيادة الضرورية اعتمدت فيها على المراجع المتقدمة وحاسة البحرى ١٧ .

(٦) مروان هذا هو ابن الحكم الأموى والد عبد الملك . ط : « بينا » ، وصوابه

فى ل ، س ، والمراجع المتقدمة . ط ، س : « متباينا » وصوابه فى ل

والمراجع المتقدمة ؛ فإن البيت من قصيدة يائية ، منها البيت المشهور :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقال الأخطل :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبَشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمَشْتَكَى وَالْمَعُولُ^(١)

(أمثال من الشعر والنثر في الغراب)

وفي صحفة بدن الغراب يقول الآخر^(٢) :

إِنَّ مُعَاذَ بْنَ مُسْلِمٍ رَجُلٌ قَدْ ضَجَّ مِنْ طَوْلِ عُمَرِهِ الْأَبْدِ^(٣)

[قَدْ^(٤)] شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَاکْتَهَلَ الدَّهَ

رُ وَأَثْوَابُ عُمَرِهِ جُدُّ

يَا نَسْرَ لِقْمَانَ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ تَسْحَبُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لُبْدَ^(٥)

(١) الجحاف هذا هو ابن حكيم السلمى ، قاد قومه وأغار على بني تغلب بموضع يسمى البشر بين الفرات والشام ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة ١٦٧ وأمثال الميداني (٢ : ٣٦٧ ، ٣٥٥) . ط ، س : « الجحاف بالبشر » صوابه في ل والمعجم . وانظر نقد البيت في الموشح ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) هو الخزرجى كما في الحيوان (٦ : ٣٢٧) ، وقد ذكر ابن خلكان (في ترجمة معاذ بن مسلم) أن صاحب الشعر هو أبو السرى سهل بن أبي غالب الخزرجى . قال ابن خلكان في ترجمته (وذكرها في نهاية ترجمة معاذ) : إنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن ، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد بالعهد ، فقربه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة ، وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعال . وقال له الرشيد : إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا ، وإن كنت ما رأيت فقد وضعت أدبا . وتجد الأبيات في المعقد (٣ : ٥٢) وبغية الوعاة ٣٩٣ منسوبة إلى محمد بن منذر . وهي بدون نسبة في المعاني الكبير ٥٨ وأمالى الزجاجي ١٧ من تحقيق .

(٣) معاذ بن مسلم هذا هو المعروف بالهراء ، كان نحويا كوفيا ، وكان يتشيع . قرأ عليه الكسافي وروى عنه . عمر معاذ بن مسلم طويلا . وتوفي سنة سبع وثمانين ومائة ، وهي سنة نكبة البرامكة .

(٤) من ل ، س ، والجزء السادس ، وعيون الأخبار (٤ : ٥٩) ونهار القلوب ٣٧٧ وأمثال الميداني (١ : ٤٥٤) .

(٥) لبد ، كزفر . آخر نسور لقمان ، قالوا في أساطيرهم : عمر لقمان عمر سبعة أنسر =

قد أصبحت دار آدم خربت وأنت فيها كأنك الوتد^(١)
تسأل غربانها إذا حجلت كيف يكون الصداع والرمد

ويقال : « أرض لا يطير غرابها^(٢) » . قال النابغة :

وليرهط حراب وقد سؤرة في المجد ليس غرابها بمطار^(٣)

جعله مثلاً . يعني أن هذه الأرض تبلغ من خصبها أنه إذا دخلها

الغراب لم يخرج منها ؛ لأن كل شيء يريدُه فيها^(٤) .

وفي زهو الغراب يقول حسان ، في بعض قريش^(٥) :

إن الفرافصة بن الأحوص عنده شجن لأمك من بنات عقاب^(٦)

أجمعت أنك أنت الأم من مشى في فحش مومسة وزهو غراب^(٧)

= كلما مات واحد خلفه آخر ، وكان كل منها يعيش ثمانين سنة .
انظر اللميري .

(١) ارتد يبق بعد دروس المنزل .

(٢) ط : « ويقال في أرض لا يطير غرابها » ، والوجه حذف (في) كما في ل ، س

(٣) حراب : رجل من بني أسد ، وكذلك قد ، بالفتح ، وهو أحد شعرائهم
ترجمه المرزباني في المعجم ٣٣٩ . والسورة ، بالفتح : الارتفاع . والرواية في الديوان
بشرح البطليوسي : « ليس غرابهم » .

(٤) قال البطليوسي : « وقيل الغراب ها هنا سوادهم » . ونقل الميداني عن أبي عبيد
أن المراد بالمثل الشدة . انظر الأمثال (٢ : ٣١٦) .

(٥) ط ، س : « في بعض بني قريش » ، وكلمة « بني » مقحمة . والشخص المراد هو
الحارث بن هشام بن المغيرة ، كما في الديوان ٥٩ .

(٦) عقاب : عبد كان لبني تغلب ، وكان له بنات وقع بعضهن عند الفرافصة بن الأحوص
الكلبي فكان إمامة له ، وكانت واحدة منهن ولدت لرجل من بني تغلب
ابنة تزوجها مخربة بن جندل . ومخربة هذا والد أسماء والدة الحارث بن هشام .
فحسان يهجو الحارث بأن له نسباً في الإمام . و « عنده شجن » أراد أنه يجلب
لها الشجن عند ماتت ذكر نسبها . ط ، س : « بن أحوص » وأثبت ما في ل والديوان .

(٧) يقال : « أزهى من غراب ؛ لأنه إذا مشى اختال ونظر في عطفه » . ثمار القلوب
٣٦٥ . ورواية المخصص (٣ : ١٠٣) : « في فحش زانية » ، وفيه وفي الديوان
٦٠ : « وزوك غراب » . والزوك : المشى المتقارب الخطو مع تحرك الجسد .

- ويقال: «وَجَدَ فُلَانٌ تَمْرَةَ^(١) الْغُرَابِ»، كأنه يتبع عندهم أطيب التمر^(٢).
- ويقال: «إِنَّهُ لَأَخْذَرُ مِنْ غُرَابٍ» و: «أَشَدُّ سَوَادًا مِنْ غُرَابٍ». ١٣٢
- وقد مدحوا بسواد^(٣) الغراب. قال عنقرة:
- فِيهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلْوَبَةً سُودًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ
وقال أبو ذؤاد^(٤):
- تَنفَى الْحَصَى صُعْدًا شَرْقِيًّا مَنَسِمِهَا نَفَى الْغُرَابِ بِأَعْلَى أَنْفِهِ الْغَرْدَا^(٥)
والمغاريد: كم^(٦). صِغَارٍ. وَأَنْشَدَ^(٧):
- يُحِجُّ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا لَجْفٌ فَاسْتُ الطَّيِّبِ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ^(٨)
وقد ذكرنا شدة منقاره، وحدة بصره في غير هذا المكان.

(١) كذا في ل واللسان (ت م ر) ومثله في أمثال الميداني (١ : ٣٦٩ ، ٢ : ٢٨٧). يضرب لمن يظفر بالشيء النفيس، ولمن يجد أفضل ما يريد. ط ، س وكذا محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) : «ثمرة» بالمثلثة.

(٢) ط ، س ، «التمر» بالمثلثة. وانظر التنبيه السابق.

(٣) ما عدال : «سواد».

(٤) كذا على الصواب في ط . وفي ل ، س : «أبو داود» تحريف . وأبو ذؤاد : شاعر جاهلي اسمه جارية بن الحجاج أو حنظلة بن الشرق . وهو أحد نعات الخليل المجيدين . وكانت العرب لا تروى شعره ولا شعر عدى بن زيد لأن ألفاظهما ليست ببنجدية . خزانة الأدب (٤ : ١٩٠ بولاق) والشعراء لابن قتيبة .

(٥) ل : «ينى» ويصح إذا قرئ بالبناء للمجهول . ومنسم الناقة كجلس : خفها . والغرد : ضرب من الكأة صغار ، وأراد بالأنف هنا المنقار . ط : «نق الغراب» وصوابه في ل ، س . ل : «الغردة» .

(٦) ط : «كم» ، صوابه في ل ، س . والمغاريد : جمع مغرود ، بالضم : لغة في للغرد .

(٧) البيت الآتي قائله عذار بن درة الطائي . اللسان (ح ج ج) .

(٨) وصف هذا الشاعر طبيبا يداوى شجة بلغت أم الرأس في قعرها . تلعج أى تطلع ، كما تلعج البئر فينقلع طيها من أسفلها . وذلك الطبيب يجزع من هولها فالقذى يتساقط من استه كالمغاريد . انظر اللسان (ح ج ج) والكامل ٦٤ لبيسك ، ومعجم الأدباء (١٥ : ٧٣ - ٧٤) حيث الكلام طويل في البيت . ط ، س : =

(شعر في مديح السواد)

وقالوا في مديح السواد ، قال امرؤ القيس :

العَيْنُ قَادِحَةٌ وَالْيَدُ سَابِحَةٌ وَالْأُذُنُ مَصْغِيَةٌ وَاللَّوْنُ غَرِيبٌ^(١)

وفي السواد يقول ربيعة أبو ذؤاب^(٢) الأَسَدِيُّ ، قاتل عتبية بن الحارث

ابن شهاب :

إِنَّ الْمَوْدَةَ وَالْمَوَادَةَ بَيْنَنَا خَلَقَ كَسَحَقِ الْيُمْنَةِ الْمَنْجَابِ^(٣)

إِلَّا بِجَيْشٍ لَا يَكْتُ عَدِيدُهُ سُودِ الْجُلُودِ مِنَ الْحَدِيدِ غَضَابِ^(٤)

= « فحج » ، وصواب الرواية من ل والمراجع المتقدمة . ل : « لحن » مصحف .
ط : « قاسي الطيب » محرف . ويروي : « كالغاريق » مقلوب عن « المغاريد »
المخصص (١٣ : ١٨٢) .

(١) ط ، س : « والعين » . واليد ، بالتحديد : لغة في اليد . س : « والرجل » .
(٢) كان ذؤاب قتل عتبية بن الحارث اليربوعي في يوم خو ، وأسرت بنو يربوع
في ذلك اليوم ذؤابا ، أسره الربيع بن عتبية بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ،
فأتى ربيعة أبو ذؤاب إلى الربيع ، فافتدى ولده بشيء معلوم ، ووعدته أن يأتي بذلك سوق
عكاظ . وساق ربيعة للفداء إلى السوق في الموعد فلم يجد الربيع وابنه الأسير ،
وكان الربيع تخلف لغرض له ، فقدر ربيعة في نفسه أن الربيع علم بقتل أبيه فقتله
فراثه بأبيات منها البيتان الآتيان ، وسارت عنه . فبلغت بني يربوع ، فعرفوا أنه
قاتل عتبية فأقادوه به . ولولا ذلك لنجا . انظر الخبر في شرح التبريزي للحماسة
(٢ : ١٦٦) . والشعر والخبر فيه وفي أمالي القالي (٢ : ٧٢ - ٧٣) . وربيعه
أبو ذؤاب هو بضم الراء ، قال أبو محمد الأعرابي : « ليس في العرب ربيعة غيره »
وهو ابن عبيد بن سعد (أو هو ابن أسعد) بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين .
شرح الحماسة والمؤتلف ١٢٥ . ط ، س : « ربيعة بن أيوب » ، تحريف
صوابه في ل .

(٣) الهوادة : اللين . كسحق اليمين ، أي كالثوب السحق البلى منها . اليمين بالضم :
نوع من برود اليمين .

(٤) إلا بجيش : يقول لانهدا إلا إذا حكنا الحرب . لا يكت : لا يعد ولا يحصى .

(شعر ومثل في شيب الغراب)

وفي المثل : « لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب » . وقال العرجي :
لا يحولُ الفؤادُ عنه بُودٌ أبداً أو يحولَ لونُ الغرابِ
وقال ساعدة بن جؤيئة :

شابَّ الغراب ولا فؤادك تاركٌ عهدَ الغصوبِ ولا عتابك يُعتبُ^(١)

(معاوية وأبو هوذة الباهلي^(٢))

ومما يذكر للغراب ما حدث به أبو الحسن^(٢) ، عن أبي سليم^(٣) ،
أن معاوية قال لأبي هوذة^(٤) بن شماس الباهلي^(٥) : لقد هممت أن أحلَّ
جمعاً من باهلة في سفينة ثم أغرقهم ! فقال أبو هوذة : إذن لا ترضى باهلة
بعديهم من بني أمية ! قال : اسكت أيها الغرابُ الأبقع ! وكان به برص -

(١) أراد : طال عليك الأمر حتى كان مالا يكون أبداً، وهو شيب الغراب . عن اللسان .
ط ، س : « تاركاً » ولا تصح وصوابها في ل واللسان (شيب وعتب) .
و « عهد » هي في ل : « ذكرى » وفي اللسان « ذكر » . ويعتب ، بالضم
والبناء للفاعل ، بمعنى يجلب إليك العتبي ، وهي الرضا ، يقول : إن عتابك في غير
طائل . وقد ضبطت في اللسان بالبناء للمفعول في الموضعين . وفمرها بقوله :
« أي لا يستقبل بعتبي » .

(٢) أبو الحسن ، يريد به علي بن محمد المدائني الأخباري المعروف .

(٣) ل : « أبي سليمان » .

(٤) هذه الكلمة جاءت في الأصل بالبدال المهملة في مواضعها الثلاثة . والوجه ما أثبت .

(٥) « ابن شماس » ساقطة من ل .

فقال أبو هوذة : إن الغراب [الأبقع] ربما درج إلى الرخمة حتى ينقر دماغها ، ويقلع^(١) عينا ! فقال يزيد بن معاوية : ألا تقتله يا أمير المؤمنين ؟ فقال : مه ! ونهض معاوية . ثم وجهه بعد في سرية فقتل . فقال معاوية ليزيد : هذا أخفى وأصوب !

(شعر في نقر الغراب العيون)

وقال آخر^(٢) في نقر الغراب العيون :

أتوعد أسرتي وتركت حُجراً يُرِيغُ سوادَ عَيْنِهِ الْغُرَابُ^(٣)

ولو لاقيت علباءَ بنَ جَحْشٍ رَضِيَتْ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ^(٤)

وقال أبو حية - في أن الغراب يسمونه الأعور تطيراً منه - : ١٣٣

وإذا تحلقتودها بتنوفةٍ مرّت تليح من الغرابِ الأعورِ^(٥)

لأنها تخاف من الغربان ؛ لما تعلم من وقوعها على الدبر .

(١) س : « ويقتلع » .

(٢) هو عبيد بن الأبرص يرد على امرئ القيس . انظر الخزانة (٢ : ٤٠٣ بولاق) والعمدة (١ : ٦٥) .

(٣) يرِيغُ : يطلب . س « يرِيغُ » مصحفة .

(٤) س : « علباء » تصحيف . وفي البيت إقواء كما ترى . ومن عجيب ما روى في شأن الإقواء : قول صاحب القاموس : « وقلت قصيدة لهم بلا إقواء » ، يعني العرب .

(٥) قتود الناقة : أدوات رحلها . والتنوفة : الفلاة . وتليح : تشفق وتحاذر . ط ، س : « يحل قتودها » . ط : « غرت » مكان « مرت » والأولى تحريف .

(شعر فيه مدح بلون الغراب)

ومما يمدح به الشعراء بلون الغراب^(١) قال أبو حية :

غرابٌ كانَ أسودَ حالكياً ألا سقياً لذلك من غرابٍ

وقال أبو حية^(٢) :

زمانَ عليّ غرابٌ غدافٌ فطيرهُ الدهرُ عني فطارا

فلا يُبعدُ الله ذاك الغدافَ وإن كان لا هو إلا ادكارا^(٣)

فأصبحَ موضعهُ بانضاً مُحيطاً خطاماً مُحيطاً عذارا^(٤)

وقال أبو حية في غير ذلك ، وهو مما يُعدّ للغراب :

كأنَّ عصيمَ الدرسِ منهنَّ جاسدٌ بما سال من غربانهنَّ من الخطر^(٥)

(١) ط ، س : « الشعر » وليست مرادة ، بل المراد الشعراء كما في ل . ط : « لون » وصوابه في ل ، س .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقال آخر » . وقد روى المرتضى في أماليه (٢ : ١٠٠) تسعة أبيات من قصيدة أبي حية منسوبة إليه . وقبل البيت الأول :

زمان الصبا ، ليت أيامنا رجمنا لنا الصالحات للقصارا

(٣) كذا في الأصل . وفي أمالي المرتضى : « وإن هو لم يبق إلا ادكارا » .

(٤) بانضاً ، من باض النبت : إذا صوح . ل ، س : « محيطا غدارا » .

(٥) العصيم : الدرر والوسخ والبول إذا يبس على فخذ الناقة . الدرر : الجرب أول ما يظهر .

وفي الأصل : « الورس » ووجهه ما أثبت . انظر اللسان (درس ٣٨٣) والمخصص

(٧ : ١٦٣) . وجاسد : لاصق ، وفي الأصل : « حاسد » . والخطر : بالفتح ويكسر :

ما يتلبد على أوراك الإبل من أبوالها وأبعارها .

(استطراد لغوى)

والغراب ضروب، ويقع هذا الاسم في أماكن، فالغراب^(١) حدُّ السكين
والفأس، [يقال] فأسٌ حديدة الغراب. وقال الشَّماخ:

فَأَنْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدِّ غَرَابِهَا عَدُوًّا لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مِشَارِزُ^(٢)
المشارزة: المعادة والمخاشنة.

والغراب: حدُّ الورك ورأسه الذى يلي الظهر^(٣)، ويبدأ^(٤) من
مؤخر الرِّدْف. والجمعُ غِرْبَان. قال ذو الرُّمَّة:

وَقَرَّبَنَ بِالزَّرْقِ الْجَائِلِ بَعْدَ مَا تَقَوَّبَ مِنْ غِرْبَانٍ أَوْرَاكِهَا الْخَطْرُ^(٥)
تَقَوَّبَ^(٦): تقشر ما على أوراكيها من سلحجها وبولها؛ من ضربها بأذنانها.

(١) ط: «فالقرب»، وصوابه في ل، س.

(٢) أنحى: أمال. وذات حد: الفأس والعضاه: شجر عظيم. والبيت
في صفة قواس تناول فرعا وجعل يشذبه بالفأس ليصنع قوسا. ل: «علولا
لأوساط»، صوابه في ط، س والديوان ٤٧.

(٣) كذا في ل. وفي ط، س: «ورأسه الفقارة التي تلي الظهر».

(٤) ط، س: «تبدأ»، ل: «ويبدو»، وجعلته كما ترى.

(٥) الزرق: أكشبة رملية بالدهناء. والجمائل، بالخاء المهملة: جمع جمولة بالفتح، وهى
الإبل التي تحمل. ومثل هذه الرواية في اللسان (خطر، زرق). ورواه
ابن سيده في المخصص (٧، ٢٣، ١٤، ١١٧): «الجمائل» بالجم، وقال
هو جمع جمال بالكسر. والخطر فسر في الصفحة السابقة.

(٦) س: «يقول».

(غراب البين)

وكلُّ غرابٍ فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم ، أمّا غراب
البين نفسه ؛ فإنه غرابٌ صغير . وإتّما قيل لكلِّ غرابٍ غراب البين ،
لسقوطها في مواضعٍ منازلهم إذا بانوا عنها . قال أبو خولة الرياحي^(١) :
فليس يربوع إلى العقل فاقةً ولا دنس يسودُّ منه ثيابها^(٢)
فكيف بنوكي مالك إن كفرتم لهم هذه ، أم كيف بعدُ خطابها^(٣)
مشائم ليسوا مُصلحين عشيرةً ولا ناعبٍ إلا بين غرابها^(٤)

(الوليد بن عقبة وعبد الله بن الزبير)

ومن الدلائل على أن الغراب من شرار الطير ، مارواه أبو الحسن قال : ١٣٤
كان ابنُ الزبير يقعدُ مع معاويةَ على سريره ، فلا يقدر معاويةَ أن يمتنع

(١) أبو خولة : كنية الأخوص . بالجاء المعجمة ، الرياحي الربوعي ، كما في الخزانة
(٤ : ١١٩ سلفية) . ل : « أبو خولة » محرف . وفي البيان (٢ : ٤٦٠)
« أبو الأخوص الرياحي » ، صوابه : « الأخوص الرياحي » كما في الخزانة (٤ : ١١٨
سلفية) . وروى السيوطي في شرح شواهد المعنى ٢٩٥ نسبه إلى أبي ذؤيب
الهذلي . وقد ذكر صاحب الخزانة سبب الشعر وقصته . والأخوص الرياحي
شاعر إسلامي .

(٢) المراد بالعقل هنا : الدية . والرواية في الخزانة والبيان : « سوى دنس » .
و « منه » هي في الأصل « منها » وتصحيحه من البيان وشرح شواهد المعنى .

(٣) أراد بمالك : بني دارم بن مالك ، وكانوا قتلوا رجلاً من بني غدانة بن ربوع .

(٤) أراد بالمشائم بني مالك لابن ربوع . وفي الخزانة : « مشائم » . وأنت تراه قد جر
« ناعب » توها منه أن الباء قد دخلت على المعطوف عليه وهو « مصلحين »
فإن الباء تزد في خبر ليس . وقد رواه سيبويه في كتابه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨)
بالجر كما هنا . ورواه في (١ : ٨٣) ، « ولا ناعبا » على الأصل .

منه ، فقال ذات يوم : أما أحدٌ يكفيني ابنُ الزبير ؟ فقال الوليدُ بن عقبة :
أنا أكفيك^(١) يا أميرَ المؤمنين . فسبق فقعد في مقعده على السرير ، وجاء
ابنُ الزبير فقعدَ دونَ السرير ، ثم أنشد ابنُ الزبير :

تسمي أبنائاً بعد ما كان نافعاً - وقد كان ذكوان تكفي أبا عمرو^(٢)

فانحدرَ الوليدُ حتى صار معه ، ثم قال :

ولولا حرّة مهدتْ عليكم صفيّة ما عدتكم في النّفير^(٣)
ولا عرفَ الزبيرُ ولا أبوه ولا جلسَ الزبيرُ على السريرِ
وددنا أنّ أممكم غراب فكنتم شرّاً طير في الطيور

(القواطع والأوابد)

قال أبو زيد : إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغربان ، أي جاءت
بلادنا^(٤) ، فهي قواطعُ إلينا ، فإذا كان الصيف فهي رواجع : والطيور
التي تنجم بأرض^(٥) شتاءها وصيفها أبدأ فهي الأوابد . والأوابد أيضاً

(١) ط ، س : « أكفيك » .

(٢) ط ، س : « يسمي » و « يكنى » .

(٣) صفيّة هذه هي بنت عبد المطلب ، عمّة الرسول . وهي أم الزبير بن العوام . يقول
لولا ما أدركتم من شرف الأم ما عدتكم في النّفير . والعبارة تنظر إلى المثل السائر
« فلان لا في العير ولا في النّفير » ، يضرب لمن لا يستصلح لأمر من الناس ، ولمن هو
صغير القدر . انظر اللسان (نقر) وأمثال الميداني (٢ : ١٥٤ - ١٥٥) .

(٤) ل : « من بلادنا » ، تحريف .

(٥) ل : « بأرضنا » .

هي الدواهي ، يقال جاءنا بآبدة . ومنها أوابد الوحش . ومنها أوابد الأشعار .
والأوابد أيضاً : الإبل إذا توحَّش منها شيء فلم يُقدَّر عليه إلا بعقر . وأنشد
أبو زيد في الأوابد^(١) :

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتْهُ التَّقَاطَا^(٢) طَامٍ فَلَمْ أَلْقَ بِهِ فُرَاطَا^(٣)
• إِلَّا الْقَطَا أَوَابِدًا غَطَاطَا^(٤) •

(صوت الغراب)

ويقال نغق الغراب ينغق نغيقا ، بغين معجمة ؛ ونعب ينعب نعبياً
بعين غير معجمة . فإذا مرَّت عليه السنون الكثيرة وغلُظ صوته قيل شحج
يشحج شحيجاً^(٥) . وقال ذو الرمة :
وَمُسْتَشْحِجَاتٍ بِالْفِرَاقِ كَأَنَّهَا مَثَاكِيلٌ مِنْ صَيَابَةِ النَّوْبِ نُوحٌ^(٦)
وَالنُّوبَةُ تُوَصَّفُ بِالْجُزْعِ .

(١) صاحب الرجز نقادة الأسدي ، كما في اللسان (فرط ، لقط) .

(٢) التقاطا : فجأة بدون احتساب أو رجاء .

(٣) الفراط : المتدمات إلى الماء . ط ، س : « فلم نلف » . اللسان : « لم أر إذ
وردته » و « لم ألق إذ وردته » . ل : « قراطا » بالقاف ، تصحيف .

(٤) ل : « أبدا » . والغطاط ، بالفتح : الطوال الأرجل ، البيض البطون ،
الغبر الظهور ، الواسعة العيون . ورواية اللسان في الموضعين : « إلا الحمام
الورق والغطاطا » .

(٥) س : « سحج يسحج سحيجا » ، تصحيف .

(٦) يعني الغربان . س : « مستشحجات » تصحيف . والصيابة ، بضم الصاد وتشديد
الياء : الصميم والخيار . س : « صيابة النوب » وصوابه في ل ، ط ،
واللسان والمخصص (٣ : ١٥٣ ، ٤ : ٣٠ ، ٨ : ١٣٤) ومحاضرات
الراغب (٢ : ٢٦٩) .

(أثر البادية في رجال الروم والسند)

وأصحاب الإبل يرغبون في اتخاذ النوبة والبربر والرُّوم للإبل ؛ يرون أنهم يصلحون على معاشها ، وتصلح على قيامهم عليها .

ومن العجب أن رجالاً (١) الرُّوم تصلح في البدو مع الإبل ، ودخول الإبل بلاد الروم هو هلاكها .

فأمَّا السُّنْدُ فَإِنَّ السُّنْدِيَّ صاحب الخربة (٢) إذا صار إلى البدو ، وهو طفل ، خرج أفصح من أبي مَهْدِيَّة (٣) ، ومن أبي مطرّف (٤) الغنوي . ولهم طبيعة في الصِّرف ؛ لا ترى بالبصرة صيرفيًّا إلا وصاحب كيسه (٥) سندي .

(١) ط ، س : « حال » .

(٢) خربة السندي : ثقب شحمة أذنه . ط ، س : « الخربة » مصحفة . قال ذو الرمة من بائته المشهورة :

كأنه حبشي بيتني أترأ أو من معاشر في آذانها الحرب

وقد سبقت هذه الكلمة في (٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١) ، وفي أول رسالة فخر السودان : « خرتة » وهي والخربة بمعنى .

(٣) أبو مهدية سبقت ترجمته في (٢ : ٢١٤) . س : « أبي مهريّة » ، تصحيف .

(٤) ل : « ومن مصرف » .

(٥) س : « كسبه » . تحريف ما في ط ، ل . وجاء في رسائل الجاحظ ٨١ ساسي : « ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيسهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند . . . ولا يكاد أحد أن يجد صاحب كيس صيرفي ومفاتيحه ، ابن رومي ولا ابن خراساني » .

(نبوغ السند)

واشترى محمد بن السكّن ، أباروُح^(١) [فرجاً] السّندى ، فكسب ١٣٥ له المالَ العظيم . فقلَّ صيدلاني^(٢) عندنا إلا وله غلامٌ سِنْدِيٌّ . فبلغوا أيضاً في البرّ بهار^(٣) والمعرفة بالعقاقير ، وفي صحّة المعاملة ، واجتلاب الحرفاء مبلغاً حسناً .

وللسّند في الطّبخ طبيعةٌ ، ما أكثر ما ينجبُون فيه .

وقد كان يحيى [بن خالد] أراد أن يحوّل إجراء الخيل عن صبيان الحُبشان والثّوبه ، إلى صبيان السند ، فلم يفلحوا فيه ، [وأراد تحويل رجال السّند إلى موضع الفَرّاشين من الرّوم^(٤) ، فلم يفلحوا فيه] .
وفي السّند خلوق^(٥) جياد ، وكذلك بنات السّند .

(١) ط ، س : « أبارواح » ، وصوابه من ل ورسائل الجاحظ ٨١ ساسي .

(٢) الصيدلاني : بائع الأدوية ، وتبدل اللام نونا فيقال « صيدناني » أيضاً . وجاء في ل : « صيدناني » .

(٣) كذا ضبطها العلامة المحقق الأب أنستاس ماري الكرملي ، وقال : المراد بها توابل بر الهند . قلت : وجاءت هذه الكلمة في رسائل الجاحظ ٨١ ساسي : « صيارفة البصرة وبنادرة البرهبارات » . وانظر أنساب السمعاني ٧١ . وفي ط ، س : « البرها » ، بإسقاط الراء محرفة .

(٤) يراد بالفراش من يتمهد فراش البيت وأثاثه . انظر حول ديوان البحتری ص ٣٩ .

(٥) أراد أصحاب خلوق : جمع خلق ، أي أن لم أصواتا حسنة . ل : « أخلاق » تحريف . وجاءت مثل هذه العبارة في رسائل الجاحظ ٦٣ ، قال : « وليس في الأرض أحسن خلوقاً منهم » وفي ص ١١٨ : « ومن مفاخر الزنج حسن الخلق وجودة الصوت » .

(استطراد لغوى)

والغراب يسمّى أيضاً حاتماً . وقد عوف بن الخرع (١) :

ولكنّما أهجو صنيّ بن ثابت مَثَبَجَةً لانت من الطيرِ حاتماً (٢)

وقال المرقش ، من بني سدّوس (٣) :

ولقد غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ

[فَإِذَا الْأَشَائِمُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامِنْ كَالْأَشَائِمِ]

وكذلك لا خيرٌ ولا شرٌّ على أحدٍ بدائمٍ [

(١) هو عوف بن عطية بن الخرع (وزان كتف) التيمي ، نسبة إلى تيم بن عبد مناة ، شاعر جاهلي . الخزانة (٣ : ٨٢ بولاق) . في الأصل . « الجزع » تصحيف ، صوابه في القاموس (خرع) والخزانة والمصليات ، وقد اختار له المفضل الضبي في ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٤١٢ ثلاث قصائد حسان .

(٢) المثبجة : البوم ، كما في القاموس . ط ، س : « منيحة » ، وفي ل : « منيحة لاقته من الطير » ، صوابه من الأصمعيات ١٦٩ .

(٣) بدله في ط ، س : « وقال آخر » . وتجد الشعر منسوباً إلى المرقش في عيون الأخبار (١ : ١٤٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٩ . ولم يعين المراد أهو المرقش الأصغر أم الأكبر ، لكن إطلاقه يرجح أنه الأصغر فإنه « أشعرهما وأطولهما عمراً » . معجم المرزباني ٢٠١ . وتجد الشعر في حماسة البحترى ٢٥٥ معزواً إلى المرقم الذهلي ، وهو خرز بن لوذان كما في المؤلف ١٠٢ حيث توجد هذه النسبة أيضاً . والشعر بدون نسبة في أمالي القالي (٣ : ١٠٦) وزهر الآداب (٢ : ١٦٩) .

وأنشد الخثيم بن عدى^(١) :

وليس بهيباب إذا شدَّ رحله يقولُ عداني اليومَ واقٍ وحاتم^(٢)

ولكنه يمضي على ذلك مُقدماً إذا صدَّ عن تلك الهنات الخثارم^(٣)

والخثارم : هو المتطير^(٤) من الرجال . وأما قوله : « واقٍ وحاتم »

فحاتم هو الغراب ، والواقى هو الصرد ؛ كأنه يرى أن الزجر بالغراب إذا اشتقَّ

من اسمه الغربة^(٥) ، والاعتراب ، والغريب ، فإن ذلك حتم . ويشتق من

الصرْد التصريد^(٦) ، والصرْد [و] هو البرد . [ويدلك^(٧)] على ذلك قوله :

دعا صرد يوماً على غصنٍ شوَّحطٍ وصاح بذاتِ البينِ منها غرابها^(٨)

فقلتُ : أتصريدٌ وشوَّحطٌ وغربةٌ فهذا لعمرى نأبها واغبرأبها^(٩)

(١) كذا على الصواب في ل والاقْتضاب ٣٥٤ واللسان (وقى ، وحتم ، وخثرم) . ويعرف أيضاً بالرقاص الكلبى ، كما نقل مصحح اللسان عن التكملة . وفي ط ، س : « لحاتم بن عدى » ، وهو تحريف . يمدح بالشعر مسعود بن بحر الزهرى . وقبله :

وجدت أباك الخير بجرأ بنجوة بناها له مجدأ أشم قاقم

(٢) عداني : معنى عن المضى إلى ما أقصد . والواقى ، كالقاضي : الصرد ، وهو طائر أيقع ضخم الرأس ضخم المنقار شديد ، فوق المصفور ويصيد العصافير ، غذاؤه من اللحم .

(٣) عن تلك الهنات : أى بسبب تلك الأمور . ط ، س : « الهنات » ، صوابها في ل واللسان والاقْتضاب والمخصص (١٣ : ٢٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ . والخثارم ، بضم الخاء ويروى بفتحها . فالأول مفرد والثاني جمع ، مثله جوالق وجوالق ، وقرافر وقرافر ، وعذافر وعذافر .

(٤) ط ، س : « المتكبر » ، وصوابه في ل واللسان والقاموس وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .

(٥) ط ، س : « عن اسمه الغرابة » محرفة .

(٦) التصريد : التقليل ، وفي السقي : دون الرى .

(٧) الزيادة من ل ، س .

(٨) الشوَّحط : شجر تتخذ منه التسي . وفي زهر الآداب (٢ : ١٦٨) : « على

غصن بانه » ، ولا يستقيم هذا مع البيت الآتى . ط ، س : « فيها » ، وصوابه من ل وزهر الآداب . وضمير « منها » للحبيبة .

(٩) التصريد فسر قريباً . والشوَّحط : البعد .

[فاشتقَّ التَّضْرِيدَ مِنَ الصُّرْدِ ، وَالْغُرْبَةَ مِنَ الْغُرَابِ ، وَالشَّحَطَ
مِنَ الشُّوْحَطِ] .

ويقال أُغْرِبَ الرَّجُلُ : إذا اشتدَّ مرضه ، فهو مُغْرَبٌ (١) .
قال : والعنقاء المغرب ، العقاب ؛ لأنها تجيء من مكان بعيد .

(أصل التطير في اللغة)

قال : وأصل التطير إنما كان من الطير [و] من جهة الطير ، إذا مرَّ
بارحاً [أ] و سانشا (٢) ، أو رآه يتفلى وينتف ، حتى صاروا إذا عابنوا
الأعور من الناس أو البهائم ، أو الأعصب أو الأبترا ، زجروا عند ذلك
وتطيروا عندها ، كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال . فكان
زجر الطير هو الأصل ، ومنه اشتقوا التطير ؛ ثم استعملوا ذلك
في كل شيء .

(أسماء الغراب)

والغراب لسواده إن (٣) كان أسود ، ولاختلاف لونه إن (٣) كان
أبقع ، ولأنه غريب يقطع إليهم (٤) ، ولأنه لا يوجد في موضع خيامهم

(١) ل : « أغرب على الرجل » وليس مراداً ، ففي القاموس : أغرب عليه : صنع به
صنع قبيح . ط ، س : « اشتد ضحكك » ، وهو تحريف صوابه في ل ؛
ففي القاموس : « أغرب بالضم : اشتد وجهه » .
(٢) البارح : مامر من ميامنك إلى ميامرك . والسائح عكسه . وكان يتشامم بالأول
ويتيمين بالثاني عند أهل نجد ، وكان أهل الحجاز يتفاءلون بالأول ويتشاممون
من الثاني .

(٣) ل : « إذا » .

(٤) ط : « لا يقطع » تحريف ، وانظر ما سبق في ص ٤٣٢ .

يَنْقَمُّ ، إِلَّا عِنْدَ مَبَايِنَتِهِمْ لِمَسَاكِنِهِمْ ، وَمَزَايِلَتِهِمْ لِدُورِهِمْ ؛ وَلِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ ١٣٦
مِنَ الطَّيْرِ أَشَدَّ عَلَى ذَوَاتِ الدَّبْرِ مِنْ إِبْلِهِمْ مِنَ الْغُرَبَانِ ، وَلِأَنَّهُ حَدِيدُ الْبَصْرِ
فَقَالُوا عِنْدَ خَوْفِهِمْ مِنْ عَيْنِهِ « الْأَعُورُ » . كَمَا قَالُوا : « غَرَابٌ » لِأَخْتِرَابِهِ وَغُرْبَتِهِ
« وَغَرَابُ الْبَيْنِ » ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَ بَيْنُونَتِهِمْ يُوْجَدُ فِي دُورِهِمْ .

وَيَسْمُونَهُ « ابْنَ دَايَةِ » ؛ لِأَنَّهُ يَنْقُبُ عَنِ الدَّبْرِ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى دَايَاتِ الْعُنُقِ
وَمَا اتَّصَلَ بِهَا مِنْ خُرْزَاتٍ (١) الصُّلْبِ ، وَفَقَارِ الظَّهْرِ .

(مراعاة التفاؤل في التسمية)

وَلِلطَّيْرَةِ (٢) سَمَّتِ الْعَرَبُ الْمَنْهَوْشَ بِالسَّلِيمِ ، وَالْبَرِّيَّةَ بِالْمَفَازَةِ ، وَكَنَوْا
الْأَعْمَى أَبَا بَصِيرٍ ، وَالْأَسْوَدَ أَبَا الْبَيْضَاءِ ، وَسَمَّوْا الْغُرَابَ بِحَاتِمٍ ؛ إِذْ كَانَ
يَحْتَمُ الزَّجْرَ بِهِ عَلَى الْأُمُورِ . فَصَارَ تَطْيِيرُهُمْ مِنَ الْقَعِيدِ وَالنَّطِيحِ (٣) وَمِنْ جَرْدِ
الْجِرَادِ (٤) ، وَمِنْ أَنْ الْجِرَادَةَ (٥) ذَاتُ أُلْوَانٍ ، وَجَمِيعِ ذَلِكَ - دُونَ
التَّطْيِيرِ بِالْغُرَابِ .

(١) الخرزات : جمع خرزة ، بالضم وتجمع أيضاً على خرز ، كغرف ، وهي ما بين
الفقرات . ط : « خرزان » ، وصوابه في ل ، س . وانظر ما سبق من الكلام
على ابن داية في ص ٤١٥ .

(٢) الطيرة : ما يتشام به من الفأل للردى .

(٣) القعيد : ماجاء من ورائك من ظبي ، أو طائر . والنطيح : ماجاء من أمامك
من الطير والوحش .

(٤) ل : « وجرد الجراد » .

(٥) ط ، س : « الجراد » .

(ضروب من الطيرة)

ولإيمان العرب بباب الطيرة [والفال] عقّدوا والرتائم^(١) ، وعشروا
إذا دخلوا القرى تعشير الحمار^(٢) ، واستعملوا في القداح الأمر ، والناهي ،
والمتربص^(٣) . وهنّ غيرُ قداح الأيسار .

(قاعدة في الطيرة)

ويَدُلُّ على أنهم يشتقون من اسم الشيء الذي يعاينون ويسمعون ، قولُ
سوّار بن المضرب^(٤) :

تغني الطائران بين ليلى على غصنين من غرب وبان

(١) الرتائم : جمع رتيمة : وهي أن يعقد الرجل إذا أراد سفرا شجرتين أو غصنين
ويقول : إن رجع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائها ، وإلا فلا . أو هي
خييط يشد على الإصبع تستذكر به الحاجة . والمعنى الأول هو المراد في
الطيرة والفال .

(٢) عشر الحمار : تابع النبيق عشر نهقات ووالى بين عشر ترجيعات في نهيقه
وكانوا يزعمون أن من قرب أرضا وبنة فوضع يده خلف أذنه وعشر ثم دخلها
أمن الوباء . قال عروة في ديوانه من مجموع خمسة الدواوين ص ٩٩ :

لعمري لئن عشرت من خشية الردى نهاق الحمير إننى لجزوع

ويظهر أن أصله عادة لليهود من العرب ، كما قال عروة :

وقالوا أحب وأنق لا تضيرك خبير وذلك من دين اليهود ولوع

(٣) تحدث ابن قتيبة في كتاب الميسر ٣٩ - ٤٠ عن الأمر والناهي ولم يذكر
« المتربص » .

(٤) قال التبريزي : « مضرب بفتح الراء ، أى ضرب مرة بعد مرة » . وقد ذكره =

فكان البان أن بانّت سُلَيْمَى وفي الغُرب اغترابٌ غيرٌ دانٍ
فاشتقَّ كما ترى الاغتراب من الغُرب ، والبيئونة من البان .
وقال جران العود :

جَرَى يوم رُحْنَا بالجمال نُزِفُهَا عُقابٌ وشَحَّاجٌ من البين يَبْرَحُ^(١)
فأما العُقاب فهي منها عقوبة وأما الغُراب فالغُريبُ المطوَّحُ^(٢)
فلم يجد في العُقاب إلا العقوبة . وجعل الشَّحَّاجُ^(٣) هو الغراب البارح
وصاحب البين ، واشتقَّ منه الغريب المطوَّح .
ورأى السَّمهريُّ^(٤) غراباً على بانةٍ ينتف ريشه ، فلم يجد في البان إلا
البيئونة ، ووجد في الغُراب جميعَ معاني المكروه ، فقال :
رأيتُ غراباً واقِعاً فوق بانةٍ يُنتَفِ أعلى ريشه ويُطايِرُهُ^(٥)

= صاحب المؤلف فقال : « سوار بن المضرب السعدي أحد بني ربيعة بن كعب
ابن زيد مناة بن تميم ، الشاعر المشهور ، القائل :

وإني لا أزال أنا حروب إذا لم أجن كنت مجن جاني »

ط ، س : « بشار بن المضرب » صوابه في ل . والشعر في عيون
الأخبار (١ : ١٤٩) منسوب إلى المعلوط ، وفي الكامل ٨٤ لبيصك ونثار الأزهار
٧٥ إلى جحدر العكلي . وانظر أمالي القالي (١ : ٢٨١ - ٢٨٢) .

(١) ل والشعراء ٦٩٧ : « يوم جئنا » . نزفها : نحشها على السير السريع ، يقال
أزفه : حمله على الزفيف . ط ، س : « يزفها » ، وأثبت مافي ل والديوان ٣
والشعراء .

(٢) المطوَّح : البعيد .

(٣) ط : « الشحاج » ، وصوابه في ل ، س . شحج : نفق .

(٤) كذا في ل وهو المطابق لمسا في شرح التبريزي للحماسة ١ : ٢١١ . وهو السمهري بن بشر
العكلي . وفي ط ، س : « السهمي » ، تحريف . والمعروف نسبة هذه الأبيات إلى كثير
عزة في قصة طويلة تجدها في زهر الآداب (٢ : ١٦٩) ومحاسن البيهقي (٢ : ٢٢ -
٢٣) والمستطرف (٢ : ١٦٩) وعيون الأخبار (١ : ١٤٧) والشريشي
(٢ : ٢١٥) .

(٥) الرواية في المخصص (٨ : ١٣١) وشرح التبريزي للحماسة : « ينشش أعلى ريشه »
نشش ريشه : نتفه فألقاه .

فقلتُ ، ولو أنى أشاء زَجَرْتُهُ بنفسى ، للنهدى : هل أنت زاجرُهُ (١)
 فقال : غرابٌ باغترابٍ من النوى وبالبان بين من حبيبٍ تعاشرُهُ (٢)
 فذكر الغرابَ بأكثرَ مما ذكر [به] غيرُهُ ، ثم ذكر بعدُ شأنَ الرِّيشِ
 وتطايَرِهِ . وقال الأعشى :

ما تَعِيفُ اليَوْمَ فى الطيرِ الرُّوحُ مِنْ غرابِ البينِ أو تيسِ بَرَحٍ (٣)
 فجعل التيس من الطير ؛ إذ تَقَدَّمَ ذكر الطير ، وجعله من الطير
 فى معنى التطير .

وقال النابغة :

١٣٧ زَعَمَ البوارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَرْنَا الغرابُ الأسودُ

وقال عنتره :

ظَنَّ الذين فراقَهُمُ أتوقَّعُ وَجَرى بَيْنِهِمُ الغرابُ الأبقعُ
 حَرِقُ الجناحِ كأنَّ لِحْيَ رأسِهِ جَلَمَانِ بالأخبارِ هَشٌّ مَوْلَعٌ (٤)

(١) النهدى : رجل من بني نهد ، وهم من أزجر العرب ، كان لى كثيرا فى الطريق
 وزجر له ، أى تكهن . ط : « للنهدى » تحريف .

(٢) كذا فى ل والمراجع المتقدمة ، خلا زهر الآداب ، ففيه : « تجاوره » .
 وفى ط ، س : « نحاذره » ، أى نحاذر البين .

(٣) ط : « نعيف » س : « يعيف » ، والرواية ما أثبت من ل واللسان (روح
 عيف) ، والمخصص (٩ : ٥٧) ، ومحاسن البيهقى (١ : ٩٩)
 وتعيف : من العيافة وهى الزجر والتطير . والروح بالتحريك : اسم جمع أرائح
 أو أراد الروحة مثل الكفرة فطرح الهاء ، كما فى المخصص . والبيت صدر قصيدة
 للأعشى فى ديوانه ١٥٩ يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى . وانظر قصة الشعر فى محاسن البيهقى .

(٤) ط ، س : « حرق » ، تصحيف . وقد أسلفت القول على هذا البيت
 فى (١ : ٣٤) .

فَزَجَرْتُهُ أَلَّا يُفْرِّخَ بِيَضُّهُ (١) أَبَدًا وَيُضْبِحَ خَائِفًا يَنْفَجِعُ
إِنَّ الَّذِينَ نَعَبْتَهُ (٢) لِي بِفِرَاقِهِمْ هُمْ أَسْهَرُوا لَيْلِيَ التَّمَامَ فَأَوْجَعُوا (٣)
فقال : « وجرى بينهم الغراب » لأنه غريب ، ولأنه غراب البين ،
ولأنه أبقع . ثم قال : « حَرِقَ (٤) الجناح » تطيرًا أيضاً من ذلك . ثم جعل
لِحَيْ رَأْسِهِ جِلْمَيْنِ ، والجلم يقطع . وجعله بالأخبار هَشًّا مُوَلَّعًا ، وجعل نعيه
[و] شَحِيحًا كَالخَبْرِ الْمَفْهُومِ .

(التَّشَاؤْمُ بِالْغَرَابِ)

قال : فالغراب أكثر من جميع ما يُتَطَيَّرُ بِهِ فِي بَابِ الشُّؤْمِ . ألا تراهم
كلما ذكروا مما يتطيرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه ؟!
وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره ، ثم إذا ذكروا كل واحدٍ
من هذا الباب لا يمكنهم أن يتطيروا منه إلا من وجه واحد ، والغراب كثير
المعاني في هذا الباب ، فهو المقدم في الشؤم .

(١) ط : « طيره » . وفي الديوان ١٥٧ : « عشه » . والبيت ساقط من ل .

(٢) س : « نعبت » ، تصحيف .

(٣) ليلي التمام : الشديد الطول . وهذه رواية ط ، س والديوان . وفي ل :
« ليل التمام » وكلاهما صحيح . وفي حديث عائشة : « كان يقوم
الليلة التمام » .

(٤) ط ، س : « خرق » ، وصوابه في ل . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(دفاع صاحب الغراب)

قال صاحبُ الغراب : الغرابُ وغير الغراب في ذلك سواءٌ . والأعرابيُّ
إن شاء اشتقَّ من الكلمة ، وتَوَهَّمَ فيها الخيرَ ، وإن شاء اشتقَّ
منها الشرَّ .

وكلُّ كلمةٍ تحتمِلُ وجوهاً .

ولذلك قال الشاعر :

نظرتُ وأصحابي ببطنٍ طويلٍ ضُحياً وقد أفضى إلى اللَّبِّبِ الحَبْلُ^(١)
إلى ظبيةٍ تعطو سَيْالاً تَصَوْرُهُ يجاذبها الأفنانَ ذو جُدَدٍ طِفْلٍ^(٢)
فقلتُ وعِفتُ : الحَبْلُ حَبْلٌ وَصَالِهَا تجذُّذ من سلماك وانصرم الحَبْلُ^(٣)
وقلتُ : سِيال ! قَدْ تَسَلَّتْ مودَّتِي . تَصَوْرُ غُصُوناً ! صار جثمانها يعلو^(٤)

(١) ل : « وقد جاوزت بطن طويل » . الحبل : الرمل المستطيل . واللبيب : ما كان قريبا من حبل الرمل . يقول : وقد جزنا الحبل إلى اللبيب . ويصح أن يراد لبب الناقة وحبلها ، وأن الحبل قطع حتى صار إلى اللبيب . ط ، س : « إلى اللبيب الحبل » ، ووجه ما في ل .

(٢) السيال ، كسحاب : ضرب من الشجر تحبه الطيباء . تصوره : تميله . الجدد : الخطوط والعلامات . س : « ذو حرجر » . ل : « ذو جدل » ، تحريف ما في ط .

(٣) عفت ، من العيافة والزجر . تجذذ : تقطع . ط ، س : « تجدد » ، يقال جده قطعه . سلماك : نصب سلمى الحبيبة إليه . س : « ساماك » ل : « سامال » صوابه ما أثبت من ط . ل : « وانصرم الوصل » .

(٤) ط : « سيالا » ، خطأ م .

وَعِفتَ الْغَرِيرَ الطِّفْلَ طِفْلاً أَنْتَ بِهِ فقلت لأصحابي: مضيئكم جهل^(١)
رُجوعِي حَزْمٌ وَامْتِرَائِي ضِئْلَةٌ كذلك كان الزجرُ يصدقني قبل^(٢)

وقال ابن قيس الرقييات :

بَشَّرَ الظُّبِيُّ وَالْغُرَابُ بِسُعْدَى مَرَحَبًا بِالذِي يَقُولُ الْغُرَابُ

وقال آخر^(٣) :

بَدَأَ إِذْ قَصَدْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا سَنِحٌ فَقَالَ الْقَوْمُ : مَرَّ سَنِحٌ^(٤)

وَهَابَ رِجَالٌ أَنْ يَقُولُوا وَجَمَّعُوا فقلت لهم : جارٍ إلى ربيع^(٥)

عُقَابٌ بِإِعْقَابِ مَنْ الدَّارَ بَعْدَ مَا مَضَتْ نِيَّةٌ لِاتِّسْطَاعِ طُرُوحِ^(٦) ١٣٨

وَقَالُوا : دَمٌ ! دَامَتْ مَوَدَّةٌ بَيْنِنَا وَعَادَ لَنَا غَضُ الشَّبَابِ قَرِيحٌ^(٧)

وَقَالَ : صَحَابِي : هُدُودٌ فَوْقَ بَانَةِ ! هَدَى وَبَيَانٌ فِي الطَّرِيقِ يَلُوحُ

وَقَالُوا : حَمَامَاتُ ! فَحُمَّ لِقَاؤُهَا وَطَلَحُ ! فَنَيْلَتْ وَالْمَطَى طَلِيحٌ^(٨)

(١) ط : « الطفل طفل » صوابه في ل ، س . توقع أنها زوجت وولدت فانقطع
أمله من ودعا .

(٢) الامتراء : الشك . والضلة بالكسر : الضلال ، وبالفتح : الحيرة . س : « خلة » .

(٣) هو أبو حية النيرى . زهر الآداب (٢ : ١٦٧ - ١٦٨) والشريشى (٢ : ٢١٥) .

(٤) ط ، س : « لأهلها » ، وأثبت ما في ل وزهر الآداب : السنيح : ما جاء
من المياسر إلى الميامن .

(٥) الجمجمة : ألا يبين المرء كلامه . ل : « ورجعوا » وجر ، من جرى .

(٦) الإعقاب : التبديل . يقول : سيدلون الدار . ط ، س : « الدار » ، وصوابه في ل
وزهر الآداب . ونية طروح : بعيدة .

(٧) س : « قريح » ل : « غض الشباب قديح » ، ولم أهتمد إلى الوجه في ذلك .
وفي زهر الآداب : « ودام لنا حلوا الصفاء صريح » .

(٨) حم : قذر وقضى . المطى : الإبل . طليح : أعياء السفر . ط ، س :
« فزيرت » وأثبت ما في ل ومحاسن البيهقي (٢ : ٢٤) .

قالوا : فهو إذا شاء جعل الحمام من الحمام والحميم والحمي . وإن شاء قال : « وقالوا حمامات فحمم لقاؤها » . وإذا شاء اشتق^(١) البين من البان . وإذا شاء اشتق^(٢) منه البيان^(٣) .
وقال آخر^(٤) :

وقالوا : عقاب ! قلت عُقْبِي من الهوى دنت بعد هجر منهم ، ونزوح^(٤)
وقالوا : حمامات ! فحمم لقاؤها وعاد لنا حلوا الشباب ربيع^(٥)
وقالوا : تغنى هدهد فوق بانه ! فقلت : هدى نغدو به ونروح
ولو شاء الأعرابي [أن يقول^(٦)] إذا رأى سواد الغراب : سواد
سودد ، وسواد الإنسان : شخصه ، وسواد العراق : سعف نخله ، والأسودان
الماء والتمر ، وأشباه ذلك - لقاله .

قال : وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرفون الزجر كيف شاءوا ، وإذا لم
يجدوا من وقوع شيء بعد الزجر بدأ - « نذير إذا بدا لهم في ذلك بدء^(٧)
أنكروا الطيرة والزجر البتة .

(١) ط ، : « أشق » ، وصوابه في ل .

(٢) يشير إلى البيت الخامس من الأبيات السابقة .

(٣) كذا جاء . والحق أنه من القصيدة الأولى ، وأنه رواية أخرى في بعض أبياتها .

(٤) النزوح : البعد .

(٥) ل : « وقالوا حمام قلت حم لقاؤها » .

(٦) الزيادة من س .

(٧) بدا له في الأمر بدوا ، وبداه ، وبدأ ، وبداءة ، نشأ له فيه رأى . ط : « بدأ »

عرفة . س : « بدأ » ، وأثبت ما في ل .

(تطير النابغة وما قيل فيه من شعر)

وقد زعم الأصمعي أن النابغة خرج مع زبّان بن سيار^(١) يريدان الغزوة،
فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات
ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج فى هذا الوجه ! فلما رجع زبّان
من تلك الغزوة سالماً غانماً ، قال :

تخبر طيره فيها زياداً لتخبره وما فيها خبير^(٢)
أقام كأن لقمان بن عادٍ أشار له بحكمته مشير^(٣)
تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء أحياناً وباطله كثير^(٤)

فزعم كما ترى زبّان - وهو من دهاة العرب وساداتهم - أن الذى
يجدونه إنما هو شيء من طريق الاتفاق ، وقال :

تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور

(١) هو زبّان بن سيار بن عمرو الفزارى ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٥١ . وهو
صهر للنابغة ، قال فى شعره :

ألا من مبلغ عنى خزيماً وزبان الذى لم يرع صهرى

وكانت أخت هرم بن سنان تحت زبّان . ط ، ل : « يسار » ، وصوابه فى س
والحيوان (٥ : ٥٥٥) والبيان (٣ : ٣٠٤) .

(٢) تخبر طيره : سألتها أن تخبره . ط : « تخبر طيره » ، س : « تخبر طيره » ، والطييرة
بالكسر الاسم من تطير . وزياد هو النابغة ، ابن معاوية اللبباني .

(٣) كذا فى ل والبيان (٣ : ٣٠٥) والحيوان (٥ : ٥٥٥) والعمدة (٢ :
٢٠٢) والمستطرف (١ : ٨٤) وعميون الأخبار (١ : ١٤٦) . وفى ط :
« وأحياناً » . وفى س : « وأحياناً رداك » ، وما فى س محرف .

وهذا لا ينقض الأول من قوله : أمّا (١) واحدة فإنه إن جعل ذلك من طريق العقاب للمتطير (٢) لم ينقض قوله في الاتفاق . وإن ذهب إلى أن مثل ذلك قد يكون ولا يشعر به اللاهى عن ذلك والذي (٣) لا يؤمن بالطيرة ، فإن (٤) المتوقع فهو في بلاء مادام متوقعا . وإن وافق بعض المكروه جعله من ذلك .

(تطير ابن الزبير)

ويقال إن ابن الزبير لما خرج مع أهله من المدينة إلى مكة ، سمع بعض إخوته ينشد :

وكلُّ بنى أمِّ سيمسُون لَيْلَةً ولم يَبْقَ من أَعْيَانِهِمْ غَيْرُ وَاحِدٍ
فقال لأخيه : مادعاك إلى هذا ؟ قال : أما إنى ما أردته ! قال : ذلك أشدُّ له .

وهذا منه إيمان شديد بالطيرة كما ترى .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « إلا » .

(٢) س : « للتطير » .

(٣) ل : « وأنه » محرف .

(٤) في الأصل : « فأما » .

(بعض من أنكر الطيرة)

وَمَنْ كَانَ لَا يَرَى الطَّيْرَةَ شَيْئاً^(١) المرقش ، من بنى سدوس ، حيثُ قال :

[إني غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم]
فإذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم
فكذلك لا خيرٌ ولا شرٌّ على أحدٍ بدائم^(٢)

قال سلامة بن جندل^(٣) :

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغُرَبَانِ يَزْجُرُهَا عَلَى سَلَامَتِهِ لَا بَدَأَ مَشْتُومٌ
وَمَنْ كَانَ يَنْكُرُ الطَّيْرَةَ وَيُوصِي بِذَلِكَ ، الحارث بن حلزة ، وهو قوله -
قال أبو عبيدة: أنشدنيها [أبو] عمرو ، وايست إلا هذه الأبيات ، وسائرُ
القصيدةِ مصنوعٌ مولدٌ - وهو قوله :

يا أيها المزمعُ ثم انثنى لا يثنيك الحازي ولا الشاحج^(٤)

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « ومن كان لا يرى الطير » .

(٢) سبقت الأبيات والقول فيها ص ٤٣٦ .

(٣) كذا والصواب أن البيت لعلقة الفحل كما في أمالي المرتضى (٣ : ٣٧) والديوان

١٣١ من قصيدته التي مطلعها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

(٤) الحازي : زاجر الطير ، أو الكاهن . ط ، س : « الحادي » محرف

والشاحج : الغراب يشحج بصوته .

ولا قعيد أعصب قرنه هاج له من مرّيع هائج^(١)
 بينا الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خاليج^(٢)
 يترك مارّقح من عيشه يعيث فيه همج هامج^(٣)
 [لانكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج^(٤)
 وقال الأصمعي : قال سلم بن قتيبة^(٥) : أضللت ناقّة لي عشراء ،
 وأنا بالبدو^(٦) ، فخرجت في طلبها ، فتلقاني رجلٌ بوجهه شينٌ من حرق
 النار ، ثمّ تلقاني رجلٌ أخذ بخطام^(٧) بغيره ، [وإذا]^(٨) هو ينشد :
 فلنّ بعيث له البغاة فما البغاة بواجدينا^(٩)

- (١) القعيد : ما جاء من ورائك من ظبي أو طائر . والأعصب : المكسور القرن . ل :
 والبيان (٣ : ٣٠٣) : « من مرتع » . س : « مرّيع » محرفة .
 (٢) تاح : قدر ، أوتها . والخالج : الموت يختلج المرء وينتزع .
 (٣) رقع : أصلح . ط ، س : « يعيش فيه » وأثبت ما في ل واللسان والبخلاء
 ١٣٨ . وفي البيان : « يعيث فيه » .
 (٤) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو ييمن أولادها
 في بطنها . والشول : بالفتح : جمع شائلة ، وهي التي أقي عليها من حملها ، أو وضعها
 سبعة أشهر فخف لبنا . والغبر بالضم : بقية اللبن في الضرع . انظر السكامل
 ٢١٣ ليسك وأمثال الميداني (١ : ٣٣٦) .
 (٥) سلم بن قتيبة بن مسلم ، كان والياً على خراسان أيام هشام بن عبد الملك . وأبوه قتيبة
 ابن مسلم كان والياً عليها زمن الحجاج . تهذيب التهذيب وجمهرة أنساب العرب لابن
 حزم ٢٤٦ . ط : « سلام بن قتيبة » وفي سائر النسخ : « مسلم بن قتيبة » ، تحريف .
 والقصة الآتية في تأويل مختلف الحديث ١٢٩ وسندها : « أبو حاتم قال نا الأصمعي عن
 سيد بن مسلم عن أبيه » ، صوابه « بن مسلم » .
 (٦) في تأويل مختلف الحديث : « وأنا بالطف » . والطف : ما أشرف من أرض العرب على
 ريف العراق .
 (٧) ط ، س : « آخر » صوابه في ل . والرجل هو هاج بن عبيد من بني وائل
 كما في تأويل مختلف الحديث .
 (٨) من س .
 (٩) البغاة : جمع باغ ، وهو هنا الذي يطلب الشيء ويبحث عنه . ل : « بعثت له » . وقد نسب
 البيت في عيون الأخبار ١ : ١٤٥ إلى لبيد .

ثم من بعد هذا كله ، سألت عنها بعض من لقيته ، فقال لي : التمسها عند تلك النار . فأتيتهم فإذا هم قد نتجوها حُورًا^(١) ، وقد أوقدوا لها نارًا فأخذتُ بِحِطَامِهَا وانصرفتُ .

(النَّظَامُ وَعَدَمُ إِيمَانِهِ بِالطَّيْرَةِ)

وأخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن سيّارِ النَّظَامِ قال : جئتُ حتّى أكلت الطين ، وماصرت إلى ذلك حتّى قلبت قلبي^(٢) أتذكر: هل بها رجلٌ أصيبُ عنده غَدَاءٌ أو عَشَاءٌ^(٣) ، فما قدرت عليه . وكان على جُبَّةٍ وقيصان ، فنزعتُ القميصَ الأسفلَ فبعته بدرهمات ، وقصدتُ إلى فُرْضَةٍ الأهواز ، أريد قِصْبَةَ الأهواز ، وما أعرف بها أحدا . وما كان ذلك إلا ١٤٠ شيئًا^(٤) أخرجهُ الضَّجَرُ وبعضُ التعرُّض . فوافقتُ الفُرْضَةَ فلم أصبُ فيها سفينةً ، فتطيرتُ من ذلك . ثم إنى رأيتُ سفينةً في صدرها حَرَقٌ وهشم فتطيرتُ من ذلك أيضًا ، وإذا فيها حَمُولَةٌ ، فقلت للملاح : تحملني ؟ قال : نعم قلت : ما اسمك ؟ قال : « داوداذ^(٥) » ، وهو بالفارسية الشَّيْطَانُ ، فتطيرت من

(١) الحوار ، بالضم ويكسر : ولد الناقة حين تضعه ، أو إلى أن يفطم .

(٢) قلبت قلبي ، أى فكرت كثيرا . والقلب : العقل .

(٣) بها ، أى بالبصرة ، أو بهذه الدنيا . ط : « وعشاء » .

(٤) ط ، س : « شيء » .

(٥) ط ، س : « داود » .

ذلك . ثم ركبت معه ، نصك الشمال وجهي ، وتثير بالليل^(١) الصقيع على رأسي . فلما قربنا من الفرضة صحت : يا حمال ! ومعى لحاف لي سمّل ، ومضربة خلق ، وبعض مالا بُدّ لمثلي منه . فكان أول حمال أجنبي أعور فقلت لبقار كان واقفاً : بكم تكري^(٢) ثورك هذا إلى الخان ؟ فلما أدناه من متاعى إذا الثور أعضب القرن ، فازدّت طيرة إلى طيرة ، فقلت فى نفسى : الرجوع أسلم لي . ثم ذكرت حاجتى إلى أكل الطين فقلت : ومن لي بالموت ؟! فلما صرت فى الخان وأنا جالس فيه ، ومتاعى بين يديّ وأنا أقول : إن أنا خلفته فى الخان وليس عنده من يحفظه فُش^(٣) الباب وسرق ؛ وإن جلست أحفظه لم يكن لمحبي^(٤) إلى الأهواز وجه . فبينما أنا جالس إذ سمعت قرع الباب ، قلت : من هذا عافاك الله تعالى ؟ قال : رجل يريدك ، قلت^(٥) : ومن أنا ؟ قال : أنت إبراهيم . فقلت : ومن إبراهيم ؟ قال : [إبراهيم] النّظام . قلت : هذا خنّاق ، أو عدو ، أو رسول سلطان ! ثم إنى تحاملت وفتحت الباب ، فقال : أرسلنى إليك إبراهيم بن عبد العزيز ويقول :

نحن وإن كُنّا اختلفنا فى بعض المقالة ، فإننا قد نرجع بعد ذلك إلى حقوق الأخلاق [و] الحرّية^(٦) . وقد رأيتك حين مررت [بي]^(٧)

(١) ط ، س : « وينثر الليل » .

(٢) س : « تكري » . والكراء : الأجرة . وانظر الاستدراكات .

(٣) فش القفل ؛ فتحه بدون مفتاح . شفاء الغليل .

(٤) ط س : « لمحبي » .

(٥) ط : « قتلت » تحريف .

(٦) الحرّية : كون الإنسان حرّاً ، وهو من أقدم المصادر الصناعيّة . والحر : العتيق الكريم .

(٧) من ل ، س .

على حال كرهتها منك ، وما عرفتكَ حتى خبرني عنك بعض من كان معي
وقال : ينبغي أن يكونَ قد نَزَعَتْ^(١) [بك] حاجة . فإن شئتَ فأقيم
بمكانك شهرًا أو شهرين ، فعسى أن نبعثَ إليك ببعض ما يكفيك زمنا^(٢)
من دهرك . وإن اشتهيت الرجوعَ فهذه ثلاثون مثقالاً ، فخذها وانصرف ،
وأنتَ أحقُّ من عذر .

[قال] : فهجم والله على أمر^(٣) كاد ينقضني . أما واحدة : فأني لم
أكنُ ملكتُ قبلَ ذلك ثلاثين دينارًا في جميع دهرى . والثانية : أنه
لم يطلُ مقامي وغيبتي عن وطني ، وعن أصحابي الذين هم على حال أشكل بي
وأفهمُ عني . والثالثة : ما بين لي من أن الطيرة باطل ؛ وذلك أنه قد تتابع
على منها ضروبٌ ، والواحدة منها كانت عندهم مُعْطِبة .
قال : وعلى مثل ذلك الاشتقاقِ يعملُ الذين يعبرون الرؤيا .

(عجيبة للغربان بالبصرة)

وبالبصرة من شأنِ الغُربانِ ضروبٌ من العجب ، لو كان ذلك بمصر
أو ببعض الشامات^(٤) : لكان عندهم من أجودِ الطلسم . وذلك أن

(١) ط ، س : « نزعته » صوابه في ل .

(٢) ل : « زمينا » تصغير زمن .

(٣) ينقضني : أى يذهب قوتي وعزمتي . س : « ينقض » ط : « ينقضني »
تحريف ما أثبت من ل .

(٤) الشامات هى بلاد الشام . وانظر ما سبق في ص ٤٥٤ .

١٤١ الغرَبَانِ تَقْطَعُ إِلَيْنَا فِي الْحَرِيفِ ، فَتَرَى النَّخْلَ وَبَعْضُهَا مَصْرُومَةٌ (١) ، وَعَلَى كُلِّ نَخْلَةٍ عِدَدٌ كَثِيرٌ مِنَ الْغُرَبَانِ ، وَلَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ يَقْرُبُ نَخْلَةً وَاحِدَةً مِنَ النَّخْلِ الَّذِي لَمْ يُصْرَمَ ، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهَا إِلَّا عِذْقٌ وَاحِدٌ . وَإِنَّمَا أَوْكَارَ جَمِيعِ الطَّيْرِ الْمَصُوتِ فِي أَقْلَابِ (٢) تِلْكَ النَّخْلِ ، وَالْغُرَابُ أَطِيرُ وَأَقْوَى مِنْهَا ثُمَّ لَا يَجْتَرِي أَنْ يَسْقُطَ عَلَى نَخْلَةٍ مِنْهَا ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ بَقِيَ عَلَيْهَا عِذْقٌ وَاحِدٌ .

(مَنْقَارُ الْغُرَابِ)

وَمَنْقَارُ الْغُرَابِ مَعْوَلٌ ، وَهُوَ شَدِيدُ النَّقْرِ . وَإِنَّهُ لَيَصِلُ إِلَى الْكَمَاةِ الْمُنْدَفِنَةِ فِي الْأَرْضِ بِنَقْرَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَشْخِصَهَا . وَهُوَ أَبْصَرُ بِمَوَاضِعِ الْكَمَاةِ مِنْ أَعْرَابِيٍّ يَطْلُبُهَا فِي مَنْبِتِ (٣) الْإِجْرَدِ وَالْقَصِيصِ (٤) ، فِي يَوْمٍ لَهُ شَمْسٌ حَارَّةٌ . وَإِنَّ الْأَعْرَابِيَّ لِيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَرَى مَا فَوْقَهَا مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ بَعْضُ الْإِتْفَاحِ وَالْإِنْصَادَاعِ ، وَمَا يَحْتَاجُ الْغُرَابُ إِلَى دَلِيلٍ (٥) . وَقَالَ أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادِيُّ : تَنْزِيَّ الْحَصَى صُعْدًا شَرْقِيًّا مِنْسِمَهَا نَزْفِيَّ الْغُرَابِ بِأَعْلَى أَنْفِهِ الْغَرْدَا (٦)

(١) مصرومة : قطع ثمرها . ل : « فترى الأرض ونصفها مصرم » .

(٢) الأقلاب : جمع قلب ، وهو السعف الذي يطلع من قلب النخلة .

(٣) ط ، س : « منبت » .

(٤) الإجرد : نبت يدل على الكماة . والقصيص : شجر ينبت في أصله الكماة ، قالوا : سمي بذلك لدلالته على الكماة كما يقتض الأثر .

(٥) ل : « إلى ذلك الدليل »

(٦) سبق الكلام في هذا البيت ص ٤٢٥ . ل : « للفرده » .

ولو أن الله عزَّ وجلَّ أذن للغراب أن يسقط على النخلة وعلبا الثمرة
لذهبت ، وفي ذلك الوقت لو أن إنساناً نقر العذق نقرةً واحدةً لانتثرَ عامَّةُ
ما فيه ، ولهلكتُ غلاتُ الناس . ولكنك ترى منها على كلِّ نخلة مصرومة
الغربانَ الكثيرة ، ولا ترى على التي تليها غراباً واحداً ، حتى إذا صرخوا ما عليها
تسابقن إلى ما سقط من التمر في جوف الليف^(١) وأصولِ الكرب^(٢) لتستخرجه
كما يستخرج المنتاخُ الشوك^(٣) .

(حوار في نفور الغربان من النخل)

فإن قال قائل : إنما أشباح تلك الأعذاق المدلاة كالحرق السود التي تُفزع
الطيرَ أن يقع على البزور^(٤) ، وكالقوادم السود تغرزُ في أسنمة ذوات الدبرِ
من الإبل ؛ لكيلا تسقط عليها الغربان . فكأنها^(٥) إذارات سواد الأعذاق
فزعَت كما يفزع الطيرُ من الحرق السود .

(١) ل : « اللب » .

(٢) الكرب ، بالتحريك : أصول السعف الغلاظ المراض .

(٣) المنتاخ ، كنفخاخ : المنقاش الذي ينزع به الشوك . ط ، س : « كما يستخرج
الشاك الشوكه » ، وفيها تحريف .

(٤) كذا على الصواب في ل . وفي ط : « التي تغرز والطيران يقع على البزور »

وهي عبارة مختلفة . والكلام من مبدأ « تفزع » إلى : « السود » ساقط من س .

وانظر لمثل هذا الكلام ص ٤١٦ .

(٥) ط : « وكأنها » .

قال الآخر : قَدْ نَجِدُ جَمِيعَ الطَّيْرِ الذَّمِي يُفْرَعُ بِالْحَرَقِ السُّودِ فَلَا يَسْقُطُ عَلَى الْبُزُورِ ، يَقَعُ كُلُّهُ عَلَى النَّخْلِ وَعَلَيْهِ الْحَمْلُ ، وَهَلْ لِعَامَّةِ الطَّيْرِ وَكُورٌ (١) إِلَّا فِي أَقْلَابِ (٢) النَّخْلِ ذَوَاتِ الْحَمْلِ .

قال الآخر : يشبه أن تكون الغربان قطعاً إلينا من مواضع ليس فيها نخلٌ ولا أعداق ، وهذا الطير الذي يُفْرَعُ بِالْحَرَقِ السُّودِ إِنَّمَا خُلِقَتْ وَنَشَأَتْ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَرَى فِيهَا النَّخِيلَ وَالْأَعْدَاقَ . وَلَا نَعْرِفُ لذلِكَ عِلَّةَ سِوَى هَذَا .

قال الآخر : وكيف يكون الشأن كذلك [و] من الغربان غرباناً أو ابداً بالعراق فلا تبرخُ تعشش في رعوس النخل ، وتبيض وتفرخُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا تَقْرُبُ النَّخْلَةَ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْحَمْلُ .

والدليل على أنها تعشش في نخل البصرة ، [و] في رعوس أشجار البادية قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ :

١٤٢ وَمِنْ زَرْدَكٍ مِثْلٍ مَكْنِ الضَّبَابِ يُنَاوِحُ عِيدَانَهُ السِّمِكَانَ (٣)
وَمِنْ شَكْرٍ فِيهِ عُشُّ الْغُرَابِ وَمِنْ جَيْسِرَانَ وَبِنْدَادِجَانَ (٤) .

(١) ل : « أوكار » . ويجمع الوكر أيضاً على أوكر ، ووكر ، كغرف .
(٢) الأقلاب : جمع قلب بالضم ، وهو السعف الذي يطلع من قلبها . ط : « أقلال » وصوابه في ل ، س .
(٣) الزردك : كلمة فارسية . ومعناها الجزر ، وهو نبات معروف تؤكل أصوله وتربي . والجزر ليس عربي اللفظ ، معرب . كما في القاموس . ط ، س : « زرنك » محرف . والضباب : بالكسر : جمع ضب . ومكنه ، بالفتح : يبيضه . و « السميكان » هي في ل : « التشمكان » .
(٤) شكر ، هو من شكرت النخلة شكراً — من باب تعب : كثير فراخها . وفي الأصل : « سكر » ويصح بتأول ؛ فإن من النخل يصنع بعض السكر ، بالتحريك : وهو قاسم من النبيذ . واو « ومن » الثانية ساقطة من ل . و « جيسران » هي في ط ، س : « خيشوان » وفي ل : « جيسوان » ، صوابه ما أثبت . والجيسران : جنس من أفخر النخل ، فارسيته « كيسران » الألفاظ الفارسية ٤٩ وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٧) . و « بنداد جان » هي في ط ، س : « بيدان جان » .

وقال أبو محمد الفقعسي^١ ، وهو يصف فحل هَجْمَة^(١) :
يَتَّبِعُهَا عَدَبَسٌ^(٢) جُرَائِضٌ^(٣) أَكَلَفُ مَرَبِدٌ^(٤) هَصُورٌ^(٥) هَائِضٌ^(٦)
* بَحِيثٌ يَعْتَشُ الْغَرَابُ الْبَائِضُ^(٧) *

(ما يتفاعل به من الطير والنبات)

والعامّة تتطير^٨ من الغراب إذا صاح صبيحةً واحدةً ، فإذا ثنى
تفاعلت به .

والبوم عند أهل [الرّيّ وأهل] مَرَوٍ يُتَفَاعَلُ بِهِ ، [وأهل البصرة
يتطيرُون منه . والعربيُّ يتطيرُ من الخلاف ، والفارسيُّ يتفاعل إليه] ؛ لأنَّ
اسمه بالفارسية « باذامك » أي يَبْقَى^(٩) ، وبالعربية خِلَاف ، والخلاف
غيرُ الوفاق .

والريحان يُتَفَاعَلُ بِهِ ؛ لأنه مشتقٌ من الرّوح ، ويتطيرُ منه لأنَّ طعمه
مُرٌّ ، وإن كان في العينِ والأنفِ مقبولاً .

(١) الهجمة : جماعة من الإبل أقلها أربعون .
(٢) العدبس : الشديد الموثق الخلق . والجرائض ، بالضم : الأكل الذي يحطم كل
شيء بأنيابه . ورواية اللسان (جرض) :

* يتبهما ذوكذنة جرائض *

(٣) المربرد : الذي لونه بين السواد والغبرة . ط ، س : « أكلف نهاض
' هصور ناهض » .

(٤) تكلم في هذا البيت صاحب المخصص (٩ : ١٢٥) . وفي ط ، س :
« بحيث يفتش » ل : « بحيث يعيش » وصوابهما في اللسان والمخصص .
و « البائض » هي في ط ، س : « النابض » ، وصوابه من ل :
واللسان والمخصص .

(٥) هذه العبارة جاءت في ط ، س : « بارمال يريد تبقى » وفي ل : « بيذاي
يتقى » . وقد حورتها إلى ما ترى معتمداً على معجم النبات ص ١٦٠ . والخلاف :
جنس من الصفصاف . وفي تذكرة داود : « باذامك من الصفصاف » .

وقال شاعرٌ من المحدثين (١) :

أهدى له أحبائه أترجةً فبكى وأشفقَ من عيافة زاجرٍ (٢)
متطيراً مما أتاه ، فطعمه لونان باطنه خلاف الظاهر (٣)
والفرس تحبُّ الآس (٤) وتكره الورد ؛ لأنَّ الورد لا يدوم ، والآس دائم .
قال : وإذا صاح الغرابُ مرتين فهو شرٌّ ، وإذا صاح ثلاثَ مرَّاتٍ
فهو خير ، على قدر [عدد (٥)] الحروف (٦) .

(عداوة الحمار للغراب)

ويقال : إنَّ بينَ الغراب والحمار عداوةً . كذا قال صاحب المنطق .
وأنشدني بعض النحويين (٧) :

عاديتنا لا زلتَ في تبابِ عداوة الحمار للغراب (٨)

(١) هو العباس بن الأحنف ، كما في زهر الآداب (٤ : ٨٧) .

(٢) في العقد (١ : ٢٩٨) : « أهدى إياه حبيبه » . وانظر الاستدراكات .

(٣) في العقد :

« خاف التبدل والتلون إنها لونان باطنها . . . »

وفي زهر الآداب :

« متطيراً منها السقام وجسمها لونان باطنها . . . »

(٤) الآس : ضرب من الريحان يسمى بمصر « مرسين » .

(٥) الزيادة من ل وحياة الحيوان .

(٦) كذا في ل وحياة الحيوان . وفي ط : « الجزء » وفي س : « الجزء »

والمراد عدد حروف الكلمتين : « شر » هو « خير » ، فالأولى مركبة من حرفين ،

والثانية مؤلفة من ثلاثة . وقد تبدو هذه العبارة مناقضةً لمسا سبق في ٤٥٧ س ٥ .

لكن يظهر أنهما زعمان متخالفان يحكيهما .

(٧) كذا في ل . وفي ط : « وأنشد لبعض » وفي س : « وأنشدت لبعض » .

(٨) ط ، س : « عداوة الغراب للحمار » : ووجهه في ل و (٢ : ٤٢) .

(أمثال في الغراب)

[ويقال : « أصبح من غراب » . وأنشد ابن أبي كريمة لبعضهم ، وهو
يهجو صريع الغواني مسلم بن الوليد :

فما ریحُ السَّدابِ أشدُّ بُغْضاً إلى الحياتِ منك إلى الغواني [
وأنشد (١) :

وأصلبُ هامةً من ذى حُيودٍ ودُونِ صداعه حُمى الغراب (٢)
وزعم لى داهيةً من ذهاة العرب الحوائين ، أن الأفاعى وأجناسَ
الأحناس ، تأتي أصولَ الشَّيخِ والحَرَمَلِ ، تستظل [به] ، وتستريحُ إليه .
ويقال : « أغربُ من غراب » . وأنشد قول مضرِّس بن لقيط (٣) :

كأنى وأصحابى وكرى عليهمُ على كلِّ حالٍ من نشاطٍ ومن سأمٍ (٤)
غرابٌ من الغربانِ أيامَ قرّةٍ رأينَ لحاماً بالعِراضِ على وضمٍ (٥)

(١) ل : « وأنشد فيه » .

(٢) ط : « هامد من ذى جنود » محرف . والحیود : ماشخص من نواحي الرأس .
والبيت ساقط من س .

(٣) نسبه إلى حده ، وإنما هو مضرِّس بن ربيع بن لقيط الأسدى ، له خبر مع
الفرزدق كما في معجم المرزبانى ٣٩٠ ، فيكون إسلاميا أو مخضرمًا . لكن قال
صاحب الخزانة (٢ : ٢٩٣ بولاق) : إنه جاهلى .

(٤) ل : « وكرى إليهم » .

(٥) القرّة ، بالكسر : البرد . ط ، س : « فره » صوابه فى ل . واللحام :
جمع لحم . والعراض : جمع عرصة بالفتح ، وهى البقعة الواسعة بين الدور . ط :
« بالعراض » وتصحيحه من ل ، س . والوضم ، ما وقيت به اللحم عن الأرض
من خشب أو حصير .

(حديث الطيرة)

وقد اعترض قومٌ علينا في الحديث الذي جاء في تفرقة ما بين الطيرةِ
والفأل ، وزعموا أنه ليس لقوله : « كان يعجبه الفألُ الحسنُ ويكره الطيرة »
معنى . وقالوا : إن كان ليس لقولِ القائل : يا هالك ، وأنت باغٍ ، وجهٌ
١٤٣ ولا تحقيق ، فكذلك^(١) إذا قال : يا واجد ، ليس له تحقيق ، وليس قوله
يا مضلٌّ ويا مهلك ، أحقُّ بأن يكون لا يوجبُ ضلالاً ولا هلاكاً من قوله
يا واجد ، ويا ظافر ، من ألا يكون يوجبُ ظفراً ولا وجوداً . فإمّا أن يكوناً
جميعاً يوجبان ، وإما أن يكونا [جميعاً] لا يوجبان . قيل لهم : ليس التأويل
ما إليه ذهبتم . لو أن الناس أملوا فائدة الله عزَّ وجلَّ ورجوا عائدته ،
عند كلِّ سببٍ ضعيفٍ وقوى ، لكانوا على خير . ولو غلِطوا في جهة الرجاء
لكان لهم^(٢) بنفس ذلك الرجاء خير . ولو أنهم بدل ذلك قطعوا أملهم
ورجاءهم من الله تعالى^(٣) ، لكان ذلك من الشرِّ والفأل ، أن يسمع كلمةً
في نفسها مستحسنة . ثمَّ [إن] أحبَّ بعد ذلك أو عند ذلك أن يحدث
ظمعاً فيما عند الله تعالى ، كان نفس الطمع خلافَ اليأس . وإنما خبرٌ أنه كان
يعجبه . وهذا إخبارٌ عن الفطرة كيف هي ، وعن الطبيعة إلى أيِّ
شيء تنقلب .

(١) س : « وكذلك » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) كذا على الصواب في ل ، س . وفي : ط : « ولو أنهم بدلوا ذلك
فقطعوا » . الخ .

وقد قيل لبعض الفقهاء^(١) : ما الفأل ؟ قال : أن تسمع وأنت مُضِلٌّ :
يا واجد ، وأنت خائف : يا سالم . ولم يقل إنَّ الفأل يوجب لنفسه السلامة .
ولكنَّهم يحبُّون له إخراجَ اليأسِ وسوء الظنِّ وتوقُّعَ البلاءِ من قلبه على كلِّ
حال - وحال الطَّيرةِ حال من تلك الحالات - ويحبُّون أن يكون لله راجيا ،
وأن يكون حَسَنَ الظَّنِّ . فإنَّ ظنَّ أن ذلك المرجوُّ يُوافقُ بتلك الكلمة ففرح
بذلك فلا بأس^(٢) .

(تطير بعض البصريين)

وقال الأصمعيُّ : هرب بعضُ البصريين من بعض الطَّواعين ، فركب
ومضى بأهله نحو سفوان^(٣) ، فسمع غلاماً له أسودٌ يحدو خلفه ، وهو يقول :
لن يُسبِقَ اللهُ على حِمَارٍ ولا على ذِي مَيْعَةٍ مَطَّارٍ^(٤)
أو يَأْتِيَ الحينُ على مِقْدَارٍ قَدْ يَصْبِحُ اللهُ أَمَامَ السَّارِي^(٥)
فلما سمع ذلك رجع بهم .

-
- (١) هو ابن عون، كما في تأويل مختلف الحديث ١٣١ مع اختلاف في اللفظ .
(٢) ل : « يوافق تلك الكلمة ففرح لذلك فلا بأس » .
(٣) سفوان ، بفتح أوله وثانيه : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة .
(٤) الميعة : أنشط الجرى . والمطار ، بفتح الميم وتشديد الطاء : السريع العدو .
ويصح أن تكون « مطار » بضم الميم وفتح الطاء . يقال : فرس مطار وطيَّار :
حديد الفؤاد ماض . وانظر للبيان (٣ : ٢٧٨) . وجاءت الرواية في زهر الآداب
(٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) : « ولا على ذى منعة طيار » .
(٥) الحين : الهلاك . وروى : « الحنف » كما في زهر الآداب وأمالى المرتضى
(٤ : ١١٢) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ . وتجد القصة في هذه المراجع على
وجوه شتى . وأنشد الثعالبي هذا الشطر في التمثيل والمحاضرة ص ٩ .

(معرفة في الغربان)

قال : والغربان تسقط في الصحارى تلتمس الطعم ، ولا تزال كذلك ،
فإذا وجبت الشمس^(١) نهضت إلى أوكارها معاً . و [ما أ] قل ما تختلط
البقع بالسود المصمتة^(٢) .

(الأنواع الغريبة من الغربان)

قال : ومنها أجناس كثيرة عظام كأمثال الجداء^(٣) السود ، ومنها صغارٌ .
وفي مناقيرها اختلاف في الألوان والصُّور . ومنها غربانٌ تحكى كل شيء سمعته ،
حتى إنها في ذلك أعجب من البغاء . وما أكثر ما يتخلف^(٤) منها عندنا
بالبصرة في الصيف ، فإذا جاء القيظ قلت . وأكثر المتخلفات^(٥) منها البقع .
فإذا جاء الخريف رجعت إلى البساتين ؛ لتنال مما يسقط من التمر في كرب
التخل وفي الأرض ، ولا تقرب التخل إذا كان عليها عذق واحد^(٦) ، وأكثر
هذه الغربان سود ، ولا تكاد ترى فيهن أبقع .

(١) وجبت الشمس : سقطت للمغيب .

(٢) السود المصمتة : الخالصة السواد .

(٣) الجداء ، بكسر الجاء المهملة : جمع حداة كعنية . ط : « الحد » ، ل : « الجداء »
بالجيم . والوجه ما أثبت من .

(٤) ط ، س : « يتخلف » .

(٥) ط ، س : « المختلفات » .

(٦) ليس يفهم من هذا أنها تقرب من النخل ما كان عليه أكثر من عذق . بل المراد
أنها لا تقرب النخل ما دام بعض التمر في أعذاقه . وانظر ما سبق في ص ٤٥٤ س ٥ .

(قبح فرخ الغراب)

وقال الأصمعيّ: قال خلف: لم أرَ قطُّ أقبح من فرخ الغراب! رأيتُه مرّةً ١٤٤
فإذا هو صغير الجسم^(١) ، عظيم الرأس ، عظيم المنقار ، أجردٌ أسودُ الجلد ،
ساقط النفس ، متفاوت^(٢) الأعضاء .

(غربان البصرة)

قال : وبعضها يقيم عندنا في القيظ . فأما في الصيف فكثير . وأما
في الخريف فالدهم . وأكثر ما تراه في [أعالي]^(٣) سطوحنا في القيظ والصيف
البُقع ، وأكثر ما تراه في الخريف [في النخل] و [في] الشتاء في البيوت
[السود] .

وفي جبل تكريت^(٤) في تلك الأيام ، غربانٌ سودٌ كأمثال الحداء
[السود] عظماً^(٥) .

(١) ل : « فإذا صغير الجسم » .

(٢) متفاوت الأعضاء : مختلفها . ط : « متقارب » ، وصوابه في ل ، س .

وانظر ما سبق من مثل هذا الكلام في (٢ : ٣١٨) .

(٣) من ل ، س .

(٤) تكريت : بلدة بين بغداد والموصل ، أقرب إلى بغداد .

(٥) الحداء سبق شرحها في الصفحة السابقة . ط : « الحداء » تحريف . و « عظماً »

هي في ، ط : « عظماً » وهو تحريف فكه ، صوابه في ل ، س .

(تسافد الغربان)

وناس يزعمون أنّ تسافدها على^(١) غير تسافد الطير ، وأنها تزاق^(٢) بالمناكير ، وتلقح من هناك .

(نواذر وأشعار مستحسنة)

نذكر شيئاً من نواذر وأشعار^(٣) [وشيئاً] من أحاديث ، من حارّها وباردها .

قال ابن مَجِيم^(٤) : كان ابن ميادة^(٥) يستحسن هذا البيت لأرطاة ابن سُهَيْب^(٦) :

فقلت لها يا أمّ بيضاء إنه هُرَيْقُ شِبابي واستشَنَّ أديمي^(٧)
[صار شناً] .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) أصله : تزاق . ط : « تزاف » ، صوابه في ل ، س .

(٣) س : « نذكر نواذر أشعار » .

(٤) ط : « قال سحيم » س : « قال ابن سحيم » وصوابه ما أثبت من ل .
وابن نجيم ، هو يحيى بن نجيم النزي سبقت ترجمته في (٢ : ٣٥١) .

(٥) « ابن ميادة » ساقط من ل .

(٦) س : « أرطاة بن سمية » ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة أرطاة في ٣٩١ .

(٧) ط ، س : « استشق » ، تحريف ما أثبت من ل .

وكان الأصمعيُّ يستحسن قولَ الطَّرْمَاحِ بنِ حَكِيمٍ ، في صفةِ الظَّلِيمِ (١) :

مَجْتَابٌ شَمْلَةٌ بُرْجِدٍ لِسْرَاتِهِ قَدْرًا وَأَسْلَمٌ مَاسِوَاهُ الْبُرْجِدُ (٢)

ويستحسن قولَه في صفةِ الثَّورِ :

يَبْدُو وَتَضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيَغْمَدُ (٣)

وكان أبو نُوَاسٍ يستحسنُ قولَ الطَّرْمَاحِ :

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرْمَاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى الْمَجْدِ وَأَسْرَخَى عَنَانَ الْقِصَائِدِ (٤)

وقال كثيرٌ :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاؤُهُ صَنِيعَةً بَرًّا أَوْ خَلِيلٍ تَوَامِقَهُ (٥)

مَنْعَتْ وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فَلَمْ يَفْتَلِكِ الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقَهُ (٦)

(١) الظليم : الذكر من النعام . « بن حكيم » ساقط من ل .

(٢) يقول : قد لبس ذلك الظليم كساء أسود مخملا من الريش فوق ظهره ، وجعل

الشملة على قدر ظهره . وأسلم ماسواه البرجد : أي ترك البرجد ماسوى الظهر :

من الرجلين والعنق ، فلم يستره . وساقا الظليم وعنقه عارية من الريش . ط :

« فدر وسلم » ، وصوابه في ل ، س والعمدة (١ : ٢٠٣ ، ٢ : ٧٩) .

(٣) البلاد هنا : المواضع . والشرف : المكان العالي . وانظر الموارنة بين هذا البيت

وأشباهه في العمدة (١ : ١٩٨) والصناعتين ٨٣ وشرح ديوان النابغة ١٩ .

(٤) أخلقت : بليت . « عنان » هي في ط : « عنا » وتمكيها من ل ، س .

(٥) ل : « صنيعة نعى ، أو خليل توافقه » . وفي المقد (٦ : ١٧٥ تأليف) : « صنيعة

قربى أو صديق توافقه » .

(٦) الحقائق : الحقوق . ورواية المقد : « ولم يستلبك المال » . وقد روى صاحب

زهر الآداب البيتين برواية عجيبة في (٣ : ٢٤٧) .

وقال سهل بن هارون ؛ يمدح يحيى بن خالد :

عدوٌ تِلَادِ المَالِ فيما ينوبه منوعٌ إذا ما منعه كان أحزماً^(١)

قال : وكان ربعي بن الجارود يستحسن قوله :

فخير منك من لا خير فيه وخير من زيارتك القعود^(٢)

وقال الأعشى :

قد نطعن العيرَ في مكنونِ فائله وقد يشيطُ على أرماحنا البطل^(٣)

لا تنتهون ولن ينهى ذوى شططٍ كالطعنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفتل^(٤) ١٤٥

(١) التلاد ، بالكسر : المال القديم الموروث . ط ، س : « إذا مانعته »
تحريف ما في ل . والبيت مع قرين له في البيان (٣ : ٣٥٢) ، ومع بيتين في الحيوان
(٥ : ٦٠٤) .

(٢) ل : « من زيادتك » .

(٣) العير ، هنا : السيد . والفائل ، بالفاء : عرق في الفخذ ، وهو هتتل .
أراد أنهم حذاق في الطعن . انظر المخصص (٢ : ٤٢) ولسان (فيل)
والرواية فيه :

* قد نخضب العير من مكنون فائله *

ل : « نطعن الخيل » س : « مكنون قابله » ، كلاهما محرف .
ويشيط : يهلك :

(٤) كذا في ط ، س والخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) وفي ل : « لا ينتهون »
والرواية في الكامل ٤٤ لبيسك وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦)
والخزانة (٤ : ٢٦٣ بولاق) والغيث المنسجم (١ : ٥٢) : « أنتهون »
وقد استشهد الجميع بالبيت على اسمية الكاف في « كالطعن » وأن « الطعن »
مجرور بالإضافة . والفتل : جمع فتيلة ، وهى فتيلة الجراحة . يقول : لا يزجرهم
غير طعن جانف .

وقال العلاء بن الجارود^(١) :

أظهروا للنَّاسِ نسكا وعلى المنقوش داروا^(٢)
ولَهُ صَامُوا وَصَلُّوا وَلَهُ حَجُّوا وَزَارُوا
وله قاموا وقالوا وله حلُّوا وساروا
لو غدا فوق الثريا ولهم ريش لطاروا

وقال الآخر^(٣) في مثل ذلك :

شمر ثيابك واستعدَّ لِقَابِلٍ واحككُ جبينك للقضاءِ بثومٍ^(٤)
وامشِ الدَّيِّبَ إِذَا مَشَيْتَ لِحَاجَةٍ حَتَّى تَصِيبَ وَدِيعَةً لِيَتِمَّ

وقال أبو الحسن : كان يقال : « من رقَّ وجهه رقَّ علمه » .

وقال عمر : « تفقهوا قبل أن تسودوا » .

وقال الأصمعي : « وُصِلت بالعلم ، وكسبت بالملح^(٥) » .

ومن الأشعار الطيبة قول الشاعر في السمك والخادم :

مقبِل مدبر خفيف ذفيف دسم الثوبِ قد شوى سمكاتٍ^(٦)

(١) ل : « العلاء بن الحداد » . والأبيات منسوبة في العقد (٢ : ١٤١) إلى محمود الوراق .

(٢) روى « سمتا » بدل « نسكا » في ل والعقد (٤ : ٢٣٧) و : « دينا » في العقد (٢ : ١٤١) . والمنقوش : الدينار . وبالأخيرة ، أى « الدينار » جاءت الرواية في العقد (٢ : ١٤١) .

(٣) هو مساور الوراق كما في العقد (٣ : ٢١٦) والبيان (٣ : ١٧٥) . ونسبا في الشريشي (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق .

(٤) القابل : المستقبل . والجبين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمّة سمراء توهم الأغرار أن صاحبها عريق في التقوى كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالصلاح يفعلون ذلك في عصرنا هذا ؛ ليجعلوا أنفسهم من قيل فيهم : « سيهام في وجوههم من أثر السجود » .

(٥) ط ، س : « وصلت بالملح وكسبت بالعلم » . وأثبت ما في ل . وفي البيان (١ : ١٩٩) : « وصلت بالعلم ونلت بالملح » .

(٦) يقال خفيف ذفيف ، وخفاف ذفاف ، إتباع . والمراد بهما السريع . ط : « جفيف » س : « ذفيف » وصوابه في ل واللسان (٩ : ١٩٩) ل : « أدسم الثوب » .

من شباييط لجة ذات عَمْرٍ حُدُب من سُحومها زَهَمَاتٍ (١)
ففكَّرَ فيهما فَإِنَّهُمَا سَيِّمَتَاكَ سَاعَةً (٢) .

وقال الشاعر (٣) :

إِنْ أَجْزِ عُلْقَمَةَ بِنِ سَيْفٍ (٤) سَعِيَّةٌ لَا أَجْزِهِ بِيَلَاءِ يَوْمٍ وَاحِدٍ
لَأَحْبَبَنِي حُبَّ الصَّبِيِّ وَرَمَنِي رَمَّ الْمَدِيِّ إِلَى الْغَنِيِّ الْوَاجِدِ (٥)
وَلَقَدْ شَفِيتُ غَالِيَتِي وَنَقَعْتَهَا مِنْ آلِ مَسْعُودٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ

وقال رجل من جرم :

نَبِثْتُ أَخْوَالِي أَرَادُوا عَمُومَتِي بِشَنْعَاءٍ فِيهَا ثَامَلُ السُّمِّ مُنْقَعًا (٦)
سَارِكِبَهَا فِيكُمْ وَأُدْعَى مَفْرَقًا وَإِنْ شَتَّمْتُمْ مِنْ بَعْدُ كُنْتُ مَجْمَعًا (٧)

(١) الشبايط : جمع شبوط : ضرب من السمك سبق الكلام عليه في (١ : ١٥٠ ،

١٥١ ، ٢٣٣) . ط ، س : « شبايك » محرفة . حذب : جمع حذباء وهي الخارجة الظهر الداخلة البطن والصدر . والزهمات : السمينة الكثيرة الشحم . وفي الأصل : « زمنات » وليس لها هنا وجه .

(٢) ط : « ففكر بينهما فإنهما سيمتانك ساعة » ، تحريف وتطبيع .

(٣) هو رجل من بهراء اسمه فدكي بن أعبد ، وهو المرناق الطائي . معجم المرزباني ٤٧٥ ، والصحاح

(لم) . كان مجاوراً لعلقمة بن سيف العتابي ، وكان له إبل فسرت ، فلما علم علقمة بذلك سعى في استردادها من مختلسها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بعير ودفنها إلى فدكي عوضاً . فقال هذا الشعر يمدحه . الحماسة (٢ : ٢٦٧ وشرحها ٤ : ٧٠ - ٧١) والصحاح واللسان (لم) .

(٤) في الأصل : « زيد » وصوابه في البيان (٣ : ٢٣٣) والحماسة وشرحها .

(٥) رمي ، بالراء : أصلح حال . والهدى : العروس تزف وتهدي إلى زوجها . ط ، س :

« ذمى ذم البذى » ، ل : « زمنى زم الهدى » وصواب الرواية من الحماسة

والبيان . ل : « إلى الفتى » . والفتى : الشاب .

(٦) في ط ، س : « نبثت إخواني » وأثبت ما في ل ، وهو أشبه بقول العرب . ط : س ،

« أرادوا نقيصتي بشنعة » و « بشنعة » تحريف . والثامل : هو المنقع ، أى

المعتق . ط ، س : « تابل » .

(٧) ل : « فإن شتم » .

وقال يونس بن حبيب : ما أكلتُ في شتاءٍ شيئاً قطُّ إلاَّ وقد برد ، ولا أكلتُ في صيفٍ شيئاً إلاَّ وقد سخن .

وقال أبو عمرو المديني^(١) : لو كانت البلايا بالحصص ، ما نالني كما نالني : اختلفت الجاريةُ بالشاةِ إلى التَّيَّاسِ اختلافاً كثيراً ، فرجعت الجاريةُ حاملاً والشاةُ حائلاً .

وقال جعفر بن سعيد^(٢) الخلافُ موكلٌ بكلِّ شيءٍ [يكون] ، حتى القذاة^(٣) في الماءِ في رأسِ الكوزِ ، فإن أردتَ أن تشرب الماءَ جاءتْ إلى ١٤٦ فيك ، وإن أردتَ أن تصبَّ من رأسِ الكوزِ لتخرُجَ رجعت .

(حديث أبي عمران وإسماعيل بن غزوان)

وقال إسماعيل بن غزوان : بَكَرْتُ اليومَ إلى أبي عمران ، [فلزمتُ الجادةَ] ، فاستقبلني واحداً فلزِمَ الجادةَ التي أنا عليها ، فلما غشيتني^(٤) انحرفتُ عنه يَمَنَةً فانحرفَ معي ، فعُدتُ إلى سَمْتِي فعَاد ، فعُدتَ فعَاد ثمَّ عُدتَ فعَاد . فلولا أنَّ صاحبَ برذونٍ فرَّقَ بيننا لكان إلى الساعةِ يكذِّبني^(٥) . قدَّخلت علي^(٦) أبي عمران فدعا بَعْدَاءَهُ ، فأهويتُ بلقمتي إلى

(١) ط ، س : « أبو عمر المدني » . وهذا الخبر والخبر الذي قبله في الحيوان (٥ : ٥٩١) .

(٢) كذا في ل . وفي ثمار القلوب ٤٩٤ حيث نقل القول : « جعفر بن سعد »

وفي ط ، س : « جعفر بن محمد » . وجعفر بن سعيد هذا أحد البهلاء

الذين ذكروهم الجاحظ في كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . ونعته في البيان (١ : ١٠٦) بأنه :

« رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه » .

(٣) القذاة : ما يقع في الشراب . ط ، س : « القذا » وصوابه في .

(٤) ل : « أغشيتني » تحريف .

(٥) يكذني : يلح في طلبي . ط ، س ، « يدكني » تحريف .

(٦) ط ، س ، « إلى » .

الصَّبَاغُ^(١) فَأَهْوَى إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ ، فَنَحَّيْتُ يَدِي فَنَحَّى يَدَهُ ، ثُمَّ عُدْتُ
فَعَادَ ، ثُمَّ نَحَّيْتُ فَنَحَّى ، فَقُلْتُ لِأَبِي عِمْرَانَ : أَلَا^(٢) تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ قَالَ
سَاحِدُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا ، أَنَا مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ^(٣) أَشْفَقُ أَنْ يَرَانِي
[ابن أبي] عَوْنُ الْخِيَّاطِ ، فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي أَنْ يَرَانِي مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَلَمَّا [أَنْ]
كَانَ أَمْسِرَ ذَكَرْتُ لِأَبِي الْحَارِثِ الصَّنْعَ^(٤) فِي السَّلَامَةِ مِنْ رُؤَيْتِهِ ، فَاسْتَقْبَلْنِي
أَمْسِرَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ !

(نَوَادِرُ وَبَلَاغَاتُ)

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ : قَالَ جَرِيرٌ^(٥) :
أَنَا لَا أَبْتَدِي وَلَكِنِّي أَعْتَدِي^(٦) .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : قَالَ الْحَجَّاجُ : أَنَا حَدِيدٌ حَقُودٌ حَسُودٌ !^(٧)

قَالَ : وَقَالَ قَدِيدُ بْنُ مَنِيْعٍ ، مُجْدِيْعٌ^(٨) بِنِ عَلِيٍّ : لَكَ^(٩) حَكْمُ الصَّبِيِّ

عَلَى أَهْلِهِ !

(١) الصباغ ، بالكسر : ما يصبغ به من الإدام ، وصيغ اللقمة صبغا : دهنها وغسها .
ل : « الصباغ » وليس لها وجه .

(٢) ل : « أما » .

(٣) ط ، س : « أنا أكثر منذ سنة » ل : « أنا منذ سنة » وقد جعلتها
كما ترى .

(٤) أي ما صنع لي من السلامة من رؤيته . ط : « الصنيع » .

(٥) هو جرير الشاعر .

(٦) ط ، س : « ولكن أعتدي » ، وأثبت ما في ل وما سبق في ص ٩٩ .
يقول : هولا يبتدي بالهجاء ، ولكنه إذا رد على الهاجى أعتدى عليه ، وظلمه
إرهابا له .

(٧) الحيوان (٥ : ٥٩٢) . وبلغظ آخر في البيان (٣ : ٢٥٥) .

(٨) جديع هذا هو ابن خال يزيد بن المهلب . البيان (٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٦) . ل :
« الحديد » وفي ثمار القلوب ٥٣٨ . — حيث نقل النص — : « لجديع »
والصواب ما أثبت .

(٩) ط ، س : « لك » ، وأثبت ما في ل والنار . وفي الثمار : « لك على » .

وقال أبو إسحاق^(١) - وذكرَ إنساناً - : هو والله أنزقٌ من ربيب مَنك^(٢) ، وأخرق من امرأة ، وأظلم من صبي .

وقال لى أبو عبيدة : ما ينبغي أن يكون [كان] فى الدنيا مثل هذا النظام^(٣) . قلت : وكيف ؟ قال : مرَّ بى يوماً فقلت : والله لأمتحنننه ، ولأسمعنَّ كلامه ؛ فقلت له : ما عيبُ الزُّجاج - قال : يُسرِع إليه الكسر ، ولا يقبل الجبر - من غير أن يكون فكراً أو ارتدع !

قال : وقال جَبَّار بن سُلَمى بن مالك^(٤) - وذكر عامر بن الطفيل^(٥) فقال : كان لا يضلُّ حتَّى يضلَّ النَّجم ، ولا يعطشُ حتَّى يعطشَ البعير^(٦) ، ولا يهاب حتَّى يهاب السيل ؛ كان والله خيرَ ما يكون^(٧) حينَ لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيراً .

(١) هو النظام . وانظر البيان (١ : ٢٤٧) .

(٢) أنزق : من النزق وهو العليش والتسرع . والريبب : المربوب ، وابن امرأة الرجل من غيره . وهذا المثل محرف فى ط : س : فى الأولى : « أترف من زينب بنت مالك » وفى الثانية : « أنزق من زينب بنت ملكة » ، وتصحيحه من ل . وجاء فى أمثال الميدانى (١ : ١٣٦) : « أترف من ربيب نعمة » . (٣) ط ، س : « قال لى أبو عبد الله » . س : « مثل ذلك » ل : « مثل ذلك » .

(٤) هو جبار بن سلمى (بضم السين ، وقيل بفتحها) بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أحد الصحابة . أسلم بعد وقعة بئر معونة لسبب طريف ، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين . انظر الإصنابة ١٠٥١ والسيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن والبيان (١ : ٥٤) . فى ط ، س ، « حماد بن مالك بن سليمان مالك » ل : « جبار بن مالك ابن سلمى » . وانظر شروح سقط الزند ص ٥٠٠ .

(٥) فى البيان : « حين وقف على قبر عامر بن الطفيل » .

(٦) ط ، س : « الجمل » ، وأثبت ما فى ل والبيان .

(٧) ل : « كان » .

وقال ابن الأعرابي : قال أعرابي : اللهم لا تُنزلني ماءً سوءاً فأكون
امراً سوءاً ! يقول : يدعوني قلدته إلى منعه .

وقال محمد بن سلام ، عن حماد بن سلمة ، عن الأزرق بن قيس : إن
الأحنف كان يكره الصلاة في المقصورة ، فقال له بعض القوم : يا أبا بحر ،
لم لا تصلي في المقصورة ؟ قال : وأنت لم لا تصلي فيها ؟ قال : لأترك^(١) !
وهذا الكلام يدل على ضروب من الخير كثيرة^(٢) .

ودخل عبد الله بن الحسن على هشام في ثياب سفره ، فقال : اذكر
حوأجك . فقال عبد الله : ركابي مُناخة ، وعلى ثياب سفرى ! فقال : إنك
لا تجدني خيراً [مني] لك الساعة^(٣) .

قال أبو عبيدة : بلغ عمر بن عبد العزيز قدوم عبد الله بن الحسن ،
فأرسل إليه : إني أخاف عليك طواعين الشام ، وإنك لا تُغنيهم أهلك خيراً
لهم منك^(٤) فالحق بهم ، فإن حوأجهم ستسبقك^(٥) .

وكان ظاهر ما يتكلمون به ويرونه إيأه جميلاً مذكوراً^(٦) ، وكان
معناهم الكراهة لمقامه بالشام ، وكانوا يرون جماله ، ويعرفون بيانه وكماله ،
فكان ذلك العمل من أجود التدبير فيه عند نفسه .

(١) ط : « لا ترك » .

(٢) ط : « على طرق » س : « على كنز من الخير كثير » .

(٣) ط ، س : « إنه لا تجدني خيراً لك من الساعة » . وموقع هذه القصة في ل
بعد القصة الآتية .

(٤) ل : « لن تغنيهم أهلك خيراً منك » .

(٥) ل : « ستسبقك » . وانظر الحيوان (٤ : ١٣٨) .

(٦) كذا في س . وفي ط : « ما يتكلمون به ويرونه جميلاً مذكوراً » . وفي ل :
« ما يتكلمون به ويرونه جميلاً مذكوراً » .

(شعر في الزهد والحكمة)

وأنشد :

تُليح من الموتِ الذي هو واقعٌ وللموتِ بابٌ أنتَ لا بدَّ داخلُهُ (١)

وقال آخر :

[أكلكم أرقام على عجوزٍ عشنُزرةٍ مقلدةٍ سخاباً (٢)]

وقال آخر:]

الموتُ بابٌ وكلُّ الناسِ داخله فليت شعري بعدَ البابِ ما الدَّارُ (٣)

لو كنتُ أعلمُ منَ يدري فيخبرني أجنَّةُ الخلدِ مأوانا أم النَّارُ (٤)

وقال آخر :

اصبرُ لكلِّ مصيبةٍ وتجلدِ واعلمُ بأنَّ المرءَ غيرُ مخلدِ

فإذا ذكرتَ مصيبةً تشجى بها فاذكُرْ مصابكَ بالنبىِّ محمدِ

وقال آخر :

والشمسُ تنعى ساكنَ الـ دُنيا ويسعدُها القمرُ

(١) ألح يليح : خاف وحاذر . ل : « لا شك داخله » . وانظر مجالس ثعلب ٣٤٩ .

(٢) عنى بالعجوز الدنيا . والعشنُزرة : السيئة الخلق ، بضم الحاء واللام . والسخاب :

بالكسر : القلادة من سك وقرنفل ومحلب ، بلا جوهر .

(٣) كذا في ل والأغاني (١٩ : ١٤) . وفي ط : « الموت باب لنا لا بد ندخله »

وفي س : « لنا لا بد لنا أن ندخله » وما في س تحريف .

(٤) ل : « مثوانا » . قالوا : لم يتمثل الحسن البصرى بشعر إلا هذا البيت .

انظر الأغاني .

أين الذين عليهم ركم الجنادل والمدار (١)
أفذاهم غلس العشا . يهز أجنحة السحر (٢)
ما للقلوب رقيقة وكان قلبك من حجر
ولقلمًا تبتى وعو ذلك كل يوم . يهتصر (٣)

وقال زهير :

ومن يوف لا يذم ومن يفض قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم (٤)
ومن يفترب يحسب عدواً صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم .
ومهما تكن عند امرئ من خائفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه ولا يعفها يوماً من الذم يندم (٥)

[وقال زهير أيضاً :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما صاربوا اعتنقا (٦)]

(١) الركم ، بالتحريك : المتراكم .

(٢) الغلس : الظلام آخر الليل . والعشا من زوال الشمس إلى طلوع الفجر . ل :

« العشى » . وهى بمعنى العشاء المتقدم ؛ فى المصباح : « العشى من الزوال إلى الصباح » .

(٣) اهتصار العفن : عطفه . ل : « يمتصر » . وفى ط : « ولعل ما تبتى » صوابه فى ل ، س .

(٤) لا يتجمجم : لا يتردد .

(٥) يسترحل الناس نفسه : يحمل نفسه كالراحلة للناس يركبونه ويذمونه . وروى :

« يستحمل الناس » ، أى يحمل الناس على عيبه .

(٦) انظر الكلام على هذا البيت فى الاستدراكات .

وقال (١) :

وجارُ البيتِ والرَّجُلُ المَنادِي (٢) أَمَامَ الحَيِّ عَقْدُهُمَا سِوَاءُ
جِوَارُ شَاهِدٌ عَدْلٌ عَلَيْكُمْ وَسِيَّانِ الكِفَالَةَ وَالتَّلَاءِ (٣)
فإنَّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ : يَمِينٌ ، أَوْ نِفَارٌ ، أَوْ جَلَاءٌ (٤)
فَتَفَهَّمْ هَذِهِ الأَقْسَامَ الثَّلَاثَةَ ، كَيْفَ فَصَّلَهَا هَذَا الأَعْرَابِيُّ !

وقال أيضاً :

١٤٨ فلو كان حمدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لم تَمُتْ ولكنَّ حَمْدَ المرءِ ليسَ بِمُخْلِدٍ
ولكنَّ مِنْهُ باقياتٌ وِرَاثَةٌ فَأُورِثُ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَزُودُ
تَزُودٌ إِلَى يَوْمِ المَاتِ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَرِهْتَهُ النَّفْسُ آخِرُ مَعْهَدٍ
وقال الأَسَدِيُّ :

فإِنِّي أَحَبُّ الأَخْلَادِ لو أَسْتَطِيعُهُ وكأُخْلِدُ عِنْدِي أنْ أَمُوتَ ولم أَلَمْ (٥)
وقال الحَادِرَةُ :

فأَثْنُوا عَلَيْنَا لا أبا لأَبِيكُمْ بِإِحْسَانِنَا إنَّ الثَّنَاءَ هو الأَخْلُدُ (٦)
وقال الغنَوِيُّ :

فإِذَا بَلِغْتُمْ أَهْلَكُمْ فَتَحَدَّثُوا وَمِنَ الحَدِيثِ مِهَالِكٌ وَخُلُودٌ (٧)

(١) أى زهير بن أبي سلمى .

(٢) المنادى : المجالس ؛ من النادى والندى وهو المجلس . ط : « المناوى » وهو تحريف . يقول : حق الجليس كحق الجار .

(٣) التلاء ، بالفتح : الضمان . وانظر اللسان (تلا) .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت فى الصناعتين ٣٣١ والعمدة (١ : ٣٠) والعمدة (٣ : ٣٨٦) والبيان (١ : ٢٤٠) وعيون الأخبار (١ : ٦٧) .

(٥) وكذا فى البيان (٣ : ٣٢٠) . ل : « لو أموت » .

(٦) البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٧) ما عدال : « بلغتم أرضكم » ، و « متأف وخلود » .

وقال آخر (١) :

فقتلاً بتقتيلٍ وعقرًا بعقرٍم جزاء العُطاسِ لا يموت من اتَّارٍ (٢)

وقال زهير :

والإثمُ من شرٍّ ما تصول به والبرُّ كالغيثِ نبتُهُ أمرٌ (٣)

أى كثير . ولو شاء أن يقول :

* والبرُّ كالماءِ نبتُهُ أمرٌ *

استقام الشعر ، ولكن كان لا يكون له معنى . وإنما أراد أن النبات

يكون على الغيثِ أجود (٤) . ثم قال :

قد أشهدُ الشَّاربَ المعدَّلَ لا معروفُهُ مُنكرٌ ولا حصرٌ (٥)

في فتيةٍ ليَّني المآزِرِ لا ينسونَ أحلامهم إذا سَكروا (٦)

يشؤون للضيف والعفاة ويؤ فون قضاءً إذا هم نذروا (٧)

(١) هو مهلهل كما في البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٢) س : « وعقداً بعقدكم » . محرف . ما عدال : « جزاء عطاش » تحريف . وانظر حواشي

البيان ، واللسان (عقب ١١٠ جزى ١٥٩) . وائار : أدرك ثأره . والمعروف

في المعجمات : « ائار » بالياء المثلثة . لكن ما أثبت من ل جائز في العربية . انظر

الاستدراكات والتذييل . وفي ط ، س : « ارتا » محرف .

(٣) ط : « امرء » وصوابه في ل ، س . والرواية عند القالي (١ : ١٠٣)

والبحتري ٣٤٧ : « من شر يصل به » .

(٤) الغيث : المطر الغزير . ط ، س : « أراد أن يكون عن الغيث أجود » .

(٥) المعدل : الذي يعدل كثيراً ويلام لإسرافه . س : « المعدل » وليس بشيء .

والحصر : البخيل .

(٦) المسآزر : جمع مئزر ، والمراد بها هنا النفوس ، كما قال نفيلة - وأراد

بالإزار النفس :

ألا أبلغ أباه حفص رسولاً فدى لك من أخي ثقة إزارى

(٧) العفاة : جمع عاف : وهو كل طالب فضل أو رزق .

يمدحُ كما ترى أهلَ الجاهليَّةِ بالوفاء بالنُّذور^(١) .

أنشدني حَبَّان بن عِتبان^(٢) ، عن أبي عبيدة ، من الشُّوارد التي لا أربابَ

لها ، قوله :

إن يَغْدِرُوا أو يَفْجُرُوا أو يَبْخَلُوا لم يَحْفَلُوا
يَغْدُوا عليكَ مرَّجَلِي نَ كَأَنَّهُمْ لم يَفْعَلُوا
كأبي بَراقِشَ كلَّ يو مٍ لونه يَتَخَيَّلُ^(٣)

وقال الصَّلْتان السعدِيُّ ، وهو غير الصَّلْتان العبديُّ :

أشابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِي رَ كَرُّ الغَدَاةِ ومُرُّ العَشِي ١٤٩
إذا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يوْمَها أنى بعد ذلك يوْمَ فَتِي^(٤)
رُوحٌ وَنَغْدُو لحاجاتنا وَحاجةٌ مَن عاشَ لا تَنْقُضِي^(٥)
تَموتُ معَ المرءِ حاجاتُه وَتَبْقَى له حَاجةٌ ما بَقِي^(٦)
إذا قَلتَ يوْمًا لَدِي مَعْشِرِي أروني السَّرِيَّ أروكَ الغَني

(١) ط ، س : « بالنذر » ولا تصح :

(٢) ل : « حيان بن عيين » .

(٣) أبو براقش : طائر كالعصفور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار يتلون في كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب في ذلك ما قال الأزهري : أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا انتفش تغير لونه ألوانا شتى . والرواية في اللسان : « كل لون لونه » ط ، س : « يتبدل » . وانظر الأبيات ورواياتها وما قيل فيها ، في ديوان المعاني (١ : ١٨٢) والبيان (٣ : ٣٣٣) وأمالى القالى (٣ : ٨٣) وعيون الأخبار (٢ : ٢٩) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠ بولاق) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) .

(٤) هذا البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « لحاجتنا » تحريف .

(٦) ط ، س : « يموت » .

ألم ترَ لقمانَ أوصى بنياً ۝ وأوصيتَ عمرًا فنعِمَ الوصى (١)
 وسيركُ ما كانَ عندَ امرئٍ ۝ وسرُّ الثلاثةِ غيرَ الخفي
 أنشدني محمدُ بن زياد الأعرابي :
 ولا تُلبِثُ الأَطاعُ مَنْ ليسَ عنده ۝ من الدِّينِ شيءٌ أن تَميلَ به النَّفسُ
 ولا يُلبِثُ الدَّحسُ الإهابَ تحوزُه ۝ بِجُمعِكَ أن ينهَاهُ عن غيرِكَ الترسُ (٢)
 وأنشدني أبو زيدٍ النحويُّ لبعضِ القدماء (٣) :
 وَمَهْمَا يَكُنْ رَيْبُ الْمُنُونِ فَإِنِّي ۝ أرى قَهْرَ اللَّيْلِ المَعْدِرَ كالفَتَى (٤)
 يَعودُ ضئيلًا ثمَّ يَرجعُ دَائِبًا ۝ ويعظُمُ حتَّى قيلَ قد ثابَ واستوى
 كذلكَ زَيدُ المرءِ ثمَّ انتقاصُه ۝ وتكرارُه في إثرِه بَعْدَ ماضى (٥)
 وقال أبو النجم :

- (١) ل : « ونعم الوصى » . وانظر الأبيات ورواياتها في هيون الأخبار (٣) :
 (١٣٢) ومعهاد التنصيص (١ : ٢٧) والعقد (٢ : ١٢٣) والحامسة (٢ :
 ٥٦) والكامل ٥٤٠ ليسك .
 (٢) الدحس : الفساد . والشطر الأخير محرف . ل : « أن تنهأ كعبرة الرأس » .
 (٣) هو حسان السعدي كما في نوادر أبي زيد ١١١ - ١١٢ . ونسب الشعر في أمالي
 المرتضى (٢ : ٧٦) إلى بعض شعراء طيء . وعينه ياقوت في (دير حنظلة)
 بأنه حنظلة بن أبي عفراء . وساق نسبه إلى طيء . وقال في شأن حنظلة هذا
 « كان قد نسك في الجاهلية وتنصر وبني هذا الدير » .
 (٤) المعذر : ذو العذار ، وهو هنا الحالة التي تطيف به . وفي الجزء السادس من الحيوان
 ص ٥٠١ : « المقدر » ، وما هنا صوابه . والرواية في النوادر والأمالى والمعجم :
 و ل : « المعذب » وكان عذابه فيما يتكرر من طلوعه واختفائه ودهوبه على ذلك .
 وفي مثل ذلك قال أمية في عذاب الشمس :
 تأتي فلا تبدو لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجدد
 لاتستطيع أن تقصر ساعة وبذاك تدأب يومها وتشرد
 (٥) الزيد : الزيادة . ط : « بعد ماضى » ، وصوابه في ل ، س .

مَيْرَ عَنْهُ قَنْزَعًا عَنْ قَنْزَعٍ (١) مَرُّ اللَّيَالِي أَبْطَى وَأَسْرَعِي (٢)

أَفْنَاهُ قَيْلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ أَطْلَعِي ثُمَّ إِذَا وَاوَالِكُ أَفْقٍ فَارْجِعِي

وقال عمرو بن هند (٣) :

وإن الذي ينهاكم عن طلايها يُنَاغِي نِسَاءَ الْحَيِّ فِي طَرَّةِ الْبُرْدِ (٤)

يَعْلَلُ وَالْأَيَّامُ تَنْقُصُ عُمرَهُ كَمَا تَنْقُصُ النَّيْرَ أَنْ مِنْ طَرَفِ الزَّنْدِ (٥)

وقال ابن ميادة :

هل ينطقُ الرَّبِيعُ بِالْعَلِيَاءِ غَيْرَهُ سَا فِي الرِّيَّاحِ وَمُسْتَنٌّ لَهُ طُنْبٌ (٦)

وقال أبو العتاهية :

* أَسْرَعٌ فِي نَقْصِ أَمْرِي تَمَامُهُ *

وقال :

ولمِرَّ الْفَنَاءُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَرَكَاتٌ كَأَنَّهُنَّ سَكُونٌ (٧)

وقال ابن ميادة (٨) :

١٥٠

(١) القنزع : الشعر حوالى الرأس . ل : « قزعا عن قزعا » . والقزعا : كل شيء

يكون قطعاً متفرقة . ورواية اللسان : « طير عنها » .

(٢) كذا في ل واللسان . في ط ، س : « جذب الليالي أبطى أو أسرعى » .

(٣) كذا في ط و س : وص ٤٨ من هذا الجزء . وفي ل : « عبد هند » .

(٤) يناغى : يغازل . س : « عن طلايها » .

(٥) س : « يعلل بالأيام » .

(٦) المستن : أراد به السحاب السريع الإمطار . والطنب : جبل السرادق . وقد

جعل السحاب كالسرادق فكأنه قد ضرب على الأرض لإحاطته . يقول : قد أفسد

ذلك الربيع الرياح والأمطار . ط ، س : « ومستف » ، تحريف ما أثبت من ل

ومعجم الأدباء (١١ : ١١٤) والأغاني (٢ : ١٠٢) .

(٧) س : « ولمر القناء » ط : « ولمر القنائة » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٨) روى في معجم البلدان برسم (قنع) نسبته إلى مزاحم المعقيل .

أشاقك بالقنح الغداة رسوم دوارس أدنى عهدهن قديم^(١)

يلحن وقد جرّمنَ عشرين حجة^(٢) كما لاح في ظهر البنان وشوم^(٣)

وقال آخر :

في مرفقيها إذا ما عونقت حجّم على الضجيج وفي أنيابها شنب^(٣)

وقال ابن ميادة في جعفر [ومحمد] ابني سليمان^(٤) ، وهو يعني أمير

المؤمنين المنصور :

وفي لكما يا ابني سليمان قاسم بجدّ النهى إذ يقسم الخير قاسمه^(٥)

فبيتكما بيت رفيع بناؤه متى يلق شيئا مُحدثاً فهو هادمه^(٦)

لكم كبش صدق شذب الشول عنكم

وكسر قرني كل كبش يصادمه^(٧)

(١) القنح ، بالكسر : جبل وماء باليمامة . والرسوم : آثار الديار .

(٢) جرمن عشرين حجة : قطعن عشرين سنة . ط ، س : « حرمن » ط : « عتبي حجة » رصواهما في س .

(٣) في المعجم : « إذا ما عولجت » . والحجم بالحاء تم الجيم المفتوحتين : لم أجد نصاً فيه . ولعله من حجم ثدى الجارية : نهى وارتفع . أراد أنها مكسوة المرفقين باللحم . ل وكذا الأغاني : « جم » وهو كثرة اللحم ، أو عدم ظهور العظم . س : « جم » محرف . والشنب : بالتحريك : الرقة والحدة .

(٤) ط ، س : « في جعفر بن سليمان » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) يقول : ذلك القاسم حين قسم الخير وفي لكما بحظ العقل . وفي بالشئ : أعطاه كاملاً . وهذا البيت شديد التحريف في الأصل . ففي ط ، س : « وما لكم » وفي ل : « وفاء لكما » وفي ط ، س : « بجد النبي » وفي ل : « بجد للنبي » . وقد عالجته بما ترى .

(٦) في الأصل : « فبيتكما » محرف : ل : « متى يلق بيتا مجدكم » .

(٧) الكبش : يعني به المنصور . شذب : طرد . والشول من الإبل : التي نقصت ألبانها . يريد : طرد عنكم الخساسة من الناس . ط فقط : « شذب الشوك » وهو معنى لا يصح في المدح .

باب

في من يهجي ويذكر بالشؤم

قال دِعْبِل بن علي ، في صالح الأفقم^(١) - وكان لا يصحب رجلاً إلا مات أو قُتِل ، أو سقطت منزلته - :

قل للأمينِ أمينِ آلِ محمدٍ قول امرئٍ شفيقٍ عليه محامٍ^(٢)
إيّاكَ أن تُغترَّ عنكَ صنيعه في صالح بن عطية الحجامِ^(٣)
ليس الصَّنائعُ عنده بصنائعٍ لكنهنَّ طوائِلُ الإسلامِ^(٤)
أضربُ به نحرَ العدوِّ فإنّه جيشٌ من الطّاعونِ والبرسامِ^(٥)

وقال محمد بن عبد الله في محمد بن عائشة^(٦) :

للِهَلالِي قَتيلٌ أبداً في كُلِّ عامٍ
قَتَلَ الفضلَ بنَ سهلٍ وعليُّ بنَ هشامٍ
وعجيفاً آخرَ القومِ بأكنافِ الشّامِ

- (١) الأفقم : الذي تقدمت ثناياه العليا فلم تقع على السفلى . ذى الأغاني : « الأضخم » ، وهو المعوج الفم . ل : « صالح بن علي الأفقم » صوابه « ابن عطية » كما في الأغاني ، والشعر .
(٢) يريد بالأمين الخليفة المعتصم ، كما في الأغاني (١٨ : ٦٤) وروايته :
قل للإمام إمام آل محمد قول امرئٍ حذب عليك محامٍ
والتعبير عن الخليفة بلفظ « أمين » سبق مثله في ص ٦٣ س ٤ .
(٣) تغتر : تؤخذ وتنال على غرة . ل : « يفتر » . وفي الأغاني (١٨ : ٤٦) :
« أنكرت أن تغتر » !
(٤) طوائِل : جمع طائلة ، يقال بينهم طائلة أي عداوة وترة .
(٥) البرسام ، بالكسر : حلة يهذى فيها . قلت : هي بالفارسية برسام بالفتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من بر وهو الصدر ، وسام بمعنى الالتهاب ، وهو بالمعنى الدقيق : التهاب غشاء الرئة : The pleurisy .
(٦) ل : « بن محمد بن عائشة » .

وغدا يطلب من يه تل بالسيف الحسام^(١)
فَاعَاذَ اللهُ مِنْهُ أَحَدًا خَيْرَ الْأَنَامِ
[يعني أحمد بن أبي دواد] .

وقال عيسى بن زينب في الصخرى^(٢) ، وكان مشثوما :
يا قوم مَنْ كَانَ لَهُ وَالِدٌ يَأْكُلُ مَا جَمَعَ مِنْ وَفْرِ^(٣)
فَإِنَّ عِنْدِي لِابْنِهِ حِيلَةٌ يَمُوتُ إِنْ أُصْحِبَهُ الصَّخْرَى^(٤)
كَأَنَّهَا فِي كَفِّهِ مَبْرَدٌ يَبْرُدُ مَا طَالَ مِنَ الْعُمُرِ ١٥١

(شمر في مديح وهجاء)

وقال الأعشى :

فَمَا إِنْ عَلَى قَلْبِهِ غَمْرَةٌ وَمَا إِنْ بَعْظَمٍ لَهُ مِنْ وَهْنٍ^(٥)

وقال الكميت :

وَلَمْ يَقُلْ عِنْدَ زَلَّةٍ لَهُمْ كُرُّوا الْمَعَاذِيرَ إِلَّا نَمَا حَسِبُوا^(٦)

وقال آخر :

فَلَا تَعْذِرَانِي فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ شِرَارُ الرَّجَالِ مَنْ يَسِيءُ فَيُعْذِرُ

(١) ل : « وبدا يطلب » .

(٢) ط ، س : « الصخرى » .

(٣) الوفير : المال الكثير . ط : س : « ما يجمع في الدهر » .

(٤) أصحبه : جعل صاحبا له . ط : « صحبة » . ط ، س : « الصخرى » .

(٥) س : « يعظم » ، تحريف .

(٦) الواو في أول البيت ساقطة من ط ، س ، ل : « بعد زلة » . ط :

« حسوا » س : « حسنوا » وصوابه في ل .

وقال [كلثوم بن عمرو] العتّابي (١) :

رحل الرّجاء إليك مغترباً حُشِدَتْ عليه نوابُ الدَّهْرِ (٢)
رَدَّتْ عليك ندامتي أَمَلِي وَثَنِي إِلَيْكَ عِنَانَهُ شَكْرِي (٣)
وجعلت عَتْبَكَ عَتَبَ موعظةٍ ورجاءٍ عَفْوِكَ مُنتَهَى عَذْرِي
وقال أعشى بكر (٤) :

قَلَدْتِكَ الشُّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا السَّافِضَالِ وَالشَّيْءُ حَيْثُ مَا جُعِلَا (٥)
وَالشُّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اسُتَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلَا (٦)
لَوْ كُنْتُ مَاءً عِدًّا جَحَمْتَ إِذَا مَا وَرَدَ الْقَوْمَ لَمْ تَكُنْ وَشَلَا (٧)
أَنْجَبَ آبَاؤُهُ الْكِرَامُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا
اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْبَقَاءِ وَبِالْحَمْدِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا (٨)

- (١) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٢) ط : « مرتغبا » س : « مرتقبيا » . حشدت : جمعت . ط ، س : « حسدت » ، وليس بشيء .
(٣) ل : « ردت إليه » و « ثنى إليه » .
(٤) ل : « وقال الأعشى » . وهما سيان ، فإن الأعشى المشهور يقال له أعشى بكر ، ويقال له أيضاً أعشى قيس . فهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . ينسب حيناً إلى قيس بن ثعلبة ، وآخر إلى بكر بن وائل . وقد أخطأ دي ساسي في جعلهما شخصين في فهرس الأغاني .
(٥) كلمة « الشعر » ساقطة من ط . وفي الخزانة (٤ : ٣٥٨) : « ذو التفضال » ، وفي التمدد (١ : ١٠) : « ذا فائش » . وسلامة ذو فائش : أحد ملوك حمير .
(٦) السبل ، بالتحريك : المطر .
(٧) الماء للعد ، بكسر العين : القليل ، بلغة بكر بن وائل . جم : كثير . س : « جمعت » تحريف . والوشل : الماء القليل .
(٨) يروى : « بالوفاء وبالعد » . وهذا البيت يستشهد على أن الأعشى كان مذهب مذهب أهل العدل . إنظر أمالي المرتضى (١ : ١٦) .

وقال الكذاب^(١) الحرّمازى [لقومه ، أو لغيرهم^(٢)] :

لو كنتم شاءً لكنتم نقدًا^(٣) أو كنتم ماءً لكنتم تمّداً^(٤)

* أو كنتم قولاً لكنتم فنّداً^(٥) *

وقال الأعشى فى الثياب^(٦) :

فعلى مثلها أزورُ بنى قيدٍ سٍ إذا شطَّ بالحبيبِ الفِراقُ^(٧)

المهينين ما لهم فى زمانِ السوءِ حتى إذا أفاقَ أفاقوا

وإذا ذو الفضولِ ضنَّ على الموالى وصارتْ لحيمها الأخلاقُ^(٨)

ومشى القومُ بالعمادِ إلى الرزِّ حتى وأعياءُ المسيمِ أينُ المساقِ^(٩)

أخذوا فضلهمُ هناك وقد تجرّى على عرقها الكرامُ العتاقُ^(١٠)

(١) وكذا فى الحيوان (٥ : ٤٦٢) . ونسب فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٧٧) إلى العين

المنقرى . والكذاب هو عبد الله بن الأعور ، أحد بنى الحرماز بن مالك بن تميم . ط : « الكرار » س : « الكراز » وهو على الصواب فى ل . قالوا : سمى بذلك لكنبه .

(٢) هم بنو فقيم ، كما جاء فى أول الرجز فى كل من أمثال الميدانى (١ : ٢٦٠) والأضداد ٣٥٦ :

* فقيم ياشر تميم محتدأ *

(٣) النقد : جنس من الغنم قصار الأرجل ، قباح الوجوه ، يكون بالبحرين .

(٤) التمد : الماء القليل . وهذه الرواية انفردت بها ل . وفى ط ، س وأمثال الميدانى والأضداد وثمار القلوب : « زبدا » .

(٥) الفند : الكذب . وفى الرجز زيادة فى ثمار القلوب وأمثال الميدانى (١ : ٢٦٠ ، ٤١٣) .

(٦) « فى الثياب » ساقط من ل . والحديث عن الثياب فى آخر بيت من هذه المقطوعة .

(٧) شط به : بعد . س : « شك » تحريف .

(٨) الخيم ، بالكسر : السجية والطبيعة . وفى الديوان : « لحقها » أى لحقيقتها . ل : « بحقها » .

(٩) العماد : الأخبية . والرزحى : النوق الشديديات الهزال . والمسيم : الذى يعرى الإبل . والأين : الإعياء . والمساق : السوق .

(١٠) قد ، هنا ، تحقيقية .

وإذا الغيثُ صَوْبُهُ وَضَعَ الْقِدْرَ حَ وَجُنَّ التَّلَاعُ وَالْآفَاقُ^(١) ١٥٢
 لم يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً شُرْبَ الْحَمِ رِ وَلَا اللَّهُوْ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ^(٢)
 وَاضِعًا فِي سِرَاةٍ نَجْرَانَ رَحْلِي نَاعِمًا غَيْرَ أَنِّي مُشْتَاقٌ
 فِي مَطَايَا أَرْبَابُهُنَّ عِجَالٌ عَنْ ثَوَاءٍ وَهُمْهُنَّ الْعِرَاقُ
 دَرَمَكَ غُدْوَةً لَنَا وَنَشِيلٌ وَصَبُوحٌ مَبَاكِرٌ وَاغْتِبَاقُ^(٣)
 وَنَدَامَى بِيضُ الْوُجُوهِ كَانَ الشَّرْبَ مِنْهُمْ مَصَاعِبُ أُنْفَاقُ^(٤)
 فِيهِمُ الْحِصْبُ وَالسَّاحَةُ وَالنَّجْدُ دَةٌ جَمْعًا وَالْحَاطِبُ الْمِسْلَاقُ^(٥)
 وَأَبْيُونَ لَا يُسَامُونَ ضِيمًا وَمَكِيثُونَ وَالْحُلُومُ وَثَاقُ^(٦)
 وَتَرَى مَجْلِسًا يَغْصُ بِهِ الْحَمِ رَابٌ بِالْقَوْمِ وَالشَّيَابُ رِقَاقُ

(١) اللقدح ، بالكسر ، هو قدهح الميسر . كانوا ينحرون ويضربون بالقدح ، فإذا
 أخصبوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن الميسر إنما يكوف في الجذب . شرح ديوان
 الأعشى ١٤٤ فينا . جنت التلاع : كثر فيها الثبت وحسن .

(٢) ليس يريد أنهم كانوا ذوي سفاهة فزادهم الشرب ، ولكن أراد أن الشرب
 لا يجلب إليهم السفاهة ، بل يحتفظون معه بحميد خصالمهم :

وإذا شربت فاني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

(٣) الدرهمك : لباب الدقيق ، أراد الطعام المصنوع منه . و « غدوة » هي في الأصل :
 « غدرة » ، وتصحيحها من الديوان . والنشيل : ما نشل من لحم القدر بمائه .

(٤) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين . ل : « الشرب فيهم » . والمصاعب : الفحول
 المكرومة . والأفناق : جمع فنيق ، وهو بمعنى المصعب .

(٥) ل واللسان : « فيهم الحزم » . والحاطب المسلاق : الحطيب البليغ . ويروى :
 « السلاق » بمعناه ، كما في اللسان . ورواية س : « المصلاق » بالصاد ، وهي
 لغة . يقال : مصلاق وصلاق أيضاً .

(٦) المكيث : الرزين . والحلوم وثاق : أي عقولهم محكمة .

وقال أيضاً في الثياب (١) :

أزورُ يزيدَ وعبدَ المسيحَ وقيساً همُ خيرُ أربابها
وكعبةً نجرانَ حتمَ عليه لكِ حتى تناخى بأبوابها (٢)
إذا الحبرَاتُ تلوتُ بهمُ وجروا أسافلَ هُدأِها
وفي الثياب يقول الآخر :

أسيلمُ ذاكمَ لا خفاً بمكانه لعينٍ تُرجى أو لأذنٍ تسمعُ (٣)
من النَّفَرِ البيضِ الذين إذا انتموا وهابَ الرجالَ حلقةَ البابِ قَعَقَعُوا (٤)
جلا الأذفرَ الأحمى من المسك فرقه وطيبَ الدهانِ رأسه فهو أنزع (٥)
إذا النَّفَرِ السودِ اليمانون حاولوا له حوكَ برديه أجادوا وأوسعوا (٦)

[وقال كثير :

يجرُّ سربالا عليه كأنه سبيُّ هلالٍ لم تفتق شرايقه (٧)]
وقال الجعدى :

أتاني نصرهم وهمُ بعيدهُ ببلادهمُ بأرضِ الحيزرانِ

- (١) الأبيات منسوبة إلى أعشى بنى تغلب في معجم الأدباء (١١ : ١٣٢) .
(٢) يخاطب ناقته . تناخى : تبرك . ط ، س : « تحل » ولها وجه .
(٣) خفا : مقصور خفاء . ط ، س : « حقا » ، وصوابه في ل والبيان (١ : ١٩٦ و ٣ : ٣٠٥) والكامل ١٠٣ والعقد (٥ : ٣٤٣) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى والبخلاء ٢١٣ . « ترجى » من الرجاء وهو الأمل . ل : « تدحى » ، البيان « تدحى » الرسائل : و « تداحى » ولعلها « تراعى » .
(٤) الرواية في المراجع المتقدمة : « من نفر الشم » وجعلهم نفرا لقلتهم . والكرام قليل .
(٥) الأذفر : الشديد سطوع الرائحة . ط : « فوقه » تحريف . والأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبيه جبهته . ل : « فهو أفرق أنزع » .
(٦) اليمانية يوصفون بالسواد . ل والعقد : « أرقوا وأوسعوا » ، وفي خزانة الأدب (٢ : ٥٢٣ بولاق) نقلا عن البيان : « أدقوا » ، وفي البيان : « أطالوا » . وانظر ما كتب البغدادي عن الشعر في الخزانة .
(٧) السبى : جلد الحية تسلخه . واللال : الحية . والشرايق : ما تسلخه . وانظر ماسياتى في (٤ : ١٧٧) .

يريد أرضَ الحِصْبِ والأغصانِ اللَّيْنَةِ (١) .

وقال الشاعر (٢) :

فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَانَ رِيحُهَا عَبِقٌ بَكَفِّ أَرْوَعٍ فِي عَرِينِهِ شِمْمٌ (٣)

لأنَّ الْمَلِكَ لَا يَخْتَصِرُ (٤) إِلَّا بَعُودِ لَدُنِ نَاعِمٍ . وقال آخر :

تَجَاوَبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرِ رَانَةٍ يَكَادُ يَدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لَيْبِهَا (٥)

وقال آخر (٦) :

١٥٣

نَبْتٌ نَبَاتِ الْخَيْرَانِيِّ فِي الثَّرَى حَدِيثًا، مَتَى مَا يَأْتِكَ الْخَيْرُ يَنْفَعُ (٧)

وقال المسيَّب بن علس (٨) :

قِصَارُ الْهَمِّ إِلَّا فِي صَدِيقٍ كَأَنَّ وَطَابَهُمْ مُوشَى الضَّبَابِ (٧)

(١) في اللسان : « وذلك أنه كان بالبادية وقومه الذين نصره بالأرياف والحوضر .

وقيل : أراد أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم » .

(٢) ط ، س : « وقال أصحقر الشاعر » وانظر ما أسلفت من التحقيق في ص ١٣٣ .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « ريحها عبق » . وانظر الاستدراكات .

(٤) الاختصار : أخذ المخرصة ، بالكسر ، وهي مايتوكأ عليه الخطيب ويشير به من

عصا ونحوها . ل : « يتخصر » وهي صحيحة أيضاً . جاء في الحديث : « فإذا

أسلموا فأسلمهم قضيبهم الثلاثة التي إذا تخصروا بها سجد لهم » .

(٥) انظر حواشي البيان (٣ : ٦٢) .

(٦) هو النجاشي الشاعر ، كما في خزانة الأدب (٤ : ٥٦٤ بولاق) والعقد (٤ : ١٢) .

(٧) ط والعقد : « نبت نبات » ط . ل « نبت نبات » تحريف ما أثبت

من س والخزانة وكتاب سيبويه (٢ : ١٥٢) . والخيزراني : لغة في الخيزران ،

وهو الطرى الناعم من النبات . حديثاً : أي نباتاً حديثاً . يقول : لسم ذوى حسب

قديم ، يهجوهم بذلك . والنجاشي صاحب الشعر قحطاني من بني الحارث بن كعب المذحجي

يهجو بهذا الشعر بني صعصعة بن معاوية العدنانيين . وقبل البيت :

يا راكبا إما عرضت فبلغن بني عامر منى وأبناء صعصع

« ينفع » هي في ط : « ينفعا » . وهي رواية سيبويه استشهد بها على إلحاق

نون التوكيد الخفيفة بينفعا مع أنها جواب شرط ، وليس ذلك من مواضع دخولها .

(٨) س : « وقال آخر » ل : « وقال الآخر » .

(٩) ط ، س : « فصار » ل « قصاد » يقول : ليس لهم هم إلا في رعاية صديقهم وإكرامه .

والوطاب : سقاء اللبن . والضباب ، بالكسر : جمع ضب . الموشى : الذى استخرج

من جحره برفق . ط ، ل : « موفى » ، والأشبه ما أثبت من س .

(عين الرضا وعين السخط)

وقال المسيب بن علس :

تامت فؤادك إذ عرّضت لها حَسَنُ برأى العين ما تَمَقُّ (١)

وقال ابن أبي ربيعة :

* حَسَنُ في كلِّ عَيْنٍ من تودُّ (٢) *

وقال عبد الله بن معاوية (٣) :

وعَيْنُ الرُّضَا عن كلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِّي الْمَسَاوِيَا

وقال رَوْحُ أَبُو هَمَّامٍ (٤) :

وعَيْنُ السُّخْطِ تَبْصِرُ كلَّ عَيْبٍ وَعَيْنُ أَخِي الرُّضَا عن ذَاكَ تَعْمَى (٥)

(١) تامت الفؤاد : استعبده . ط ، س : « قادت » . ومق يمق : أحب .

(٢) صدر هذا البيت كما في الديوان ٧٦ :

* فتضاحكن وقد قلن لها *

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولد في خلافة معاوية، ومعاوية

هو الذي سماه . وقد خرج عبد الله في أيام يزيد بن الوليد ، وقصد إلى خراسان

وكان قد ظهر بها أبو مسلم فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده ثم قتله . وكان شاعراً

مجيداً ، أكثر البحترى من الاختيار له في حماسه . والبيت الآتي من أبيات قالها في الحسين

ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، وكان الحسين وعبد الله يتهمان بالزندقة ،

فقال الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما ما تهاجرا من أجله . انظر

الأغاني (١١ : ٧٢) وثمار القلوب ٢٦١ وسرفح العيون (٢ : ١١٣) .

(٤) اسمه روح بن عبد الأعلى ، وكنيته أبو همام ، ذكره ابن النديم في الفهرست ١٦٤ ليبسك

٢٣٤ مصر . وديوانه خمسون ورقة . ط ، س : « بن همام » وهو على

الصواب في ل . وانظر تزيين الأسواق ص ١٤ .

(٥) ل : « تظهر كل عيب » .

(شعر وخبر)

وقال الفرزدق :

أَلَا خَبَّرُونِي أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا سَأَلْتُ وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْعِلْمِ يَعْزَمُ^(١)
سؤالَ امرئٍ لم يُغْفَلِ الْعِلْمَ صَدْرُهُ

وما السائل الواعي الأحاديث كالعمي^(٢)

وقيل لِدَغْفَلٍ^(٣) : أَنَّى لَكَ هَذَا الْعِلْمُ ؟ قَالَ : لِسَانُ سَثُولٍ ،

وقلبُ عقول^(٤)

وقال النابغة :

قَلْبَ مُضِلُّوهُ بَعِينَ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ^(٥)

(١) ط ، س : « ومن يسأل من الناس يعلم » ، وأثبت رواية ل والديوان ٧٥٩ .
وصدره في الديوان : « ألا يا اخبروني » .

(٢) ط ، س : « لم يعقل » ، تحريف ما أثبت من ل والديوان . وفي الديوان :
« وما العالم الواعي » . والسؤال الذي شاه الفرزدق في بيت بعد
هذا . وهو :

ألا هل علمتم ميتا قبل غالب قرى مائة ضيفاً ولم يتكلم

غالب : أبو الفرزدق . مائة ضيفاً : أى مائة ضيف .

(٣) هو دغفل بن حنظلة النسابة الذى سبق ذكره فى ص ٢٠٩ . أدرك النبى ولم يسمع
منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابه ، وكان منها هذا السؤال .
انظر أمثال الميداني (٢ : ٢٧٣) ط ، س : « لرجل » . على أن الجاحظ
فى البيان (١ : ٨٤) قد نسب القول إلى عبد الله بن عباس ، وعقب على ذلك
بقوله : « وقد رووا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة . وعبد الله أولى به » .
قلت : ونسبته إلى دغفل مذكورة فى عيون الأخبار (٢ : ١١٨) .

(٤) سثول : كثير السؤال . عقول ، شديد الفهم أو الحفظ .

(٥) بعين جلية : أى بخبير صادق وأنه مات . والجولان : موضع بالشام دفن فيه النعمان
ابن الحارث بن أبي شمر الغساني . غودر الحزم والنائل : أى دفن بدفن النعمان
الحزم والمطاء .

مُضِلُّوهُ : دافنوه ، على حدِّ قوله تعالى (١) : ﴿ أَوْذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾
وقال المخبِّل :

أَضَلَّتْ بَنُو قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عَمِيدَهَا وَفَارَسَهَا فِي الدَّهْرِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
وقال زهيرٌ - أو غيره - في سِنَانِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ :
إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا مَا تَبْتَغِي غَطْفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتِ
ولذلك زعم [بعضُ النَّاسِ] أَنَّ سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ خَرِفَ
فَذَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ يُوجَدِ .

(من هام على وجهه فلم يوجد)

ويزعمون أن ثلاثة نفرٍ هاموا على وجوههم فلم يُوجَدُوا : طالب بن
أبي طالب ، وسنان بن أبي حارثة (٢) ، ومرداس بن أبي عامر .
وقال جرير :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي أَخِي أَنْ أَرَى لَهُ عَلِيًّا مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي لَا يَرَى لِيَا
وقال امرؤ القيس : ١٥٤

وَهَلْ يَعْصَمُنْ إِلَّا خَلِيٌّ مَنْعَمٌ قَلِيلُ الْهَمُومِ مَا بَيْتُ بَأُوجَالِ (٣)
وقال الأصمعي . هو كقولهم : « استراحَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ! » .
وقال ابن أبي ربيعة (٤) :

(١) ل : « على قوله » .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٢٠٩) والأغاني (٩ : ١٤٤) .

(٣) ل : « وهل يعصمن » . والأوجال : المخاوف .

(٤) انظر البيان (٣ : ٣١٨) .

واعجبنا من عيشها ظلُّ غرفةٍ ورِيانٌ مُلتفُّ الحدايقِ أخضرٌ
ووالٍ كفاها كلُّ شيءٍ يهْمها فليست لشيءٍ آخرَ الليلِ تسهرٌ (١)

باب

في مدح الصالحين والفقهاء

قال ابن الخياط (٢) ، يمدح مالك بن أنس :

يأبى الجوابَ فما يُرَاجعُ هَيْبَةً والسائلونَ نَوَاكيسُ الأذقانِ
هدى التقيَّ وعزُّ سلطانِ التقيِّ فهو المطاعُ وليس ذا سُلطانِ (٣)

وقال ابن الخياط (٢) في بعضهم :

فتى لم يجالس مالكا منذ أن نشأ ولم يقتبس من علمه فهو جاهلٌ
وقال آخر :

فأنت بالليل ذئبٌ لا حرِيمَ له وبالنهائِ على سمْتِ ابنِ سيرينِ (٤)
وقال الخليل بن أحمد وذكروا (٥) عنده الحظُّ والجِدُّ ، فقال : أمَّا الجِدُّ

(١) ط ، س : « الدهر » ، صوابه من ل والديوان والخزانة (٢ : ٤٢١ بولاق) .

(٢) اسمه عبد الله بن سالم المكي ، كما في زهر الآداب (١ : ٦٩) . ط ، س :

« أنس بن الخياط » . وفي الكامل ٤٠٩ لبسك : « ابن الخياط المدني » .

فلعله مكي مدني . والبيهان يرويان أيضاً لعبد الله بن المبارك ، في العقد (١ :

٢٦٨) وزهر الآداب في رواية . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .

(٣) قال المبرد : « أراد : له هدى التقي » . وفي محاسن البيهقي (٣ : ١٢١) :

« هذا التقي » . وانظر للبيت السابق الاستدراكات .

(٤) السمْت : الطريق وهيته أهل الخير . وأراد أن يقول ، « على ورع ابن سيرين »

فلم يستقم له . هذا ما رأى الثعالبي في ثمار القلوب ٧٠ . وانظر البيان (٣ : ١٧٣) .

(٥) س : « وذكر » . ط : « وكان » ، وهذه تحريف عجيب .

فلا أقول فيه شيئاً ، وأما الحظُّ فأخزى الله الحظَّ ؛ فإنه يبئد الطالب إذا
اتَّكل عليه ويبعد^(١) المطلوب إليه من مذمة الطالب .

وقال ابن شبرمة^(٢) :

لو شئت كنت ككركز في تعبده أو كابن طارق حول البيت والحرم
قد حال دون لذيد العيش خوفهما وسارعاً في طلاب العزِّ والكرم^(٣)

وقال آخر^(٤) يرثي الأصمعيّ :

لا درّ درّ خطوب الدهر إذ فجعت^(٥) بالأصمعيّ لقد أبقت لنا أسفاً
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الدهر منه ولا من علمه خلفاً

وقال الحسن بن هاني ، في مرثية خلف الأحمر :

١٥٥ لو كان حيّ واثلاً من التلّف لوألت شغواء في أعلى الشعف^(٦)
أم فريخ أحرزته في لجف^(٧) مزغب الألفاد لم يأكل بكف^(٨)

(١) ط ، س : « ويبعد » .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان القاضي ، كان قاضياً لابي جعفر المنصور على سواد الكوفة
وكان شاعراً ، حسن الخلق ، جواداً ، ولد سنة ٧٢ وتوفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) ل : « في طلاب الفوز » .

(٤) هو أبو العالية الحسن بن مالك الشامي ، كما في وفيات الأعيان (١ : ٢٩٠)
وتاريخ بغداد ٥٥٧٦ .

(٥) ط : « إذا فجعت » ، تحريف .

(٦) ط : « لو كان حيّ » صوابه في ل ، س . وألت : نجت . ط ، س :
« لوألت » وهي صحيحة بمعنى الأولى . والشغواء : العقاب ، سميت بذلك لتعفف
منتقارها . ط ، س : « شعواء » ، صوابها في ل . والشعف : جمع شعفة
بالتحريك ، وهي رأس الجبل . ط « في ذرى الشعف » .

(٧) يقول : لها فريخ حفظته في صخرة مشرفة على غار . كلمة « في » ساقطة من ل .

(٨) الألفاد : جمع لغد ، وهو هنا ظاهر لحم الخلق . ط : « الأكفاو » ل ،
س : « الألفاد » ، وصوابه ما أثبت موافقاً لما في ديوان أبي نواس ١٣٢ .

هازيك أم عصماء في أعلى الشرف^(١)

تظلُّ في الطَّبَّاقِ والنَّزْعِ الألف^(٢)

أودى جماعُ العلمِ مذُ أودى خلفَ قلَيْدَمٍ من العيالمِ الحُسْفِ^(٣)
وقال يرثيه في كلمةٍ [له]^(٤) :

بتُّ أعزِّي الفؤادَ عن خلفِ وباتَ دمعِي إلا يفيضُ بِكفِ^(٥)

أنسى الرزايا مَيِّتٌ فجعتُ به أضحَى رهينا للتربِ في جَدَفِ^(٦)

كان يسئى برفقه غلقُ السأفهامِ في لاخرقِ ولا عُنْفِ^(٧)

يجوبُ عنك التي عَشِيَتْ لها حَيْرَانٌ ، حتَّى يشفيك في لُطْفِ^(٨)

(١) العصماء من الوعول : ما في ذراعيها أو إحداهما بياض وساؤها أسود أو أحمر .
والشرف : المكان المرتفع .

(٢) الطَّبَّاق ، كرمان : شجر ينبت في جبال مكة . والنزع : نبت . س : « والمنزع » ل :
« والنذع » محرفتان . والألف : الملتف . ل : « الأقف » تحريف .

(٣) القليدَم : البئر الغزيرة الكثيرة المساء . ط : « قلندم » س : « فلتدم »
صوابه في ل والديوان . والعيالم : جمع عيلم ، وهي البئر الواسعة الكثيرة الماء
عنى أنه غزير العلم . وفي الديوان ومحاضرات الراغب (١ : ٤٩ ، ٢ : ٢٣٦) :
« العيالم » . والحسف : جمع خسيقة ، وهي البئر حفرت في حجارة ، فنبت
بماء غزير لا ينقطع .

(٤) رثاه بها قبل موته ، وكان خلف أستاذه ، فعرضها عليه فاستجودها . وأنشدها أبا عبيدة
فقال : ما أحسنها ! وطوبى لمن يرفى بمثلها ! فقال : مت راشداً وعلى أن أرتيك
بخير منها .

(٥) وكف الدمع : قطر . ط ، س : « أن لا يفيض » ، صوابه في ل والديوان .

(٦) الجدف : الجذث ، وهو القبر . ل : « رهين للتراب » .

(٧) يسئى : يفتح . والغلق : ما يغلق به الباب . ط : « كما ينسى برفقه خلق »
كما البيت محرف بالديوان .

(٨) يجوب : من جاب الرجل المفازة : قطعها . عشى : لم يبصر . ل والديوان : « من
قبل » موضع « حيران » .

لا يهيمُ الحاءُ في القراءة بالخاء ء ولا لامها مع الألف (١)
 ولا مضلاً سُبُلَ الكلامِ ولا يكونُ إسناده عن الصُّحُفِ (٢)
 وكانَ ممنَ مضى لنا خلفاً فليسَ إذْ ماتَ عنهُ منَ خلفِ (٣)
 وقالَ آخرُ في ابنِ شبرُمة (٤) .
 إذا سألَتَ النَّاسَ أينَ المَكْرَمَةُ والعزُّ والجُرْثُومَةُ المُقَدِّمَةُ (٥)
 وأينَ فاروقُ الأُمُورِ المحْكَمَةُ (٦) تتابعَ النَّاسُ على ابنِ شبرُمة

(شعر مختار)

وقال ابن عرفطة :

لِيَهْنِكَ بُغْضُ لِلصِّدِّيقِ وَظِنَّةُ وَتَحْدِيثُكَ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ كَاذِبُهُ (٧)
 [وَأَنْتَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ بَلَاكٌ ، وَمِثْلُ الشَّرِّ يَكْرَهُ جَانِبُهُ]
 وَإِنَّكَ مَهْدَاءُ الْخَنَاءِ نَطْفِ النَّشَاءِ شَدِيدِ السَّبَابِ رَافِعِ الصَّوْتِ غَالِبُهُ (٨)

(١) كذا، في ط ، س ، والديوان ، وأخبار أبي نواس ٢٧ : « يهيم » من الوهم ،
 وفي ل : « يهيم » .

(٢) كانوا يقولون : « لا تأخذوا العلم من صحفى » . ط ، س : « على الصحف »
 ورواية الديوان وأخبار أبي نواس :

ولا يعنى معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف

(٣) ط ، س : « وكان فيما مضى لنا خلف » ، وصوابه في ل والديوان والأخبار .

(٤) سبقت ترجمته في التنبيه الثاني من ص ٤٩٢ .

(٥) الجرثومة : الأصل .

(٦) الفاروق : الذى يفرق ويفصل .

(٧) ل : « ليهنك بغض في الصديق » . وانظر القول في الشعر وشرحه ص

١٠٢ - ١٠٣ .

(٨) ط ، س : « وأنت مهدى الخنا نطف الحشا » ، تحريف صوابه في ل :

وانظر ١٠٣ .

وقال النابغة الجعدي :

أبى لي البلاء وأنى امرؤ إذا ما تبينت لم أرتب

وليس يريد أنه في حال تبينه^(١) غير مُرتاب ، وإنما يعنى أن بصيرته لا تتغير .

وقال ابن الجهم ، ذات يوم : أنا لا أشك^(٢) ! قال له المكي : وأنا

لا أكاد أوقن !

وقال طرفة :

وكرى إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضى في الطخية المتورد^(٣)

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الحياء الممدد^(٤)

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى في البطالة مفسد ١٥٦

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد^(٥)

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى

بعيدا غدا ، ما أقرب اليوم من غد

(١) ط ، س : « بيانه » ، تحريف ما في ل .

(٢) ل : « أنا أكاد أشك » .

(٣) المضاف : الذي أضافته الهموم . والمحنب : فرس محدودب الذراع قليلا . س :

« مجنبا » تحريف . والسيد : الذئب . والغضى : شجر . والطخية : الظلمة .

والمتورد : الذي يطلب أن يرد الماء . ل : « كسيد الغضا نهته » .

(٤) البهكنة : المرأة التامة الخلق . ط ، س : « ببهكنة » ، محرف . ل :

« الحياء المعمد » أى ذى العمد .

(٥) الطول : الحبل . وثنياه : طرفاه . س : « لكالطول المرجى » تحريف .

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند (١)
وفى كثرة الأيدي عن الظلم زاجرٌ إذا خطرت أيدي الرجال بمشهد (٢)

باب

القول فى الجملان والخنافس (٣)

وسنقول فى هذه (٤) المحقرات من حشرات الأرض ، وفى المذكور من
بغاث الطير وخشاشه ، مما يقتات العذرة ويوصف باللوم (٥) ، ويتقرز من
لمسه (٦) وأكل لحمه ؛ كالخنفساء والجعل ، والهداهد (٧) والرخم ؛ فإن هذه
الأجناس أطلب للعذرة من الخنازير .
فأول ما نذكر من أعاجيبها صداقة ما بين الخنفس والعقارب ،
وصداقة ما بين الحيات والوزغ .
وتزعم (٨) الأعراب أن بين ذكورة الخنفس وإناث الجملان تسافداً (٩)
وأنهما ينتجان خلقاً ينزع إليهما جميعاً .

(١) قيل إن هذا البيت لعدي بن زيد وليس لطرفة . التبريزى .

(٢) لم يروه التبريزى ولا الزوزنى . ووجدته فى محاضرات للراغب (١ : ١٣٣)

وحامسة البحترى ١٥٤ منسوبة إلى عدى بن زيد العبادى . ط ، س :

« على الظلم » . خطرت : تحركت واهتزت . ط ، س : « حضرت »

وليس بشيء . والمشهد : محضر الناس .

(٣) ل : « القول فى المحقرات من حشرات الأرض » .

(٤) ط ، س : « باب » .

(٥) ط : « يقتات » و « يوصف » .

(٦) ط ، س : « يتقدر بلمسه » .

(٧) الهداهد-بالفتح : جمع هدهد . وبالضم : لغة فى الهدهد . ل : « الهدهد » .

(٨) ط ، س : « وزعم » .

(٩) ط ، س : « وذكورة الجملان تسافداً » ، وصوابه فى ل .

وَأَنشُدْ خُشْنَامُ^(١) الْأَعْوَرِ [النَّحْوِيُّ] عَنْ سَيِّدِيهِ النَّحْوِيِّ ، عَنْ بَعْضِ

الْأَعْرَابِ فِي هِجَائِهِ عَدُوًّا لَهُ كَانَ شَدِيدَ السَّوَادِ :

عَادَيْتَنَا يَا خُنْفَسَا كَامَ جَعَلُ^(٢) عِدَاوَةَ الْأَوْعَالِ حَيَاتِ الْجَبَلِ

مِنْ كُلِّ عَوْدٍ مُرْهَفِ النَّابِ عُتْلُ^(٣) يَخْرِقُ إِنْ مَسَّ وَإِنْ شَمَّ قَتَلَ^(٤)

وَيُثَبِّتُ أَكَلَ الْأَوْعَالِ لِلْحَيَّاتِ الشَّعْرُ الْمَشْهُورِ ، الَّذِي فِي أَيْدِي

أَصْحَابِنَا ، وَهُوَ :

عَلَّ زَيْسِدًا أَنْ يُلَاقِيَ مَرَّةً فِي التَّمَاسِ بَعْضَ حَيَّاتِ الْجَبَلِ^(٥)

غَايِرَ الْعَيْنِينَ مَفْطُوحِ الْقَفَا لَيْسَ مِنْ حَيَّاتِ حُجْرٍ وَالْقَلَلِ^(٦)

يَتَوَارَى فِي صُدُوعٍ مَرَّةً رَيْدُ الْخَطْفَةِ كَالْقِدْحِ الْمُؤَلِّ^(٧)

وَتَرَى السَّمَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ كَشِعَاعِ الشَّمْسِ لَاحَتْ فِي طَفَلِ^(٨)

طَرْدِ الْأَرْوَى فَمَا تَقَرَّبُهُ وَكَفَى الْحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ

(١) ط ، س : « حَسَام » .

(٢) كَامَهَا : سَفَدَهَا . ط ، س : « أَمِ الْجَمَلِ » بِحَرْفِ .

(٣) الْعَوْدُ ، بِالْفَتْحِ ، أَصْلُهُ الْمَسْنُ مِنَ الْجِبَالِ . وَالْعُتْلُ : الشَّدِيدُ . وَعَنَى بِهِ الْحَيَّةَ .

(٤) مِثْلُهُ قَوْلُ يَحْيَى بْنِ أَبِي حَفْصَةَ فِي الْحَيَّةِ — وَالْحَيَّةُ تَذَكُرُ وَتَوَثُّ فَتَقُولُ : هِيَ الْحَيَّةُ ،

وَهُوَ الْحَيَّةُ — :

أَصَمَ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءِ أَبِيسَهَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْ هَاهُ فَانصَدَعَا

وَانظُرِ الْخِيَوَانَ (٢ : ١٣٧ — ١٣٨) . ل : « يَحْرِقُ » بِالْحَاءِ .

(٥) ط ، س : « فِي التَّمَاسِي » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٦) مَفْطُوحٌ : عَرِيضٌ . ط ، س : « مَقْطُوعٌ » تَحْرِيفٌ . ل : « وَالْقَلَلِ » .

(٧) الرَّيْدُ : السَّرِيعُ . ل : « وَتَرَى » ط ، س : « وَبَدَى » ، وَالْوَجْهَ فِيهِمَا

مَا أَثَبَّتَ . وَالْقِدْحُ أَرَادَ بِهِ السَّهْمَ . وَالْمُؤَلُّ : أَصْلُهُ الْمُؤَلُّ ، وَهُوَ الْمُحَدَّدُ .

(٨) ط : « وَتَرَى السَّهْمَ » ، صَوَابُهُ فِي ل ، س . وَالطَّفَلُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْغُرُوبُ .

ولأنما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبال من أصناف
الوحش ، لأن الأروى من بينها تأكل الحيات ؛ للعداوة التي بينها
وبين الحيات .

(استطراد لغوى)

١٥٧ والأروى : إناث الأوعال ، واحدها أروية . والناسُ يُسمون بناتهم
باسم الجماعة ، ولا يسمون البنت الواحدة باسم الواحدة منها : لا يسمون
بأروية ، ويسمون بأروى . وقال شماخ بن ضرار :

فا أروى وإن كرمت علينا بأدنى من موقفة حرون^(١)

وأنشده^(٢) أبو زيد في جماعة الأورية :

فالك من أروى ، تعاديت بالعمى ولا قيت كلاباً مطلاً ورأماً^(٣)

يقال : تعادى القوم وتفاقدوا : إذا مات بعضهم على إثر بعض .

وقالت في ذلك ضباعة بنت قرط^(٤) ، في مرثية زوجها هشام

ابن المغيرة :

(١) الموقفة : الأروية التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلل .
والحرون : التي لا تبرح أهل الجبل . يقول : ليست هذه المرأة بأقرب منلا من
هذه الأروية الصعبة المنال .

(٢) ط ، س : « وقال » ، وصوابه في ل .

(٣) ل : « تداعيت » تحريف يخالف السياق . والبيت في اللسان (عدا) . والكلاب :
الصائد بالكلاب . والمطل : من قولهم أطل فلان على فلان بالأذى ، إذا دام على
إيدائه . س : « مظلا » .

(٤) هي ضباعة بنت عامر بن قرط ، كان تزوجها عبد الله بن جدعان في الجاهلية ،
ثم طلقها وتزوجها هشام بن المغيرة ، فلما مات أسلمت وهاجرت ، وخطبها
الرسول ثم بدا له فتركها . انظر الإصابة . ٦٧٠ قسم النساء .

إِنَّ أبا عَمَّانَ لَمْ أَنْسَهُ وَإِنَّ صَمْتاً عَنْ بُكَاهُ لَحُوبٍ (١)
تَفَاقَدُوا مِنْ مَعْشَرٍ مَا لَهُمْ أَى ذَنْوبٍ صَوَّبُوا فِي الْقَلِيبِ (٢)

(طلب الحيات البيض)

وأما قوله :

• وَنَفَى الْحَيَّاتِ عَنِ بَيْضِ الْحَجَلِ •
فإن الحيات تطلبُ ببيض كل طائر وفراخه . ويبض كل طائر مما
يبض على الأرض أحب إليها . فما (٣) أعرفُ لذلك علة إلا سهولة المطلب .
والأبائل تأكل الحيات ، والخنزيرُ تأكل الحيات وتعادها .

(عداوة الحمام للغراب)

وزعم صاحبُ المنطق أن بين الحمام والغراب عداوة . وأنشدني بعضُ
النحويين (٤) :

عَادَيْتَنَا لَا زِلْتَ فِي تَبَابِ عَدَاوَةِ الْحَمَامِ لِلْغُرَابِ

(١) ط : « صمتي » ، وأثبت ما في ل ، س والعمدة (١ : ١٨٨) . والحوب ،
بالضم : الإثم . وفي الكتاب : « إنه كان حوبا كبيرا » . ل :
« لجوب » تحريف .

(٢) الذنوب ، بالفتح : الدلو العظيمة . والقليب : البئر . إن أطلق الروي بالتحريك كان
في الشعر إقواء ، وإن قيد بالإسكان امتنع الإقواء .

(٣) ل : « ولا » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأنشدني » . وانظر ما سبق في ص ٤٥٨ .

وأشداً ابنُ أبي كريمةَ لبغضِ الشعراءِ في صريعِ الغواني :
فا رِيحُ السَّدَابِ أَشَدُّ بُغْضاً إِلَى الحَيَاتِ مِنْكَ إِلَى الغَوَانِي (١)

(أمثال)

ويقال : « أَلَجٌ مِنَ الخِنْفَسَاءِ » ، و « أَفْحَشٌ مِنْ فاسية » ، وهى الخِنْفَسَاءُ
و « أَفْحَشٌ مِنْ فالية الأفاعى » (٢) .

والفساء يُوصف به ضربانٍ مِنَ الخَلْقِ : الخِنْفَسَاءُ ، وَالظَّرِبَانِ .

وفى لجاج الخِنْفَسَاءِ يَقُولُ خَلْفُ الأَحْمَرِ (٣) :

لَنَا صَاحِبٌ مُوَلِّعٌ بِالخِلَافِ كَثِيرُ الخِطَاءِ قَلِيلُ الصَّوَابِ (٤)
أَلَجٌ لِحَاجِئِ الخِنْفَسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَامَشَى مِنْ غَرَابِ (٥)

(طول ذمّاه الخِنْفَسَاءِ)

وقال الرقاشى : ذكرت صبر الخنزير على نفوذ السهام فى جنبه (٦) ،

فقال لى أعرابى : الخِنْفَسَاءُ أَصْبَرُ مِنْهُ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ صَبِيئاً مِنْ صَبِيانِكُمُ البَارِحَةَ

(١) ط ، س : « منه إلى الغواني » ، وأثبت ما فى ل . وانظر ص ٤٥٩ .

(٢) فالية الأفاعى : ضرب من الخنافس رقط تألف الحيات والمقارب فى جحرة الضب .

(٣) يهجو العتبي ، كفا فى الديرى . ولعتبي ترجمة فى (١٠٣ - ٥٤) . وفى مجمع

الأدباء (١٦ : ١٦١) أنهما فى هجاء أى العينا . وبعدهما هناك بيتان آخران .

(٤) الخطاء : الخطأ .

(٥) أعاد إنشاده فى (٦ : ٤٦٩) .

(٦) ل : « جنبه »

وأخذ شوكة وجعل في رأسها فتيلةً ، ثم أوقد فيها ناراً^(١) ، ثم غرزها في ظهر
الخنفساء ، حتى أنفذ^(٢) الشوكة . فغبرنا ليلتنا^(٣) وإنها لتجول في الدارِ
وتصبح^(٤) لنا . و [الله] إني لأظنها كانت مُقرباً^(٥) ؛ لانتفاخ بطنها
١٥٨

(استطراد لغوى)

قال : وقال القناني^(٦) : العواساء : الحامل من الخنافس ، وأنشد :

• بَكَرًا عَوَاسَاءُ تَفَاسًا مُقْرِبًا^(٧) •

(١) ط ، س : « أوقدها ناراً » .

(٢) س : « أبعد » .

(٣) غير : مكث . ط ، س : « فغبرنا » ، ووجهه من ل .

(٤) تصبح : قضى . وانظر ماسياً في ص ٥٠٨ .

(٥) المقرب : الحامل التي دنا ولادها .

(٦) القناني هذا هو أستاذ الفراء ، كافي معجم البلدان (قنان) . وله ذكر في اللسان

(نبل ١٦٣) ، وهو بفتح القاف بعدها نون مفتوحة . ط ، س : « اللتاني » وهو كلثوم

ابن عمرو العتابي المترجم في (٢ : ٢٩٦) ، وصوابه ما أثبت من ل ؛ لمطابقته لما في

المخصص (٢ : ١٨) والمقصود ٧٨ والغريب المصنف ١٥٧ ؛ ٢٤٤ في كل منها :

« وأنشد القناني » .

(٧) العواساء ، بالفتح : الحامل من الخنافس . تفاسا : أصلها تفتاساً ، أي تخرج ظهرها .

وروى : « تفاسي » أصلها تفتاسي ، كما في اللسان (هوس ، فسي) والمقصود

لابن ولاد ، أي تخرج منها . وروى : « تبازي » أصلها تتبازي ، كما في المخصص ،

أي تخرج عجيزتها . ط : « قاماسا » س : « نفاسا » ، صوابها في ل .

(أعاجيب الجمل)

قال : ومن أعاجيب الجمل ^(١) أنه يموت من ريح الورد ، ويعيش إذا أعيد إلى الروث . ويضرب بشدة سواد لونه المثل . قال الراجز وهو يعصف أسوداً سالخاً ^(٢) :

مَهَرَّتِ الْأَشْدَاقُ عَوْدَ قَدِ كَمَلٍ ^(٣) كَأَنَّمَا قُصَّ مِنْ لَيْطٍ جُعَلٍ ^(٤)
وَالْجُعَلُ يَظَلُّ دَهْرًا لَا جَنَاحَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْبِتُ لَهُ جَنَاحَانِ ، كَالنَّمْلِ الَّذِي يَغْبُرُ
دَهْرًا لَا جَنَاحَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْبِتُ لَهُ جَنَاحَانِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ هَلَكَةِ ^(٥) .

(الدعاميص)

والدعاميص ^(٦) قد تغبر حيناً بلا أجنحة ، ثم تصير فراشاً وبعضاً .
وليس كذلك الجراد والذبان ؛ لأن أجنحتها تنبت على مقدار من العمر ومرور
من الأيام ^(٧) .

(١) ط ، س : « ومن أول أعاجيب الجمل » .

(٢) الأسود : الحية العظيمة . والسالخ : الذي يسليخ جلده ، وذلك يكون في كل عام .

(٣) مهرت الأشداق : واسعها . ط ، س : « مهرت الشدين » ، وهي رواية

البيان (٣ : ٢٢٥) .

(٤) قص : ألبس قيصاً . والليط ، بالكسر : قشر الجمل . ط ، س : « قصص »

صوابه في ل والبيان .

(٥) ل : « علامة هلكته » . و « زمانا » مكان « دهرأ » المتقدمة . والكلام من

« كالنمل » إلى « جناحان » ساقط من س .

(٦) الدعموص : خلق يكون في الماء ثم يستحيل بعضاً وفراشاً .

(٧) كلمة « من » ساقطة من ل .

وزعم ثمامة ، عن يحيى بن خالد : أن البرغوث^(١) قد يستحيلُ بعوضة .

(عادة الجمل)

والجمل يحرسُ النيام ، فكلما قام منهم قائمٌ فضى لحاجته تبعه ، طمعاً في أنه إنما يريد الغائط . وأنشد بعضهم قول الشاعر^(٢) :

بيتُ في مجلس الأقوامِ يرَبُّوهم كأنه شرطىُّ باتَ في حَرَسِ^(٣)
وأنشد بعضهم^(٤) لبعض الأعراب في هجائه رجلاً بالفسولة ، وبكثرة الأكل ، وبعظم حَجْمِ النجو :

حتى إذا أضحى تدرى واكتحل^(٥)

لجارتيه ثم ولى فنثل^(٦)

• رِزْقَ الْأَنْوَقِينَ الْقَرَنِيَّ وَالْجَمَلَ^(٧) •

(١) ل : « أنه زعم أن البرغوث » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأنشد لبعضهم » .

(٣) يرَبُّوهم : يرقبهم ، أو يكون لهم ربيبة أى عينا . ط ، س : « في منزل » ، وأكثت ما في ل وما سبق في (١ : ٢٣٦) .

(٤) ط ، س : « وأنشدوا » .

(٥) تدرى : سرح شعره . ط : « تلهى » ، صوابه في ل ، س . وفي ط : « ثم إذا أضحى » . وسبق الرجز في (١ : ٢٣٥) .

(٦) نثل : أصله للفرس ، يقال نثل : راث . وفي الأصل : « نثل » ، وتصحيحه من الجزء الأول .

(٧) ل : « روق » ، صوابه في ط ، س . وقد سبق في الجزء الأول : « ذرق » وما هنا صوابه .

سُمِّي الْقَرْنَبِيُّ وَالْجَمَلُ - إِذْ كَانَا يَقْتَاتَانِ الزُّبْلَ - أَنْوَقِينَ^(١) . وَالْأَنْوَقُ :
الرُّخْمَةُ ، وَهِيَ [أَحَدُ مَا] يَقْتَاتُ^(٢) الْعَدْرَةَ . وَقَالَ الْأَعْشَى :

يَارِخْمًا ، قَاظَ عَلَى يَنْخُوبٍ^(٣) يُعْجِلُ كَفَّ الْخَارِيَّ الْمُطِيبِ

المطيب : الذي يستطيب^(٤) بالحجارة ، أَيْ يَتَمَسَّحُ^(٥) بِهَا . وَهَمْ يَسْمُونُ
بِالْأَنْوَقِ كُلِّ شَيْءٍ يَقْتَاتُ النَّجْوُ وَالزُّبْلُ ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ عَلَى التَّشْبِيهِ لَهَا بِالرُّخْمِ
فِي هَذَا الْمَعْنَى [وَحْدَهُ] . وَقَالَ آخَرُ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُجِيُّ نَبِّحِ الْقَبْلَ^(٦) يَذْهَبُ عَلَى كَلِمَا قَامَ يُصَلُّ

رَافِعَ كَفِّهِ كَمَا يَفْرَى الْجَمَلَ^(٧) وَقَدْ مَلَأَتْ بَطْنَهُ حَتَّى أَتَلَ

* غِيظًا فَامَسَى ضَعْفُهُ قَدْ اعْتَدَلَ *

وَالْقَبْلُ : مَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ مِنَ الْجَبَلِ . وَقَوْلُهُ أَتَلَ ؛ أَيْ امْتَلَأَ [عَلَيْكَ] غِيظًا

فَقَصَّرَ فِي مِشِيَّتِهِ . وَقَالَ الْجَعْدِيُّ :

مَنَعَ الْعَدْرَ فَلَمْ أَهْمَمْ بِهِ وَأَخَوُ الْعَدْرَ إِذَا هَمَّ فَعَلَّ

خَشِيَةَ اللَّهِ وَأَثَى رَجُلًا إِنَّمَا ذَكَرَى كَنَارَ بَقْبَلٍ^(٨)

١٥٩

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) كذا في ل . وفي س : « وهي ما يقتات » ط : « وهي تقتات » .

(٣) قاظ بالمكان : أقام به صيفا . وينخوب : موضع ، ذكره ياقوت ، وأنشد
للبيهقي . والرواية المعروفة : « مطلوب » كما في اللسان (طيب ، قاظ) والدميري
وأمثال الميداني (٢ : ٢٥٠) ، وهو اسم جبل . ط ، س : « منجوب »
تحرير ما في ل .

(٤) ط ، س : « يتطيب » ، صوابه في ل .

(٥) ط : « يتطيب » ، ولست صحيحة . س : « يمسح » ، وأثبت ما في ل .

(٦) القبل : الجبل يستقبلك . أي كمن ينبح الجبل . ط ، س : « المناحى نهج »
صوابه في ل ، واللسان (قبل) ونوادير أبي زيد ٤٩ .

(٧) يفرى ، بالفاء : يصنع . ط ، س : « يفرى » صوابه في ل والنوادير .

(٨) ل : « نار بقبل » ، أراد أنه معروف مشهور .

وقال الرَّاجز - وهو يهجو بعضهم بالفُسولة ، وبكثرة الأكل ، وعِظْم^(١)
حجْم النَّجْو - :

• باتَ يعشَى وَحَدَه أَلَى جُعَل^(٢) •

وقال عنبرة :

إذا لاقيتَ جمعَ بني أبان فأئني لائمٌ للجعدِ لاجي
كسوتُ الجعدَ جعدَ بني أبان ردائي بعد عُرِيِّ واقتضاح^(٣)
ثم شبهه بالجعل فقال :

كَانَ مؤشَرَ العَضْدَيْنِ جَحَلًا هدوجا بينَ أقلبةٍ مِلاح^(٤)
تضمنَ نعمتي فغدا عليها بُكوراً أو تهجر في الرّواح
وقال الشماخ :

وإن يُلقِيَا شأواً بأرضٍ هَوَى له مُفَرَّضُ أطرافِ الذَّرَاعَيْنِ أَفْلَحُ^(٥)

(١) س : « وبعظم » .

(٢) قبله كما سبق في (١ : ٢٣٦) :

• إذا أتوه بطعام وأكل •

(٣) الرداء : هنا السيف ، وكان الرجل إذا قتل رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله . فن ذلك ماسى السيف رداء ، وفي ذلك يقول متمم :

لقد كفن المنهال نحت ردائه فنى غير مبطان العشيات ، أروعا

والرواية في ديوان عنبرة : « سلاحي » . وكان عنبرة أمار الجعد سلاحاً فأمسكه

الجعد ولم يرده إليه . ط : « بعد عراى واقتضاحى » . وصوابه في ل ، س
والديوان ٥٤ . والمراد : بعد عرى الجعد واقتضاحه .

(٤) مؤشر : مرفق . والجحل بتقديم الجيم : العظيم من الجعلان . ط ، س :

والديوان ، واللسان (أشر) : « حجلا » صوابه في ل واللسان (جحل ، قلب) والمخصص

(١٧ : ٣٥) . والهدوج : الذى يمشى رويداً في ضعف . ط ، س : « عروجا »

صوابه ما أثبت من جميع المصادر السابقة . والأقلبة : الآبار ، جمع قليب . ملاح :
جمع ملح : ذى ملوحة .

(٥) يلقيا : من الإلقاء . والضمير عائد إلى غير وأتانه . انظر ديوان الشماخ =

(استطراد لغوى)

والشأو هاهنا : الرُّوث ؛ كأنه كثر [ه] حتى الحقه بالشأو الذى يخرج من البئر ؛ كما يقول أحدهم إذا أراد أن يُنقى البئر : أخرج من تلك البئر شيئاً أو شيئاً ، يعنى من التراب الذى قد سقط فيها ، وهو شئ كهينة الزَّبِيل (١) الصَّغِير .

والشأو : الطَّلَق (٢) . والشأو : الفَوْتُ (٣) .

والمفروض الأفلج (٤) الذى عنى ، هو الجعل ؛ لأنَّ الجعلَ فى قوائمه مخزىز ، وفيها تفريج (٥) .

= (١٢ - ١٦) . ط ، س : « تلفيا » صوابه فى ل والديوان . والمفروض : المخزىز . س : « معرض » ط : « معرف » صوابه فى ل والديوان واللسان (فرض) . والأفلج : البهد ما بين القوائم . ط ، س : « أفلح » بالحاء ، وهو تحريف ما فى ل والديوان . والبيت من قصيدة جيمية مطلقاً :

ألا ناديا أظعان ليلي نرج فقد هجن شوقاً ليته لم يهيج

وفى البيت كما ترى إقواء ، إذ رويها الجيم المكسورة .

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الزنبيل » وهما صحیحتان ، يقال زبيل ،

وزبيل كسكين ، وزنبيل وزنبيل بكسر الزاى أو فتحها ، وهى القفة أو الجراب .

(٢) الطلق ، بالكسر وبالتحريك : الشوط ، تقول : عدا طلقاً أو طلقين .

(٣) الفوت ، بالفتح : السبق . شاء : سبقه . ط ، س : « الفوت »

صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « المعرض الأفلح » ، صوابه فى ل . وانظر أوائل الفرح من

هذه الصفحة .

(٥) ط ، س : « تفريج » ، تصحيحه من ل .

(معرفة في الجعل)

وللجعل جناحان لا يكادان يُرَيَانِ إِلَّا غند الطَّيران ؛ لشدة سوادهما ،
وشبههما بجلده ، ولشدة (١) تمكُّنهما في ظهره .

قال الشاعر ، حيثُ عدَّدَ الخوَّنةَ ، وحثَّ الأميرَ (٢) على محاسبتهم :

واشدُّ يدك يزيدُ إن ظفرتُ به

واشف الأراملَ من دُحروجة الجعلِ

والجعل لا يدحرج إلا جعراً (٣) يابساً ، أو بعة .

وقال سعد بن طريف (٤) ، يهجو بلالَ بنَ رباحَ مولى أبي بكر (٥) :

وذاك أسودُ نوبٍ له ذفرٌ كأنه جعلٌ يمشى بقيرواح (٦)

وسند كر شأنه وشأن بلالٍ في موضعه من هذا الكتاب إن شاء

الله تعالى .

(١) ط ، س : « وشدة » .

(٢) ط ، س : « الأمين » .

(٣) الجمر ، بالفتح : النجو . ط ، س : « بعرا » .

(٤) سعد بن طريف : صحابي ، ترجم له في الإصابة ٣١٦٣ . ل : « سعد بن مطر » ،

صوابه في ط ، س .

(٥) هو بلال بن رباح الحبشي ، المؤذن ، كان أبو بكر اشتراه إنقاذاً له من عذاب سيده

المشرك ، ثم اعتقه فلزم الرسول وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . مات سنة

عشرين . ط ، س : « بنى بكر » ، صوابه في ل .

(٦) الذفر ، بالتحريك : خبث رائحة الإبط . ط : « زفر » س : « ظفر »

صوابه في ل : والقرواح ، بالكسر : الفضاء من الأرض .

(أبو الخنافس وأبو المقارب)

وكان بالكوفة رجلاً من ولد عبد الجبار بن وائل بن حُجر الحضرمي^(١) يكنى أبا الخنافس راضياً بذلك^(٢) ، ولم تكن الكنية لقباً ولا نَبْزاً ، وكان من الفقهاء ، وله هيئة ورؤاء. وسألته^(٣) : هل كان في آباءه من يكنى أبا الخنافس؟ فإن أبا المقارب^(٤) في آل سلم مولى^(٥) بني العباس كثير على اتباع أثر . وكان أبو الخنافس هذا اكتنى به ابتداءً .

(طول ذمء الخنفساء)

وقال لي [أبو] الفضل العنبري : يقولون : الضبُّ^(٦) أطول شيء ذمء ، والخنفساء^(٧) أطول منه ذمء ؛ وذلك أنه يُغرز في ظهرها شوكة ثاقبة^(٨) ، وفيها ذبالة تستوقد وتُصْبِحُ^(٩) لأهل الدار ، وهي تدبُّ بها

(١) عبد الجبار ، ذكره ابن حجر في الإصابة في أثناء ترجمته لوالده : (وائل بن حجر بضم الحاء — الحضرمي المتوفى في خلافة معاوية) ، ولم يذكره بشيء سوى أنه روى هو وأخوه علقمة عن أبيهما وائل . الإصابة ٩١٠١ .

(٢) ل : « وهو راض بكنيته »

(٣) ل : « وسألته » .

(٤) ل : « أبا المقارب » ، تحريف .

(٥) س : « مولى » .

(٦) ط ، س : « الضب » .

(٧) ط ، س : « والخنافس » .

(٨) ل : « ناظلة » .

(٩) تصبح : تنير . وانظر ص ٥٠١ .

وتجول اوريا كما كانت في تضاعيف جبل قت ، أو في بعض الحشيش والعشب
والخلا ، فتصير في فم الجمل فيبتلعها من غير أن يَضغَم الخنفساء (١) ، فإذا
وصلت إلى جوفه وهي حيّة جالت فيه ، فلا تموت حتى تقتله .
فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الأورى (٢) والعلوفات ؛ خوفاً
من الخنافس .

(هجاء جواس لحسان بن مجدل)

وقال جواس بن القمطل (٣) في حسان بن مجدل (٤) :

هل يهلكني لا أبالكم دنس الثياب كطابخ التدر (٥)
جعل تمطي في عمائته زمير المروءة ناقص الشبر (٦)
لزبابة سوداء حنظلة والعاجز التدبير كالوبر (٧)

- (١) ضغم يضم ، من باب منع : عض .
(٢) الأورى : جمع آرى ، وهو محبس الدابة . ل : « الأورى » تحريف . وفيها :
« يتمهدون » مكان « يتعاورون » .
(٣) هو جواس بن القمطل بن سويد بن الحارث الكلبي ، وله شعر في وقعة مرج
راهط سبق بمضه في ص ٤٢٢ . ط ، س : « حواس » ط : « ابن المتعل »
ل ، س : « المقطل » صوابه ما أثبت من المؤلف ٧٤ والأغاني (١٧ : ١١٢)
والقاموس في مادتي (جوس ، قمطل) . وانظر اشتقاق الاسم في شرح العبري
للحجاسة (٤ : ٣٣) .
(٤) ط : « مجدل » س : « نجدل » وصوابه في ل . وكان حسان بن مجدل
أحد ولادة بني أمية على فلسطين والأردن . ولما جاءت بيعة مروان بن الحكم
سنة ٦٤ ، امتنع عنها وأراد عقدها لخالد بن يزيد بن معاوية . وكان هوى كلب
مع مروان بن الحكم .
(٥) ل : « لا أبأ لأبيكم » ، تحريف يفسد الوزن . وانظر (٦ : ٣٦٩) .
(٦) العمائة ، بالفتح : الضلال والجهالة . ل : « عمائته » . زمير المروءة : ضعيفها .
والشبر ، بالفتح : القد ، والمطاء .
(٧) الزبابة : ضرب من الفأر ، يشبهها الجاهل ، كما في اللسان والدميري . يقول : =

فأما المهجاء والمدح ، ومفاخرة السودان [و] الحمران ، فإن ذلك كله مجموع (في كتاب المهجاء والصراحاء) .

و [قد] قدمنا في صدر هذا الكتاب جملة في القول في الجعلان وغير ذلك من الأجناس اللثيمة والمستندرة ، في باب النتن والطيب ، فكرهنا إعادته في هذا الموضع ^(١) .

باب

القول في الهدد

وأما القول في الهدد ، فإن العرب والأعراب كانوا يزعمون أن القنزعة التي على رأسه ثواب من الله تعالى على ما كان من برّه لأمه ! لأن أمه لما ماتت جعل قبرها على رأسه ، فهذه القنزعة عوض عن تلك الوهدة .
والهدد طائرٌ مُنتنٌ الریح والبدن ، من جوهره وذاته ؛ فربّ شيءٌ يكون مُنتنًا من نفسه ، من غيرِ عرضٍ يعرضُ له ^(٢) ، كالتبوس والحيات وغير ذلك من أجناس الحيوان .

فأما الأعراب فيجعلون ذلك النتن شيئاً خامره بسبب ^(٣) تلك الجيفة

= أمه كأنها زبابة : دويبة على قدر السنور غبراء حسنة للعينين شديدة الحياة .
وقد جعل أباه كالوبر تحقيراً له . ومنه قول أبان بن سعيد بن العاص : « واعجبا لوبر تدلى علينا من قدم ضأن ! » . قدم ضأن : موضع . ط : « الوبر »
وصوابه من ل ، س .

(١) بعد هذا في ط ، س : « والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب » .

(٢) ل : « من عرض » ، صوابه في ط ، س .

(٣) ط ، س . « لسبب » .

التي كانت مدفونة في رأسه . وقد قال في ذلك أمية أو غيره^(١) من شعرائهم .
فأما أمية فهو الذي يقول :

١٦١ تَعَلَّمَ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَصُنْعِهِ صَنِيعٌ وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مُلْحِدٌ^(٢)
وبكلُّ منكرةٍ له مَعْرُوفَةٌ أخرى عَلَى عَيْنٍ بِمَا يَتَعَمَدُ^(٣)
جُدُّ وَتَوْشِيمٌ وَرَسْمٌ عِلَامَةٌ وَخَزَائِنٌ مَفْتُوحَةٌ لَا تَنْفَدُ^(٤)
عَمَّنْ أَرَادَ بِهَا وَجَابَ عِيَانَهُ لَا يَسْتَقِيمُ لِخَالِقٍ يَتَزَيَّدُ^(٥)
غَيْمٌ وَظُلْمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابَةٌ أَرْزَمَانَ كَفَنَ وَاسْتَرَادَ الْهَدُودُ^(٦)
يَبْنِي الْقَرَارَ لِأُمِّهِ لِيُجَنِّئَهَا فَبْنَى عَلَيْهَا فِي قَفَاهُ يُمَهِّدُ^(٧)
مَهْدًا وَطِينًا فَاسْتَقَلَّ بِحَمْلِهِ فِي الطَّيْرِ بِحَمْلِهَا وَلَا يَتَأَوَّذُ^(٨)
مَنْ أُمَّهُ فَجُزِيَ بِصَالِحِ حَمْلِهَا وَالدَّاءُ ، وَكَأَنَّ ظَهْرَهُ مَا تَفْقَدُ^(٩)
فَتَرَاهُ يَدْلُحُ مَا مَشَى بِجَنَازَةٍ فِيهَا وَمَا اخْتَلَفَ الْجَدِيدَ الْمَسْنَدُ^(١٠)

(١) ط ، س : « أو » ، والوجه الواو كما في ل .

(٢) ل : « عليه ماخذ » ولعل في البيت تحريفا ، فإنه يخالف لما بعده في الوزن .

(٣) في الديوان : « في كل منكرة » ، ل : « بها يتعمد » .

(٤) ط ، س : « وتوسيم » . س : « لاتفقد » ، ن : « لاتفقد » صوابه من ط ، والديوان .

(٥) ل : « وحاد غياية » . الديوان : « وجاب عنانها » .

(٦) ط ، س : « وغيم بحمالة » . ط : « أن مان » ، صوابه في س ، ل ونهايه الأرب (١٠ : ٢٤٧) . ط ، س : « كفر واستزاد » ل : « كفن واستزار » ، وأثبت ما في نهاية الأرب والديوان . استراد : أصل معناها الخروج لطلب الكلاء .

(٧) ط ، س : « يبق » ، صوابه في ل والديوان ونهاية الأرب . يجنئها : يضعها في الجن ، بالتحريك ، وهو القبر . ط والديوان : « في قفاها » صوابه في ل ، س ونهاية الأرب .

(٨) يتأود : يتمطف ويتلوى . يقول : هي خفيفة المحل .

(٩) الديوان : « فجرى لصالح حملها » . ط : « لاتعقد » : نهاية الأرب : « ما يعقد » .

(١٠) يدلح ، بالحاء : يمشى بحمله مثقلا . ط : « يضبج » أصله من ضبج الخيل . ل ، =

(معرفة الهدهد بمواضع المياه)

ويزعمون أن الهدهد هو الذي كان يدلُّ سليمان عليه السلام على مواضع المياه في قعور الأرضين^(١) إذا أراد استنباط شيء منها .

(سؤال ومثل في الهدهد)

ويروون أن نجدة الحروري أو نافع بن الأزرق قال^(٢) لابن عباس :
إنك تقول إن الهدهد إذا نقر الأرض عرف مسافة ما بينه وبين الماء ،
والهدهد لا يبصر الفخَّ دوين التراب ، حتى إذا نقر التمرة^(٣) انضم عليه

= س ونهاية الأرب : « يدلج » ولا تصح ، صوابها من الديوان . المسند :
الدهر . والجديد : الدائم الجدة لا يبلى أبداً . وجاءت مثل هذه العبارة في
قول الهذلي :

وقالت : لن ترى أبداً تليداً بعينك آخر الدهر الجديد
ومنه الجديدان : الليل والنهار ؛ لأنهما لا يبليان أبداً . ط : « الجديد المنشد »
صوابه في جميع المصادر المتقدمة .

- (١) ط ، س : « الماء » . ل : « قعور الأرضين » ، وما في ل تحريف .
(٢) ط ، س : « ونافع بن الأزرق قال » . ونجدة هو ابن عامر الحروري الحنفي ،
كان من الخوارج الحرورية ، وإليه تنسب الفرقة النجدية . خرج بإمامة سنة ٦٦
في جماعة كبيرة ، فأقى البحرين وقاتل أهلها ، وقتل شاباً . ولد سنة ٣٦ وتوفي سنة
٦٨ . وأما نافع فهو ابن الأزرق الحنفي ، أحد الشجعان الأبطال ، كان أمير قومه
وفقيهم . وإليه تنسب فرقة الأزارقة التي اشتبكت مع المهلب بن أبي صفرة في
حروب قاسية . قتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة ٦٥ .
(٣) في ثمار القلوب ٣٨٤ : « نفر الحبة » .

الفتحُ ! فقال (١) ابنُ عباسٍ : « إذا جاء القدرُ عمى (٢) البصرُ » .

ومن أمثالهم : « إذا جاء الحينُ غطى العين (٣) » .

وابن عباسٍ إن كان قال ذلك فإِنما عنى هُدهدَ سليمانَ عليه السلام بعينه ؛
فإن القولَ فيه خلافُ القولِ في سائر الهداهد .

وسنأتى على ذكر هذا الباب من شأنه في موضعه إن شاء الله تعالى (٤) .

وقد قال الناس في هُدهدِ سليمانَ ، وغرابِ نوح ، وجمارِ عَزِيز ، وذئبِ
أهبان بن أوس (٥) ، وغير ذلك من هذا الفن ، أقاويل (٦) ، وسنقول في ذلك
بجملةٍ من القول في موضعه [إن شاء الله] .

(بيت الهدهد)

وقد قال صاحبُ المنطق وزعمَ في كتاب الحيوان ، أن لكل طائرٍ
يعشش شكلاً يتخذ عشه منه ، فيختلف ذلك على قدر (٧) اختلاف المواضع

(١) ط ، س : « فقال لها » .

(٢) كذا في ط ، س وثمار القلوب : ل : « عشى » .

(٣) الحين ، بالفتح : الهلاك . ط : « إذ جاء » صوابه في ل ، س .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٧٧ - ٨٠) .

(٥) أهبان هذا ، هو أحد الصحابة . زعموا أن الذئب كلمه ثم بشره بالرسول . قالوا :
كان في غم له ، فعدا الذئب على شاة منها ، فصاح فيه أهبان ، فأقمى الذئب وقال له :
أتزع مني رزقا رزقنيه الله ! ! . وانظر بقية الخبر في ثمار القلوب ٣٠٩ . مات
أهبان بن أوس في ولاية المنيرة بن شعبة حيث كان واليا عليها لمعارية . وذكر
ابن الكلبي وأبو عبيد والبلاذري والطبري ، أن مكلم الذئب صحابي آخر اسمه أهبان
ابن الأكوخ . الإصابة ٣٠٥ .

(٦) ل : « بأقاويل » .

(٧) ل : « حسب » .

وعلى [قدر] اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أن الهدهد من بينها يطلب الزبل ، حتى إذا وجدته نقلَ منه ، كما تنقل الأرضة من التراب ، ويبني منه بيتاً ، كما تبنى الأرضة ، ويضع جزءاً على جزء^(١) ، فإذا طال مُكثه في ذلك البيت ، وفيه أيضاً ولد ، أوفى مثله^(٢) ، وتربى ريشه وبدنه^(٣) بتلك الرائحة ، فأخلق به^(٤) أيضاً أن يُورث ابنه^(٥) الذئب الذي علقه ، كما أورث جدّه أباه ، وكما أورثه^(٦) أبوه . قال : ولذلك يكون منتناً .

وهذا وجهُ أن كان معلوماً أنه لا يتخذ عشه إلا من الزبل .
فأمّا ناسٌ كثيرٌ ، فيزعمون أن رُبَّ بدنٍ يكون طيبَ الرائحة ، كفأرة المسك التي ربّما كانت في البيوت . ومن ذلك ما يكون مُنْتِنَ البدن^(٧) ، كالذي يحكى عن الحياتِ والأفاعى والثعابين^(٨) ، ويوجدُ عليه التُّيوس .

(١) كذا في ل . وفي س : « خرم على خرم » ط : « خرم على خرم » .

(٢) ط ، س : « وفي مثله » ، صوابه في ل .

(٣) ط ، س : « تربى وبدنه ينمو » ، صوابه في ل .

(٤) ط ، س : « وأخلق » ؛ وللوجه ما أثبت من ل . إذ هو جواب « إذا » .

(٥) ل : « يرث أباه » ؛ صوابه في ط ، س .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٧) « ما يكون » سقط من ل .

(٨) ل : كالذي يحكى عن الحيات « فقط » .

(اغتيال)

وذكر صاحب المنطق أن الطير الكبير ، الذي يسمى باليونانية اغتيال (١) ، يحكم عشه ويتقنه ، ويجعله مستديرًا مداخلًا كأنه كرة معمولة (٢) . وروى (٣) أنهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدارصيني من موضعه ، فيفرش به عشه ، ولا يعشش إلا في أعلى الشجر (٤) المرتفعة المواضع . قال : وربما عمد الناس إلى سهام يشدون عليها (٥) رصاصاً ، ثم يرمون بها أعشها ، فيسقط عليهم الدارصيني ، فيلتقطونه (٦) ويأخذونه .

(من زعم البحرين في الطير)

ويزعم البحرانيون أن طائرين يكونان ببلاد السقالة (٧) ، أحدهما يظهر قبل قدوم السفن إليهم ، وقبل أن يمكن البحر من نفسه ، لخروجهم في متاجرهم (٨) فيقول الطائر : قرب آمد (٩) ، فيعلمون بذلك أن الوقت قد دنا ، وأن الإمكان قد قرب .

(١) ط ، س : « اغتيال » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٣) ط ، س : « ورووا » وصوابه في ل .

(٤) ل : « الشجرة » .

(٥) ط ، س : « فيشدون بها » .

(٦) ل : « فليقتونه » .

(٧) السقالة ، بالضم : آخر مدينة تعرف بأرض الزنج . ياقوت . ط ، س :

« الصقالبة » ل : « السقالة » . والصواب ما أثبت .

(٨) ط ، س : « ومتاجرهم » صوابه في ل .

(٩) قرب : بالفارسية ، هي كلفظها العربي وبمعناها العربي . وآمد بالفارسية : بفتح الميم

بمعنى الوصول والقدوم . ل : « آرت آمد » . وانظر مثيل هذا في كامل ابن الأثير (٩) :

(١٧) في حوادث ٣٧٥ .

قالوا : ويجيء به طائر آخر ، وشكل آخر ، فيقول : سمارو^(١) . وذلك في وقت رجوع من قد غاب منهم ، فيسمون هذين الجنسين من الطير : قرب^(٢) ، وسمارو ، كأنهم سمّوها بقولها ، وتقطع أصواتهما ، كما سمّت للعرب ضرباً من الطير القطا ؛ لأن القطا كذلك تصيح^(٣) ، وتقطع أصواتها^(٤) قطاً ، وكما سمّوا البيغاء بتقطع الصوت الذي ظهر منه^(٥) .
فيزعم أهل البحر أن ذينك الطائرين لا يطير أحدهما أبداً^(٦) إلا في إناث ، وأن الآخر لا يطير أبداً إلا في ذكورة .

(وفاء الشفنين)

وزعم لي بعض الأطباء ممن أصدّق خبره ، أن الشفنين إذا هلكت أنثاه^(٧) لم يتزوج وإن طال عليه التعزّب . وإن هاج سفد^(٨) ولم يطلب الزّواج .

(١) ط ، س : « سماروا » .

(٢) ل : فسوا هذين الجنسين من الطير بأرت » .

(٣) ل : « لأن ذلك الطائر كذلك يصيح » .

(٤) ل : « صوته » .

(٥) كذا جاءت بضمير المذكر . والبيغاء مؤنثة .

(٦) ل : « أن أحد ذينك الطائرين لا يطير أبداً » .

(٧) ط ، س : « امرأته » .

(٨) ط : « تسفد » تحريف مافى ل ، س .

(من عجائب الطير)

وحكوا أنّ عندهم طائرَيْن ، أحدهما وافي الجناحين وهو لم يطِر قطّ ،
والآخر وافي الجناحين ، ولكنه من لدنّ ينهض للطيران فلا يزال يطيرُ ويقتات
[من (١)] الفراش وأشباه الفراش ، وأنّه لا يسقط إلاّ ميتاً . إلاّ أنّهم ذكروا
أنّه قصير العمر .

(كلام في قول أرسطو)

ولست أدفع خبرَ صاحب المنطق عن صاحب الدارصيني (٢) ، وإن
كنت لا أعرف الوجهَ في أنّ طائراً ينهض من وكره في الجبال (٣) ، أو بفارسٍ
أو باليمن ، فيؤمُّ ويعمد نحو بلاد الدارصيني (٤) ، وهو لم يجاوز موضعه ولا
قربَ منه . وليس يخلو هذا الطائرُ من أن يكون من الأوابد [أو من
القواطع (٥)] . وإن كان من القواطع فكيف يقطع الصّحان الأملس (٦)

(١) من ل ، س . وانظر ما سبق من الكلام على هذا الطير ص ٢٣٤ .

(٢) ط ، س : « عن خبر صاحب الدارصيني » ، وكلمة « خبر » مقحمة .

(٣) الجبال : اسم للإقليم الذي يمتد ما بين أصهان إلى زنجان وقزوين وهذان والدينور
وقرميسين والرى . عن ياقوت .

(٤) هو شجر هندي يكون يتخوم الصّين ينتفع بقشره ذي الرائحة المعطرة . ولفظه
معرب من « دارجيني » الفارسية .

(٥) ليست بالأصل .

(٦) الصّحان : تسمية الواسمة

١٦٣ وبطون الأودية ، وأهضام الجبال^(١) بالتدويم في الأجواء ، وبالمضى على السمّت ، لطلب ما لم يرّه ولم يشمّه ولم يذقه . وأخرى فإنه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه^(٢) ، ما يصير فراشاً له ومهاداً ، إلا باختلاف الطويل^(٣) . و [بعد فإنه] ليس بالوطىء الوثير^(٤) ، ولا هو له بطعام .
فأنا وإن كنت لا أعرفُ العلة [بعينها] فلست أنكر الأمورَ من هذه الجهة . فاذا كرّ هذا^(٥) .

(قول أبي الشيبان في الهدد)

وقال أبو الشيبان في الهدد^(٦) :

لا تأمننَّ على سِرِّي وسِرِّكمْ غَيْرِي وَغَيْرَكْ أَوْطَى الْقَرَّاطِيسِ^(٧)
أَوْ طَائِرٍ سَاحِلِيهِ وَأَنْعَتِهِ مَا زَالَ صَاحِبَ تَنْقِيرٍ وَتَدْسِيسِ^(٨)

(١) أهضام الجبال : ما دنا إلى السهل من أصلها . في الأصل : « أهضاب » ، ولا تصح .

والكلام من « ولا قرب » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) ل : « وبعده فهو لا يجلب بمنقاره ورجليه » .

(٣) ل : « باختلاف طويل » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « قأنكر هذا » صوابه في ل .

(٦) الأبيات في نهاية الأرب (١٠ : ٢٤٨) والدميري وعيون الأخبار (١ : ٤١) والمختار

من شعر يشار ١٥٧ .

(٧) أي وغير طى القراطيس .

(٨) في الأصل وعيون الأخبار : « أو طائراً » ؛ وبها يفسد إعراب البيت الآتي . وأثبت ما في

نهاية الأرب والدميري . ساحليه ، بالحاء : سأنته . وهذه الرواية أوفق من رواية ل

والدميري ونهاية الأرب : « ساجليه » . والتدسيس : الدس والإدخال ، يدخل

منقاره في الأرض بحثاً عن قوته . في الأصل : « تأسيس » ، وصوابه في النهاية .

وفي الدميري : « تدريس » !

سودٍ برائنه ، ميلٍ ذوائبه صُفر حاليقه ، في الحسنِ مغمُوس (١)
قد كان همَّ سليمانُ ليدبجه لولا سعايته في ملك بلقيس (٢)
وقد قدّمنا في هذا الكتاب في تضاعفه (٣) ، عدّة مقطّعات في أخبار
المهدّد (٤) .

باب

القول في الرخم

[و] يقال : إنّ لثامَ الطير ثلاثة : الغربانُ ، والبومُ ، والرّخمُ .

(أسطورة الرخم)

ويقال : إنّه قيل للرّخمة : ما أحمك ! قالت : وما حُمّي ، وأنا أقطّعُ
في أوّل القواطع ، وأزجّع في أوّل الرّواجع ، ولا أطيّر في التّحسير (٥) ،

(١) برائنه : أظفاره . ذوائبه : ريش تاجه . حالقه : جفونه .

(٢) ل : « لولا سياحه » .

(٣) في ط ، س : « تضاعفه » .

(٤) الكلام من « وقد قدّمنا » ساقط من ل . وانظر ما سبق في (١ : ٢٤٨) .

(٥) س : « ولا أطيّر إلا في التّخيير » ، وصوابه في ط والجزء السابع ١٩ وأمثال
الميداني . والتّحسير : سقوط ريش الطائر .

ولا أغتر بالشكير^(١) ، ولا أسقط على الجفير^(٢) .

وقد ذكرنا تفسير هذا^(٣) . وقال الكميت :

إذ قيل يا رَخمَ انطقي في الطير ، إنك شرُّ طائر^(٤)

(بمض ملوك المعجم والجُلندى الأزدي)

وقال أبو الحسن المدائني : أمر بعض ملوك العجم الجُلندى بن عبد العزيز الأزدي ، وكان يقال له في الجاهلية عرجدة^(٥) ، فقال له : صيد لي شرَّ الطير ، واشوه بشرَّ الحطب ، وأطعمه شرَّ الناس . فصاد رخمة وشواها ببعر ، وقرَّبها إلى خوزي^(٦) . فقال له الخوزي^(٧) : أخطأت

(١) الشكير : أول ما ينبت من الريش . أي لا يفرها الشكير فتطير حين ظهوره ، بل تنتظر حتى يصير قصباً . ط : « بالتكبير » ج : « بالتكبير » صوابه في الجزء السابع ونهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) وأمثال الميداني (١ : ٢٠٦) .

(٢) الجفير : جمبة السهام . ط : « الحقير » صوابه في ل ، والجزء السابع وأمثال الميداني . وهي لا تسقط على الجمبة لعلمها أن فيها سهاماً .

(٣) انظر الجزء السابع ١٩ - ٢٠ . والكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من ل .

(٤) ط ، س : « إن قيل » . والبيت يشير إلى المثل : « انطق يا رخم فإنك من طير الله » ، يضرب للرجل الذي لا يلتفت إليه ولا يسمع منه . أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخمة ، فقبل لها يهزأ بها : إنك من طير الله فانطق ! انظر الدميري .

(٥) ل : « عرجدة » . وفي الإصابة ١٢٩٢ : « عبد جهل » . والجُلندى بضم أوله وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال ، كان ملك عمان . وأرسل إليه الرسول عمرو بن العاص ليدعوه إلى الدين فأسلم .

(٦) الخوزي : نسبة إلى خوزستان ، وهي بلاد بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان ، كما في معجم البلدان . قال ياقوت : « والخوز ألأم الناس وأسقطهم نفماً » . ط ، س : « خوزي » ل : « حوزي » وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « الخوزي » ، ل : « الحوزي » . وانظر التنبيه السابق وصفحة ١٦٤ .

في كلِّ شيء أمرك به الملك : ليس الرّخمةُ شرَّ الطير ، وليس البعرةُ شرَّ
الخطب ، وليس الخوزيُّ شرَّ الناس . ولكن اذهب فصيد بومة^(١) ، واشوها
بدفلى^(٢) ، وأطعمها نبطياً ولدَ زني . ففعل ، وآتى الملك فأخبره ، فقال :
ليس يُحتَاجُ إلى ولدِ زني ! يكفيهِ أن يكون نبطياً^(٣) !

(الغراب والرخمة)

والغراب يقوى على الرّخمة ، والرّخمة أعظم من الغراب وأشدُّ . والرّخمة
تلتبس لبيضا المواضع البعيدة ، والأماكن الوحشية ، والجبال الشاخنة ،
وصُدوع الصّخر . فلذلك يقالُ في بيض الأنوق ما يقال .

(ما قيل في بيض الأنوق)

وقال عتبة بن شماس^(٤) :

إِنَّ أَوْلَى بِالْحَقِّ فِي كُلِّ حَقٍّ ثُمَّ أَوْلَى بَأْنُ يَكُونُ حَقِيقًا^(٥) ١٦٤

(١) ط ، س : « ولكن صد له بومة » .

(٢) الدفلى - كذكري : نبت مر قتال .

(٣) جاءت هذه القصة على الوضع الآتي في معجم البلدان : « روى أن كسرى كتب
إلى بعض عماله : ابث لي بشر طعام علي شر الدواب مع شر الناس . فبعث إليه برأس
سمكة مألحة على حار مع خوزي » .

(٤) كذا في س والكمال ٣٩٩ ليسك والمعقد (٣ : ٣٩٣) . وفي ل : « عيينة بن أسماء » وكتب

بعدها بخط صغير « أخرى : عتبة بن شماس » .

(٥) وكذا في سيرة عمر بن عبد العزيز . ورواية السائل « سمك » ثم أسرى » .

مَنْ أَبُوهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَمَنْ كَانَ جَدُّهُ الْفَارُوقَ (١)
رَدُّ أَمْوَالِنَا عَلَيْنَا وَكَانَتْ فِي ذُرَى شَاهِقِ تَفُوتِ الْأَنْوَقِ (٢)
وطلبَ رجلٌ من أهل الشام الفريضةَ من معاوية فجادَ له بها (٣) ، فسأل (٤)
لولده ، فأبى ، فسأل لعشيرته ، فقال معاوية :
طلبَ الأبلقَ العقوقَ ، فلمَّا لم يجدْهُ أرادَ بيضَ الأنوقِ (٥)
وليس يكونُ العقوقُ إلا من الإناثِ ، فإذا كانت من الأبلقِ كانت
بلقاء . و [إنما (٦) هذا كقولهم : « زَلٌّ في سَلَى جمل (٧) » ، والجمل لا يكون
له سَلَى (٨) .

(١) يقول هذا الشعر في عمر بن عبد العزيز بن مروان . ووالدة عمر هي أم عاصم بنت
عاصم بن عمر بن الخطاب . وهذا البيت مع أبيات أخرى من القصيدة وبدون نسبة في
كتاب البغال ٢٨٦ من رسائل الجاحظ .

(٢) ط ، س : « رد أموالنا إلينا » . وفي ل ، س : « تفوق الأنوقا » .
ويروي : « يفوت » التأنيث للذرى ، والتذكير للشاهق .

(٣) « فجاد له بها » ساقط من ل . والخبر برواية أخرى في الإصابة ١٠٩٨ .

(٤) ط : « فقال » تحريف . س : « فسأله » ، وأثبت ما في ل .

(٥) ط ، والكامل والشريشي (٢ : ٢٠٤) : « لم ينله » . وقد وضع البيت في ط وضع
النثر خطأ . والأبلق من صفات ذكور الخيل ، وهو ما ارتفع التحجيل فيه إلى فتخذه .
والعقوق : من صفات إناثها ، وهي الحامل التي امتلأ بطنها . والأنوق : هي الرخمة . وانظر
ما سبق من الكلام على الأنوق في (١ : ٢٣٥) .

(٦) من ل ، س .

(٧) السلى : ما تلقيه الناقة إذا وضعت : وهي جليدة رقيقة يكون فيها الولد . والمثل

يضرب في بلوغ الشدة منتهى غايتها ، أى وقع في شر لا مثيل له . زل : زلق .

ولفظ المثل في الميداني واللسان : « وقع القوم في سلى جمل » . ويقال : « وقع

في سلى جمل » . وفي القاموس : « وقعوا في سلى جمل » .

(٨) كتبت هذه للكلمة في الأصل في الموضعين بالألف . وصواب كتابتها بالياء .

وقد يرون بيض الأنوق ، ولكن ذلك قليلاً^(١) ما يكون ، وأقل من القليل ؛ لأن بيضها في المواضع الممتنعة ، وليست فيها منافع فيتعرض في طلبها^(٢) للمكروة .

وأنا أظن أن معاوية لم يقل كما قالوا ، ولكنه قدم في اللفظ بيض الأنوق ، فقال : « طلب بيض الأنوق ، فلما لم يجده طلب الأبلق العقوق » .

(ما يسمّى بالهدهد)

وأما قول ابن أحرر :

يمشى بأوظفةٍ شديدٍ أسرها شمّ السنايك لا تقى بالجدجد^(٣)
إذ صبّحته طاوياً ذا شرةٍ وفؤاده زجلٌ كعزف الهدهد^(٤)

(١) ط : « قليل » .

(٢) ط ، س : « طلبه » ، صوابه في ل .

(٣) ط ، س واللسان (وق) : « تمشى » صوابه في ل . الأوظفة : جمع وظيف ، وهو ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق . شم : عاليات . والسنايك : طرف الحافر وجانباه من قدام . ويقال : وق الحافر يقى وقياً ، من باب رمى : حنى ورق من غلظ الأرض . وقيل : لاتی بالجدجد : لا تتوقاه ولا تهيبه . والجدجد ، بفتح الجيمين : الأرض الصلبة . ط : « رمّ السنايك » صوابه في ل ، س واللسان (وق) . وروى « صم » كما في اللسان (جدد) . ط : « لا يني » س : « لا تني » ، صوابه في ل واللسان في موضعيه .

(٤) ط : « قد أصحبه طائراً » س : « قد صبحته طائراً » ، وأثبت ما في ل .. وفي اللسان : « ثم اقتحمت مناجدا ولزمت » . زجل : له صوت . ط : « رجل » محرف . والعزف : الصوت . ط ، س : « كعزف » ل : « كعرق » محرفتان عما أثبت من الحيوان (٧ : ٢٦٠) واللسان (هدد) .

فقد يكون ألا يكون عنى بهذا الهدهد^(١) ، لأن ذكرورة الحمام وكل
شئ غنى^(٢) من الطير وهدر ودعا ، فهو هدهد . ومن روى « كعزف الهدهد »
فليس من هذا فى شئ^(٣) .

وقد قال الشاعر فى صفة الحمام :

وإذا استشرن أرن فيها هدهدٌ مثل المداك خضبتة بجساد^(٤)

(قصة فى ميل بعض النساء إلى اللال)

وخطب رجلٌ جميلٌ امرأةً ، وخطبها [معه] رجلٌ ذميم^(٥) فزوّجت
الذميم^(٦) لماله ، وتركته ، فقال^(٧) :

(١) كذا على الصواب فى ل . ط : « فقد يكون ألا أن يكون عنا هذا الهدهد » ،
س : « فقد يكون إلا غنا إلا يكون غنا هذا الهدهد » .

(٢) ط ، س : « غنا » ، صوابه فى ل .

(٣) الكلام من « ومن روى » ساقط من ل . والعبارة فى أصلها : « ومن
أراد كعزف » . الخ . والصواب فيها ما أثبت . وهذه الرواية مثبتة فى اللسان
(هدد) . قال فى تفسيرها : « والهدهد قيل فى تفسيره : أصوات الجن . ولا واحد له »
وفى القاموس عند الكلام على الهدهد : « وبفتحتين : أصوات الجن ، بلا واحد » .

(٤) استشارت : لبست حسنا وسمنا . والمداك ، بالفتح : حجر يسحق به الطيب . ط ،
س : « المداد » صوابه فى ل . والجساد ، بالكسر : الزعفران . جعله
كالمداك فى ملاسته وصلابته .

(٥) الذميم : القبيح . ط : « ذميم » صوابه فى ل ، س .

(٦) ط : « الذميم » صوابه فى ل ، س .

(٧) الشعر منسوب فى حياة الحيوان ، إلى الأخطل يصف جارية وبعلمها . والبيتان
فى الكامل ٢٧٢ لبيسك .

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ مَا تَأْمُرُونَنِي بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلًا
يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلِّ لَيْلَةٍ دَيْبِ الْقَرْنَبِيِّ بَاتَ يَقْرُو نَقْمًا سَهْلًا (١)

(ما يطلب العذرة)

والأجناس التي تريد العذرة وتطلبها كثيرة ، كالخنازير ، والدجاج
والكلاب ، والجراد ، وغير ذلك . ولكنها لا تبلغ مبلغ (٢) الجمل والريحة .

(بعض ما يأكل الأعراب من الحيوان)

وقال ابن أبي كريمة : كنتُ عند أبي مالك عمرو بن كركرة (٣) ،
وعنده أعرابيٌّ ، فجرى ذكر القرنبي . قال : فقلت له : أتعرف القرنبي ؟

(١) القرنبي : دوية على هيئة الخنفس منقطة الظهر ، وفي قوائمها طول على الخنفس . وهو
مذكر ، ألفه للإلحاق لا للتأنيث . يقرو : يسير متبعاً . ط ، س ، والدميري :
« يعلو » .

(٢) ل : « بلغ » ، صوابه في ط ، س .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « عمر » . وقد ترجم له ياقوت
في معجم الأدباء (١٦ : ١٣١ ، ١٣٢) ونقل عنه السيوطي في بغية الوعاة
قال : كان يعلم في البادية ، وورق في الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب
قال أبو الطيب اللغوي : كان ابن منذر يقول : كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغات ،
وأبو عبيدة في نصفها ، وأبو زيد في ثلثها ، وأبو مالك فيها كلها . وإنما عني
توسعهم في الرواية والفتيا ؛ لأن الأصمعي كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات .
وقد جلس إليه الجاحظ كما في البيان (٤ : ٢٣) . ط ، س : « عمر
ابن كركرة » ، صوابه في ل والقاموس والمراجع المتقدمة .

قال : وما لي لا أعرف القرنبي ؟ ! فوالله لربما لم يكن غذائي (١) إلا القرنبي
يُحْسَسُ لي (٢) . قال : فقلت [له] : إنها دويبة تأكل العذرة . قال :
ودجاجكم تأكل (٣) العذرة !

١٦٥ [وقال] : قال بعض المدنيين لبعض الأعراب : [أ] تأكلون الحيات
والعقارب والجعلان والخنafs (٤) ؟ فقال : نأكل كل شيء إلا أم حبين .
[قال] : فقال المدني : « لتهن أم الحبين العافية (٥) » .

قال : وحدثنا ابن جريج (٦) ، عن ابن شهاب (٧) ، عن عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من الدواب أربع لا يُقتلن : النملة ، والنحلة ، والضرد ، والهدهد » .

القول في الخفاش

فأول ذلك أن الخفاش طائر ، وهو مع أنه طائر من عراض الطير
فإنه شديد الطيران ، كثير التكفي في الهواء ، سريع التقلب فيه ، ولا

-
- (١) الغداء ، بالفتح : الأكل أول النهار . ط ، ل : « غذائي » وأثبت ما في س .
(٢) يحس : يوضع على الجمر . ط : « يخشخش » محزف يحشش التي هي بمعنى :
« يحسحس » . س : « تخشخش في في » ، وله وجه .
(٣) ط : « يأكل » ، وهما صحيحتان .
(٤) كذا على الوجه في ل : وفي ط ، س : « الخنفساء » .
(٥) أم حبين : دويبة على قدر الكف تشبه الضب . وانظر (٥ : ١٤٣) .
(٦) ط : « وأخبرنا ابن جريج » . وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
القرشي ، قالوا : أول من صنف الكتب في الإسلام . ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ .
في قول الجاحظ نظر .
(٧) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، المتوفى سنة ١٢٥ .

يجوز أن يكون طعمه إلا من البعوض ، وقوته إلا من الفراش^(١) [وأشباه
 الفراش] ، ثم لا يصيده إلا في وقت طيرانه في الهواء ، وفي وقت سلطانه ؛
 لأن البعوض إنما يتسلط بالليل . ولا^(٢) يجوز أن يبلغ ذلك إلا بسرعة
 اختطاف واختلاس ، وشدة طيران ، ولين أعطاف وشدة متن ، وحسن
 تأت ، ورفق في الصيد^(٣) . وهو مع ذلك كله^(٤) ليس بذي ريش ، [و] إنما
 هو لحم وجلد . فطيرانه بلا ريش عجب ، وكلما كان أشد كان أعجب .

(من أعاجيب الخفاش)

ومن أعاجيبه أنه لا يطير في ضوء ولا في ظلمة . وهو طائر ضعيف
 قوى البصر ، قليل شعاع العين الفاصل^(٥) من الناظر . ولذلك لا يظهر
 في الظلمة ؛ لأنها تكون غامرة لضياء بصره ، غالباً لمقدار [قوى] شعاع
 ناظره . ولا يظهر نهاراً ؛ لأن بصره ليضعف ناظره يلتمع في شدة بياض
 النهار^(٦) . ولأن الشيء المتلألئ ضاراً لعيون^(٧) الموصوفين بحدة البصر ،

(١) ل : « وطعمه من البعوض وقوته من الفراش » .

(٢) ل : « فلا » .

(٣) التأتى : الترفق . س : « تأتى » ط : « تأتى » ل : « التأتى » ، ووجهه

ما أثبت . ل : « إلا بسرعة الاختطاف والاختلاس ، وشدة الطيران ، ولين

الأعطاف ، وشدة المتن ، وحسن التأتى والترفق في الصيد » .

(٤) ل : « وهو في ذلك » .

(٥) ل : « الفاضل » ، تحريف .

(٦) ط ، س : « يضعف ناظره ويلتمع في شدة ضوء النهار » ، وصوابه من ل .

(٧) ط ، س : « عيون » ، وما أثبت من ل أوجه ؛ تفادياً من تكرار الباء .

ولأنَّ شعاعَ الشمسِ بمخالفة^(١) مخرج أصوله وذهابه ، يكون رادعاً لشعاع ناظره ، ومفرقاً^(٢) له . فهو لا يبصر ليلاً ولا نهاراً . فلما علم ذلك واحتاج إلى الكسب والطعم ، التمس الوقتَ الذي لا يكون فيه من الظلام ما يكون غامراً قاهرأ ، وعالياً غالباً . ولا من الضياء ما يكون مُعشياً^(٣) رادعاً ، ومفرقاً قامعاً^(٤) . فالتمسَ ذلك في وقت غروب القرص ، وبقيّة الشفق ؛ لأنّه وقت^(٥) هيّج البعوض وأشباه البعوض ، وارتفاعها^(٦) في الهواء ، ووقت انتشارها في طلبِ أرزاقها^(٧) . فالببعوض يخرج للطعم ، وطعمه دماء الحيوان ؛ وتخرج الخفافيش^(٨) لطلب الطعم ، فيقعُ طالبُ رزقٍ على طالب رزق ، فيصير ذلك هو رزقه^(٩) . وهذا أيضاً ممّا جعل الله في الخفافيش^(١٠) من الأعاجيب .

(١) ل : « مخالفة » .

(٢) ط : « ومفرقاً » س : « ومفرقة » ، صوابه من ل .

(٣) ل : « ولأن من الضياء » ، محرف . ط : « ما يكون منشياً » ، صوابه في ل ، س .

(٤) ط : « ومفرقاً » ، صوابه في ل ، س . و « قامعاً » هي في ط ، س : « مانعاً » ، والأشبه ما أثبت من ل .

(٥) ط ، س : « لأنه في وقت » ، صوابه في ل .

(٦) ط ، س ، « وهو وقت ارتفاعها » .

(٧) ط ، س : « وطلب أرزاقها » .

(٨) ط ، س : « الخفافيش » ، صوابه في ل .

(٩) ل : « مرزقه » .

(١٠) ط ، س : « الخفاش » .

(علاقة الأذن بنتاج الحيوان)

ويزعمون أن السك^(١) الآذان والمسوحة ، من جميع الحيوان ، ١٦٦
أنها تبيضُ ببيضاً ، وأنَّ كَلَّ أشرف [الآذان] فهو يلد ولا يبيض .
ولا ندرى لِمَ [كان] الحيوان إذا كان أشرفُ الآذان^(٢) [وُلد] ، وإذا
كان ممسوحاً باض .

ولآذان الخفافيش حَجْمٌ ظاهر ، وشخوص^(٣) بَيْن . و [هي و] إن
كانت من الطير فإنَّ هذا لها ، وهي^(٤) تمجبل وتلد ، وتمحيز ، وترضع .

(ما يحيض من الحيوان)

والناس يتقززون^(٥) من الأرنب والضباع ، لمكان الحيض .
وقد زعم صاحب المنطق أنَّ ذوات الأربع كلها تمحيز ، على اختلاف
في القلة والكثرة^(٦) .

(١) السك : جمع أسك : وهو الذي صغرت أذنه ولصقت برأسه .

(٢) الأشرف الآذان : الطويلها . ل : « الأذن » .

(٣) شخوص : ارتفاع . ط ، س : « شخص » .

(٤) ط : « فهمي » ، صوابه في ل ، س .

(٥) ط : « يتقذرون » . والتقذر : أن يرى الشيء قدراً ، يقال تقذره لا تقذر منه .

فالصواب « يتقززون » . كما أثبت من ل ، س .

(٦) ط ، س : « على اختلاف أجناسها » .

[والزَّمان] ، والحمرّة والصفرة ، والرَّقّة والغلظ . قال : ويبلغ من ضنّ أنثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه ، أنها تحمله تحت جناحها ، وربّما قبضت عليه بفيها ، وربّما أرضعته وهي تطير ، وتقوى من ذلك ، ويقوى ولدها على مالا يقوى عليه الحمام والشَّاهمرك^(١) ، وسباع الطير .

(معارف في الخفّاش)

وقال معمرٌ أبو الأشعث : ربّما أتامت الخفافيش^(٢) فتحمل معها الولدين جميعاً ، فإن عظمًا عاقبت بينهما .
والخفّاش من الطير ، وليس له منقار مخروط^(٣) ، وله فمٌ فيما بين مناسر السِّباع^(٤) وأفواه البوم . وفيه أسنانٌ حديد صلاب [مرصوفة^(٥)] من أطراف الحنك ، إلى أصول الفك ، إلا ما كان في نفس الخطم^(٦) .
وإذا قبضت على الفرخ وعصّت عليه لتطير به ، عرفت ذرب^(٧) أسنانها ، فعرفت أيّ نوعٍ ينبغي أن يكون ذلك العضّ ، فتجعله أزمًا ،

(١) الشاهمرك سبق تفسيره في ص ٣٣٦ .

(٢) أتامت : ولدت اثنين في بطن واحد . ط ، س : « أتامت » ، صوابه في ل .

(٣) ط : « مخروطة » ، تصحيحه من ل ، س .

(٤) المراد : سباع الطير . والمناسر : جمع منسر ، كجلس ومنبر ، وهو المنقار .

(٥) في الأصل ، وهو هنال : « موصوفة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٦) ط ، س : « إلا ما كان من نفس الفك الخطم » .

(٧) الذرب : الحدة . ط ، س : « ذرب » ، صوابه في ل .

ولا يجعله عضاً ولا تنيباً ولا ضغماً^(١) ، كما تفعل الهرة بولدها ؛ فإنها مع
ذرب أنيابها ، وحدة أظفارها وذقتها^(٢) ، لا تخذش^(٣) لها جلداً ؛ إلا أنها
تمسكها ضرباً من الإمساك ، وتأزم عليها^(٤) ضرباً من الأزم قد عرفته .
ولكل شيء حدُّ به يصلح ، وبمجاوزته والتقصيرِ دونه يفسد .

وقد نرمى الطائر بغوص في الماء نهاره ، ثم يخرج منه كالشعرة
سَلَلَتْهَا من العجين ، غير مبتل الریش ، ولا لثقي الجناحين . ولو أن أرفق
الناس رِقْفاً ، رَاهَنَ على أن يغمس طائراً منها في الماء غمسة واحدة ثم
خَلَى سِرْبَهُ^(٥) ليكون هو الخارج منه ، نخرج وهو منعجن^(٦) الریش ، مُفْسَد
النظم^(٧) ، منقوص^(٨) التأليف . ولكان أجود ما يكون طيراناً أن يكون
كالجاذف^(٩) . فهنا أيضاً من أعاجيب الخفاش .

(١) الأزم : القبض بجميع الفم . والتنيب : العض بالناب . والضغم : العض الشديد .

ط ، س : « ولا نشباً ضغطياً » س : « ولا نشباً ضغطاً » ، ووجهه
ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وحدة أطرافها » ، صوابه في ط ، س . ط ، س : « ورقها »
صوابه في ل .

(٣) ط : « تخذش » ، صوابه في ل ، س . -

(٤) عليها : أى حل ولدها . والمراد بالولد هنا الجمع . في المصباح : « والولد
بفتحيتين كل ما ولده شيء . ويطلق حل الذكر والأنثى ، والمثنى والجمع » .
ط ، س : « عليه » ، صوابه في ل . ط ، س : « لأنها تمسكها » الخ ،
صوابه في ل .

(٥) السرب : الطريق . ط : « حل سرتها » س : « خل سربها » ، صوابه في ل .

(٦) ط ، س : « منعجن » .

(٧) ط ، س : « النظر » ، صوابه في ل .

(٨) ط : « منقوص » محرف .

(٩) الجاذف : الذى يطير وهو مقصوص الجناحين . ط ، س :
« كالجاذف » ، محرف .

(من أعاجيب الخفافيش)

ومن أعاجيبها تركها ذرى الجبال وبسيط الفيافي^(١) ، وأقلاب النخل ،
وأعلى الأغصان ، ودغل^(٢) [الغياض و] الرياض ، وصدوع^(٣) الصخر ،
وجزائر البحر ، ومجبتها تطلب مساكن الناس وقربهم ، ثم إذا صارت^(٤) إلى
بيوتهم وقربهم ، قصبت إلى أرفع مكان وأحصنه ، وإلى أبعد المواضع من
مواضع الاجتياز^(٥) ، وأعراض الحوائج .

(طول عمر الخفاش)

ثم الخفاش بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر ، حتى يجوز
١٦٧ في ذلك^(٦) العقاب والورشان إلى النسر ، ويجوز^(٧) حد الفيئة والأسد وحمير
الوحش ، إلى أعمار الحيات .

(١) ط ، س : « ومن أعاجيبها تركه ذروة الجبال » ، ل : « ومن أعاجيبه تركه
ذرى الجبال » ، كلاهما محرف ، ووجهه بما ترى . والبسيط : المتبسط الفسيح . ط :
« وتبسط » صوابه في ل ، س .

(٢) الدغل ، بالتحريك : الشجر الملتف . س : « ودخل » ، وهي صحيحة بضبط
الأولى ومعناها .

(٣) ط : « وصدع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « أصات » ، صوابه في ل ، س .

(٥) ط ، س : « ألاختبار » ، صوابه في ل .

(٦) ل : « حتى تجوز حد » .

(٧) ل : « وتجاوز » .

ومن أعاجيب الخفافيش^(١) أن أبصارها تصلح على طول العمر ، ولها صبر^(٢) على [طول] فقد الطعم . فيقال^(٣) إن اللواتي يظهرن في القمر^(٤) من الخفافيش المسناتُ المعمرات ، وإن أولادهن إذا بلغن لم تقو أبصارهن على ضياء القمر .

ومن أعاجيبها أنها تضخم وتجسم وتقبل الشحم^(٥) على الكبر وعلى السن .

(القدرة التناسلية لدى بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أن الكلابَ السلوقيَّةَ كلما دخلتُ في السنَّ كان أقوى لها على المعاظلة .

وهذا غريبٌ جدا ، وقد علمنا أن الغلامَ أحدُّ ما يكون وأسبقُ وأتسكحُ وأحرصُ ، عندَ أولِ بلوغه . ثم لا يزالُ كذلك حتى يقطعه الكبر [أو إصفاء] أو تعرض له آفة^(٦) .

ولا تزالُ الجاريةُ من لدنِ إدراكها وبلوغها وحركة^(٧) شهوتها على شبيه بمقدارٍ واحدٍ من ضعف الإرادة . وكذلك عامَّتين^(٨) . فإذا اكتهلن

(١) ط ، س : « الخفاش » .

(٢) ط ، س : « والصبر » .

(٣) ط : « فتقول » س : « فنقول » ، صوابه في ل .

(٤) ل : « العمر » ، صوابه في ط ، س .

(٥) ل : « اللحم » .

(٦) ل : « حتى يمطفه الكبر » . والإصفاء : نفاذ الماء . وكلمة « له » ساقطة من ل .

(٧) ط ، س : « وحدة » صوابه في ل .

(٨) ل : « علامتين » ، وتصحيحه من ط ، س .

وبلغت المرأة حَدَّ النَّصْفِ^(١) فعند ذلك يقوى عليها سلطان الشهوة والحرص على الباه ؛ فلإنما تهيج الكهلة عند سُكونِ هيج الكهل^(٢) وعند إدبار شهوته ، وكلالِ حَدِّه .

(قول النساء وأشباههنَّ في الخفافيش)

وأما قول النساء وأشباه النساء في الخفافيش ، فإنهم يزعمون أن الخفاش إذا عضَّ الصبيَّ لم ينزِعْ سِنَهُ من لحمه حتى يسمع نهيقَ حمارٍ وحشيٍّ^(٣) . فما أنسى فزعى من سِنٍ^(٤) الخفاش ، ووَحشِيٍّ من قربه ! إيماناً بذلك القول ، إلى أن بلغت .

وللنساء وأشباه النساء في هذا وشبهه خرافاتٌ ، عسى أن نذكر منها شيئاً إذا بلغنا إلى موضعه [إن شاء الله] .

(ضئف البصر لدى بعض الحيوان)

ومن الطير [و] ذوات الأربع ما يكون فاقد^(٥) البصر بالليل ، ومنها ما يكون سَيِّءَ البصر . فأما [قولهم] : إن القارة والسنورَ وأشياءَ آخرَ أبصرُ بالليل ، فهذا باطل^(٦) .

(١) النصف ، بالتحريك : ما بين الشابة والكهلة ، ويقدر عمرها بخمسة وأربعين سنة .
(٢) الكهلة ، هي في ط ، س : « الشهوة » ، والوجه ما أثبت من ل . « هيج » هي في ط : « تهيج » .
(٣) ل : « حمار وحش » ، وهما وجهان صحيحان .
(٤) ل : « من مس » ، وأثبت ما في ط ، س .
(٥) كذا على الصواب في س . وفي ط : « ناقد » وفي ل : « نافذ » . وانظر سياق الكلام .
(٦) ليس يناقض هذا القول ما سبق في ٢٣٧ ص ١٣ .

والإنسان ردىء البصر بالليل ، والذي لا يبصر منهم ^(١) بالليل تسميه الفرس
شَبُّ كُور ^(٢) وتأويله أنه أعمى ليل ^(٣) ، وليس له في لغة العرب اسم
أكثر من أنه يُقال لمن لا يبصر بالليل [بعينه] : هُدَيْد ^(٤) . ما سمعتُ
إلا بهذا ؛ فأما الأغطش ^(٥) فإنه للشيء البصر بالليل والنهار جميعاً .

وإذا كانت المرأة مُغْرَبَةَ الْعَيْنِ ^(٦) فكانت رديئة البصر ، قيل لها : جَهْرَاءُ .
وأنشد الأصمعي في الشاء ^(٧) :

جَهْرَاءُ لَا تَأَلُو إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصْرًا وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِي ^(٨)

(١) هذه ساقطة من له .

(٢) هذه الكلمة مكونة من مقطعين ، أولهما « شب » بفتح الشين ومعناه الليل .
والآخر : « كور » بضم الكاف ، ومعناه الأعمى . عن معجم Palmer ،
والألفاظ الفارسية ٩٨ . ط : « بشكور » س : « سيكون » محرفتان صوابهما في ل
وقد زيد في ل ألف بعد الراء ، مع أن المراد حكاية قول الفرس . وكتبت
كذلك متصلة « شبكورا » والوجه فصلها كما ذكرت ، وكما في القاموس المحيط
والمعجم السابق . وقد اشتق العرب منها مصدراً فقالوا : « الشبكرة » أرادوا بها العشاء .
وفي اللسان : « المفضل : الهديد : الشبكرة . وهو العشاء يكون في العين » .

(٣) ط ، س : « أعمى بالليل » .

(٤) ط ، س : « هديد » صوابه في ل . وهم يسمون الداء نفسه أيضاً « الهديد »
وكانوا إذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة ، وهن الكبيد قطعة
وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها ، بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فيا سناما وكبيد ألا اذها بالهديد

ليس هفتاه الهديد إلا السنام والكبيد

ويزعمون أنه يذهب العشاء بذلك . انظر بلوغ الأرب (٢ : ٢٤٠) .

(٥) س : « الأعمش » صوابه في ل ، ط .

(٦) مغربة ، بفتح الراء : بيضاء . ط ، س : « مقربة » ، وصوابه في ل .
و « العين » هي في ط : « العنق » محرفة .

(٧) ط ، س : « في غير النساء » وأثبت ما في ل . والبيت الآتي قاله أبو العيال
الهدلي ، يصف منيحة منحة إياها بدر بن عمار الهدلي . انظر بقية أشعار الهدليين ١٣٠ .

(٨) كلمة « هي » ساقطة من ط ، س . « بصرا » هي في ط ، س :
« نظراً » .

وذكروا أنَّ الأَجْهَرَ الَّذِي لَا يَبْصُرُ فِي الشَّمْسِ ^(١) . وَقَوْلُهُ لَا تَأْلُو أَي
لَا تَسْتَطِيعُ . وَقَوْلُهُ أَظْهَرْتُ : صَارَتْ فِي الظَّهِيرَةِ . وَالْعَيْلَةُ : الْفَقْرُ . قَالَ :
يَعْنِي بِهِ شَاةٌ ^(٢) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ ، فِي هَجَاءِ بَعْضِ [آ ل] الصَّعِقِ :

يَا لَيْتَنِي ، وَالْمَنَى لَيْسَتْ بِمَغْنِيَةٍ ، كَيْفَ اقْتِصَاصِكَ مِنْ ثَأْرِ الْأَحَابِيشِ ^(٣)
١٦٨ أَتُنْكَحُونَ مَوَالِيَهُمْ كَمَا فَعَلُوا أُمَّ تَغْمِضُونَ كَأَغْمَاضِ الْخَفَافِيشِ ^(٤)
وَقَالَ أَبُو الشَّمَقْمَقِ ، وَهُوَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ^(٥) :

أَنَا بِالْأَهْوَازِ مَحْزُونٌ وَبِالْبَصْرَةِ دَارِي ^(٦)
فِي بَنِي سَعْدِ وَسَعْدٍ حَيْثُ أَهْلِي وَقَرَارِي
صَرْتُ كَالْخَفَاشِ لَا أَبْصِرُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ ^(٧)
وَقَالَ الْأَخْطَلُ التَّغْلِبِيُّ :

وَقَدْ غَبَرَ الْعَجْلَانَ حِينًا إِذَا بَكَى عَلَى الزَّادِ أَلْقَتْهُ الْوَلِيدَةُ فِي الْكِسْرِ ^(٨)

(١) ل : « أَنْ الْجَهْرَاءُ الَّتِي لَا تَبْصُرُ فِي الشَّمْسِ » .

(٢) ط ، س : « نَسَاءَهُ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٣) ط ، س : « مِنْ نَارٍ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَالْأَحَابِيشُ : طَائِفَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، هُمُ
بَنُو الْمَصْطَلِقِ وَبَنُو الْمَوْنِ بْنِ خَزِيمَةَ .

(٤) ل : « تَنْحَضُونَ كَأَغْمَاضِ » ، صَوَابُهُ فِي ط ، س .

(٥) تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ فِي (١ : ٢٢٥) . ل : « وَقَالَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ هَذَا أَبُو الشَّمَقْمَقِ
الْفَتْحُ الْبَارِدُ » .

(٦) ل : « مَحْزُونٌ » .

(٧) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . ط : « إِلَّا فِي النَّهَارِ » ، س : « إِلَّا فِي نَهَارِي »

(٨) أَلْقَتْهُ : أَي الزَّادُ . وَالْكَسْرُ ، بِالْكَسْرِ : جَانِبُ الْبَيْتِ . وَفِي شَرْحِ الْدِيَوَانَ ١٢٩ :
الْمَاءُ فِي أَلْقَتْهُ عَائِدَةٌ إِلَى الْعَجْلَانِ ، وَلَعَلَّ وَجْهَ التَّفْسِيرِ مَا ذَكَرْتُ .

فيصبح كالحفّاش بذلك عينه فقبّح من وجه لثيم ومن حَجْرٍ (١)
وقالوا : السحاة مقصورة : اسم الحفّاش (٢) ، والجمع سحاً (٣) كما ترى .

(لغز في الحفّاش)

وقالوا في اللّغز ، وهم يعنون الحفّاش :

أبى شعراء الناس لا يُخبروننى وقد ذهبوا في الشعر في كلِّ مذهب (٤)
بجلدة إنسان وصورة طائرٍ وأظفار يربوعٍ وأنيابٍ ثعلب (٥)

(النهى عن قتل الضفادع والحفّاش)

هشامٌ الدّستوائى (٦) قال : حدّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن
عبد الله بن عمر أنّه قال : « لا تقتلوا الضفادع فإنّ نقيقهنّ تسبيح . ولا تقتلوا
الحفّاش فإنّه إذا خرب بيت المقدس قال : يارب سلّطنى على البحر حتى أغرقهم » .

(١) الحجر بالفتح ، قال ابن الأعرابي : « أراد بحجر العين » . وبحجر العين : مدار
بها من العظم . ط : « من وجهه » محرفة . ل : « لعين » بدل « لثيم »
وما أثبت من ط ، س واللسان (مادة حجر) .

(٢) ط ، س : « اسم الحفّاش » صوابه في ل . ل : « وقال : السحاة » الخ .

(٣) سحاً ، بفتح السين ، ويقال سحاه بكسرهما مع المد . اللسان ، والمقصود والممدود .

(٤) ط ، س : « أبا- » ل : « أبا » ، صوابه في نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .

وفيها أيضاً : « علماء » مكان « شعراء » ط ، س : « تخبروننى » ، صوابه

في ل . وفي نهاية الأرب : « أن يخبروننى » وما هنا أجود . وفيها أيضاً :

« وقد ذهبوا في العلم » .

(٥) اليربوع : حيوان طويل الرجلين قصير اليدين ، على العكس من الزرافة ، له ذنب

كذنب الجرذ برفعه صعداً ، في طرفه شبه النواراة ، لونه كلون الغزال .

(٦) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سببر — كجعفر — الدستوائى البصرى البكرى .

وكان يرمى بالقدر . روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ونسبته إلى بيع =

حماد بن سلمة^(١) قال : حدثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، قال : قال عبد الله بن عمر : « لا تقتلوا الخفّاش ؛ فإنه استأذن في البحر^(٢) : أن يأخذ من مائه فيطفيء نار بيت المقدس حيث حرق . ولا تقتلوا الضفادع فإن نقيتها تسبيح » .

[قال] : و [حدثنا] عثمان بن سعيد القرشي^(٣) قال : سمعت الحسن يقول : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الوطواط ، وأمر بقتل الأوزاغ » .

قال : والخفّاش يأبى الرّمانة وهي على شجرتها ، فينقب عنها^(٤) ، فيأكل كلّ شيء فيها حتى^(٥) لا يدع إلا القشر وحده . وهم يحفظون للرّمان من الخفافيش بكلّ حيلة .

= الثياب الدستوائية ، التي كانت تجلب من دستوا ، بفتح الدال والتاء بينهما سين ساكنة ، وهي من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . ط : « صاحب الدستواي » . والكلمة الأولى صحيحة ، يقال : اللستواي ، وصاحب الدستواي ، كما في تذكرة الحفاظ للذهبي (١ : ١٥٥) . أما الكلمة الثانية فهي تحريف ما أثبت من ل ، س والمعجم والمعارف ٢٣٣ والتهديب وتذكرة الحفاظ . وانظر الخبر في (٥ : ٥٣٦) .

(١) حماد ، هذا ، هو ابن سلمة بن دينار البصرى ، كان من ثقات رواة الحديث . ويقال : إنه كان عالماً بالنحو والعربية ، وإن سيويه استمل عليه . توفي سنة ١٦٤ أو ١٦٧ . ط ، ش : « حماد عن سلمة » صوابه في ل وتقريب التهديب والمعارف ٢٢٠ . ل : « قال وحدثنا حماد بن سلمة » . وفي العبارة نظر .

(٢) ل : « استأذن البحر » .

(٣) ط : « عثمان بن سعد القرشي » ، صوابه في ل ، س وتقريب التهديب .

(٤) ل : « فينقب عليها » .

(٥) إلى هنا ينتهى الجزء الثالث من نسخة كوبريل ، المشار إليها برمز « ل » .

قال : ولحوم الخفافيش موافقةٌ للشواهين والصُّقورة والبوازي^(١) ،
ولكثير من جوارح الطير ، وهي تسمن عنها ، وتصحّ أبدانها عليها .
ولها في ذلك عملٌ محمودٌ نافعٌ عظيمٌ النفع ، بين الأثر . والله سبحانه
وتعالى أعلم .

تمّ المصحف الثالث من كتاب الحيوان

ويليه المصحف الرابع

[وأوله^(٢)] في الذرّ

(١) ط ، س : « قال والهازي » . وصوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .

(٢) ليست بالأصل .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
٢٠	٤	« كُسِيرٌ وَعُوَيْرٌ ». هو مثل عربي قديم . وهو بتمامه : « كُسِيرٌ وَعُوَيْرٌ وكلُّ غَيْرٍ خَيْرٌ ». أصله أن امرأة منهم تزوجها أعور فولدت منه خمسة ، ثم طلقها فتزوجت آخرَ ظهر أنه أعرج . فقالت المثل المذكور . يُضْرَبُ في الشيء يكره ويذمُّ من وجهين . كذا في أمثال الميداني ، ولكن المناسب هنا ما قال العسكري في جمهرة الأمثال ١٦٥ : « يُضْرَبُ مثلاً في الخلتين المكروهتين ، والرَّجُلَيْنِ الرَّدِّيَيْنِ » ، ونصُّ المثل عنده كما عند الميداني . وصاحب معجم البلدان رواه : « كُسِيرٌ وَعُوَيْرٌ وثالثٌ ليس فيه خيرٌ » ، ورأى أنَّ كُسيراً وعويراً جبلان في البحر ، بين البصرة وعمَّان يشفقون على المراكبِ منهما . انظر فيه « كسير » و « عوير »
٩١	٤	معنى هذا البيت مأخوذ من قول أحد الحكماء اليونانيين ، حين وقف يؤبن الاسكندر ، أو الموبذ حين كان يرثى قباذ الملك : « كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظَ منه أمس » انظر المراجع التي أشرنا إليها في التعليق ، وكذا مروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤)
١٠١	٢	« يجوع » هي كذلك في ط، س . وفي ل : « بِجَوْحَى » ، وهما موضعان ، أحدهما « جوحاء » بالفتح والمد : موضع بالبادية في ديار بني عجل كان يسلكه حاجٌ واسط ، وقد قصره بعض الشعراء .

والثاني جُوخى بالضم والقصر : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد . انظر معجم البلدان

سألت حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي ١ ١٧٠
عن «أبي ريانوس» فكتب إلى : «هو على الحقيقة :
(أبيرْيُونِيْدِس) أي منسوب إلى : Hyperion
المسمى أيضاً : Helios ، أي الشمس ، وتلفظ «عالْيوس» .
وما «عالْيوس» إلا «عالِي» أو «عالٍ» كسعت بعلامة الإعراب
في كلام اليونان . ويطلق هذا اللفظ على كل ما يراد وصفه بالعلو
أو الطول أو الارتفاع . فالدجاج «أبي ريانوس» أو «أبيرْيُونوس»
هو ما يسميه اليوم العراقيون بالدجاج الهَرَائِي بمعنى الهَرَوِي ؛
لأن ديكتها جلبت من هراة ، المشهورة بحسن دجاجها وعلوها
وكبرها . فالكلمة إذن يونانية وقد صحفها النساخ لجهلهم إياها .

٩ ١٨٧ «الطبرزين» قال العلامة الأب أنستاس : ليس في العربية طائر
باسم طبرزين . والاسم الصحيح هو «طبرادران» وأصح منها
بالدال ، أي «دُبْرَادِران» أو «دُبْرَادِران» ومعناها الأخوان ؛
لأن «دو» بلفارسية معناها اثنان ، و«بَرَادِر» . الأخ ،
و«ان» للجمع أو للتثنية ؛ إذ لا فرق عند الفرس بين المثني والجمع .
والحمام لا يخاف الدبرادران ولا السكركي ، كما هو مقرر في علم
الطير . واسم الدبرادران العربي هو الزَّمَج ، وسمّاه الفرس ما معناه
الأخوان ؛ لأنه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه ، واسمه

بلسان الغربيين من الإنجليز: Goshawk وبالفرنسية: Autour :

٣٧٠ ٤٠٣ كنت قد كتبت إلى المحقق الأب أنستاس ماري الكرملى لتحقيق هذه الكلمات الواردة في عوالم المجوس ، فكتب إلى في ٢٧/٨/٣٩ ما نصه : « وعندي أن هذا المجوسى استعمل ألفاظاً يونانية في كلامه ، تعميةً للأبصار ، وغشاوةً للأفكار ، وتبياناً للباحثين ، أنه على صلة دائمة بعلوم اليونانيين ، ووقوفه وقوفاً تاماً على مصطلحاتهم وأوضاعهم ، مع أنك لو تدبّرت أحسن تدبّر هذه الأوضاع التى نفثها صدره ، أو سمعها سماعاً من أحد أبناء مذهبه من أهل التلفيق والتمويه ، لشفت لك عن كتبها وزورها وزيفها ، وبانت لك الحقيقة بثوبها الذى ألبسته .

ونحن نؤيد لك صادق كلامنا هذا ، بنقل تلك الحروف على ما هي في اليونانية ، مع دقة ضبطها العربى والغربى وشرح معانيها ، فنقول :

١ - أبو سألوس : hyposalos أى تحت البحر، وهو أقرب عالم إلى أرضنا .

٢ - أبرما كس : hyhermakéc أى العالم الممتد امتداداً فاحشاً .

٣ - أبردس : hyperèdus أى الطيب في النهاية ، أو الطيب غاية الطيب .

٤ - كارِس : kherès أى السبيء المقوت .
٥ - حَرِيرَة آمِنِس : arèra amenès أى المناسب الخوار .
وزاد بعض علماءهم من فرقة أخرى أسرس asyrès أى النجس .
ومنهم من زاد على هذه العوالم الستة عالماً سابعاً ليقابل
بهذه العوالم السبعة سبعة عوالم السماء المعروفة بالسيارات السبعة
أو الأفلاك السبعة ، وسمّوه : أبوجايوس : hypogaios
أى العالم الذى تحت الأرض .

الأب أنستاس مارى الكرملى

القاهرة فى ٢٧/٨/٣٩ .

- ٩ ٣٧٤ قال البيرونى فى كتاب (الجماهر) عند الكلام على الألباس :
« وشبهه الكندى بالزجاج الفرعونى » انظره ص ٩٣ .
وكلمة « الألباس » هى الوجه فى « الماس » . وللمحقق الكبير
الأب أنستاس بحث ممتع فى تحقيق هذه الكلمة . انظر نخب
الذخائر ص ٢٠ . ويظهر لى أن المراد بالزجاج الفرعونى
هو الألباس الصناعى . وانظر التبصر بالتجارة للجاحظ ص ١٦ .
٤ ٤١٤ كلمة « ميسر » جاءت فى الأصل هكذا ، والمعنى مستقيم بها .
ومثلها فى (٤ : ٨٥ س ٩) . وهى تنظر لى الحديث المشهور :
« اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . انظر الجامع الصغير ١٢٠٢ .
ولا موجب للقول بأنها « مسير » .

صفحة سطر
٤ ٤٥٢ - « فقلت لبِقَار » كلمة « بقار » ذات مغزى خاص في التشاؤم
وتجد في نهاية الأرب (٣: ١٣٦) هذه العبارة : « وإن خرج فلتى
بقرا فليرجع » ، يريد أن البقر مما يتشاءم به ، وهذا النص نقله
لنویری عن الجاحظ . انظر باب الزجر في نهاية الأرب (٣ :
١٣٤-١٤٣)

٢ ٤٥٨ الأترج : ضرب من الفاكهة يكثر بأرض العرب ، وهو مما
يغرس غرسا ولا يكون برياً ، وقد تبقى شجرته عشرين سنة ،
وهو صنفان : تفه وحامض ، وهو أبيض الجوف أصفر القشرة ،
فيه يقول أبو القاسم الزاهي :
وذات جسم من الكافور في ذهب

دارت عليه حراية بتدار
كأنها وهي قدامى ممثلة في رأس دوحها تاج من النار
ويقول آخر :

يا حبذا أترجة تحديث للنفس مطرب
كأنها كافورة لها غشاء من ذهب
ويسمى أيضاً « تفاح ماهي » وتفتح مائى . واسمه العلمى :

Citrus medica Risso ورواية البيت الثانى في حلبة
الكيمت ٢٦٤ ونهاية الأرب (١١ : ١٨٣) تشبه رواية العقد :

خاف التلون إذ أته لأنها لوان باطها خلاف الظاهر
٣٥ - الحيران - ٣

ويشبه هذين البيتين ما قيل في التطير من السفرجل (حلبة
الكفيت ٢٥٨) :

أهدى إليه سفرجلا فتطيراً منه فضلٌ نهاره متحيراً
خاف الفراق لأن شطره جانه سفرٌ وحقٌ له بأن يتطيراً

« حتى إذا طعنوا » هكذا جاءت الرواية في ط، ش، ل، وكذا ١١ ٤٧٤

العمدة (٢: ٢٠) والوساطة ٤٤. والأجود من هذه الرواية رواية
الديوان ص ٤١ وعيون الأخبار (١: ١٩٠) والعمدة (٢: ٢٢٠)
ونقد النثر ص ٩٠: « حتى إذا طعنوا ». قال الشنمري في تأويل
البيت: « يقول: إذا ارتمى الناس في الحرب بالنبيل دخل هو
تحت الرمي فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا
تضاربوا بالسيوف اعتنق قرننه والتزمه ».

٤ ش تاء الافتعال إذا وردت بعد التاء المثلثة، كان لك فيها أوجه ٤٧٦

وثلاثة: أولها البيان، وهو الأصل. وثانيها تحويلها مع التاء
إلى تاء مثناة مدغمة. وثالثها تحويلها إلى تاء مثلثة مدغمة.
وتقول في الافتعال من « ثار »: اثار، واثار، واثار.
وفي مفتعل من « ثرد »: مثررد، ومثررد، ومثررد. انظر شرح
المفصل لابن يعيش (١٠: ١٨٤ س ٢٦-٣٠).

« خيزران ربحها عبق » هذه رواية ط، ش وكذا ديوان الفرزدق ٣ ٤٨٧

من خمسة دواوين العرب ١٩٩ وعيون الأخبار (١: ٢٩٤).

— وأنت الخيزران لتقدير : « عصا خيزران » . والرواية المعروفة « ريجح عقب » وهي رواية ل . وانظر ص ١٣٣ .

٤٩١ ٦ « نواكس » : جمع ناكس ، وهو من الجمع الشاذ . وقد أسهب البغدادي في الحديث عن نحو هذا الجمع في الخزانة (١ : ١٩٠ - ١٩٥ سلفية) . وفي مجلة الرسالة العدد ٣١٥ ص ١٣٩٤ بحث قيم ، واستدراك طيب لهذا الشذوذ الصرفي .

٤٩٣ ١٠ ش « فاستجودها » كذا جاءت العبارة في كلام حمزة بن الحسن الأصبهاني في ديوان أبي نواس ١٣٢ ، والقياس والمعروف : « استجودها » ، كما أن المسموع من الشاذ « أجوده » أي وجده جيداً . انظر شرح الشافية للرضي ١٩١ .

٥٣٧ ٤ ش وجاء أيضاً في تهذيب الكمال ج ١١ من مخطوطة دار الكتب المصرية (٢٥ مصطلح) في ترجمة هشام الدستوائي : « ودستوا : كورة من كور الأهواز ، كان يبيع الثياب التي تجلب منها فنسب إليها . ويقال له صاحب الدستوائي أيضاً » .

كتبه

مصر الجديدة في { ٢٠ من رمضان ، من سنة ١٣٨٥ ، ١٢ من يناير من سنة ١٩٦٦ ، محمد السيد محمد هارون

أبواب الكتاب

	صفحة
باب ذكر الحمام	٥
« في صدق الظن وجودة الفراسة	٥٩
« من المديح بالجمال وغيره	٩١
« آخر في مثل ذلك من الغضب وفي ذكر الجنون في المواضع التي يكون ذكره فيها محموداً	١٠٥
« من الفطن وفهم الرطانات والكنايات والفهم والإفهام	١٢٢
« ذكر خصال الحرم	١٣٩
« ذكر الحمام	١٤٤
« ومن كرم الحمام	٢٢٧
« ليس في الأرض جنسٌ يعتره الأوضاح	٢٤٤
« الحمام طائر لئيم	٢٥٣
« القول في أجناس الذبّان	٢٩٨
« رجّع القول إلى ذكر الذبّان	٣٨٠
« القول في الغربان	٤٠٩
« فيمن يُسجى ويُذكرُ بالشوم	٤٨١
« في مديح الصّالحين والفقهاء	٤٩١
« القول في الجعلان والحنافس	٤٩٦
« القول في الهدم	٥١٠
« القول في الرّخم	٥١٩
« القول في الخفاش	٥٢٦

